من روائع التفاسير

النكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري
٣٦٤ - ٤٥٠هـ

الجزء الخامس

راجعه وعلق عليه
السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية



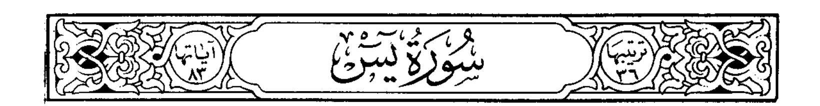
مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨
هاتف المكتب :
ص ب ٥١١٥ - ١١٤ - برقياً : الكتبكو -
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

النُّكَتُ وَالعُيُونُ
تفسِيرُ المَاوَرْدِي

بسم الله الرحمن الرحيم



مكية في قول الجميع، إلا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا إلا آية منها وهي قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ﴾ [يٓس: ٤٧] الآية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾

قوله عز وجل: ﴿يسٓ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثاني: أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه فواتح من كلام الله تعالى افتتح به كلامه، قاله مجاهد.

الرابع: أنه: يا محمد، قاله محمد بن الحنفية. وروى علي رضي الله عنه قال[١]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّانِي في ٱلقُرآنِ بِسَبْعَةِ أَسْمَاءَ: مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدَ وَطه وَيسٓ وَٱلْمُزَّمِّلِ وَٱلْمُدَّثِّرِ وَعَبدِ اللَّهِ**».

الخامس: أنه يا إنسان: قاله الحسن، وعكرمة، والضحاك، وسعيد بن جبير.

ثم اختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وعكرمة هي بلغة الحبشة. وحكى الكلبي

(١) لم يصح هذا الحديث.

أنه بالسريانية وقال الشعبي: هو بلغة طيىء. وقال آخرون: هي بلغة كلب.

ويحتمل سادساً: يئس من كذب رسول الله ﷺ أن يكون مؤمناً بالله، نفياً للإيمان أن يكون إلا بالشهادتين، واليأس أبلغ في النفي من جميع ألفاظه، ثم أثبت رسالته بقَسَمه فقال:

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ. عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على شريعة واضحة.

الثاني: على حجة بينة.

قوله عز وجل: ﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم قريش أنذروا بنبوة محمد ﷺ ولم ينذر آباؤهم من قبلهم، قاله قتادة.

الثاني: أنه عام ومعناه لتنذر قوماً كما أنذر آباؤهم، قاله السدي.

﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عن قبول الإنذار.

الثاني: عن استحقاق العذاب.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه لقد وجب العذاب على أكثرهم، قاله السدي.

الثاني: لقد سبق علم الله في أكثرهم، قاله الضحاك.

وفي هذا القول الذي حق عليهم وجهان:

أحدهما: أنه الوعيد الذي أوجبه الله تعالى عليهم من العذاب.

الثاني: أنه الإخبار عنهم بأنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني الأكثرية الذين حق القول عليهم، وهم الذين عاندوا رسول الله ﷺ من كفار قريش، وأكثرهم لم يؤمنوا فكان المخبر كالخبر.

إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ

عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى لهم في امتناعهم من الهدى كامتناع المغلول من التصرف، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: ما حكاه السدي أن ناساً من قريش ائتمروا بالنبي ﷺ فجاءوا يريدون ذلك فجعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه يداً.

الثالث: أن المراد به جعل الله سبحانه لهم في النار من الأغلال في أعناقهم ويكون الجعل ها هنا مأخوذاً من الجُعالة التي هي الأجرة كأن جعالتهم في النار الأغلال، حكاه ابن بحر.

وفي قوله: ﴿فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: في أيديهم، فكنى بالأعناق عن الأيدي لأن الغُل يكون في الأيدي، قاله الكلبي، وحكى قطرب أنها في قراءة ابن عباس: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالاً﴾

الثاني: أنها في الأعناق حقيقة، لأن الأيدي تجمع في الغل إلى الأعناق، قاله ابن عباس ﴿فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى الوجوه فكنى عنها بالأذقان لأنها منها، قاله قتادة، أي قد غلت يده عند وجهه.

الثاني: أنها الأذقان المنحدرة عن الشفة في أسفل الوجه لأن أيديهم تماسها إذا علت.

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: رفع رؤوسهم ووضع أيديهم على أفواههم، قاله مجاهد.

الثاني: هو الطامح ببصره إلى موطىء قدمه، قاله الحسن.

الثالث: هو غض الطرف ورفع الرأس مأخوذ من البعير المقمح وهو أن يرفع

رأسه ويطبق أجفانه في الشتاء إذا ورد ماء كريهاً، حكاه النقاش. وقال المبرد، وأنشد قول الشاعر[٢] :

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح

الرابع: هو أن يجذب ذقنه إلى صدره ثم يرفعه مأخوذ من القمح وهو رفع الشيء إلى الفم، حكاه عليّ بن عيسى وقاله أبو عبيدة.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَينِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني ضلالاً، قاله قتادة.

الثاني: سداً عن الحق، قاله مجاهد.

الثالث: ظلمة سدت قريشاً عن نبي الله ﷺ حين ائتمروا لقتله قاله السدي.

قال عكرمة: ما صنع الله تعالى فهو السُدُّ بالضم، وما صنع الإنسان فهو السد بالفتح.

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فأغشيناهم بظلمة الكفر فهم لا يبصرون الهدى، قاله يحيى بن سلام، ومعنى قول مجاهد.

الثاني: فأغشيناهم بظلمة الليل فهم لا يبصرون محمداً[٣] ﷺ حين ائتمروا على قتله، قاله السدي، ومحمد بن كعب.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما يغيب به عن الناس من شر عمله، قاله السدي.

الثاني: ما غاب من عذاب الله وناره، قاله قتادة.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنبه.

﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ لطاعته، وفيه وجهان:

---

(٢) هو بشر بن أبي خازم والبيت في اللسان (قمح)، روح المعاني (٢٢/٢١٤) فتح القدير (٤/٣٦١) مجاز القرآن (٢/١٥٧) غريب القرآن (٣٦٣) القرطبي (١٥/٨).

(٣) وكان ذلك قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ثم أذن الله له في الهجرة في تلك الليلة التي تآمروا فيها على قتل رسول الله فنجاه الله منهم.

أحدهما: أنه الكثير.

الثاني: الذي تنال معه الكرامة.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نحييهم بالإيمان بعد الكفر، قاله الضحاك.

الثاني: بالبعث للجزاء، قاله يحيى بن سلام.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَارَهُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما قدموا هو ما عملوا من خير أو شر، وآثارهم ما أثروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعدهم، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: ما قدموا: أعمالهم، وآثارهم: خطاهم إلى المساجد، قاله مجاهد.

روى سفيان عن أبي[٤] نضرة عن أبي سعيد الخدري قال[٥]: كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد، فنزلت: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَارَهُمْ﴾ وقال لهم النبي ﷺ: «إن آثَارَكُم تُكْتَبُ فَلَمْ يَنتَقِلُوا».

ويحتمل إن لم يثبت نقل هذا السبب تأويلاً ثالثاً أن آثارهم هو أن يصلح من صاحبهم بصلاحهم، أو يفسد بفسادهم.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيناهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علمناه.

الثاني: حفظناه.

﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدهما: اللوح المحفوظ. قاله السدي.

الثاني: أم الكتاب قاله مجاهد.

الثالث: معناه طريق مستقيم، قاله الضحاك.

---

(٤) هذا الموضع فيه سقط والصواب عن سفيان عن طريف عن أبي نضرة عن أبي سعيد والتصويب من الطبري (٢٢/١٥٤).

(٥) رواه الطبري (٢٢/١٥٤) والترمذي (٢/١٥٥) وحسنه والحاكم (٢/٤٢٨) وصححه وزاد السيوطي في الدر (٧/٤٦) نسبته للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب وقد ورد الحديث من حديث جابر رواه مسلم وغيره.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هذه القرية هي أنطاكية من قول جميع المفسرين.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ اختلف في اسميهما على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهما شمعون ويوحنا، قاله شعيب.

الثاني: صادق وصدوق، قاله ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه.

الثالث: سمعان ويحيى، حكاه النقاش.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فشددنا، قاله مجاهد.

الثاني: فزدنا، قاله ابن جريج.

الثالث: قوينا مأخوذ من العزة وهي القوة المنيعة، ومنه قولهم: من عز وبز.

واختلف في اسمه على قولين:

أحدهما: يونس قاله شعيب.

الثاني: شلوم، قاله ابن عباس وكعب ووهب. وكان ملك أنطاكية أحد الفراعنة يعبد الأصنام مع أهلها، وكانت لهم ثلاثة أصنام يعبدونها، ذكر النقاش أن أسماءها رومس وقيل وارطميس.

واختلف في اسم الملك على قولين:

أحدهما: أن اسمه أنطيخس، قاله ابن عباس وكعب ووهب.

الثاني: انطرا، قاله شعيب.

قوله عز وجل: ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ وهذا القول منهم إنكار لرسالته، ويحتمل وجهين.

أحدهما: أنكم مثلنا غير رسل وإن جاز أن يكون البشر رسلاً.

الثاني : إن مثلكم من البشر لا يجوز أن يكونوا رسلاً .

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك منهم إنكاراً للرحمن أن يكون إلٰهاً مرسلاً .

الثاني : أن يكون ذلك إنكاراً أن يكونوا للرحمن رسلاً .

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : تكذبون في أن لنا إلهاً .

الثاني : تكذبون في أن تكونوا رسلاً .

قوله عز وجل : ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فإن قيل يعلم الله تعالى أنهم لا تكون حجة عند الكفار لهم .

قيل يحتمل قولهم ذلك وجهين :

أحدهما : معناه ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون بما يظهره لنا من المعجزات، وقد قيل إنهم أحيوا ميتاً وأبرؤوا زمِناً .

الثاني : أن تمكين ربنا لنا إنما هو لعلمه بصدقنا .

واختلف أهل العلم فيهم على قولين :

أحدهما : أنهم كانوا رسلاً من الله تعالى إليهم .

الثاني : أنهم كانوا رسل عيسى عليه السلام من جملة الحواريين أرسلهم إليهم فجاز، لأنهم رسل رسول الله، أن يكونوا رسلاً لله، قاله ابن جريج .

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يعني بالإعجاز الدال على صحة الرسالة أن الذي على الرسل إبلاغ الرسالة وليس عليهم الإجابة، وإنما الإجابة على المدعوين دون الداعين .

قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

قوله عز وجل : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : تشاءمنا بكم، وعساهم قالوا ذلك لسوء أصابهم، قاله يحيى بن سلام . قيل إنه حبس المطر عن أنطاكية في أيامهم .

الثاني: معناه إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم، قاله قتادة. تحذيراً من الرجوع عن دينهم.

الثالث: استوحشنا منكم فيما دعوتمونا إليه من دينكم.

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لنرجمنكم بالحجارة، قاله قتادة.

الثاني: لنقتلنكم، قاله السدي:

الثالث: لنشتمنكم ونؤذيكم، قاله النقاش.

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه القتل.

الثاني: التعذيب المؤلم قبل القتل.

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن أعمالكم معكم أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا، قاله قتادة.

الثاني: أن الشؤم معكم إن أقمتم على الكفر إذا ذكرتم، قاله ابن عيسى.

الثالث: معناه أن كل من ذكركم بالله تطيرتم به، حكاه بعض المتأخرين.

الرابع: أن عملكم ورزقكم معكم، حكاه ابن حسام المالكي.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في تطيركم، قاله قتادة.

الثاني: مسرفون في كفركم، قاله يحيى بن سلام. وقال ابن بحر: السرف ها هنا الفساد ومعناه بل أنتم قوم مفسدون، ومنه قول الشاعر[٦]:

إن امرأ سرف الفؤاد يرى ... عسلاً بماءِ غمامة شتمي

وقيل: إن شمعون من بينهم أحيا بنت ملك أنطاكية من قبرها، فلم يؤمن أحد منهم غير حبيب النجار فإنه ترك تجارته حين سمع بهم وجاءهم مسرعاً فآمن، وقتلوا جميعاً وحبيب معهم، وألقوا في بئر. قال مقاتل: هم أصحاب الرس. ولما عرج بروح حبيب إلى الجنة تمنى فقال﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾

(٦) هو طرفة بن العبد والبيت في اللسان (سرف) والشطر الثاني فيه:

عسلاً بماء سحابة شتمي

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ اختلف فيه على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كان إسكافاً، قاله عمر بن عبد الحكيم.

الثاني: أنه كان قصاراً، قاله السدي.

الثالث: أنه كان حبيب النجار، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد.

﴿قَالَ يَا قومِ اتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وفي علمه بنبوتهم[(٧)] وتصديقه[(٨)] لهم قولان:

أحدهما: لأنه كان ذا زمانة أو جذام فأبرؤوه، قاله ابن عباس.

الثاني: لأنهم لما دعوه قال أتأخذون على ذلك أجراً؟ قالوا لا، فاعتقد صدقهم وآمن بهم، قاله أبو العالية.

قوله عز وحل: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون قال ذلك تنبيهاً على صدقهم.

الثاني: أن يكون قال ذلك ترغيباً في إجابتهم.

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مهتدون لهدايتكم.

الثاني: مهتدون فاهتدوا بهم.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي خلقني ﴿وَإِلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾

(٧) وفي هذا خلاف بين العلماء واستشكالاً كبيراً راجع تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٩).

(٨) واستظهر ابن كثير كونهم رسل من عند الله وليسوا من الحواريين لأنه لم يدل على ذلك دليل من سياق الآيات (٣/ ٥٦٩).

أي تبعثون. فإن قيل: فلم أضاف الفطرة إلى نفسه والبعث إليهم وهو معترف أن الله فطرهم جميعاً ويبعثهم إليه جميعاً؟

قيل: لأنه خلق الله تعالى له نعمة عليه توجب الشكر، والبعث في القيامة وعيد يقتضي الزجر، فكان إضافة النعمة، إلى نفسه إضافة شكر، وإضافة الزجر إلى الكافر أبلغ أثراً.

قال قتادة: بلغني أنهم لما قال لهم: وما لي لا أعبد الذي فطرني وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه وهو يقول: يا رب اهدِ قومي، أحسبه قال: فإنهم لا يعلمون.

قوله عز وجل: ﴿إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُم فَاسْمَعُونِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه خاطب الرسل بذلك أنه يؤمن بالله ربهم ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ أي فاشهدوا لي، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه خاطب قومه بذلك، ومعناه إني آمنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعوا قولي، قاله وهب بن منبه.

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ فيه قولان:
أحدهما: أنه أمر بدخول الجنة.
الثاني: أنه أخبر بأنه قد استحق دخول الجنة لأن دخولها يستحق بعد البعث.

﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ في هذا التمني منه قولان:
أحدهما: أنه تمنى أن يعلموا حاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته.
الثاني: أنه تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله. قال ابن عباس: نصح قومه حياً وميتاً.
ويحتمل قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ وجهين:
أحدهما: ممن أكرمه بقبول عمله.
الثاني: ممن أحله دار كرامته.

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

قوله عز وجل ﴿**وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء**﴾ فيه قولان.

أحدهما: معنى جند من السماء أي رسالة، قاله مجاهد، لأن الله تعالى قطع عنهم الرسل حين قتلوا رسله.

الثاني: أن الجند الملائكة الذين ينزلون الوحي على الأنبياء، قاله الحسن.

﴿**وما كنا منزلين**﴾ أي فاعلين.

﴿**إن كانت إلا صيحة واحدةً**﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّ الصيحة هي العذاب.

الثاني: أنها صيحة من جبريل عليه السلام ليس لها مثنوية(٩)، قاله السدي.

﴿**فإذا هم خامدون**﴾ أي ميتون تشبيهاً بالرماد الخامد.

قوله عز وجل: ﴿**يا حسرةً على العباد ما يأتيهم**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يا حسرة العباد على أنفسها، قال قتادة، وحكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم في بعض القراءات متلوًّا.

الثاني: أنها حسرتهم على الرسل الثلاثة، قاله أبو العالية.

الثالث: أنها حسرة الملائكة على العباد في تكذيبهم الرسل، قاله الضحاك.

وفيه وجه رابع: عن ابن عباس أنهم حلوا محل من يتحسر عليهم.

﴿**ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءُون**﴾ الاستهزاء منهم قبل العذاب.

وفي الحسرة منهم قولان:

أحدهما: بعد معاينة العذاب.

الثاني: في القيامة، قاله ابن عباس.

(٩) يعني أنها صحيحة لم تتكرر بل كانت واحدة من أمين الوحي جبريل.

قوله عزوجل: ﴿وإن كلٌّ لما جميعٌ﴾ يعني الماضين والباقين.

﴿لدينا محضرون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معذبون، قاله السدي.

الثاني: مبعوثون، قاله يحيى بن سلام.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وفجرنا فيها مِن العيون ليأكلوا من ثَمَرِه وما عَمِلَتْهُ أيديهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها إثبات وتقديره: ومما عملته أيديهم، قاله الكلبي والفراء وابن قتيبة.

والوجه الثاني: أنها جحد وفيها على هذا القول وجهان:

أحدهما: وما لم تعمله أيديهم من الأنهار التي أجراها الله سبحانه لهم. قال الضحاك يعني الفرات ودجلة ونهر بلخ ونيلُ مصر.

الثاني: وما لم تعمله أيديهم من الزرع الذي أنبته الله تعالى لهم.

قوله عزوجل: ﴿سبحان الذي خَلَق الأزواج كلها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني الأصناف كلها، قاله السدي.

الثاني: يعني من النخل والشجر والزرع كل صنف منه زوج.

﴿ومن أنفسهم﴾ وفي ذلك دليل على مشاكلة الحيوان لهم في أنها زوج ذكر وأنثى.

﴿ومما لا يَعْلمون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني الروح التي يعلمها الله ولا يعلمها غيره.

الثاني: ما يرى نادراً من حيوان ونبات.

ويحتمل ثالثاً: مما لا تعلمون من تقلب الولد في بطن أمه[١٠].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وآيةٌ لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ أي نخرج منه النهار يعني ضوءه، مأخوذ من سلخ الشاة إذا خرجت من جلدها.

﴿فإذا هم مظلمون﴾ أي في ظلمة لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء، فإذا خرج منه أظلم.

﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا، حكاه ابن عيسى.

الثاني: لوقت واحد لا تعدوه، قاله قتادة.

الثالث: أي أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها، قاله الكلبي. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأها[١١]: «والشمس تجري لا مستقر لها». وتأويل هذه القراءة أنها تجري في الليل والنهار ولا وقوف لها ولا قرار.

قوله عزوجل: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جعله في كل ليلة على مقر له، يزيد في كل ليلة من أول الشهر حتى يستكمل ثم ينقص بعد استكماله حتى يعود كما بدأ، وهو محتمل.

الثاني: أنه يطلع كل ليلة في منزل حتى يستكمل جميع المنازل في كل شهر، ولذلك جعل بعض الحساب السنة الشمسية ثلاثة عشر شهراً قمرياً.

﴿حتى عَادَ كالعرجون القديم﴾ فيه قولان:

---

(١٠) والأولى تفسير قوله ﴿ما لا يعلمون﴾ على العموم.

(١١) وهي قراءة ابن مسعود وعكرمة وعلي بن الحسين والشيزري الحنفي عن الكسائي زاد المسير (٧/١٩).

أحدهما: أنه العذق اليابس إذا استقوس، وهو معنى قول ابن عباس، ومنه قول أعشى قيس:

شـرق المسـك والعبيـر بهـا فهي صفـراء كعـرجـون القمـر

الثاني: أنه النخل إذا انحنى مائلاً، قاله الحسن.

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تُدْرِكَ القَمرَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أي لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر، قاله مجاهد.

الثاني: لا يجتمع ضوء أحدهما مع ضوء الآخر، لأن ضوء القمر ليلاً وضوء الشمس نهاراً، فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر، قاله قتادة.

الثالث: معناه أنهما إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يـدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها، قاله ابن عباس.

الرابع: أنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة، قاله الحسن.

الخامس: أنه لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة لأنه يبادر بالمغيب قبل طلوعها، حكاه يحيـى بن سلام.

﴿ولا الليلُ سابق النهار﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أنه لا يتقدم الليل قبل استكمال النهار وهو معنى قول يحيـى بن سلام.

الثاني: أنه لا يأتي ليل بعد ليل متصل حتى يكون بينهما نهار منفصل، وهو معنى قول عكرمة.

ومن الناس من يجعل هذا دليلاً على أن أول الشهر النهار دون الليل، لأنه إذا لم يسبق الليل النهار واستحال اجتماعهما وجب أن يكون النهار سابقاً. وهذا قول يدفعه الشرع ويمنع منه الإجماع.

﴿وكلٌّ في فلك يسْبحون﴾ قال الحسن: الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملتصقة بالسماء، ولو كانت ملتصقة ما جرت.

وفي قوله تعالى: **﴿يسبحون﴾** ثلاثة أقاويل:

أحدها: يجـرون، قاله ابن عباس.

الثاني: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة، قاله عكرمة ومجاهد.

الثالث: يعملون، قاله الضحاك.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وآية لهم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: عبرة لهم لأن في الآيات اعتباراً.

الثاني: نعمة عليهم لأن في الآيات إنعاماً.

الثالث: إنذار لهم لأن في الآيات إنذاراً.

﴿أنَّا حَمَلْنا ذُرّيتَهم في الفلك المشحون﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الذرية الآباء حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام، قاله أبان(*) بن عثمان، وسمى الآباء ذرية لأن منهم ذرء الأبناء.

الثاني: أن الذرية الأبناء والنساء لأنهم ذرء الآباء حملوا في السفن، والفلك هي السفن الكبار، قاله السدي.

الثالث: أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون، قاله عليّ رضي الله عنه.

وفي ﴿المشحون﴾ قولان:

أحدهما: الموقر، قاله ابن عباس.

الثاني: المملوء، حكاه ابن عباس أيضاً.

﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه خلق مثل سفينة نوح مما يركبونها من السفن، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها السفن الصغار خلقها لهم مثل السفن الكبار، قاله أبو مالك.

الثالث: أنها سفن الأنهار خلقها لهم مثل سفن البحار، قاله السدي.

(*) وفي نسخه ابن عباس.

الرابع: أنها الإبل خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر، قاله الحسن وعبدالله بن شداد. والعرب تشبه الإبل بالسفن، قال طرفة[١٢]:

كأنَّ حدوج المالكية غدوةً   خلايا سَفينٍ بالنواصِف من رَدِ

ويجيء على مقتضى تأويل عليّ رضي الله عنه في أن الذرية في الفلك المشحون هي النطف في بطون النساء.

قولٌ خامس في قوله: ﴿**وخلقنا لهم من مثله ما يركبون**﴾:

أن يكون تأويله النساء خلقن لركوب الأزواج، لكن لم أره محكياً.

قوله عزوجل: ﴿**وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلا مغيث لهم، رواه سعيد عن قتادة.

الثاني: فلا منعة لهم، رواه شيبان عن قتادة.

﴿**ولا هم ينقذون**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الغرق.

الثاني: من العذاب.

﴿**إلا رحمة منا**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا رحمتنا، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: إلا نعمة منا، قاله مقاتل.

﴿**ومتاعاً إلى حين**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى الموت، قاله قتادة.

الثاني: إلى القيامة، قاله يحيى.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

(١٢) اللسان «نصف».

قوله عزوجل: **﴿وإذا قيل لهم اتَّقوا ما بين أيديكم وما خلْفكم﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما بين أيديكم ما مضى من الذنوب، وما خلفكم ما يأتي من الذنوب، قاله مجاهد:

الثاني: ما بين أيديكم من الدنيا، وما خلفكم من عذاب الآخرة، قاله سفيان.

الثالث: ما بين أيديكم عذاب الله لمن تقدم من عاد وثمود، وما خلفكم من أمر الساعة، قاله قتادة.

ويحتمل تأويلاً رابعاً: ما بين أيديكم ما ظهر لكم، وما خلفكم ما خفي عنكم.

﴿لعلكم ترحمون﴾ معناه لكي ترحموا فلا تعذبوا. ولهذا الكلام جواب محذوف تقديره: إذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه.

قوله عزوجل: **﴿وما تأتيهم مِن آيةٍ مِنْ آيات ربِّهم﴾** فيها ثلاثة تأويلات:

أحدها: من آية من كتاب الله، قاله قتادة.

الثاني: من رسول، قاله الحسن.

الثالث: من معجز، قاله النقاش.

ويحتمل رابعاً: ما أنذروا به من زواجر الآيات والعبر في الأمم السالفة.

قوله عزوجل: **﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم اللهُ قال الذين كفروا﴾** الآية. فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود أمروا بإطعام الفقراء فقالوا **﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾** قاله الحسن.

الثاني: أنهم الزنادقة أمروا فقالوا ذلك، قاله قتادة.

الثالث: أنهم مشركو قريش جعلوا لأصنامهم في أموالهم سهماً فلما سألهم الفقراء أجابوهم بذلك، قاله النقاش.

ويحتمل هذا القول منهم وجهين:

أحدهما: إنكارهم وجوب الصدقات في الأموال.

الثاني: إنكارهم على إغناء من أفقره الله تعالى ومعونة من لم يعنه الله تعالى.

﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه من قول الكفار لمن أمرهم بالإطعام، قاله قتادة.

الثاني: أنه من قول الله تعالى لهم حين ردوا بهذا الجواب، حكاه ابن عيسى.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾

قوله عزوجل: ﴿**ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما وعدوا به من العذاب، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: ما وعدوا به من الظفر بهم، قاله قتادة.

قوله عزوجل: ﴿**ما ينظرون إلا صيحةً واحدة تأخذهم**﴾ قال السدي: هي النفخة الأولى من إسرافيل ينتظرها آخر هذه الأمة من المشركين. وروى نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ[١٣] «**تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم، والرجل يخفض ميزانه فما يرفعه حتى تقوم، والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم**».

﴿**وهم يخصمون**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يتكلمون في معايشهم ومتاجرهم، قاله السدي.

الثاني: يخصمون في دفع النشأة الثانية، حكاه ابن عيسى.

﴿**فلا يستطيعون توصية**﴾ أي يستطيع بعضهم أن يوصي إلى بعض بما في يديه من حق.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أنه لا يستطيع أن يوصي بعضهم بعضاً بالتوبة والإقلاع.

﴿**ولا إلى أهلهم يرجعون**﴾ أي إلى منازلهم، قال قتادة لأنهم أعجلوا عن ذلك.

---

(١٣) جزء من حديث رواه البخاري (١٣/٧٢ ـ ٧٨) وقد تقدم بعضه ولكن ليس في رواية البخاري والرجل يخفض ميزانه فما يرفعه حتى تقوم لكن رواه الطبري (١٣/٢٣) عن قتادة قال ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول. . . الحديث وفيه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾

قوله عزوجل: **﴿ونفخ في الصور﴾** وهذه هي النفخة الثانية للنشأة وقيل إن بينهما أربعين سنة. روى المبارك بن فضالة عن الحسن قال[١٤]: قال رسول الله ﷺ «**بين النفختين أربعون: الأولى يميت الله سبحانه بها كل حي، والآخرة يحيي الله بها كل ميت**».

والنفخة الثانية من الآخرة. وفي الأولى قولان:

أحدهما: أنها من الدنيا، قاله عكرمة.

الثاني: أنها من الآخرة، قاله الحسن.

﴿فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ والأجداث القبور، واحدها جدث.

وفي قوله تعالى **﴿ينسلون﴾** ثلاثة تأويلات:

أحدها: يخرجون، قاله ابن عباس وقتادة، قال الشاعر[١٥]:

. . . . فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي

الثاني: يسرعون، كقول الشاعر[١٦]:

عسلان الذئب أمسى قاربا بَرَدَ الليلُ عليه فنسل

الثالث: يتخلصون من السلو، قاله ابن بحر.

قوله عزوجل: **﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا مِن مَرقدنا﴾** قال قتادة: هي النومة بين النفختين لا يفتر عنهم عذاب القبر إلا فيها. وفي تأويل هذا القول قولان:

أحدهما: أنه قول المؤمنين ثم يجيبون أنفسهم فيقولون:

(١٤) تقدم تخريجه.

(١٥) تقدم تخريجه وهو لامرىء القيس راجع سورة الأنبياء.

(١٦) تقدم تخريجه وهو للنابغة وقيل للبيد راجع سورة الانبياء.

﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنه قول الكفار لإنكارهم البعث فيقال لهم: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾.

وفي قائل ذلك لهم قولان:

أحدهما: أنه قول المؤمنين لهم عند قيامهم من الأجداث معهم، قاله قتادة.

الثاني: أنه قول الملائكة لهم، قاله الحسن.

وفي ﴿هذا﴾ وجهان:

أحدهما: أنه إشارة إلى المرقد تماماً لقوله تعالى ﴿من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ وعليه يجب أن يكون الوقف.

الثاني: أنه ابتداء ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ فيكون إشارة إلى الوعد ويكون الوقف قبله والابتداء منه.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾

قوله عزوجل: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شُغُل فاكهون﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: في افتضاض الأبكار، قاله الحسن وسعيد بن جبير وابن مسعود وقتادة.

الثاني: في ضرب الأوتار، قاله[١٧] ابن عباس ومسافع بن أبي شريح.

الثالث: في نعمة، قاله مجاهد.

الرابع: في شغل مما يلقى أهل النار، قاله إسماعيل بن أبي خالد وأبان بن تغلب. وروي[١٨] بضم الغين وقرىء[١٩] بتسكينها وفيها وجهان:

---

(١٧) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧/٢٧) «ولا يثبت هذا القول».

(١٨) وهي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي زاد المسير (٧/٢٧).

(١٩) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو «شُغْل» وقرأ أبو مجلز وأبو العالية وعكرمة والضحاك والنخعي وابن

أحدهما: أن الشغل بالضم المحبوب.

الثاني: الشغل بالإسكان يعني المروة، فعلى هذا لا يجوز أن يقرأ بالإسكان في أهل الجنة ولا يقرأ بالضم في أهل النار.

﴿فاكهون﴾ ويقرأ: فكهون[٢٠]، بغير ألف. وفي اختلاف القراءتين وجهان:

أحدهما: أنها سواء ومعناهما واحد يقال فاكه وفكه كما يقال حاذر وحذر قاله الفراء.

الثاني: أن معناهما في اللغة مختلف فالفكه الذي يتفكه بأعراض الناس. والفاكه ذو الفاكهة، قاله أبو عبيد وأنشد:

فكه إلى جنب الخوان إذا عدت نكْباء تقلع ثابت الأطنابِ

وفيه ها هنا أربعة تأويلات:

أحدها: فرحون، قاله ابن عباس.

الثاني: ناعمون، قاله قتادة.

الثالث: معجبون، قاله مجاهد.

الرابع: ذو فاكهة كما يقال شاحم لاحم أي ذو شحم ولحم، وكما قال الشاعر[٢١]:

وغررتني وزعمت أنَّك لابنٌ بالصيف تامر

أي ذو لبن وتمر.

قوله عزوجل: **﴿هم وأزواجُهم في ظلال﴾** فيه وجهان:

أحدهما: وأزواجهم في الدنيا ممن وافقهم على إيمانهم.

الثاني: أزواجهم اللاتي زوّجهم الله تعالى بهن في الجنة من الحور العين.

﴿في ظِلال﴾ يحتمل وجهين:

يعمر والجحدري شَغْل بفتح فسكون والأولى عدم تخصيص الشغل بشيء معين راجع زاد المسير (٢٧/٧) وفتح القدير (٤/ ٣٧٦).

(٢٠) وهي قراءة ابن مسعود والسلمي وأبي المتوكل وقتادة وأبي الجوزاء والنخعي وأبي جعفر زاد المسير (٢٨/٧).

(٢١) هو الحطيئة والبيت في الطبري (٢٣/ ١٩) وفيه: ودعوتني بدلاً من وغررتني.

أحدهما: في ظلال النعيم.

الثاني: في ظلال تسترهم من نظر العيون إليهم.

قوله عزوجل: ﴿لهم فيها فاكهةٌ ولهُم ما يَدَّعون﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ما يشتهون، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: ما يسألون، قاله ابن زياد.

الثالث: ما يتمنون، قاله أبو عبيدة.

الرابع: ما يدعونه فيأتيهم، قاله الكلبي قال الزجاج: وهو مأخوذ من الدعاء.

ويحتمل خامساً: ما يدّعون أنه لهم فهو لهم لا يدفعون عنه، وهم مصروفون عن دعوى ما لا يستحقون.

قوله عزوجل: ﴿سلامٌ قولاً مِن رَبٍّ رحيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه سلام الله تعالى عليهم إكراماً لهم، قاله محمد بن كعب[٢٢].

الثاني: أنه تبشير الله تعالى لهم بسلامتهم.

وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وامتازوا اليوم أيُّها المجرمون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاله الكلبي، لأن المؤمنين والكفار يحشرون مع رسلهم فلذلك يؤمرون بالامتياز.

الثاني: يمتاز المجرمون بعضهم من بعض، فيمتاز اليهود فرقة، والنصارى فرقة، والمجوس فرقة، والصابئون فرقة، وعبدة الأوثان فرقة، قاله الضحاك.

فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الامتياز عند الوقوف.

الثاني: عند الانكفاء إلى النار.

---

(٢٢) واختاره ابن جرير (٢٣/٢١).

قال داود بن الجراح: فيمتاز المسلمون من المجرمين إلا صاحب الهوى فيكون مع المجرمين.

قوله عز وجل: ﴿ولقد أضلَّ منكم جبلاً كثيراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: جموعاً كثيرة، قاله قتادة.

الثاني: أمماً كثيرة، قاله الكلبي.

الثالث: خلقاً كثيراً، قاله مجاهد ومطرف. وحكى الضحاك أن الجِبِلّ الواحد عشرة آلاف، والكثير ما لا يحصيه إلّا الله تعالى.

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

قوله عز وجل: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون منعها من الكلام هو الختم عليها.

الثاني: أن يكون ختماً يوضع عليها فيرى ويمنع من الكلام.

وفي سبب الختم أربعة أوجه:

أحدها: لأنهم قالوا ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فختم الله تعالى على أفواههم حتى نطقت جوارحهم، قاله أبو موسى الأشعري.

الثاني: لِيَعرفهم أهل الموقف فيتميزون منهم، قاله ابن زياد.

الثالث: لأن إقرار غير الناطق أبلغ في الإلزام من إقرار الناطق لخروجه مخرج الإعجاز وإن كان يوماً لا يحتاج فيه إلى الإعجاز.

الرابع: ليعلم أن أعضاءه التي كانت له أعواناً في حق نفسه صارت عليه شهوداً في حق ربه.

﴿وتُكلِّمنا أيديهم وتشهدُ أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ وفي كلامها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يظهر منها سِمة[٢٣] تقوم [مقام][*] كلامها كما قال الشاعر:

وقد قالت العينان سمعاً وطاعة ... وحَدَّرتا كالدر لما يثَقّبِ

الثاني: أن الموكلين بها يشهدون عليها[٢٤].

الثالث: أن الله تعالى يخلق فيها ما يتهيأ معه الكلام منها.

روى الشعبي عن أنس أن النبي ﷺ قال[٢٥] **«يقال لأركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لكنَّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل»**.

فإن قيل فلم قال **﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾** فجعل ما كان من اليد كلاماً، وما كان من الرجل شهادة؟

قيل لأن اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة، وقول الفاعل على نفسه إقرار، فلذلك عبّر عما صدر من الأيدي بالقول، وعما صدر من الأرجل بالشهادة. وقد روى شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر قال[٢٦]: سمعت رسول الله ﷺ يقول **«أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى»**.

فاحتمل أن يكون تقدم الفخذ بالكلام على سائر الأعضاء لأن لذة معاصيه يدركها بحواسه التي في الشطر الأعلى من جسده، وأقرب أعضاء الشطر الأسفل منها الفخذ، فجاز لقربه منها أن يتقدم في الشهادة عليها، وتقدمت اليسرى لأن الشهوة في

---

(٢٣) وهذا تأويل غير مرض وكذا الثاني والصواب أن الأعضاء تنطق على الحقيقة كما ورد في الحديث الصحيح الذي أورده المؤلف في القول الثالث ومنه تعلم أن القول الثالث هو الراجح.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

(٢٤) وهذا إن كان صحيحاً فليس هو المقصود في الآية.

(٢٥) رواه مسلم (٢٩٦٩). وزاد في الدر (٦٧/٧) نسبته للنسائي وابن أبي الدنيا في التوبة وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢٦) رواه أحمد (٣/٥) وابن جرير (٢٤/٢٣) وزاد في الدر (٦٧/٧) نسبته لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

ميامن الأعضاء أقوى منها في مياسرها، فلذلك تقدمت اليسرى على اليمنى لقلة شهوتها.

قوله عزوجل: ﴿ولو نشاءُ لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصِّراطَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لأعمينا أبصار المشركين في الدنيا فضلوا عن الطريق فلا يبصرون عقوبة لهم، قاله قتادة.

الثاني: لأعمينا قلوبهم فضلوا عن الحق فلم يهتدوا إليه، قاله ابن عباس.

قال الأخفش وابن قتيبة: المطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه شق مأخوذ من طمس الريح الأثر.

﴿ولو نشاء لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: لأقعدناهم على أرجلهم، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: لأهلكناهم في مساكنهم، قاله ابن عباس.

الثالث: لغيّرنا خلْقهم فلا ينقلبون، قاله السدي.

﴿فما استطاعوا مُضِيًّا ولا يرجعون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فما استطاعوا لو فعلنا ذلك بهم أن يتقدموا ولا يتأخروا، قاله قتادة.

الثاني: فما استطاعوا مُضِيًّا في الدنيا، ولا رجوعاً فيها، قاله أبو صالح.

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

قوله عزوجل: ﴿ومَن نعمِّره ننكِّسْهُ في الخَلْق﴾ في قوله ﴿نعمره﴾ قولان:

أحدهما: بلوغ ثمانين سنة، قاله سفيان.

الثاني: هو الهرم، قاله قتادة.

وفي قوله تعالى ﴿ننكِّسْه﴾ تأويلان:

أحدهما: نردُّه في الضعف إلى حال الضعف فلا يعلم شيئاً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: نغير سمعه وبصره وقوته، قاله قتادة.

و ﴿في الخلق﴾ وجهان:

أحدهما: جميع الخلق ويكون معناه: ومن عمرناه من الخلق نكسناه في الخلق.

والوجه الثاني: أنه عنى خلقه، ويكون معنى الكلام: من أطلنا عمره نكسنا خلقه، فصارمكان القوة الضعف، ومكان الشباب الهرم، ومكان الزيادة النقصان.

﴿أفلا تعقلون﴾ أن من فعل هذا بكم قادر على بعثكم.

قوله عزوجل: ﴿وما علّمْناه الشِّعر وما ينبغي له﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: أي ليس الذي علمناه من القرآن شعراً.

الثاني: أي لم نعلم رسولنا أن يقول الشعر.

﴿وما ينبغي له﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وما ينبغي له أن يقول شعراً.

الثاني: وما ينبغي لنا أن نعلمه شعراً.

﴿إنْ هو إلا ذكر وقرآن مُبين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إنْ علّمناه إلا ذكراً وقرآناً مبيناً.

الثاني: إنْ هذا الذي يتلوه عليكم إلا ذكر وقرآن مبين.

قوله عزوجل: ﴿لينذر مَن كان حَيًّا﴾ فيه قولان:

أحدهما: لتنذر يا محمد من كان حياً وهذا تأويل من قرأ بالتاء[٢٧].

الثاني: لينذر القرآن من كان حياً، وهو تأويل من قرأ بالياء.

وفي ﴿مَن كان حَيًّا﴾ ها هنا أربعة تأويلات:

أحدها: من كان غافلاً[٢٨]، قاله الضحاك.

الثاني: من كان حي القلب حي البصر، قاله قتادة.

الثالث: من كان مؤمناً، قاله يحيى بن سلام.

---

(٢٧) وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب وفيها قراءة أخرى لينذر بياء مرفوعة وفتح الذال والراء جميعاً زاد المسير (٧/٣٧).

(٢٨) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عاقلاً والتصويب من الطبري (٢٣/٢٧) والدر (٧/٧٢).

الرابع : من كان مهتدياً ، قاله السدي .

﴿**ويحِقَّ القَوْل على الكافرين**﴾ معناه : ويجب العذاب على الكافرين .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله عزوجل : ﴿**أو لم يروا أَنا خلقنا لهم مما عَمِلتْ أيدينا أنعاماً**﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني بقوتنا ، قاله الحسن كقوله تعالى ﴿**والسماء بنيناها بأيد**﴾ [الذاريات : ٤٧] أي بقوة .

الثاني : يعني من(٢٩) فعلنا وعملنا من غير أن نكله إلى غيرنا ، قاله السدي .

والأنعام : الإبل والبقر والغنم .

﴿**فهم لها مالكون**﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ضابطون ، قاله قتادة ومنه قول الشاعر(٣٠) :

أصبحت لا أحمل السِّلاح ولا أملِك رأس البعير إن نَفَرا

الثاني : مطبقون رواه معمر .

الثالث : مقتنون وهو معنى قول ابن عيسى .

قوله عزوجل : ﴿**وذللناها لهم**﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : وطيبناها لهم ؛ قاله ابن عيسى .

---

(٢٩) وهو الصواب فإن إضافة العمل في الآية إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية بخلاف ما إذا إضيف إلى النفس وعدى بالباء إلى اليد فتنبه للفرق فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم وبه يزول إشكالات كثير.

وعلى هذا فإضافة العمل إلى اليد المراد بذلك صاحبها ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده بخلاف ما إذا قال عملته بيدي كما في قوله تعالى ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله**﴾ فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد ، راجع القواعد المثلى للشيخ العثيمين ص ٧٣ .

(٣٠) هو الربيع بن منيع الفزاري والبيت في البحر المحيط (٧/٣٤٧) .

وروح المعاني (٢٣/٤٧) وزاد المسير (٧/٣٨) .

الثاني : سخرناها لهم، قاله ابن زيد.

الثالث: ملكناها لهم.

﴿فمنها ركوبُهم﴾ والركوب بالضم مصدر ركب يركب ركوباً، والركوب بالفتح الدابة التي تصلح أن تركب.

﴿ومنها يأكلون﴾ يعني لحوم المأكول منها.

﴿ولهم فيها منافع﴾ قال قتادة: هي لبس أصوافها.

﴿ومشارب﴾ يعني شرب ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ يعني رب هذه النعمة بتوحيده وطاعته.

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . وهم لهم جندٌ محضرون﴾ يعني أن المشركين لأوثانهم جند، وفي الجند ها هنا وجهان:

أحدهما: شيعة، قاله ابن جريج.

الثاني : أعوان.

﴿محضرون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: محضرون عند الحساب، قاله مجاهد.

الثاني : محضرون في النار، قاله الحسن.

الثالث: محضرون للدفع عنهم والمنع منهم، قاله حميد. قال قتادة: يغضبون لآلهتهم، وآلهتهم لا تنصرهم.

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا

(*) وفي نسخه لا ينصرون.

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾

قوله عزوجل: ﴿**أو لَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خلقناه مِن نطفةٍ**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها نزلت في أبيّ بن خلف الجمحي أتى النبي ﷺ يجادله في بعث الموتى، قاله عكرمة ومجاهد والسدي.

الثاني: أنها نزلت فى العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحيي الله هذا بعدما أرمّ؟ فقال رسول الله ﷺ «**نعم ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم**» فنزلت هذه الآيات فيه، قاله ابن عباس(٣١).

﴿**فإذا هو خصيمٌ مبينٌ**﴾ أي مجادل في الخصومة مبين للحجة، يريد بذلك أنه صار بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً خصيماً مبيناً، فاحتمل ذلك أمرين:

أحدهما: أن ينبهه بذلك على نعمه عليه.

الثاني: أن يدله بذلك على إحياء الموتى كما ابتدأه بعد أن لم يكن شيئاً.

قوله عزوجل: ﴿**وضَرب لنا مثلاً ونَسي خلقه**﴾ وهو من قدمنا ذكره ويحتمل وجهين.

أحدهما: أي ترك خلقه أن يستدل به.

الثاني: سها عن الاعتبار به.

﴿**قال مَن يُحْيِ العظَامَ وهي رَميمٌ**﴾ استبعاداً أن يعود خلقاً جديداً. فأمر الله نبيه ﷺ أن يجيبه بما فيه دليل لأولي الألباب.

﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مَرَّة**﴾ أي من قدر على إنشائها أول مرة من غير شيءٍ فهو قادر على إعادتها في النشأة الثانية من شيء.

﴿**وهو بكل خَلقٍ عليم**﴾ أي كيف يبدىء وكيف يعيد.

---

(٣١) رواه الطبري (٢٣/ ٣٠) من رواية سعيد بن جبير مرسلاً ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد عن ابن عباس وكذا رواه الحاكم (٢/ ٤٢٩) وصححه وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٧٤) نسبته لابن المنذر والإسماعيلي في معجمه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء في المختارة.

قوله عزوجل: ﴿الذي جَعَلَ لكم مِنَ الشجر الأخضر ناراً﴾ الآية أي الذي جعل النار المحرقة في الشجر الرطب المَطفي وجمع بينهما مع ما فيهما من المضادة، لأن النار تأكل الحطب، وأقدركم على استخراجها هو القادر على إعادة الموتى وجمع الرفات.

ويحتمل ذلك منه وجهين:

أحدهما: أن ينبه الله تعالى بذلك على قدرته التي لا يعجزها شيء.

الثاني: أن يدل بها على إحياء الموتى كما أحييت النار بالإذكاء.

قال الكلبي(*): كل الشجر يقدح منه النار إلا العناب.

وحكى أبو جعفر السمرقندي عن(٣٢) أحمد بن معاذ النحوي في قوله تعالى ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر﴾ يعني به إبراهيم، ﴿ناراً﴾ أي نوراً يعني محمداً ﷺ.

﴿فإذا أنتم منه توقِدون﴾ أي تقتبسون الدين.

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

قوله عزوجل: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه أن يأمر فيوجد.

الثاني: ما قاله قتادة أنه ليس شيء أخف في الكلام من ﴿كن﴾ ولا أهون على لسان العرب من ذلك، فجعله الله تعالى مثلاً لأمره في السرعة.

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كلِّ شيءٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خزائن كل شيء.

الثاني: ملك كل شيء إلا أن فيه مبالغة.

(*) وفي نسخة قال الشعبي.

(٣٢) ولا دليل على هذا التفسير فتنبه.

﴿وإليه ترجعون﴾ يعني يوم القيامة، فيجازي المحسن ويعاقب المسيء.

وروى الضحاك عن ابن عباس[٣٣] قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لكل شيءٍ قلْباً وإنَّ قلْبَ القرآن يس، ومن قرأها في ليلة أعطي يُسْر تلك الليلة، ومن قرأها في يوم أعطي يُسْرَ ذلك اليوم، وإنّ أهل الجنة يرفع عنهم القرآن فلا يقرأون منه شيئاً إلا طه ويسٓ»**.

(٣٣) لم أعثر على الحديث كاملاً مرفوعاً بل اهتديت إلى الجملة الأولى منه من حديث أنس مرفوعاً رواه الترمذي (٢٨٨٧) والدارمي (٢/٥٤٨) وأحمد (٥/٢٦) والبيهقي في شعب الإيمان كما في الدر (٥/٢٥٦) وفي سنده مجهول، وحكم الألباني على الحديث بالوضع، وكذلك روى الفقرة الثانية الدارمي (٢/٥٤٩) من حديث ابن عباس موقوفاً وفي سنده شهر بن حوشب.
وأما الفقرة الثالثة فلم أعثر عليها في حديث إلى الآن والله أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿**والصافات صفًا**﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الملائكة، قاله ابن مسعود وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

الثاني: أنهم عبّاد السماء، قاله الضحاك ورواه عن ابن عباس.

الثالث: أنهم جماعة المؤمنين إذا قاموا في صفوفهم للصلاة، حكاه النقاش لقوله تعالى ﴿**صفًا كأنهم بنيان مرصوص**﴾ [الصف: ٤].

ويحتمل رابعاً: أنها صفوف المجاهدين في قتال المشركين.

واختلف من قال الصافات الملائكة في تسميتها بذلك على ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنها صفوف في السماء، قاله مسروق وقتادة.

الثاني: لأنها تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله تبارك وتعالى بما يريد، حكاه ابن عيسى.

الثالث: لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم، قاله الحسن.

قوله عزوجل: ﴿**فالزاجرات زجراً**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الملائكة، قاله ابن مسعود ومسروق وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد.

الثاني: آيات القرآن، قاله الربيع.

الثالث: الأمر والنهي الذي نهى الله تعالى به عباده عن المعاصي، حكاه النقاش.

ويحتمل رابعاً: أنها قتل المشركين وسبيهم.

واختلف من قال إن الزاجرات الملائكة في تسميتها بذلك على قولين:

أحدهما: لأنها تزجر السحاب، قاله السدي.

الثاني: لأنها تزجر عن المعاصي قاله ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿فالتاليات ذكراً﴾ أي فالقارئات كتاباً، وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الملائكة تقرأ كتب الله تعالى، قاله ابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير والسدي.

الثاني: ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم السالفة، قاله قتادة.

الثالث: الأنبياء يتلون الذكر على قومهم، قاله ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿إنَّ إلٓهكم لواحد﴾ كل هذا قَسَم أن الإلٓه واحد، وقيل إن القسم بالله تعالى على تقدير ورب الصافات ولكن أضمره تعظيماً لذكره.

ثم وصف الإلٓه الواحد فقال:

﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: خالق السموات والأرض وما بينهما، قاله ابن إسحاق.

الثاني: مالك السموات والأرض وما بينهما.

الثالث: مدبر السموات والأرض وما بينهما.

﴿ورب المشارق﴾ فيه وجهان:

الأول: قال قتادة: ثلاثمائة وستون مشرقاً، والمغارب مثل ذلك، تطلع الشمس كل يوم من مشرق، وتغرب في مغرب، قاله السدي.

الثاني: أنها مائة وثمانون مشرقاً تطلع كل يوم في مطلع حتى تنتهي إلى آخرها ثم تعود في تلك المطالع حتى تعود إلى أولها، حكاه يحيى بن سلام، ولا يذكر

المغارب لأن المشارق تدل عليها، وخص المشارق بالذكر لأن الشروق قبل الغروب.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)﴾

قوله عزوجل: **﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب﴾** يحتمل تخصيص سماء الدنيا بالذكر وجهين:

أحدهما: لاختصاصها بالدنيا.

الثاني: لاختصاصها بالمشاهدة، وقوله بزينة الكواكب لأن من الكواكب ما خلق للزينة، ومنها ما خلق لغير الزينة.

حكى عقبة بن زياد عن قتادة قال: خلقت النجوم لثلاث: رجوماً للشياطين ونوراً يهتدى به، وزينة لسماء الدنيا.

﴿وحفظاً مِن كُلِّ شيطان مارِدٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني من الكواكب حفظاً من كل شيطان، قاله السدي.

الثاني: أن الله سبحانه حفظ السماء من كل شيطان مارد، قاله قتادة.

وفي المارد ثلاثة أوجه:

أحدها: الممتنع، قاله ابن بحر.

الثاني: العاتي مأخوذ من التمرد وهو العتو.

الثالث: أنه المتجرد من الخير، من قولهم شجرة مرداء، إذا تجردت من الورق.

قوله عزوجل: **﴿لا يسمعون إلى الملإِ الأعلى﴾** فيه قولان:

أحدهما: أنهم منعوا بها أن يسمعوا أو يتسمعوا، قاله قتادة.

الثاني: أنهم يتسمعون ولا يسمعون، قاله ابن عباس.

وفي الملإ الأعلى قولان:

أحدهما: السماء الدنيا، قاله قتادة.

الثاني: الملائكة، قاله السدي.

﴿ويُقذفون من كل جانب﴾ قال مجاهد: يرمون من كل مكان من جوانبهم، وقيل من جوانب السماء.

﴿دُحوراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: قذفاً في النار، قاله قتادة.

الثاني: طرداً بالشهب، وهو معنى قول مجاهد. قال ابن عيسى: والدحور: الدفع بعنف.

﴿ولهم عذابٌ واصبٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: دائم.

الثاني: أنه الذي يصل وجعه إلى القلوب، مأخوذ من الوصب.

قوله عزوجل: ﴿إلا من خَطِفَ الخطفةَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: إلا من استرق السمع، قاله سعيد بن جبير، مأخوذ من الاختطاف وهو الاستلاب بسرعة، ومنه سمي الخطاف.

الثاني: من وثب الوثبة، قاله علي بن عيسى.

﴿فأتبعه شهابٌ ثاقب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الشعلة من النار.

الثاني: أنه النجم.

وفي الثاقب ستة أوجه:

أحدها: أنه الذي يثقب، قاله زيد الرقاشي.

الثاني: أنه المضيء، قاله الضحاك.

الثالث: أنه الماضي، حكاه ابن عيسى.

الرابع: أنه العالي، قاله الفراء.

الخامس: أنه المحرق، قاله السدي.

السادس: أنه المستوقد، من قولهم: اثقب زندك أي استوقد نارك، قاله زيد بن أسلم والأخفش، وأنشد قول الشاعر:

بينما المرء شهابٌ ثاقب ... ضَرَبَ الدَّهر سناه فخمد

و ﴿إلا﴾ ها هنا بمعنى لكن عند سيبويه. وقيل: إن الشهاب يحرقهم[٣٤] ليندفعوا عن استراق السمع ولا يموتون منه.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩)﴾

قوله عز وجل: ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فسلهم قال قتادة، مأخوذ من استفتاء المفتي.

الثاني: فحاجِّهم أيهم أشد خلقاً، قاله الحسن.

﴿أم مَنْ خلقنا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من السموات والأرض والجبال، قاله مجاهد.

الثاني: من الملائكة، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: من الأمم الماضية فقد هلكوا وهم أشد خلقاً منهم، حكاه ابن عيسى.

﴿إنَّا خلقناهم مِن طينٍ لازبٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: لاصق، قاله ابن عباس ومنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

تعلم فإن الله زادك بسطة ... وأخلاق خير كلها لك لازب

الثاني: لزج، قاله عكرمة.

الثالث: لازق، قاله قتادة.

والفرق بين اللاصق واللازق أن اللاصق هو الذي قد لصق بعضه ببعض، واللازق هو الذي يلزق بما أصابه.

(٣٤) قال الإمام الشوكاني في فتح القدير (٤/٣٨٧) «واختلف هل كان الرمي لهم بالشهب قبل المبعث أو بعده فقال بالأوّل طائفة وبالآخر آخرون وقالت طائفة بالجمع بين القولين أن الشياطين لم تكن ترمى قبل المبعث رمياً يقطعها عن السمع ولكن كانت ترمى وقت ولا ترمى وقتاً آخر وترمى من جانب ولا ترمى من جانب آخر ثم بعد المبعث رميت في كل وقت ومن كل جانب حتى صارت لا تقدر على استراق شيء من السمع إلا من اختطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب.

الرابع: لازم، والعرب تقول طين لازب ولازم، وقال النابغة[٣٥]:

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب

نزلت هذه الآية في ركانة بن زيد بن هاشم بن عبد مناف وأبي الأشد ابن أسيد بن كلاب الجمحي.

قوله عزوجل: **﴿بل عجبت ويسخرون﴾** وفي **﴿عجبت﴾** قراءتان:

إحداهما: بضم التاء، قرأ بها حمزة والكسائي، وهي قراءة ابن مسعود، ويكون التعجب مضافاً إلى الله تعالى، وإن كان لا يتعجَّبُ من شيء لأن التعجب[٣٦] من حدوث العلم بما لم يعلم، والله تعالى عالم بالأشياء قبل كونها.

وفي تأويل ذلك على هذه القراءة وجهان:

أحدهما: يعني بل أنكرت حكاه النقاش.

الثاني: هو قول علي بن عيسى أنهم قد حلّوا محل من يتعجب منه.

والقراءة الثانية: بفتح التاء قرأ بها الباقون، وأضاف التعجب إلى رسول الله ﷺ كأنه قال: بل عجبت يا محمد، قاله قتادة.

وفيما عجبت منه قولان:

أحدهما: من القرآن حين أعطيه، قاله قتادة.

الثاني: من الحق الذي جاءهم به فلم يقبلوه، وهو معنى قول ابن زياد.

وفي قوله **﴿وتسخرون﴾** وجهان:

أحدهما: من الرسول إذا دعاهم.

الثاني: من القرآن إذا تلي عليهم.

قوله عزوجل: **﴿وإذا ذكِّروا لا يذكرون﴾** فيه وجهان:

أحدهما: وإذا ذكروا بما نزل من القرآن لا ينتفعون، وهو معنى قول قتادة.

والثاني: وإذا ذكروا بمن هلك من الأمم لا يبصرون، وهو معنى ما رواه سعيد.

---

(٣٥) ديوانه: ٤٨، الطبري (٢٣/ ٤٢) روح المعاني (٢٣/ ٧٥) فتح القدير (٤/ ٣٨٨).

(٣٦) ولما لا يقال إن الله تعالى يعجب عجباً يليق بذاته وجلاله ليس كعجب الحوادث فنثبت لله تعالى هذه الصفة دون تشبيه أو تعطيل بدلاً مما ذكره المؤلف هنا مما يوهم صنيعه بنفي هذه الصفة عن ربنا تبارك وتعالى. وقد تقدم الكلام على هذه الصفة.

قوله عزوجل: ﴿وإذا رأوا آيةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ وفي هذه الآية قولان:
أحدهما: أنه انشقاق القمر، قاله الضحاك.

الثاني: ما شاهدوه من هلاك المكذبين، وهو محتمل.

وفي قوله ﴿يستسخِرون﴾ وجهان:
أحدهما: يستهزئون، قاله مجاهد.

الثاني: هو أن يستدعي بعضهم من بعض السخرية بها لأن الفرق بين سخر واستسخر كالفرق بين علم واستعلم.

وقيل إن ذلك في ركانة بن زيد وأبي الأشد بن كلاب.

قوله عزوجل: ﴿فانما هي زجرةٌ واحدةٌ﴾ أي صيحة واحدة، قاله الحسن. وهي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لأن مقصودها الزجر.

﴿فإذا هم ينظرون﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:
أحدها: البعث الذي كذبوا به.
الثاني: ينظرون سوء أعمالهم.
الثالث: ينتظرون حلول العذاب بهم، ويكون النظر بمعنى الانتظار.

وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وقالوا يا ويلنا هذا يومُ الدين﴾ الآية. فيه وجهان:
أحدهما: يوم الحساب، قاله ابن عباس.
الثاني: يوم الجزاء، قاله قتادة.

﴿هذا يوم الفصل﴾ الآية. فيه وجهان:
أحدهما: يوم القضاء بين الخلائق، قاله يحيى.
الثاني: يفصل فيه بين الحق والباطل، قاله ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿احشروا الذين ظلموا﴾ الآية. فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: المكذبون بالرسل.

الثاني: هم الشُرَط، حكاه الثوري.

الثالث: هم كل من تعدى على الخالق والمخلوق.

وفي ﴿وأزواجهم﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أشباههم فيحشر صاحب الزنى مع صاحب الزنى، وصاحب الخمر مع صاحب الخمر، قاله عمر بن الخطاب(٣٧) رضي الله عنه.

الثاني: قرناؤهم، قاله ابن عباس.

الثالث: أشياعهم، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

فكبا الثور في وسيل وروض ... مونق النبت شامل الأزواج

الرابع: نساؤهم(٣٨) الموافقات على الكفر، رواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

﴿وما كانوا يعبدون. من دون الله﴾ وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: إبليس، قاله ابن زياد.

الثاني: الشياطين، وهو مأثور.

الثالث: الأصنام، قاله قتادة وعكرمة.

﴿فاهدُوهم إلى صراط الجحيم﴾ أي طريق النار.

وفي قوله تعالى: ﴿فاهدوهم﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: فدلوهم، قاله ابن(٣٩).

الثاني: فوجهوهم، رواه معاوية بن صالح.

الثالث: فادعوهم، قاله السدي.

قوله عزوجل: ﴿وقفُوهم إنَّهم مسئولون﴾ أي احبسوهم عن دخول النار.

---

(٣٧) وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رواه أحمد بن منيع وصححه الحافظ في المطالب (٣٦٢/٣) وقال البوصيري: رواته ثقات ولفظه أشباههم.

(٣٨) ولا يعارض هذا القول ما سبق فلا خلاف أن المرأة إن وافقت زوجها على كفره كانت محشورة معه.

(٣٩) لاحظ أن هنا نقص.

﴿إنهم مسئولون﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: عن لا إله إلا الله، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: عما دعوا إليه من بدعة، رواه أنس مرفوعاً[٤٠].

الثالث: عن ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حكاه أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري.

الرابع: عن جلسائهم، قاله عثمان بن زيادة.

الخامس: محاسبون، قاله ابن عباس.

السادس: مسئولون.

﴿ما لكم لا تناصرون﴾ على طريق التوبيخ والتقريع لهم، وفيهم ثلاثة أوجه:

أحدها: لا ينصر بعضكم بعضاً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: لا يمنع بعضكم بعضاً من دخول النار، قاله السدي.

الثالث: لا يتبع بعضكم بعضاً في النار يعني العابد والمعبود، قاله قتادة.

فإن قيل: فهلا كانوا مسئولين قبل قوله ﴿فاهْدوهم...﴾ الآية؟

قيل: لأن هذا توبيخ وتقريع فكان نوعاً من العذاب فلذلك صار بعد الأمر بالعذاب.

قال مجاهد: ولا تزول[٤١] من بين يدي الله تعالى قدم عبد حتى يُسأل عن خصال أربع: عمره فيهم أفناه، وجسده فيم أبلاه، وماله مم اكتسبه وفيم أنفقه، وعلمه ما عمل فيه.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾

---

(٤٠) ولفظه «أيما رجل دعا رجلاً إلى شيء كان موقوفاً لازماً به لا يغادره ولا يفارقه ثم قرأ هذه الآية ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾».

رواه الطبري (٢٣/٤٨) وفي سنده رجل مجهول وزاد في الدر (٧/٨٤) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه (٢/٤٣٠).

(٤١) وقد ورد في هذا المعنى حديث مرفوع.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ (٣٦) بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧)﴾

قوله عزوجل: **﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾** فيهم قولان:

أحدهما: أنه أقبل الإنس على الجن، قاله قتادة.

الثاني: بعضهم على بعض، قاله ابن عباس.

ويحتمل ثالثاً: أقبل الاتباع على المتبوعين.

وفي ﴿يتساءلون﴾ وجهان:

أحدهما: يتلاومون، قاله ابن عباس.

الثاني: يتوانسون، وهذا التأويل معلول لأن التوانس راحة، ولا راحة لأهل النار.

ويحتمل ثالثاً: يسأل التابع متبوعه أن يتحمل عنه عذابه.

قوله عزوجل: **﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾** وفي تأويل ذلك قولان:

أحدهما: قاله الإنس للجن. قاله قتادة.

الثاني: قاله الضعفاء للذين استكبروا، قاله ابن عباس.

وفي قوله: **﴿تأتوننا عن اليمين﴾** ثمانية تأويلات:

أحدها: تقهروننا بالقوة، قاله ابن عباس، واليمين القوة، ومنه قول الشاعر[٤٢]:

اذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلقاها عَرابةُ باليمين

أي بالقوة والقدرة.

الثاني: يعني من قبل ميامنكم، قاله ابن خصيف.

الثالث: من قبل الخير فتصدوننا عنه وتمنعوننا منه، قاله الحسن.

الرابع: من حيث نأمنكم، قاله عكرمة.

الخامس: من قبل الدين أنه معكم، وهو معنى قول الكلبي.

---

(٤٢) هو الشماخ بن ضرار المري والبيت في الطبري (٢٣/ ٤٩) واللسان «يمن» الروض الأنف (٢/ ١٩٠).

السادس: من قبل النصيحة واليمين، والعرب تتيمن بما جاء عن اليمين ويجعلونه من دلائل الخير ويسمونه السانح[٤٣]، وتتطير بما جاء عن الشمال ويجعلونه من دلائل الشر ويسمونه البارح، وهو معنى قول عليّ بن عيسى.

السابع: من قبل الحق أنه معكم، قاله مجاهد.

الثامن: من قبل الأموال ترغبون فيها أنها تنال بما تدعون إليه فتتبعون عليه، وهو معنى قول الحسن.

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

قوله عزوجل: ﴿يُطاف عليهم بكأسٍ من مَعينٍ﴾ أي من خمر معين وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الجاري؛ قاله الضحاك.

الثاني: الذي لا ينقطع، حكاه جويبر.

الثالث: أنه الذي لم يعصر، قاله سعيد بن أبي عروبة.

ويحتمل رابعاً: أنه الخمر بعينه الذي لم يمزج بغيره.

وفي المعين من الماء خمسة أوجه:

أحدها: أنه الظاهر للعين، قاله الكلبي.

الثاني: ما مدّته العيون فاتصل ولم ينقطع، قاله الحسن.

الثالث: أنه الشديد الجري من قولهم أمعن في كذا إذا اشتد دخوله فيه.

الرابع: أنه الكثير مأخوذ من المعين وهو الشيء الكثير.

---

(٤٣) وكانوا يتشائمون بالسوانح والبوارح وقد أبطل الاسلام هذه العادة والعقيدة الفاسدة فقال: لا عدوى ولا طيرة الحديث رواه البخاري وغيره.

الخامس: أنه المنتفع به مأخوذ من الماعون، قاله الفراء.

﴿بيضاء لذَّةٍ للشاربين﴾ يعني أن خمر الجنة بيضاء اللون، وهي في قراءة ابن مسعود صفراء.

ويحتمل أن تكون بيضاء الكأس صفراء اللون فيكون اختلاف لونهما في منظرهما قال الشاعر:

فكأن بهجتها وبهجة كأسها ... نار ونور قيّدا بوعاء

قوله عزوجل: ﴿لا فيها غَوْلٌ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أي ليس فيها صداع، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

الثاني: ليس فيها وجع البطن، قاله مجاهد.

الثالث: ليس فيها أذى، قاله الفراء وعكرمة وهذه الثلاثة متقاربة لاشتقاق الغول من الغائلة.

الرابع: ليس فيها إثم، قاله الكلبي.

الخامس: أنها لا تغتال عقولهم، قاله السدي وأبو عبيدة، ومنه قول الشاعر:

وهذا من الغيلة أن ... يصرع واحد واحدا

﴿ولاهم عنها ينزفون﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تنزف العقل ولا تذهب الحلم بالسكر، قاله عطاء، ومنه قول الشاعر[٤٤]:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتمُ ... لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

الثاني: لا يبولون، قاله ابن عباس، وحكى الضحاك عنه أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول، فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال.

الثالث: أي لا تفنى مأخوذ من نزف الركية، قاله أبو عمرو بن العلاء، ومنه قول الشاعر:

---

(٤٤) هو الأبيرد الرياحي من بني محجل والبيت في مجاز القرآن (٢/١٦٩) والطبري (٢٣/٥٥) واللسان نزف، زاد المسير (٧/٥٧) روح المعاني (٢٣/٨٨).

دعيني لا أبا لــك أن تـطيقي لحـاك الله قـد أنـزفت ريقي

وقد يختلف هذا التأويل باختلاف القراءة، فقرأ حمزة والكسائي ينـزفون[٤٥] بكسر الزاي، وقرأ الباقون يُنزَفون بفتح الزاي، والفرق بينهما أن الفتح من نزف فهو منزوف[*] إذا ذهب عقله بالسكر، والكسر من أنزف فهو منزوف إذا فنيت خمره، وإنما صرف الله تعالى السكر عن أهل الجنة لئلا ينقطع عنهم التذاذ نعيمهم.

قوله عزوجل: ﴿وعندهم قاصِراتُ الطّرفِ عينٌ﴾ يعني بقاصرات الطرف النساء اللاتي قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم مأخوذ من قولهم: قد اقتصر على كذا إذا اقتنع به وعدل عن غيره، قال امرؤ القيس[٤٦]:

من القاصرات الـطرف لو دب مُحـولٌ من الـذّرّ فـوق الخـد منهـا لأثّـرا

وفي العين وجهان:

أحدهما: الحسان العيون، قاله مجاهد ومقاتل.

الثاني: العظام الأعين، قاله الأخفش وقطرب.

﴿كأنهن بيضٌ مكنون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني اللؤلؤ في صدفه، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر[٤٧]:

وهـي بيـضـاء مـثـل لـؤلـؤة الـغـوا ص مـيـزت مـن جـوهـر مـكـنـون

الثاني: يعني البيض المعروف في قشره، والمكنون المصون.

وفي تشبيههم[٤٨] بالبيض المكنون أربعة أوجه:

أحدها: تشبيهاً ببيض النعام يُكنّ بالريش من الغبار والريح فهو أبيض إلى الصفرة، قاله الحسن.

الثاني: تشبيهاً ببطن البيض إذا لم تمسه يد، قاله سعيد بن جبير.

---

(٤٥) زاد المسير (٥٧/٧) الحجة في القراءات ٦٠٨.

(*) هكذا في الأصول والقياس أن يقال منزف لأن اسم المفعول من الرباعي المزيد بالهمزة يكون على وزن مفعل.

(٤٦) روح المعاني (٨٩/٢٣) فتح القدير (٣٩٤/٤) ديوانه ٩٨ وفيه فوق الأتب..

(٤٧) هو أبو دهبل والبيت في الطبري (٥٨/٢٣) وفيه هي زهراء. وفتح القدير (٣٩٢/٤).

(٤٨) لعل الصواب أن يقال وفي تشبيههن لأن الكلام على الحور العين قاصرات الطرف.

الثالث: تشبيهاً ببياض البيض حين ينزع قشرة، قاله السدي.

الرابع: تشبيهاً بالسحاء الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض، قاله عطاء.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾

قوله عز وجل: **﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾** يعني أهل الجنة كما يسأل أهل النار.

﴿قال قائلٌ منهم﴾ يعني من أهل الجنة.

﴿إني كان لي قرين﴾ يعني في الدنيا، وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الشيطان كان يغويه فلا يطيعه، قاله مجاهد.

الثاني: شريك له كان يدعوه إلى الكفر فلا يجيبه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهما اللذان في سورة الكهف **﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾** إلى آخر قصتهما، فقال المؤمن منهما في الجنة للكافر في النار.

﴿يقول أئنك لمن المصدقين﴾ يعني بالبعث.

﴿أئذا مِتْنا وكُنّا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: لمحاسبون، قاله مجاهد وقتادة والسدي.

الثاني: لمجازون، قاله ابن عباس ومحمد بن كعب من قوله: كما تدين تدان.

قوله عز وجل: **﴿قال هل أنتم مطلعون﴾** وهذا قول صاحب القرين للملائكة وقيل لأهل الجنة. هل أنتم مطلعون يعني في النار. يحتمل ذلك وجهين:

أحدهما: لاستخباره عن جواز الاطلاع.

الثاني: لمعاينة القرين.

﴿فاطَّلَعَ﴾ يعني في النار. ﴿فرآه﴾ يعني قرينه ﴿في سواءِ الجحيم﴾ قال ابن عباس في وسط الجحيم، وانما سمي الوسط سواءً لاستواء المسافة فيه إلى الجوانب قال قتادة: فوالله، لولا أن الله عَرّفه إياه ما كان ليعرفه، لقد تغير حبْرُهُ وسبْرُه يعني حسنه وتخطيطه(٤٩).

قوله عزوجل: ﴿قال تالله إن كِدْتَ لتُرْدين﴾ هذا قول المؤمن في الجنة لقرينه في النار، وفيه وجهان:

أحدهما: لتهلكني لو أطعتك، قاله السدي.

الثاني: لتباعدني من الله تعالى، قاله يحيى.

﴿ولولا نعمة ربي﴾ يعني بالإيمان ﴿لكنت من المحْضَرين﴾ يعني في النار، لأن أحضر لا يستعمل مطلقاً إلا في الشر.

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

قوله عزوجل: ﴿أذلك خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم﴾ والنُّزل العطاء الوافر ومنه إقامة الإنزال، وقيل ما يعد للضيف والعسكر. وشجرة الزقوم هي شجرة في النار يقتاتها أهل النار، مرة الثمر خشنة اللمس منتنة الريح.

واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا التي يعرفها العرب أو لا؟ على قولين:

(٤٩) يعني تغير لونه وهيئته من العذاب الذي لحقه نسأل الله العافية.

أحدهما: أنها معروفة من شجر الدنيا، ومن قال بهذا اختلفوا فيها فقال قطرب: إنها شجرة مرّة تكون بتهامة من أخبث الشجر. وقال غيره بل كل نبات قاتل.

القول الثاني: أنها لا تعرف في شجر الدنيا، فلما نزلت هذه الآية في شجرة الزقوم قال كفار قريش: ما نعرف هذه الشجرة، فقال ابن الزبعرى: الزقوم بكلام البربر: الزبد والتمر فقال أبو جهل لعنه الله: يا جارية ابغينا تمراً وزبداً ثم قال لأصحابه تزقموا هذا الذي يخوفنا به محمد يزعم أن النار تنبت الشجر، والنار تحرق الشجر.

﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن النار تحرق الشجر فكيف ينبت فيها الشجر وهذا قول أبي جهل إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه فكان هذا هو الفتنة للظالمين، قاله مجاهد.

الثاني: أن شدة عذابهم بها هي الفتنة التي جعلت لهم، حكاه ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ فكان المقصود بهذا الذكر أمرين:

أحدهما: وصفها لهم لاختلافهم فيها.

الثاني: ليعلمهم جواز بقائها في النار لأنها تنبت من النار.

قال يحيى بن سلام: وبلغني أنها في الباب السادس وانها تحيا بلهب النار كما يحيا شجركم ببرد الماء.

﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ يعني بالطلع الثمر، فإن قيل فكيف شبهها برؤوس الشياطين وهم ما رأوها ولا عرفوها؟

قيل عن هذا أربعة أجوبة:

أحدها: أن قبح صورتها[٥٠] مستقر في النفوس، وإن لم تشاهد فجاز أن ينسبها بذلك لاستقرار قبحها في نفوسهم كما قال امرؤ القيس[٥١]:

ايقتُلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونةٍ زُرقٍ كأنياب أغوال

(٥٠) اي صورة الشياطين.

(٥١) ديوانه: ٢٣ مختار الشعر الجاهلي ١/٣٩ روح المعاني (٢٣/٩٧) اللسان (غول) فتح القدير (٤/٣٩٨).

فشبهها بأنياب الأغوال وإن لم يرها الناس.

الثاني: أنه أراد رأس حية تسمى عند العرب شيطاناً وهي قبيحة الرأس.

الثالث: أنه أراد شجراً يكون بين مكة واليمن يسمى رؤوس الشياطين، قاله مقاتل.

قوله عزوجل: ﴿**ثم إنّ لهم عليها لشوباً من حميم**﴾ يعني لمزاجاً من حميم والحميم الحار الداني من الإحراق قال الشاعر:

كأن الحميم على متنها ... إذا اغترفته بأطساسها

جُمان يجول على فضة ... عَلَتْه حدائد دوّاسها

ومنه سمي القريب حميماً لقربه من القلب، وسمي المحموم لقرب حرارته من الإحراق، قال الشاعر:

أحم الله ذلك من لقاءٍ ... آحاد آحاد في الشهر الحلال

أي أدناه فيمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظاً لعذابهم وتشديداً لبلاتهم.

قوله عزوجل: ﴿**ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني بأن مأواهم لإلى الجحيم، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثاني: أن منقلبهم لإلى الجحيم، قاله سفيان.

الثالث: يعني أن مرجعهم بعد أكل الزقوم إلى عذاب الجحيم، قاله ابن زياد.

الرابع: أنهم فيها كما قال الله تعالى ﴿**يطوفون بينها وبين حميم آن**﴾ ثم يرجعون إلى مواضعهم، قاله يحيى بن سلام.

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ أي دعانا، ودعاؤه كان على قومه عند إياسه من إيمانهم، وإنما دعا عليهم بالهلاك بعد طول الاستدعاء لأمرين:

أحدهما: ليطهر الله الأرض من العصاة.

الثاني: ليكونوا عبرة يتعظ بها من بعدهم من الأمم.

وقوله: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فلنعم المجيبون لنوح في دعائه.

الثاني: فلنعم المجيبون لمن دعا لأن التمدح بعموم الإجابة أبلغ.

﴿ونجيناه وأهله﴾ قال قتادة: كانوا ثمانية (٥٢): نوح وثلاثة بنين ونساؤهم، أربعة [أي](*) رجال وأربعة نسوة.

﴿من الكرب العظيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من غرق الطوفان، قاله السدي.

الثاني: من الأذى الذي كان ينزل به من قومه، حكاه ابن عيسى.

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ قال ابن عباس: والناس كلهم بعد نوح من ذريته وكان بنوه ثلاثة: سام وحام ويافث، فالعرب والعجم أولاد سام، والروم والترك والصقالبة أولاد يافث والسودان من أولاد حام، قال الشاعر:

عجوز من بني حام بن نوح كأن جبينها حجر المقام

قوله عزوجل: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أبقى الله الثناء الحسن في الآخرين، قاله قتادة.

الثاني: لسان صدق للأنبياء كلهم، قاله مجاهد.

الثالث: هو قوله سلام على نوح في العالمين، قاله الفراء.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

---

(٥٢) ليت من يتصدى للدعوة إلى الله تعالى يفقه هذا فيعلم أن الاسلام ينظر أولاً إلى الكيف لا الكم ففي هذه المدة الطويلة التي دعا فيها نبي الله نوح إلى الله تعالى لم يؤمن معه إلا هذا العدد القليل أفلا يكون ذلك عبرة وعظة ودرساً لمن يركز همه على كثرة العدد تاركاً بناء الرجال وتربيتهم.

(*) زيادة للايضاح يقتضيها السياق.

﴿وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من أهل دينه، قاله ابن عباس.

الثاني: على منهاجه وسنته، قاله مجاهد.

وفي أصل الشيعة في اللغة قولان:

أحدهما: أنهم الأتباع ومنه قول الشاعر[٥٣]:

قال الخليط غداً تصدُّ عَنّا ... أو شيعَه أفلا تشيعنا

قوله أو شيعه أي اليوم الذي يتبع غداً، قاله ابن بحر.

الثاني: وهو قول الأصمعي الشيعة الأعوان، وهو مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوضع مع الكبار حتى يستوقد لأنه يعين على الوقود.

ثم فيه قولان:

أحدهما: إن من شيعة محمد[٥٤] لإبراهيم عليهما السلام، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: من شيعة نوح لإبراهيم[٥٥]، قاله مجاهد ومقاتل.

وفي إبراهيم وجهان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي وهو قول الأكثرين.

الثاني: مشتق من البرهمة وهي إدَامة النظر.

قوله عزوجل: ﴿إذ جاء ربّه بقَلْب سليم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: سليم من الشك، قاله قتادة.

الثاني: سليم من الشرك، قاله الحسن.

الثالث: مخلص، قاله الضحاك.

---

(٥٣) هو عمر بن ابي ربيعة والبيت في اللسان (شيع).

(٥٤) قال الشوكاني (٤/٤٠١) متعقباً هذا القول «ولا يخفى ما في هذا من الضعف والمخالفة للسياق».

(٥٥) واستظهره الألوسي (٢٣/٩٩) وهو قول أكثر المفسرين كالطبري (٢٣/٦٩) وابن كثير (٤/١٢).

الرابع: ألا يكون لعاناً، قاله عروة بن الزبير.

ويحتمل مجيئه إلى ربه وجهين:

أحدهما: عند دعائه إلى توحيده وطاعته.

الثاني: عند إلقائه في النار.

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

قوله عزوجل: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ فيها أربعة تأويلات:

أحدها: أنه رأى نجماً طالعاً[٥٦]، فعلم بذلك أن له إلّهاً خالقاً، فكان هذا نظره في النجوم، قاله سعيد بن المسيب.

الثاني: أنها كلمة من كلام العرب إذا تفكر الرجل في أمره قالوا قد نظر في النجوم، قاله قتادة.

الثالث: أنه نظر فيما نجم من قولهم، وهذا قول الحسن.

الرابع: أن علم النجوم كان من النبوة، فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع[٥٧] بن نون أبطل ذلك، فنظر إبراهيم فيها [كان][*] علماً نبوياً، قاله ابن عائشة.

وحكى جويبر[٥٨] عن الضحاك أن علم النجوم كان باقياً إلى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام حتى دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه فقالت لهم مريم من أين

---

(٥٦) وفي نسخة للمخطوطة [فاستدل به على أنه له مدبراً صانعاً فعالم. . .].

(٥٧) وهو فتى موسى الذي صاحبه في رحلتيه الى الخضر.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

(٥٨) وجويبر متروك كما مر غير مرة.

علمتم موضعه؟ قالوا: من النجوم، فدعا ربه عند ذلك فقال: اللهم فوهمهم في علمها فلا يعلم علم النجوم أحد، فصار حكمها في الشرع محظوراً وعلمها[٥٩] في الناس مجهولاً. قال الكلبي وكانوا بقرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمزجرد وكانوا ينظرون في النجوم.

﴿فقال إني سقيم﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: أنه استدل بها على وقت حمى كانت تأتيه.

الثاني: سقيم بما في عنقي من الموت.

الثالث: سقيم بما أرى من قبح أفعالكم في عبادة غير الله.

الرابع: سقيم لشكه.

الخامس: لعلمه بأن له إلّهاً خالقاً معبوداً، قاله ابن بحر.

السادس: لعلة عرضت له.

السابع: أن ملكهم أرسل إليه أن غداً عيدنا فاخرج، فنظر إلى نجم فقال: إن ذا النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقمي، فتولوا عنه مدبرين، قاله عبد الرحمن بن زيد قال سعيد بن المسيب: كابد نبي الله عن دينه فقال إني سقيم. وقال سفيان: كانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم فقال: اني سقيم أي طعين وهذه خطيئته التي قال اغفر لي خطيئتي يوم الدين وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ[٦٠] أنه قال: «**لم يكذب إبراهيم غير ثلاث: ثنتين في ذات الله عز وجل قوله إني سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وقوله في سارة هي أختي**»[٦١].

﴿فراغ إلىٰ ءَالِهَتِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

---

(٥٩) وتعلم علم النجوم والاستفادة منها فيه تفصيل راجع ما كتبه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على الروضة الندية ورسالة التقويم الفلكي.

(٦٠) رواه الطبري (٢٣/ ٧١) والبخاري (٦/ ٣٨١) ومسلم (٢٣٧١).
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

(٦١) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ١٣) «أما الحديث الذي رواه ابن جرير عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات.... الحديث فهو مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكنه ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا ولما وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً وإنما هو من المعاريض لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب».

أحدها: ذهب إليهم، قاله السدي.

الثاني: مال إليهم، قاله قتادة.

الثالث: صال عليهم، قاله الأخفش.

الرابع: أقبل عليهم، قاله الكلبي وقطرب، وهذا قريب من المعنيين المتقدمين.

﴿فقال ألا تأكلون﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قال ذلك استهزاء بهم، قاله ابن زياد.

الثاني: أنه وجدهم حين خرجوا إلى عيدهم قد صنعوا لآلهتهم طعاماً لتبارك لهم فيه فلذلك قال للأصنام وإن كانت لا تعقل عنه الكلام احتجاجاً على جهل من عبدها. وتنبيهاً على عجزها، ولذلك قال:

﴿ما لكم لا تنطقون﴾.

﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يده اليمنى. قاله الضحاك، لأنها أقوى والضرب بها أشد.

الثاني: باليمين التي حلفها حين قال ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ حكاه ابن عيسى.

الثالث: يعني بالقوة، وقوة النبوة أشد، قاله ثعلب.

﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يخرجون، قاله ابن عباس.

الثاني: يسعون، قاله الضحاك.

الثالث: يتسللون، حكاه ابن عيسى.

الرابع: يرعدون غضباً، حكاه يحيى بن سلام.

الخامس: يختالون وهو مشي الخيلاء، وبه قال مجاهد، ومنه أخذ زفاف العروس إلى زوجها، وقال الفرزدق:

وجاء قريع الشول قَبل إفالها ... يزفّ وجاءت خَلْفه وهي زفّف

قوله عز وجل: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الله خلقكم وخلق عملكم.

الثاني : خلقكم وخلق الأصنام التي عملتموها.

﴿فأرادوا به كيداً﴾ يعني إحراقه بالنار التي أوقدوها له.

﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : الأسفلين في نار جهنم ، قاله يحيى .

الثاني : الأسفلين في دحض الحجة ، قال قتادة : فما ناظروه بعد ذلك حتى أهلكوا.

الثالث : يعني المهلكين فإن الله تعالى عقب ذلك بهلاكهم .

الرابع : المقهورين لخلاص إبراهيم من كيدهم . قال كعب : فما انتفع بالنار يومئذٍ أحد من الناس وما أحرقت منه يومئذٍ إلا وثاقه.

وروت أم سبابة الأنصارية(٦٢) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ حدثها أن «**إبراهيم لما ألقي في النار كانت الدواب كلها تطفيء عنه النار إلا الوزغة فإنها كانت تنفخ عليها**» فأمر رسول الله ﷺ بقتلها.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

(٦٢) رواه أحمد (٦/٨٣) ومن حديث عائشة ورواه البخاري (٦/٣٨٩) من حديث أم شريك رضي الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ قال كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام.

﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ وفي زمان هذا القول منه قولان:

أحدهما: أنه قال عند إلقائه في النار، وفيه على هذا القول تأويلان:

أحدهما: إني ذاهب إلى ما قضى به عليّ ربي.

الثاني: إني ميت كما يقال لمن مات قد ذهب إلى الله تعالى لأنه عليه السلام تصور أنه يموت بإلقائه في النار على المعهود من حالها في تلف ما يلقى فيها إلى أن قيل لها كوني برداً وسلاماً، فحينئذٍ سلم إبراهيم منها.

وفي قوله: ﴿سيهدين﴾ على هذا القول تأويلان:

أحدهما: سيهدين إلى الخلاص من النار.

الثاني: إلى الجنة.

فاحتمل ما قاله إبراهيم من هذا وجهين:

أحدهما: أن بقوله لمن يلقيه في النار فيكون ذلك تخويفاً لهم.

الثاني: أن بقوله لمن شاهده من الناس الحضور فيكون ذلك منه إنذاراً لهم، فهذا تأويل ذلك على قول من ذكر أنه قال قبل إلقائه في النار.

والقول الثاني: أنه قاله بعد خروجه من النار.

﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ وفي هذا القول ثلاثة تأويلات:

أحدها: إني منقطع إلى الله بعبادتي، حكاه النقاش.

الثاني: ذاهب إليه بقلبي وديني وعملي، قاله قتادة.

الثالث: مهاجر إليه بنفسي فهاجر من أرض العراق. قال مقاتل: هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة.

وفي البلد الذي هاجر إليه قولان:

أحدهما: إلى أرض الشام.

الثاني: إلى أرض حران، حكاه النسائي[٦٣].

وفي قوله: سيهدين على هذا القول تأويلان:

أحدهما: سيهدين إلى قول: حسبي الله عليه توكلت، قاله سليمان.

الثاني: إلى طريق الهجرة، قاله يحيى.

(٦٣) وفي نسخة أخرى للمخطوطة الكسائي.

واحتمل هذا القول منه وجهين :

أحدهما : أن بقوله لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخاً لهم .

الثاني : أن بقوله لمن هاجر معه من أهله فيكون ذلك منه ترغيباً .

قوله عزوجل : **﴿فبشرناه بغُلام حليم﴾** أي وقور. قال الحسن : ما سمعت الله يحل عباده شيئاً(*) أجل من الحلم .

وفي قولان :

أحدهما : أنه إسحاق، ولم يثن الله تعالى على أحد بالحلم إلا على إسحاق وإبراهيم قاله قتادة .

الثاني : إسماعيل وبشر بنبوة (٦٤) إسحاق بعد ذلك، قاله عامر الشعبي . قال الكلبي وكان إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة .

قوله عزوجل : **﴿فلما بلغ معه السعي﴾** فيه أربعة أوجه :

أحدها : يمشي مع أبيه ، قاله قتادة .

الثاني : أدرك معه العمل ، قاله عكرمة .

الثالث : أنه سعي العمل الذي تقوم به الحجة ، قاله الحسن .

الرابع : أنه السعي في العبادة، قاله ابن زيد .

قال ابن عباس : صام وصلى ، ألم تسمع الله يقول **﴿وسعى لها سعيها﴾** [الإسراء : ١٩] قال الفراء والكلبي : وكان يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة .

﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحُك﴾ فروى سماك عن عكرمة عن ابن عباس (٦٥) قال : قال رسول الله ﷺ **«رؤيا الأنبياء في المنام وحي»** .

﴿فانظُرْ ماذا تَرَى﴾ لم يقل له ذلك على وجه المؤامرة في أمر الله سبحانه ، وفيه ثلاثة أوجه :

(*) هكذا في الأصول ولعل الصواب يجل في عباده شيئاً .

(٦٤) وهو الصواب والأدلة على ذلك كثيرة ذكر بعضها ابن القيم في زاد المعاد (١/٧١ ـ ٧٥) ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وعدد من الأئمة راجع تفسير ابن كثير (١٥/٣) .

(٦٥) رواه ابن أبي حاتم قال ابن كثير (١٥/٣) وليس هو في شيء من الكتب الستة وهذا الوجه . وبعد فقول محقق المطبوعة رواه البخاري ومسلم والترمذي قول واسع الخطو وفيه نوع تجاسر .

أحدها: أنه قاله إخباراً بما أمره الله تعالى به ليكون أطوع له.

الثاني: أنه قاله امتحاناً لصبره على أمر الله تعالى.

الثالث: أي ماذا تريني من صبرك أو جزعك، قاله الفراء.

﴿قال يا أبت افْعَلْ ما تؤمرُ﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: على الذبح، قاله مقاتل.

الثاني: على القضاء، حكاه الكلبي، فوجده في الامتحان صادق الطاعة سريع الإجابة قوي الدين.

قوله عزوجل: ﴿فلما أسْلَما﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اتفقا على أمر واحد، قاله أبو صالح.

الثاني: سلما لله تعالى الأمر، وهو قول السدي.

قال قتادة: سلم إسماعيل نفسه لله، وسلم إبراهيم ابنه لله تعالى.

﴿وتله للجبين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه صرعه على جبينه، قاله ابن عباس، والجبين ما عن يمين الجبهة وشمالها، قال الشاعر:

وتله أبو حكم للجبين   فصار إلى أمِّه الهاوية

الثاني: أنه أكبَّه لوجهه، قاله مجاهد.

الثالث: أنه وضع جبينه على تل، قاله قطرب.

وحكى مجاهد عن إسحاق أنه قال: يا أبت اذبحني وأنا ساجد، ولا تنظر إلى وجهي فعسى أن ترحمني فلا تذبحني.

﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد صَدَّقْتَ الرؤيا﴾ أي عملت ما رأيته في المنام، وفي الذي رآه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الذي رآه أنه قعد منه مقعد الذابح ينتظر الأمر بإمضاء الذبح.

الثاني: أن الذي رآه أنه أمر بذبحه بشرط التمكين ولم يمكن منه لما روي أنه كان كلما اعتمد بالشفرة انقلبت وجعل على حلقه صفيحة من نحاس.

الثالث: أن الذي رآه أنه ذبحه وقد فعل ذلك وإنما وصل الله تعالى الأوداج بلا فصل.

﴿إنا كذلك نجزِي المحسنين﴾ بالعفو عن ذبح ابنه.

وفي الذبيح قولان مثل اختلافهم في الحليم الذي بشر به.

أحدهما: أنه إسحاق، قاله علي رضي الله عنه وعبدالله بن مسعود وكعب الأحبار وقتادة والحسن. قال ابن جريج ذبح إبراهيم ابنه[٦٦] إسحاق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة وهي بنت تسعين سنة.

وفي الموضع الذي أراد ذبحه فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بمكة في المقام.

الثاني: في المنحر بمنى.

الثالث: بالشام، قاله ابن جريج وهو من بيت المقدس على ميلين. ولما علمت سارة ما أراد بإسحاق بقيت يومين وماتت في اليوم.

القول الثاني: أنه إسماعيل، قاله ابن عباس وعبدالله بن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب، وأنه ذبحه بمنى عند الجمار التي رمى إبليس في كل جمرة بسبع حصيات حين عارضه في ذبحه حتى جمر بين يديه أي أسرع فسميت جماراً. وحكى سعيد بن جبير أنه ذبحه على الصخرة التي بأصل ثبير[٦٧] بمنى.

قوله عزوجل: **﴿إنَّ هذا لهو البلاءُ المبين﴾** فيه وجهان:

أحدهما: الاختبار العظيم، قاله ابن قتيبة.

الثاني: النعمة البينة، قاله الكلبي ومقاتل وقطرب وأنشد قول الحطيئة:

وإن بلاءهم ما قد علمتم ... على الأيام إن نفع البلاءُ

قوله عزوجل: **﴿وفديناه بذبح عظيم﴾** فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه فدى بوعل أنزل عليه من ثبير، قاله ابن عباس، وحكى عنه سعيد ابن جبير أنه كبش رعي في الجنة أربعين خريفاً.

الثاني: أنه فدي بكبش من غنم الدنيا، قاله الحسن.

الثالث: أنه فدي بكبش أنزل عليه من الجنة وهو الكبش الذي قربه هابيل بن

---

(٦٦) وقد سبق في التعليق رقم ٣١ أنه هو الراجح.

(٦٧) اسم جبل هناك.

آدم فقيل منه. قال ابن عباس حدثني من رأى قرني الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام معلقين بالكعبة. والذبح بالكسر هو المذبوح، والذبح بالفتح هو فعل الذبح.

وفي قوله: ﴿**عظيم**﴾ خمسة تأويلات:

أحدها: لأنه قد رعى في الجنة، قاله ابن عباس.

الثاني: لأنه ذبح بحق، قاله الحسن.

الثالث: لأنه عظيم الشخص.

الرابع: لأنه عظيم البركة.

الخامس: لأنه متقبل، قاله مجاهد.

قوله عزوجل: ﴿**وتركنا عليه في الآخِرين**﴾ فيه قولان:

أحدهما: الثناء الحسن، قاله قتادة.

الثاني: هو السلام على إبراهيم، قاله عكرمة.

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

قوله عزوجل: ﴿**ولقد مننا على موسى وهارون**﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالنبوة، قاله مقاتل.

الثاني: بالنجاة من فرعون، قاله الكلبي.

﴿**ونجيناهما**﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: من الغرق.

الثاني: من الرق.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا

وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه إدريس قاله ابن عباس وقتادة، وهي قراءة ابن مسعود: وابن إدريس.

الثاني: أنه من ولد هارون، قاله محمد بن إسحاق، قال مقاتل: هو إلياس بن بحشر، وقال الكلبي هو عم اليسع. وجوز قوم أن يكون هو إلياس بن مضر.

وقيل لما عظمت الأحداث في بني إسرائيل بعد حزقيل بعث الله إليهم إلياس عليه السلام نبياً، وتبعه اليسع وآمن به، فلما عتا عليه بنو إسرائيل دعا ربه أن يقبضه إليه ففعل وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار مع الملائكة إنسياً [٦٨] ملكياً، أرضياً سماوياً والله أعلم.

قوله عزوجل: ﴿أتدعون بعلاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني ربًّا، قاله عكرمة ومجاهد. قال مقاتل هي لغة أزد شنوءة. وسمع ابن عباس رجلًا من أهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال: من بعل هذه أي ربها، ومنه قول أبي دؤاد [٦٩]:

ورأيت بعلك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحا

الثاني: أنه صنم يقال له بعل كانوا يعبدونه وبه سميت بعلبك، قاله الضحاك وابن زيد وقال مقاتل: كسره إلياس وذهب.

الثالث: أنه اسم امرأة كانوا يعبدونها، قاله ابن شجرة.

---

(٦٨) ولم يرد في ذلك خبر صحيح وكل ما ورد إسرائيليات باطلة حكاها وهب بن منبه وغيره. كما رواها الطبري (٢٣/٩٢ ـ ٩٤) وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية بعدما حكى قول وهب بن منبه. وفي هذا نظر وهذه الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بعيدة والله أعلم.

(٦٩) وقيل هو لعبد الله بن الزبعرى كما في الكامل (   ).

﴿وتذرون أحْسَنَ الخالقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من قيل له خالق.

الثاني: أحسن الصانعين لأن الناس يصنعون ولا يخلقون.

قوله عزوجل: ﴿سلامٌ على إلْ ياسِينَ﴾ قرأ نافع وابن عامر: سلامٌ على آل ياسين بفتح الهمزة ومدها وكسر اللام، وقرأ الباقون بكسر الهمزة وتسكين اللام، وقرأ الحسن: سلام على ياسين بإسقاط الألف واللام، وقرأ ابن مسعود(٧٠): سلام على ادراسين، لأنه قرأ: وإن إدريس لمن المرسلين.

فمن قرأ الياس ففيه وجهان:

أحدهما: أنه جمع يدخل فيه جميع آل إلياس بمعنى أن كل واحد من أهله يسمى الياس.

الثاني: أنه إلياس فغير بالزيادة لأن العرب تغير الأسماء الأعجمية بالزيادة كما يقولون ميكال وميكاييل وميكائين. قال الشاعر(٧١):

يقول أهل السوق لما جينا هذا وربِّ البيت إسرائينا

ومن قرأ آل ياسين ففي قراءته وجهان:

أحدهما: أنهم آل محمد ﷺ، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم آل إلياس.

فعلى هذا في دخول الزيادة في ياسين وجهان:

أحدهما: أنها زيدت لتساوي الآي، كما قال في موضع طور سيناء، وفي موضع آخر طورسينين، فعلى هذا يكون السلام على أهله دونه وتكون الإضافة إليه تشريفاً له.

الثاني: أنها دخلت للجمع فيكون داخلاً في جملتهم ويكون السلام عليه وعليهم.

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ

(٧٠) انظر لهذه القراءات زاد المسير (٨٢/٧) والحجة في القراءات ٦١٠، ٦١١.

(٧١) الطبري (٢٣/ ٩٥).

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾

﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: الهالكين، قاله السّدي.

الثاني: في الباقين من الهالكين، قاله ابن زيد.

الثالث: في عذاب الله تعالى، قاله قتادة.

الرابع: في الماضيـن في العذاب، حكاه مقاتل.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)﴾

قوله عزوجل: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ قال السدي: يونس بن متى نبي من أنبياء الله تعالى بعثه إلى قرية يقال لها نينوى على شاطىء دجلة. قال قتادة: وهي من أرض الموصل.

﴿إذ أبق إلى الفُلك المشحون﴾ والآبق الفارّ إلى حيث لا يعلم به، قال الحسن: فر من قومه وكان فيما عهد إليهم أنهم إن لم يؤمنوا أتاهم العذاب، وجعل علامة ذلك خروجاً من بين أظهرهم، فلما خرج عنه جاءتهم ريح سوداء فخافوها فدعوا الله بأطفالهم وبهائمهم فأجابهم وصرف العذاب عنهم فخرج مكايداً لقومه مغاضباً لدين ربه حتى أتى البحر فركب سفينة وقد استوقرت حملاً، فلما اشتطت بهم خافوا الغرق.

وفيما خافوا الغرق به قولان:

أحدهما: أمواج من ريح عصفت بهم قاله ابن عباس.

الثاني: من الحوت الذي عارضهم، حكاه ابن عيسى، فقالوا عند ذلك: فينا مذنب لا ننجو إلا بإلقائه، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فألقوه، وهو معنى قوله تعالى:

﴿فساهَم﴾ أي قارع بالسهام، قاله ابن عباس والسدي.

﴿فكان من المدحضين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من المقروعين، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: من المغلوبين، قاله سعيد بن جبير، ومنه قول أبي قيس[٧٢]:

قتلنا المدحضين بكل فج فقد قرت بقتلهم العيون

الثالث: أنه الباطل الحجة، قاله السدي مأخوذ من دحض الحجة وهو بطلانها فلما ألقوه في البحر آمنوا.

قوله عزوجل: ﴿فالتقمه الحوت وهُو مليم﴾ قال ابن عباس: أوحى الله تعالى إلى سمكة يقال لها اللخم من البحر الأخضر أن شقي البحار حتى تأخذي يونس، وليس يونس لك رزقاً، ولكن جعلت بطنك له سجناً، فلا تخدشي له جلداً ولا تكسري له عظماً، فالتقمه الحوت حين ألقي.

وفي قوله: ﴿وهو مليم﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: أي مسيء مذنب، قاله ابن عباس.

الثاني: يلوم نفسه على ما صنع، وهو معنى قول قتادة.

الثالث: يلام على ما صنع، قاله الكلبي.

والفرق بين الملوم والمليم أن المليم اذا أتى بما يلام عليه، والملوم إذا ليم عليه.

﴿فلولا أنه كان مِن المسبحين﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من القائلين لا إلّه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قاله الحسن.

الثاني: من المصلين قاله ابن عباس.

الثالث: من العابدين، قاله وهب بن منبه.

---

(٧٢) فتح القدير (٤/ ٤١٠).

الرابع: من التائبين، قاله قطرب. وقيل تاب في الرخاء فنجاه الله من البلاء.

﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ قال قتادة: إلى يوم القيامة حتى يَصير الحوت له قبراً، وفي مدة لبثه في بطن الحوت أربعة أقاويل:

أحدها: بعض يوم، قال الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية.

الثاني: ثلاثة أيام، قاله قتادة.

الثالث: سبعة أيام، قاله جعفر.

الرابع: أربعون يوماً، قاله أبو مالك، وقيل إنه سار بيونس حتى مر به إلى الإيلة ثم عاد في دجلة إلى نينوى.

﴿فنبذناه بالعراء﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بالساحل، قاله ابن عباس.

الثاني: بالأرض، قاله السدي، قال الضحاك: هي أرض يقال لها بلد.

الثالث: موضع بأرض اليمن.

الرابع: الفضاء الذي لا يواريه نبت ولا شجر، قال الشاعر[٧٣]:

ورفعت رِجْلاً لا أخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي

﴿وهو سقيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كهيئة الصبي، قاله السدي.

الثاني: كهيئة الفرخ الذي ليس[٧٤] له ريش، قاله ابن مسعود لأنه ضعف بعد القوة، ورق جلده بعد الشدة.

قوله عز وجل: **﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾** فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه القرع، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه كل شجرة ليس فيها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أنها كل شجرة لها ورق عريض، قاله ابن عباس.

---

(٧٣) الطبري (٢٣/ ١٠١) واللسان (عرا).

(٧٤) يعني الصبي الذي خرج من قوة بالولادة.

الرابع: أنه كل ما ينبسط على وجه الأرض من البطيخ والقثاء، رواه القاسم بن أبي أيوب.

الخامس: أنها شجرة سماها الله تعالى يقطيناً أظلته[٧٥] رواه هلال بن حيان. وهو تفعيل من قطن بالمكان أي أقام إقامة زائل لا إقامة راسخ كالنخل والزيتون. فمكث يونس تحتها يصيب منها ويستظل بها حتى تراجعت نفسه إليه، ثم يبست الشجرة فبكى حزناً عليها، فأوحى الله تعالى إليه: أتبكي على هلاك شجرة ولا تبكي على هلاك مائة ألف أو يزيدون؟ حكاه ابن مسعود.

وحكى سعيد بن جبير أنه لما تساقط ورق الشجر عنه أفضت إليه الشمس فشكاه فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس جزعت من حر الشمس ولم تجزع لمائة ألف أو يزيدون تابوا إليّ فتبت عليهم.

قوله عزوجل: **﴿وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون﴾** فيهم قولان:

أحدهما: أنه أرسل إليهم بعدما نبذه الحوت، قاله ابن عباس، فكان أرسل إلى قوم بعد قوم.

الثاني: أنه أرسل إلى الأولين فآمنوا بشريعته، وهو معنى قول ابن مسعود.

وفي قوله: **﴿أو يزيدون﴾** ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه للإبهام كأنه قال أرسلناه إلى أحد العددين.

الثاني: أنه على شك المخاطبين.

الثالث: أن معناه: بل يزيدون، قاله ابن عباس وعدد من أهل التأويل، مثله قوله فكان قاب قوسين أو أدنى يعني بل أدنى، قال جرير[٧٦]:

أثعلبة الفوارس أو رباحاً ... عدلت بهم طهية والخشابا

والمعنى أثعلبة بل رباحاً.

---

(٧٥) فائدة: قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٨٩) فإن قيل ما الفائدة في إنبات شجرة اليقطين عليه دون غيرها فالجواب أنه خرج كالفرخ على ما وصفنا وجلده قد ذاب فأدنى شيء يمر به يؤذيه وفي ورق اليقطين خاصية وهو أنه إذا ترك على شيء لم يقربه ذباب، فأنبته الله عليه ليغطيه ورقها ويمنع الذباب ريحه أن يسقط عليه فيؤذيه».

(٧٦) ديوانه:

واختلف من قال بهذا في قدر زيادتهم على مائة ألف على خمسة أقاويل :

أحدها : يزيدون عشرين ألفاً ، رواه أُبي بن كعب [٧٧] مرفوعاً .

الثاني : يزيدون ثلاثين ألفاً ، قاله ابن عباس .

الثالث : يزيدون بضعة وثلاثين ألفاً ، قاله الحكم .

الرابع : بضعة وأربعين ألفاً رواه سفيان بن عبدالله البصري .

الخامس : سبعين ألفاً ، قاله سعيد بن جبير .

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

قوله عزوجل : **﴿أم لكم سلطان مبين﴾** فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : عذر مبين ، قاله قتادة .

الثاني : حجة بينة ، قاله ابن قتيبة .

الثالث : كتاب بيّن ، قاله الكلبي .

قوله عزوجل : **﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾** فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه إشراك الشيطان في عبادة الله تعالى فهو النسب الذي جعلوه ، قاله الحسن .

الثاني : هو قول يهود أصبهان أن الله تعالى صاهر الجن فكانت الملائكة من بينهم ، قاله قتادة .

الثالث : هو قول الزنادقة : إن الله تعالى وإبليس أخوان ، وأن النور والخير

(٧٧) رواه الطبري (١٠٤) وفي سنده مجهول والترمذي (١٥٥/٤) وقال حديث غريب وزاد السيوطي في الدر (٢١٩/٧) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

والحيوان النافع من خلق الله، والظلمة[٧٨] والشر والحيوان الضار من خلق إبليس، قاله الكلبي وعطية العوفي.

الرابع: هو قول المشركين، إن الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر: فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سروات الجن، قاله مجاهد.

وفي تسمية الملائكة على هذا الوجه جنة ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة، قاله مجاهد.

الثاني: لأنهم على الجنان، قاله أبو صالح.

الثالث: لاستتارهم عن العيون كالجن المستخفين[٧٩].

قوله عزوجل: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ وفي الجنة قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة، قاله السدي.

الثاني: أنهم الجن، قاله مجاهد.

وفيما علموه قولان.

أحدهما: أنهم علموا أن قائل هذا القول محضرون، قاله علي بن عيسى.

الثاني: علموا أنهم في أنفسهم محضرون، وهو قول من زعم أن الجنة هم الجن.

وفي قوله محضرون تأويلان:

أحدهما: للحساب، قاله مجاهد.

الثاني: محضرون في النار، قاله قتادة[٨٠].

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾

---

(٧٨) واسم هذه الطائفة الشبنون وتزعم أن العالم يقتسمه آلهان أحدهما النور والآخرة الظلمة وهذه الطائفة كافرة فلا معبود بحق في الوجود إلا الله.

(٧٩) ولعل هذا القول أوجه والله أعلم.

(٨٠) واختاره ابن جرير (١٠٩/٢٣).

قوله عز وجل: ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ يعني المشركين وما عبدوه من آلهتهم.

﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ أي بمضلين، قال الشاعر[٨١]:

فـرد بنعمته كيده عليه وكان لها فاتناً

أي مضلاً، فكانوا مضلين لمن يدعونه إلى عبادتها.

﴿إلا من هو صالِ الجحيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا من سبق في علم الله تعالى أنه يصلى الجحيم، قاله ابن عباس[٨٢].

قوله عز وجل ﴿وما مِنّا إلا له مقامٌ معلوم﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما منا ملك إلا له في السماء مقام معلوم، قاله ابن مسعود وسعيد بن جبير.

الثاني: ما حكاه قتادة قال: كان يصلي الرجال والنساء جميعاً حتى نزلت ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ قال فتقدم الرجال وتأخر النساء.

ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل.

ثالثاً: وما منا يوم القيامة إلا من له فيها مقام معلوم بين يدي الله عز وجل.

قوله عز وجل: ﴿وإنا لنحن الصّافون﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة يقفون صفوفاً في السماء، قيل حول العرش ينتظرون ما يؤمرون به، وقيل في الصلاة مصطفين. وحكى أبو نضرة أن عمر رضي الله[٨٣] كان إذا قام إلى الصلاة قال: يريد، الله بكم هدى الملائكة ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ تأخر يا فلان، تقدم يا فلان، ثم يتقدم فيكبر.

الثاني: ما حكاه أبو مالك قال كان الناس يصلون متبددين فأنزل الله عز وجل ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ فأمرهم النبي ﷺ أن يصطفوا.

وقوله عز وجل: ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ فيه قولان:

(٨١) فتح القدير (٤/٤١٤) وفيه: فجرد بفتنة كيده.

قلت وعلى هذا ما جاء في المطبوعة فيه تحريف.

(٨٢) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثاني.

(٨٣) رواه الطبري (٢٣/١١٢).

أحدهما: المصلّون، قاله قتادة.

الثاني: المنزِّهون الله عما أضافه إليه المشركون أي فكيف لا تعبدونه ونحن نعبده.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿ولقد سبقت كلمتُنا لعبادنا المرسلين﴾** فيه قولان:

أحدهما: سبقت بالحجج، قاله السدي.

الثاني: أنهم سينصرون. قال الحسن: لم يقتل من الرسل أصحاب الشرائع أحد قط.

﴿إنهم لهم المنصورون﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالحجج في الدنيا والعذاب في الآخرة، قاله السدي والكلبي.

الثاني: بالظفر إما بالإيمان أو بالانتقام، وهو معنى قول قتادة.

قوله عزوجل: **﴿فتولَّ عنهم حتى حين﴾** فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يوم بدر، قاله السدي.

الثاني: فتح مكة، حكاه النقاش.

الثالث: الموت، قاله قتادة.

الرابع: يوم القيامة، وهو قول زيد بن أسلم.

وفي نسخ هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها منسوخة، قاله قتادة.

الثاني: أنها ثابتة.

قوله عزوجل: **﴿وأَبْصِر فسوف يبصرون﴾** فيه أربعة أوجه:

أحدها: أبصر ما ضيعوا من أمر الله فسوف يبصرون ما يحل بهم من عذاب الله وهو معنى قول ابن زيد.

الثاني: أبصرهم في وقت النصرة عليهم فسوف يبصرون ما يحل بهم، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أبصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ذلك في القيامة.

الرابع: أعلمهم الآن فسوف يعلمونه بالعيان وهو معنى قول ثعلب.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾

قوله عزوجل: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ روى الشعبي قال[٨٤]: قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾**».

قوله تعالى: ﴿رب العزة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مالك العزة.

الثاني: رب كل شيء متعزز من مالك أو متجبر.

﴿وسلامٌ على المرسلين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: سلامه عليهم إكراماً لهم.

الثاني: قضاؤه بسلامتهم بعد إرسالهم فإنه ما أمر نبي بالقتال إلا حرس من القتل.

﴿والحمد لله رب العالمين﴾ يحتمل وجهين:

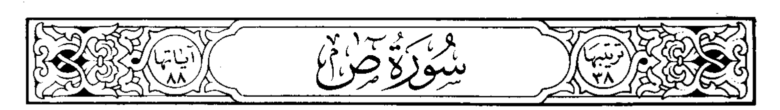
أحدهما: على إرسال الأنبياء مبشرين ومنذرين.

الثاني: على جميع ما أنعم به على الخلق أجمعين[٨٥].

---

(٨٤) رواه أبو جعفر الفريابي في كتابه الذكر هكذا مرسلاً كما قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٥٥٥).
ورواه ابن أبي حاتم كما في روح المعاني (٢٣/ ١٥٩).

(٨٥) وهذا القول أعم وأشد لذلك فهو أولى من غيره.



مكية في قول جميعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿صٓ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: أنه فواتح فتح الله تعالى بها القرآن، قاله مجاهد.

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى، قاله السدي.

الخامس: أنه بمعنى صدق الله، قاله الضحاك.

السادس: أنه من المصادة وهي المعارضة ومعناه عارض القرآن لعلمك، قاله الحسن.

السابع: أنه من المصادة وهي الاتباع ومعناه اتبع القرآن بعلمك، قاله سفيان.

﴿والقرآن ذي الذكر﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ذي الشرف، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي.

الثاني: بالبيان، قاله قتادة.

الثالث: بالتذكير، قاله الضحاك.

الرابع: ذكر ما قبله من الكتب، حكاه ابن قتيبة. قال قتادة: ها هنا وقع القسم.

واختلف أهل التأويل في جوابه على قولين:

أحدهما: أن جواب القسم محذوف وحذفه أفخم له لأن النفس تذهب فيه كل مذهب. ومن قال بحذفه اختلفوا فيه على قولين:

أحدهما: أن تقدير المحذوف منه لقد جاء الحق.

الثاني: تقديره ما الأمر كما قالوا.

والقول الثاني: في الأصل أن جواب القسم مظهر، ومن قال بإظهاره اختلفوا فيه على قولين:

أحدهما: قوله تعالى ﴿**كم أهلكنا من قبلهم من قرن**﴾ قاله الفراء.

الثاني: من قوله تعالى ﴿**إن ذلك لحق تخاصم أهل النار**﴾ وهو قول مقاتل.

قوله عزوجل: ﴿**بل الذين كفروا في عزةٍ وشقاقٍ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني في حمية وفراق، قاله قتادة.

الثاني: في تعزز واختلاف، قاله السدي.

الثالث: في أنفة وعداوة.

ويحتمل رابعاً: في امتناع ومباعدة.

﴿**كم أهلكنا مِن قَبْلِهم**﴾ يعني قبل كفار هذه الأمة.

﴿**من قرن**﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني من أمة، قاله أبو مالك.

الثاني: أن القرن زمان مقدرو وفيه سبعة أقاويل:

أحدها: أنه عشرون سنة، قاله الحسن.

الثاني: أربعون سنة، قاله إبراهيم.

الثالث: ستون سنة، رواه أبو عبيدة الناجي.

الرابع: سبعون سنة، قاله قتادة.

الخامس: ثمانون سنة، قاله الكلبي.

السادس: مائة سنة، رواه عبدالله بن بشر عن[٨٦] النبي ﷺ.

---

(٨٦) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عبدالله بن بسْر، والتصويب من الإصابة (٤/ ٢٤) والحديث رواه البخاري في التاريخ الصغير عن عبدالله بن بُسْر أن النبي ﷺ قال «يعيش هذا الغلام قرناً فعاش مائة سنة».

السابع: عشرون ومائة سنة، قاله زرارة بن أوفى[٨٧].

قوله عز وجل ﴿فنادوا ولات حين مناص﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: استغاثوا.

الثاني: دعوا.

ولات حين مناص التاء من لات مفصولة من الحاء وهي كذلك في المصحف، ومن وصلها بالحاء فقد أخطأ. وفيها وجهان:

أحدهما: أنها بمعنى لا وهو قول أبي عبيدة.

الثاني: أنها بمعنى ليس ولا تعمل إلا في الحين خاصة، قال الشاعر[٨٨]:

تذكر حب ليلى لات حيناً وأضحى الشيب قد قطع القرينا

وفي تأويل قوله تعالى ﴿ولات حين مناص﴾ خمسة أوجه:

أحدها: وليس حين ملجأ، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: وليس حين مَغاث، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، ومنه قول علي رضي الله عنه في رجز له:

لأصبحنّ العاصي بن العاصي سبعين ألفاً عاقِدي النواصي

قد جنبوا الخيل على الدلاصِ آساد غيل حين لا مناص

الثالث: وليس حين زوال، رواه أبو قابوس عن ابن عباس، ومنه قول الشاعر:

فهم خشوع لديه لا مناص لهم يضمهم مجلس يشفي من الصيد

الرابع: وليس حين فرار، قاله عكرمة والضحاك وقتادة قال الفراء مصدر من ناص ينوص. والنوص بالنون التأخر، والبوص بالباء التقدم وأنشد قول امريء القيس[٨٩]:

أمِن ذكر ليلى إن نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص

---

(٨٧) وفي نسخة أخرى للمخطوطة ابن أبي أوفى.

(٨٨) الطبري (٢٣/١٢٢) والقرطبي (١٥/١٤٧) زاد السير (٧/١٠) فتح القدير (٤/٤٢٠).

(٨٩) ديوانه (١٧٧)، الطبري (٢٣/١٢٠) غريب القرآن (٣٧٦) مختار الشعر الجاهلي (١/١٢٧) اللسان (بوص) فتح القدير (٤/٤٢٠).

فجمع في هذا البيت بين البوص والنوص فهو بالنون التأخر وبالباء التقدم.

الخامس: أن النوص بالنون التقدم، والبوص بالباء التأخر، وهو من الأضداد، وكانوا إذا أحسوا في الحرب بفشل قال بعضهم لبعض: مناص: أي حملة واحدة، فينجو فيها من نجا ويهلك فيها من هلك، حكاه الكلبي. فصار تأويله على هذا الوجه ما قاله السدي أنهم حين عاينوا الموت لم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة.

وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

قوله عزوجل: ﴿**أجعل الآلهة إلَهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**﴾ أمرهم أن يقولوا لا إلَه إلا الله فقالوا أيسع لحاجاتنا جميعاً إلَه واحد إن هذا لشيء عجاب بمعنى عجيب كما يقال رجل طوال وطويل، وكان الخليل يفرق بينهما في المعنى فيقول العجيب هو الذي قد يكون مثله والعجاب هو الذي لا يكون مثله، وكذلك الطويل والطوال.

قوله عزوجل: ﴿**وانطلق الملأ منهم**﴾ والانطلاق الذهاب بسهولة ومنه طلاقة الوجه وفي الملأ منهم قولان:

أحدهما: أنه عقبة بن أبي معيط، قاله مجاهد.

الثاني: أنه أبو جهل بن هشام أتى أبا طالب في مرضه شاكياً من رسول الله ﷺ ثم انطلق من عنده حين يئس من كفه، قاله ابن عباس.

﴿**أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اتركوه واعبدوا آلهتكم.

الثاني: امضوا على أمركم في المعاندة واصبروا على آلهتكم في العبادة[٩٠]، والعرب تقول: امش على هذا الأمر، أي امض عليه والزمه.

﴿إن هذا لشيء يراد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أسلم وقوي به الإسلام شق على قريش فقالوا إن إسلام عمر فيه قوة للإسلام وشيء يراد، قاله مقاتل.

الثاني: أن خلاف محمد لنا ومفارقته لديننا إنما يريد به الرياسة علينا والتملك لنا.

قوله عزوجل: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾[٩١] فيه أربعة أقاويل:

أحدها: في النصرانية لأنها كانت آخر الملل، قاله ابن عباس وقتادة والسدي.

الثاني: فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، قاله الحكم.

الثالث: في ملة قريش، قاله مجاهد.

الرابع: معناه أننا ما سمعنا أنه يخرج ذلك في زماننا، قاله الحسن.

﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ أي كذب اختلقه محمد ﷺ.

قوله عزوجل: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ قال السدي مفاتيح النبوة فيعطونها من شاؤوا ويمنعونها من شاءُوا.

قوله عزوجل: ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: في السماء، قاله ابن عباس.

الثاني: في الفضل والدين، قاله السدي.

الثالث: في طرق السماء وأبوابها، قاله مجاهد.

الرابع: معناه فليعلوا في أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة، وهو معنى قول أبي عبيدة.

---

(٩٠) أرأيت أيها القاريء الكريم كيف يوحي الكافرون بعضهم لبعض بالصبر على الباطل والمعتقد الفاسد أفلا يكون المسلم أولى بذلك وهو صاحب العقيدة الصحيحة والإيمان الراسخ وصدق ربنا ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

(٩١) وهذه حجة لكل مقلد على الباطل ولهذا يسميها الشيخ ابن عبد الوهاب رحمه الله حجة قرشية.

قوله عزوجل: ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ قال سعيد بن جبير: هم مشركوا مكة و ﴿ما﴾ صلة للتأكيد، تقول: جئتك لأمر ما. قال الأعشى[٩٢]:

فاذهبي ما إليك ادركني الحلم عداني عن هيجكم أشغالي

ومعنى قوله جند أي أتباع مقلّدون ليس فيهم عالم مرشد.

﴿مهزوم من الأحزاب﴾ يعني مشركي قريش أنهم أحزاب إبليس وأتباعه وقيل لأنهم تحازبوا على الجحود لله ولرسوله ﷺ. قال قتادة: فبشره بهزيمتهم وهو بمكة فكان تأويلها يوم بدر.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ ذكر الله عز وجل القوم بلفظ التأنيث، واختلف أهل العربية في تأنيثه على قولين:

أحدهما: أنه قد يجوز فيه التأنيث والتذكير.

الثاني: أنه مذكر اللفظ لا يجوز تأنيثه إلا أن يقع المعنى على العشيرة فيغلب في اللفظ حكم المعنى المضمر تنبيهاً عليه كقوله تعالى ﴿كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره﴾ ولم يقل ذكرها لأنه لما كان المضمر فيه مذكوراً ذكره وإن كان اللفظ مقتضياً للتأنيث.

﴿وعادٌ﴾ وهم قوم هود كانوا بالأحقاف من أرض اليمن، قال ابن اسحاق: كانوا أصحاب أصنام يعبدونها، وكانت ثلاثة يقال لأحدها هدر وللآخر صمور وللآخر الهنا، فأمرهم هود أن يوحدوا الله سبحانه ولا يجعلوا معه إلٰهاً غيره ويكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم إلا بذلك.

(٩٢) ديوانه: ١٣٩ وفيه: عن ذكركم اشغالي.

﴿وفرعون ذُو الأوتاد﴾ وفي تسميته بذي الأوتاد أربعة أقاويل:

أحدها: أنه كان كثير البنيان، والبنيان يسمى أوتاداً، قاله الضحاك.

الثاني: أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب عليها، قاله ابن عباس وقتادة.

الثالث: لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد، قاله السدي.

والرابع: أنه يريد ثابت الملك شديد القوة كثبوت ما يشد بالأوتاد كما قال الأسود بن يعفر[٩٣]:

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الأوتاد

﴿وثمود﴾ وهم عرب وحكى مقاتل أن عاداً وثمود أبناء عم، وكانت منازل ثمود بالحجر بين الحجاز والشام منها وادي القرى، بعث الله إليهم صالحاً، واختلف في إيمانهم به، فذكر ابن عباس أنهم آمنوا ثم مات فرجعوا بعده عن الإيمان فأحياه الله تعالى وبعثه إليهم وأعلمهم أنه صالح فكذبوه وقالوا قد مات صالح فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فأتاهم الله الناقة، فكفروا وعقروها، فأهلكهم الله.

وقال ابن إسحاق: إن الله بعث صالحاً شاباً فدعاهم حتى صار شيخاً، فعقروا الناقة ولم يؤمنوا حتى هلكوا.

﴿وقوم لوط﴾ لم يؤمنوا حتى أهلكهم الله تعالى. قال مجاهد: وكانوا أربعمائة ألف بيت في كل بيت عشرة. وقال عطاء ما من أحد من الأنبياء إلا يقوم معه يوم القيامة قوم من أمته إلا آل لوط فإنه يقوم القيامة وحده.

﴿وأصحاب الأيكة﴾ بعث الله إليهم شعيباً. وفي ﴿الأيكة﴾ قولان:

أحدهما: أنها الغيضة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الملتف من النبع والسدر قاله ابو عمرو بن العلاء. قال قتادة: بعث شعيب إلى أمتين من الناس إلى أصحاب الأيكة وإلى مدين، وعذبتا بعذابين.

﴿أولئك الأحزاب﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أحزاب على الأنبياء بالعداوة.

الثاني: أحزاب الشياطين بالموالاة.

---

(٩٣) غريب القرآن (٣٧٧) البحر المحيط (٣٨٦/٧) القرطبي (١٥٥/١٥) المفضليات (١١) زاد المسير (١٠٦/٧).

قوله عزوجل: ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ يعني كفار هذه الأمة.

﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني النفخة الأولى.

﴿ما لها من فواق﴾ قرأ حمزة والكسائي بضم الفاء، والباقون بفتحها[٩٤]، واختلف في الضم والفتح على قولين:

أحدهما: أنه بالفتح من الإفاضة وبالضم فُواق الناقة وهو قدر ما بين الحلبتين تقديراً للمدة.

الثاني: معناهما واحد، وفي تأويله سبعة أقاويل:

أحدها: معناه ما لها من ترداد، قاله ابن عباس.

الثاني: ما لها من حبس، قاله حمزة بن إسماعيل.

الثالث: من رجوع إلى الدنيا، قاله الحسن وقتادة.

الرابع: من رحمة. وروي عن ابن عباس أيضاً.

الخامس: ما لها من راحة، حكاه أبان بن تغلب.

السادس: ما لها من تأخير لسرعتها قاله الكلبي، ومنه قول أبي ذؤيب:

إذا ماتت عن الدنيا حياتي   فيا ليت القيامة عن فواق

السابع: ما لهم بعدها من إقامة، وهو بمعنى قول السدي.

قوله عزوجل: ﴿وقالوا ربنا عَجِّل لنا قِطنا...﴾ الآية. فيه خمسة تأويلات:

أحدها: معنى ذلك عجل لنا حظنا من الجنة التي وعدتنا، قاله ابن جبير.

الثاني: عجل لنا نصيبنا من العذاب الذي وعدتنا استهزاء منهم بذلك، قاله ابن عباس.

الثالث: عجل لنا رزقنا، قاله إسماعيل بن أبي خالد.

الرابع: أرنا منازلنا، قاله السدي.

الخامس: عجل لنا في الدنيا كتابنا في الآخرة وهو قوله ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه... وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ استهزاء منهم بذلك. وأصل القط القطع، ومنه قط القلم وقولهم ما رأيته قط أي قطع الدهر بيني وبينه وأطلق على النصيب

(٩٤) زاد المسير (١٠٧/٧) والحجة في القراءات ٦١٣.

والكتاب والرزق لقطعه عن غيره إلا أنه في الكتاب أكثر استعمالاً وأقوى حقيقة، قال أمية بن أبي الصلت[٩٥]:

قوم لهم ساحة العراق وما يجبى إليه والقط والقلح

وفيه لمن قال بهذا قولان:

أحدهما: أنه ينطلق على كل كتاب يتوثق به.

الثاني: أنه مختص بالكتاب الذي فيه عطية وصلة، قاله ابن بحر.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**اصبر على ما يقولون**﴾ يعني كما صبر أولوا العزم من الرسل لا كمن لم يصبر مثل يونس.

﴿**واذكر عبدنا داود**﴾ أي فإنا نحسن إليك كما أحسنا إلى داود قبلك بالصبر.

﴿**ذا الأيد**﴾ فيه قولان:

أحدهما: ذا النعم التي أنعم الله بها عليه لأنها جمع يد حذفت منه الياء، واليد النعمة.

الثاني: ذا القوة، قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد، ومنه ﴿**والسماء بنيناها بأيد**﴾ أي بقوة.

وفيما نسب داود إليه من القوة قولان:

أحدهما: القوة في طاعة الله والنصر في الحرب، قاله مجاهد.

الثاني: ذا القوة في العبادة والفقه في الدين[٩٦] قاله قتادة. وذكر أنه كان يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر.

---

(٩٥) اللسان والبيت فيه: قوم لهم ساحة العراق جميعاً والقط والقلم.

(٩٦) ولا مانع من القول بالقولين فهو عليه الصلاة والسلام كان صاحب قوة في البدن والعبادة والثقة في الدين.

﴿إنه أواب﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه التواب، قاله مجاهد وابن زيد.

الثاني: أنه الذي يؤوب إلى الطاعة ويرجع إليها، حكاه ابن زياد.

الثالث: أنه المسبح، قاله الكلبي.

الرابع: أنه الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها، قاله المنصور.

قوله عز وجل: **﴿وشَدَدنا ملكه﴾** فيه وجهان:

أحدهما: بالتأييد والنصر.

الثاني: بالجنود والهيبة. قال قتادة: باثنين وثلاثين ألف حرس.

﴿وآتيناه الحكمة﴾ فيها خمسة تأويلات:

أحدها: النبوة، قاله السدي.

الثاني: السنّة، قاله قتادة.

الثالث: العدل، قاله ابن نجيح.

الرابع: العلم والفهم، قاله شريح.

الخامس: الفضل والفطنة.

﴿وفصل الخطاب﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: على القضاء والعدل فيه، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: تكليف المدعي البينة والمدعَى عليه اليمين، قاله شريح وقتادة.

الثالث: قوله أما بعد، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري والشعبي.

الرابع: أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود.

الخامس: أنه الفصل بين الكلام الأول والكلام الثاني.

۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وهل أتاك نبأ الخَصْم﴾ والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة لأن أصله المصدر.

﴿إذ تسوروا المحراب﴾ ومعنى تسوروا أنهم أتوه من أعلى سورة وفي المحراب أربعة أقاويل:

أحدها: أنه صدر المجلس، ومنه محراب المسجد، قاله أبو عبيدة.

الثاني: مجلس الأشراف الذي يتحارب عليه لشرف صاحبه، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أنه المسجد، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: أنه الغرفة لأنهم تسوروا عليه فيها.

﴿إذ دخلوا على داود ففزع منهم﴾ وسبب ذلك ما حكاه ابن عيسى(*): إن داود حدث نفسه إن ابتلي أن يعتصم، فقيل له إنك ستبتلي وتعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك، فأخذ الزبور ودخل المحراب ومنع من الدخول عليه، فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر كأحسن ما يكون من الطير فجعل يدرج بين يديه، فهمّ أن يستدرجه بيده فاستدرج حتى وقع في كوة المحراب فدنا منه ليأخذه فانتفض فاطلع لينظره فأشرف على امرأة تغتسل فلما رأته غطت جسدها(٩٧) بشعرها، قال السدي فوقعت

(*) وفي تفسير القرطبي ابن عباس ولعله الأصح.

(٩٧) وهذه القصة باطلة ولا تصح فهي من الإسرائيليات التي اختلقها اليهود ونسبوها زوراً وبهتاناً إلى نبي الله داود وليست هذه بأول اكاذيبهم فتاريخهم معروف فقد سبوا رب الأرباب وحرفوا الكتاب وسفكوا الدماء وقتلوا الأبرياء والتفسير الصحيح للأب على ظاهرها وقد صرح كثير من أهل العلم بطلان هذه القصة المزعومة كابن كثير والقرطبي والقاضي عياض وابن الجوزي وابن حزم وأبي حيان التوحيدي والفخر الرازي والخازن والألوسي وغيرهم ومحل بسط وتفنيد هذه القصة في رسالة جمعناها فذلك وقد أشرنا إليها في سورة النمل.

في قلبه، قال ابن عباس وكان زوجها غازياً في سبيل الله، قال مقاتل وهو أوريا بن حنان، فكتب داود إلى أمير الغزاة أن يجعل زوجها في حملة التابوت، وكان حملة التابوت إما أن يفتح الله عليهم أو يقتلوا، فقدمه فيهم فقتل، فلما انقضت عدتها خطبها داود فاشترطت عليه ان ولدت غلاماً أن يكون الخليفة بعده، وكتبت عليه بذلك كتاباً وأشهدت عليه خمسين رجلاً من بني إسرائيل فلم يشعر بفتنتها حتى ولدت سليمان وشب وتسور عليه الملكان وكان من شأنهما ما قَصَّه الله في كتابه.

وفي فزعه منهما قولان:

أحدهما: لأنهم تسوروا عليه من غير باب.

الثاني: لأنهم أتوه في غير وقت جلوسه للنظر.

﴿قالوا لا تخف خصمان بَغَى بعضنا على بعض﴾ وكانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا باغيين، ولا يأتي منهما كذب، وتقدير كلامهما: ما تقول إن أتاك خصمان وقالا بغى بعضنا على بعض.

وثنى بعضهم هنا وجمعه في الأول حيث قال: **﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾** لأن جملتهم جمعت، وهم فريقان كل واحد منهما خصم.

﴿فاحكم بيننا بالحق﴾ أي بالعدل.

﴿ولا تشطط﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تملْ، قاله قتادة.

الثاني: لا تَجُر، قاله السدي.

الثالث: لا تسرف، قاله الأخفش.

وفي أصل الشطط قولان:

أحدهما: أن أصله البعد من قولهم شطط الدار إذابعدت، قال الشاعر[٩٨]:

تشطط غداً دار جيراننا ... والدار بعد غد أبعد

الثاني: الإفراط. قال الشاعر[٩٩]:

ألا يالقومي قد اشطّت عواذلي ... وزعمن أن أودى بحقّي باطلي

---

(٩٨) اللسان (شطط) ولم ينسبه وفيه وللدار. . . والطبري (١٤٢/٢٣).

(٩٩) هو الأحوص والبيت في اللسان (شطط) والطبري (١٤٢/٢٣).

﴿واهدِنا إلى سواءِ الصراط﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أرشدنا إلى قصد الحق، قاله يحيى.

الثاني: إلى عدل القضاء، قاله السدي.

﴿إن هذا أخي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني على ديني، قاله ابن مسعود.

الثاني: يعني صاحبي، قاله السدي.

﴿له تسع وتسعونَ نعجةً وليَ نعجةٌ واحدةٌ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه أراد تسعاً وتسعين امرأة، فكنى عنهن، بالنعاج، قاله ابن عيسى. قال قطرب: النعجة هي المرأة(١٠٠) الجميلة اللينة.

الثاني: أنه أراد النعاج ليضربها مثلاً لداود، قاله الحسن.

﴿فقال أكفلنيها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ضمها إليَّ، قاله يحيى.

الثاني: أعطنيها، قاله الحسن.

الثالث: تحوّل لي عنها، قاله ابن عباس وابن مسعود.

﴿وعزّني في الخطاب﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أي قهرني في الخصومة، قاله قتادة.

الثاني: غلبني على حقي، من قولهم من عزيز أي من غلب سلب، قاله ابن عيسى.

الثالث: معناه إن تكلم كان أبين، وإن بطش كان أشد مني، وإن دعا كان أكثر مني، قاله الضحاك.

قوله عزوجل: ﴿قال لقد ظَلَمَكَ بسؤال نعجتِك إلى نِعاجه﴾ فإن قيل فكيف يحكم لأحد الخصمين على الآخر بدعواه؟ ففيه جوابان:

أحدهما: أن الآخر قد كان أقر بذلك فحكم عليه داود عليه السلام بإقراره، فحذف اكتفاء بفهم السامع، قاله السدي.

---

(١٠٠) والأولى والصحيح تفسير الآية على ظاهرها فالمراد بالنعاج على هذا إناث الضأن وما الضير في حمل الآيات على ذلك لا سيما ولم يرد ما يدل على صرف اللفظ إلى الكناية.

الثاني: إن كان الأمر كما تقول لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه.

﴿وإنَّ كثيراً من الخُلَطاءِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الأصحاب.

الثاني: الشركاء.

﴿لَيَبْغِي بعضهم على بعض﴾ أي يتعدى.

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ تقديره فلا يبغي بعضهم على بعض، فحذف اكتفاء بفهم السامع.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وقليل ما فيه من يبغي بعضهم على بعض، قاله ابن عباس.

الثاني: وقليل من لا يبغي بعضهم على بعض ، قاله قتادة.

وفي ﴿ما﴾ التي في قوله ﴿وقليل ما هم﴾ وجهان:

أحدهما: أنها فضلة زائدة تقديره: وقليل هم.

الثاني: أنها بمعنى الذي: تقديره: وقليل الذين هم كذلك.

﴿وظن داود أنما فتناه﴾ قال قتادة أي علم داود أنما فتناه وفيه ثلاثة أوجه.

أحدها: اختبرناه، قاله ابن عباس.

الثاني: ابتليناه، قاله السدي.

الثالث: شددنا عليه في التعبد، قاله ابن عيسى.

﴿فاستغفر ربَّه﴾ من ذنبه. قال قتادة: قضى نبي الله على نفسه ولم يفطن لذلك، فلما تبين له الذنب استغفر ربه.

واختلف في الذنب على أربعة أقاويل:

أحدها: أنه سمع من أحد الخصمين وحكم له قبل سماعه من الآخر[١٠١].

---

(١٠١) وهذا القول ليس بشيء فأقل الناس معرفة بطرق الحكم بين الناس يعلم أن الحاكم لا بد أن يسمع الطرفين فما بالك بالنبي داود الذي أعطاه الله الحكم وفصل الخطاب وقد حاول البعض تأويل ذلك بأن نبي الله داود حكم أحد الخصمين باعترافه دون سماع من الطرف الآخر. ولكن هذا التأويل يحتاج إلى نقل صحيح ولا يوجد.

الثاني: هو أن وقعت عينه على امرأة أوريا بن حنان[١٠٢] واسمها اليشع وهي تغتسل فأشبع نظره منها حتى علقت بقلبه.

الثالث: هو ما نواه إن قتل زوجها تزوج بها[١٠٣] وأحسن الخلافة عليها، قاله الحسن[١٠٤]. وحكى السدي عن علي كرم الله[١٠٥] وجهه قال: لو سمعت رجلاً يذكر أن داود قارف من تلك المرأة محرَّماً لجلدته ستين ومائة لأن حد الناس ثمانون وحد الأنبياء ستون ومائة، حَدّان.

﴿وخَرّ راكعاً وأناب﴾ أي خرّ ساجداً وقد يعبر عن السجود بالركوع، قال الشاعر:

فخر على وجهه راكعاً وتاب إلى الله من كل ذنب

قال مجاهد: مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت[١٠٦] المرعى من دموع عينه فغطى رأسه إلى أن قال الله تعالى:

﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ أي مرجع.

في الزلفي وجهان:

أحدهما: الكرامة، وهو المشهور.

الثاني: الرحمة قاله الضحاك. فرفع رأسه وقد قرح جبينه.

واختلف في هذه السجدة على قولين:

---

(١٠٢) وهذا القول باطل لأنه يعتمد على الحديث الباطل الإسرائيلي وقد تقدم الإشارة إلى إبطاله.

(١٠٣) وهذا باطل أيضاً لأنه ما كان نبي الله داود أن يحتال على قتل مسلم بريء بغير ذنب أو يكن في صدره قتل أحد ليأخذ امرأته . . . ولو فعل ذلك آحاد الناس لكان قبيحاً وشنيعاً فما بالك بنبي الله داود.

(١٠٤) ولاحظ أن المؤلف لم يذكر القول الرابع ولعل أحسن ما قيل في ذلك عندي هو أن نبي الله داود فزع في محرابه وهذا لا يليق بحضرة الرب تبارك وتعالى لذلك عاتبه الله عز وجل وقد بسط ذلك الشيخ الغماري في رسالته قصة داود.

(١٠٥) وهذا الاثر لم يصح عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ففي الطريق السدي وقد نبه على عدم صحته الزين العراقي كما نقله الالوسي في روح المعاني (٢٣/ ١٨٥) وليس معنى ذلك أنه يجوز للشخص أن يقول هذه القصة بل إن من ردد هذه القصة دون إبطال لها وتحذير الناس منها فقد أعظم على نبي الله داود الفرية وشارك اليهود في صنيعهم ويخشى عليه من الانسلاخ من الدين والعياذ بالله.

(١٠٦) وهذا القول فيه من المبالغات ما فيه وهو من الإسرائيليات ولم يصح عن المعصوم في ذلك شيء راجع تعليق الشيخ الأرناؤوط على كتاب التوابين فصل في توبة داود عليه السلام ص.

أحدهما: أنها سجدة عزيمة تسجد عند تلاوتها في الصلاة وغير الصلاة، قاله أبو حنيفة.

الثاني: أنها سجدة شكر لا يسجد عند تلاوتها لا في الصلاة، ولا في غير الصلاة وهو قول الشافعي.

قال وهب بن منبه: فمكث داود[١٠٧] حيناً لا يشرب ماء إلا مزجه بدموعه، ولا يأكل طعاماً إلا بلّه بدموعه، ولا ينام على فراش إلا غرقه بدموعه. وحكي عن داود أنه كان يدعو على الخطائين فلما أصاب الخطيئة كان لا يمر بواد إلا قال: اللهم اغفر للخاطئين لعلك تغفر لي معهم.

يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

قوله عزوجل: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خليفة لله تعالى[١٠٨] وتكون الخلافة هي النبوة.

الثاني: خليفة لمن تقدمك لأن الباقي خليفة الماضي وتكون الخلافة هي الملك.

﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالعدل.

الثاني: بالحق الذي لزمك لنا.

﴿ولا تتبع الهوى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن تميل مع من تهواه فتجوز.

الثاني: أن تحكم بما تهواه فتزلّ.

---

(١٠٧) وهذا القول كسابقه.

(١٠٨) ولا يجوز إطلاق ذلك فلا يقال فلان خليفة الله فإن لله تعالى حاضر لا يغيب وقد نبه على ذلك المؤلف في سورة فاطر وعلى هذا فالقول الثاني الذي ذكره المؤلف هنا هو الصواب.

﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن دين الله.

الثاني: عن طاعة الله.

﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نَسُوا يوم الحساب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما تركوا العمل ليوم الحساب، قاله السدي.

الثاني: بما أعرضوا عن يوم الحساب، قاله الحسن.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

قوله عزوجل: **﴿إذ عُرِض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾** الخيل وفيه وجهان:

أحدهما: أن صفونها قيامها ومنه ما روي عن النبي ﷺ(١٠٩) أنه قال **«من سره أن يقوم الرجال له صفوفاً فليتبوأ مقعده من النار»** أي يديمون له القيام حكاه، قطرب وأنشد قول النابغة(١١٠):

لنا قبة مضروبة بفنائها ... عتاق المهاري والجياد الصوافن

---

(١٠٩) رواه أبو داود (٥٢٢٩) والترمذي (٢٧٥٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/٤٠) والبخاري في الأدب (٩٧٧) والدولابي في الكنى (١/٩٥) وأحمد (٤/٩٣، ١٠٠) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/٢١٩) من حديث معاوية رضي الله عنه وحسنه الترمذي وصححه الألباني في السلسلة رقم ٣٥٧ وأما اللفظ الذي ذكره المؤلف ـ فلم أعثر عليه هكذا ولكن اللفظ في المصادر السابقة « من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار».

(١١٠) فتح القدير (٤/٤٣١) روح المعاني (٢٣/١٩٠).

الثاني: أن صفونها رفع احدى اليدين على طرف الحافر حتى تقوم على ثلاث كما قال الشاعر[١١١]:

ألف الصفون فما يزل كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

وفي ﴿الجياد﴾ وجهان:

أحدهما: أنها الطوال العناق مأخوذ من الجيد وهو العنق لأن طول أعناق الخيل من صفات فراهتها.

الثاني: أنها السريع، قاله مجاهد واحدها جواد سمي بذلك لأنه يجود بالركض.

قوله عزوجل: ﴿فَقَالَ إني أحببت حُبَّ الخَيْرِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني حب المال، قاله ابن جبير والضحاك.

الثاني: حب الخيل قاله قتادة والسدي. ومنه قول النبي ﷺ[١١٢] «**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة**» وفي قراءة ابن مسعود: حب الخيل.

الثالث: حب الدنيا، قاله أسباط.

وفي ﴿أحببت حب الخير﴾ وجهان:

أحدهما: أن فيه تقديماً وتأخيراً تقديره: أحببت الخير حباً فقدم، فقال: أحببت حب الخير ثم أضاف فقال أحببت حب الخير، قاله بعض النحويين.

الثاني: أن الكلام على الولاء في نظمه من غير تقديم ولا تأخير، وتأويله: آثرت حب الخير.

﴿عَن ذِكر ربي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن صلاة العصر، قاله علي رضي الله عنه.

الثاني: عن ذكر الله تعالى، قاله ابن عباس.

---

(١١١) اللسان (صفن)، روح المعاني (١٧٢/٢٣) والقرطبي (١٩٣/١٥). البحر المحيط(٣٨٨/٧) فتح القدير (٤٣١/٤).

(١١٢) رواه البخاري (٤٠/٦) ومسلم(١٨٧١) والنسائي (٢٢١/٦، و٢٢٢) ومالك (٤٦٧/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنها.

وروى الحارث عن علي كرم الله وجهه[١١٣] قال سئل رسول الله ﷺ عن الصلاة الوسطى فقال: هي صلاة العصر التي فرط فيها نبي الله سليمان عليه السلام.

﴿حتى توارت بالحجاب﴾ فيه قولان:

أحدهما: حتى توارت الشمس بالحجاب، والحجاب جبل أخضر محيط بالخلائق، قاله قتادة وكعب.

الثاني: توارت الخيل بالحجاب أي شغلت بذكر ربها إلى تلك الحال، حكاه ابن عيسى.

والحجاب الليل يسمى حجاباً لأنه يستر ما فيه.

قوله عزوجل: ﴿رُدُّوها عليَّ﴾ يعني الخيل لأنها عرضت عليه فكانت تجري بين يديه فلا يستبين منها شيء لسرعتها وهو يقول اللهم أغضّ بصري، حتى غابت بالحجاب ثم قال ردوها عليّ.

﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه من شدة حبه لها مسح عراقيبها وأعناقها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه لما رآها قد شغلته عن الصلاة ضرب عراقيبها وأعناقها، قاله الحسن وقتادة.

ولم يكن ما اشتغل عنه من الصلاة[١١٤] فرضاً بل كان نفلاً لأن ترك الفرض

---

(١١٣) وهذه الرواية ضعيفة لأنها من طريق الحارث الأعور وهو ضعيف وقد رواها الطبري (٢٣/ ١٥٥) وابن المنذر كما في الدر (٧/ ١٧٧) وقد مرت أحاديث صحيحة في تعيين الصلاة الوسطى وهي العصر.

وقد أوردنا في سورة البقرة بعضها. قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٣٣) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر ثم قال... والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب قال وذلك ثابت في الصحيحة من غير وجه قال ومن ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ والله ما صليتها فقال فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب.

(١١٤) كيف يتناسب هذا مع ما ذكره المؤلف من أن الصلاة التي شغل عنها نبي الله سليمان هي العصر.

عمداً فسق، وفعل ذلك تأديباً لنفسه. والخيل مأكولة اللحم فلم يكن ذلك منه إتلافاً يأثم به(١١٥).

قال الكلبي: كانت ألف فرس فعرقب تسعمائة وبقي منها مائة، فما في أيدي الناس من الخيل العتاق من نسل تلك المائة.

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد فتنا سُليمان﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني ابتليناه قاله السدي.

الثاني: عاقبناه، حكاه النقاش.

وفي فتنته التي عوقب بها ستة أقاويل:

أحدها: أنه كان قارب بعض نسائه في بعض الشيء من حيض أو غيره(١١٦) قاله الحسن.

الثاني: ما حكاه ابن عباس قال كانت لسليمان امرأة تسمى جرادة وكان بين أهلها وبين قوم خصومة فاختصموا إلى سليمان ففصل بينهم بالحق ولكنه ود أن الحق

---

(١١٥) قال الإمام البغوي في تفسيره (٤/٦١) قوله ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف قال وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل وأكثر المفسرين. قال وكان ذلك مباحاً له لأنه نبي الله لم يكن يقدم على محرم ولم يكن يتوب من ذنب بذنب آخر وقال الحافظ ابن كثير (٤/٣٥) وقد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضباً لله تعالى بسبب أنه اشتغل له حتى خرج وقت الصلاة.

ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر قال فهذا أسرع وخير من الخيل.

(١١٦) وهذا الذي ذكره الحسن مستبعد فكيف يقع ذلك من نبي آتاه الله الحكم والنبوة.

كان لأهلها فقيل له إنه سيصيبك بلاء فجعل لا يدري أمن الأرض يأتيه البلاء أم من السماء[١١٧].

الثالث: ما حكاه سعيد بن المسيب أن سليمان[١١٨] احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد ولم ينصف مظلوماً من ظالم فأوحى الله تعالى إليه إني لم أستخلفك لتحتجب عن عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم.

الرابع: ما حكاه شهر بن حوشب[١١٩] أن سليمان سبى بنت ملك غزان في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، فألقيت عليه محبتها وهي معرضة عنه تذكر أمر أبيها لا تنظر إليه إلا شزراً ولا تكلمه إلا نزراً، ثم إنها سألته أن يضع لها تمثالاً على صورته فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجد جواريها معها، وصار صنماً معبوداً في داره وهو لا يعلم به حتى مضت أربعون يوماً وفشا خبره في بني إسرائيل وعلم به سليمان فكسره وحرقه ثم ذراه في الريح.

الخامس: ما حكاه مجاهد[١٢٠] أن سليمان قال لآصف الشيطان كيف تضلون الناس؟ فقال له الشيطان أعطني خاتمك حتى أخبرك، فأعطاه خاتمه فألقاه في البحر حتى ذهب ملكه.

---

(١١٧) وهذا الذي حكاه المؤلف عن ابن عباس رواه النسائي في التفسير عنه بسند قوي كما قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص ١٤٣ ولكن الحافظ ابن كثير قال بعدما سرده من رواية ابن أبي حاتم قال الحافظ (٤/ ٣٥) وإسناده إلى ابن عباس قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب قال وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ثم قال ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبيه عليه السلام ا هـ.

(١١٨) ولم يصح هذا عن سعيد رحمه الله فقد رواه عبد بن حميد والحكيم الترمذي كما في الدر (٧/ ١٨٤) من طريق علي بن زيد وهو ضعيف.

قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٣٦) وقد رويت هذه القصة المطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين قال وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

(١١٩) وما حكاه شهر هنا لا يخرج عن سابقه فهو من الإسرائيليات.

(١٢٠) وهذا كسابقه.

السادس: ما حكاه أبان عن أنس أن سليمان قال ذات ليلة: والله لأطوفن على نسائي في هذه الليلة وهن ألف امرأة كلهن تشتمل بغلام، كلهم يقاتل في سبيل الله، ولم يستثن. قال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول[١٢١]: «**والذي نفس محمد بيده لو استثنى لكان ما قال**» فما حملت له تلك الليلة إلا امرأة واحدة فولدت له شق إنسان.

﴿**وألقينا على كُرْسيِّه جسداً**﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه وجعلنا في ملكه جسداً، والكرسي هو الملك.

الثاني: وألقينا على سرير ملكه جسداً.

وفي هذا الجسد أربعة أقاويل:

أحدها: أنه جسد سليمان[١٢٢] مرض فكان جسده ملقى على كرسيه، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه ولد له ولد فخاف[١٢٣] عليه فأودعه في السحاب يغذى في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشهر وفي الشهر كالسنة، فلم يشعر إلا وقد وقع على كرسيه ميتاً، قاله الشعبي.

الثالث: أنه أكثر[١٢٤] من وطء جواريه طلباً للولد، فولد له نصف إنسان، فهو كان الجسد الملقى على كرسيه، حكاه النقاش.

الرابع: أن الله كان[١٢٥] قد جعل ملك سليمان في خاتمه فكان إذا أجنب أو ذهب للغائط خلعه من يده ودفعه إلى أوثق نسائه حتى يعود فيأخذه، فدفعه مرة إلى بعض نسائه وذهب لحاجته فجاء شيطان فتصور لها في صورة سليمان فطلب الخاتم منها فأعطته إياه، وجاء سليمان بعده فطلبه، فقالت قد أخذته فأحس سليمان.

واختلف في اسم امرأته هذه على قولين:

---

(١٢١) ولم يصح هذا عن أنس لأنه من رواية أبان بن ابي عياش عن أنس وأبان متروك. وما في الصحيح أصح فقد رواه البخاري (٦/ ٣٣٠) ومسلم (١٦٥٤) والنسائي (٧/ ٢٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(١٢٢) ولعل هذا الوجه أقرب إلى الصواب والله أعلم.

(١٢٣) وهذا لم يصح راجع روح المعاني (٢٣/ ١٩٨).

(١٢٤) هذا القول مأخوذ من الحديث الصحيح ولعله أقرب كما سبق.

(١٢٥) وهذا الأثر تفوح منه رائحة الإسرائيليات.

أحدهما: جرادة، قاله ابن عباس وابن جبير.

الثاني: الأمينة، قاله شهربن حوشب.

وقال سعيد بن المسيب: كان سليمان قد وضع خاتمه تحت فراشه فأخذه الشيطان من تحته. وقال مجاهد: بل أخذه الشيطان من يده لأن سليمان سأل الشيطان كيف تضل الناس؟ فقال الشيطان: أعطني خاتمك حتى أخبرك فأعطاه خاتمه، فلما أخذ الشيطان الخاتم جلس على كرسي سليمان متشبهاً بصورته داخلاً على نسائه، يقضي بغير الحق ويأمر بغير الصواب. واختلف في إصابته النساء، فحكي عن ابن عباس: أنه كان يأتيهن في حيضهن[١٢٦]. وقال مجاهد: منع من إتيانهن، وزال عن سليمان ملكه فخرج هارباً إلى ساحل البحر يتضيف الناس ويحمل سموك الصيادين بالأجرة، وإذا أخبر الناس أنه سليمان أكذبوه، فجلس الشيطان على سريره، وهو معنى قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسداً.

واختلف في اسم هذا الشيطان على أربعة أقاويل:

أحدها: أن اسمه صخر، قاله ابن عباس.

الثاني: آصف، قاله مجاهد.

الثالث: حقيق، قاله السدي.

الرابع: سيد، قاله قتادة.

ثم إن سليمان بعد أن استنكر بنو[١٢٧] إسرائيل حكم الشيطان أخذ حوته من صياد قيل إنه استطعمها، وقال ابن عباس أخذها أجراً في حمل حوت حمله، فلما شق بطنه وجد خاتمه فيها، وذلك بعد أربعين يوماً من زوال ملكه عنه، وهي عدة الأيام التي عُبد الصنم في داره. قاله مقاتل وملك أربعين سنة، عشرين سنة قبل الفتنة وعشرين بعدها. وكانت الأربعون يوماً التي خرج فيها عن ملكه ذا القعدة وعشراً من ذي الحجة، فسجد الناس له حين عاد الخاتم إليه وصار إلى ملكه.

---

(١٢٦) تقدم تخريج الحديث في ذلك وأن ابن عباس إنما تلقاه من أهل الكتاب كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير.

(١٢٧) وهذا والذي بعده كله من الإسرائيليات كما تقدم.

وحكى يحيى بن أبي عمرو الشيباني أن سليمان[١٢٨] وجد خاتمه بعسقلان فمشى منها إلى بيت المقدس تواضعاً لله.

قال ابن عباس: ثم إن سليمان ظفر بالشيطان فجعله في تخت من رخام وشده بالنحاس وألقاه في البحر[١٢٩]، فهذا تفسير قوله تعالى **﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾**.

﴿ثم أناب﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ثم رجع إلى ملكه، قاله الضحاك.

الثاني: ثم أناب من ذنبه، قاله قتادة.

الثالث: ثم برأ من مرضه، قاله ابن بحر.

قوله عزوجل: **﴿قال ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾** فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ليكون ذلك معجزاً له يعلم به الرضا ويستدل به على قبول التوبة.

الثاني: ليقوى به على من عصاه من الجن، فسخرت له الريح حينئذٍ.

الثالث: لا ينبغي لأحد من بعدي في حياتي أن ينزعه مني كالجسد الذي جلس على كرسيه، قاله الحسن.

﴿إنك أنت الوهاب﴾ أي المعطي، قال مقاتل: سأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده بعد الفتنة فزاده الله تعالى الريح والشياطين بعدما ابتلى، وقال الكلبي حكم سليمان في الحرث وهو ابن إحدى عشرة سنة، وملك وهو ابن اثنتي عشرة سنة.

قوله عزوجل: **﴿فسخرنا له الريح﴾** أي ذللناها لطاعته.

﴿تجري بأمره﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تحمل ما يأمرها.

الثاني: تجري إلى حيث يأمرها.

---

(١٢٨) قال الالوسي رحمه الله (٢٣/ ١٩٩) عن القصة «ومن أقبح ما ورد فيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئهن وهن حيّض الله أكبر هذا بهتان عظيم».

(١٢٩) راجع روح المعاني (٢٣/١٩٨ ـ ٢٠٠) فقد فنّد هذه الروايات.

﴿رخاء﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: طيبة، قاله مجاهد.

الثاني: سريعة، قاله قتادة.

الثالث: مطيعة، قاله الضحاك.

الرابع: لينة، قاله ابن زيد.

الخامس: ليست بالعاصفة المؤذية ولا بالضعيفة المقصرة، قاله الحسن.

﴿حيث أصاب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حيث أراد، قاله مجاهد وقال قتادة: هو بلسان هجر. قال الأصمعي: العرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب، أي أراد الصواب.

الثاني: حيث ما قصد مأخوذ من إصابة السهم الغرض المقصود.

قوله عز وجل: ﴿والشياطين كلَّ بناءٍ وغواص﴾ يعني سخرنا له الشياطين كل بناء يعني في البر، وغواص يعني في البحر على حليّه وجواهره.

﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في السلاسل، قاله قتادة.

الثاني: في الأغلال، قاله السدي.

الثالث: في الوثاق، قاله ابن عباس، قال الشاعر[١٣٠]:

فـآبُـوا بـالنهـابِ وبـالسبـايـا ... وأبـنـا بـالـملوك مُـصَـفَّـدينـا

قال يحيى بن سلام: ولم يكن يفعل ذلك إلا بكفارهم، فإذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم. ووجد على سور مدينة سليمان عليه السلام:

لـو أن حيّـاً ينـال الخُلد في مهـل ... لـنـال ذاك سـليـمـان بـن داودِ

سـالت لـه العين عين القـطر فـائضـة ... فيـه ومنـه عـطاءٌ غـيـر مـوصـود

لم يبق من بعـدها في الملك مـرتقيـاً ... حتى تـضمـن رمْسـاً بـعـد أخـدود

هـذا الـتـعْـلَم أنّ الـمـلك مـنـقـطع ... إلاّ من الله ذي التقـوى وذي الجـود

(١٣٠) هو عمرو بن كلثوم والبيت في معلقته المشهورة، شرح المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري ص ٤١٢ وفتح القدير (٤/٣٢).

قوله عزوجل: ﴿**هـذا عطاؤنا . . .**﴾ في المشار إليه بهذا ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما تقدم ذكره من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بتسخير الريح والشياطين.

فعلى هذا في قوله ﴿**فامنن أو أمسك بغير حساب**﴾ وجهان:

أحدهما: امنن على من شئت من الجن بإطلاقه، أو أمسك من شئت منهم في عمله من غير حرج عليك فيما فعلته بهم، قاله قتادة والسدي.

الثاني: أعط من شئت من الناس وامنع من شئت منهم.

﴿**بغير حساب**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بغير تقدير فيما تعطي وتمنع حكاه ابن عيسى.

الثاني: بغير حرج، قاله مجاهد.

الثالث: بغير حساب تحاسب عليه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير.

قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه فيها تبعة إلا سليمان فإن الله تعالى يقول: ﴿**هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**﴾ وحكى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿**هـذا عطاؤنا**﴾ الآية. قال سليمان عليه السلام: أوتينا ما أوتي الناس وما لم يؤتوا، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا فلم نر شيئاً هو أفضل(*) من خشية الله في الغيب والشهادة، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الرضا والغضب.

والقول الثاني: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك، فعلى هذا في قوله فامنن أو أمسك وجهان:

أحدهما: بغير جزاء.

الثاني: بغير قلة.

والقول الثالث: إن هذا إشارة إلى مضمر غير مذكور وهو ما حكي أن سليمان كان في ظهره ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وسبعمائة[١٣١] سرية فقال الله تعالى

(*) وفي نسخة أحسن.

(١٣١) وقد تقدم الكلام حول هذا العدد والصواب في ذلك.

﴿هذا عطاؤنا﴾ يعني الذي أعطيناك من القوة على النكاح ﴿فامنن﴾ بجماع من تشاء من نسائِك ﴿أو أمسك﴾ عن جماع من تشاء من نسائِك.

فعلى هذا في قوله بغير حساب وجهان:

أحدهما: بغير مؤاخذة فيمن جامعت أو عزلت.

الثاني: بغير عدد محصور فيمن استبحت أو نكحت. وهذا القول عدول من الظاهر إلى ادعاء مضمر بغير دليل لكن قيل فذكرته.

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

قوله عزوجل: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصبٍ وعذابٍ﴾ قيل هو أيوب بن حوص بن روعويل وكان في زمن يعقوب بن إسحاق، وتزوج بنته إليا بنت يعقوب وكانت أمّه بنت لوط عليه السلام، وكان أبوه حوص ممن آمن بإبراهيم عليه السلام.

وفي قوله ﴿مسني الشيطان﴾ وجهان:

أحدهما: أن مس الشيطان وسوسته وتذكيره بما كان فيه من نعمة وما صار إليه من محنة، حكاه ابن عيسى.

الثاني: الشيطان استأذن الله تعالى أن يسلطه على ماله فسلطه، ثم أهله وداره فسلطه، ثم جسده فسلطه، ثم على قلبه فلم يسلطه، قال ابن عباس فهو قوله: ﴿مسني الشيطان﴾ الآية.

﴿بنصب وعذاب﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بالنصب الألم وبالعذاب السقم، قاله مبشر بن عبيد.

الثاني: النصب في جسده، والعذاب في ماله، قاله السدي.

الثالث: أن النصب العناء، والعذاب البلاء.

قوله عزوجل: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشرابٌ﴾ قال قتادة هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها الجابية. وفيهما قولان:

أحدهما: أنه اغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه، قاله الحسن.

الثاني: أنه اغتسل من إحداهما فبرىء، وشرب من الأخرى فروي، قاله قتادة.

وفي المغتسل وجهان:

أحدهما: أنه كان الموضع الذي يغتسل منه، قاله مقاتل.

الثاني: أنه الماء الذي يغتسل به، قاله ابن قتيبة.

وفي مدة مرضه قولان:

أحدهما: سبع سنين وسبعة أشهر، قاله ابن عباس.

الثاني: ثماني عشرة سنة رواه أنس مرفوعاً[١٣٢].

قوله عزوجل: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ وفيما أصابهم ثلاثة أقاويل.

أحدها: أنهم كانوا مرضى فشفاهم الله.

الثاني: أنهم غابوا عنه فردهم الله عليه، وهذان القولان حكاهما ابن بحر.

الثالث: وهو ما عليه الجمهور أنهم كانوا قد ماتوا.

فعلى هذا في هبتهم له ومثلهم معهم خمسة أقاويل:

أحدها: أن الله تعالى رد عليه أهله وولده ومواشيه بأعيانهم، لأنه تعالى أماتهم قبل آجالهم ابتلاء ووهب له من أولادهم مثلهم، قاله الحسن.

الثاني: أن[١٣٣] الله سبحانه ردهم عليه بأعيانهم ووهب له مثلهم من غيرهم قاله ابن عباس.

الثالث: أنه رد عليه ثوابهم في الجنة ووهب له مثلهم في الدنيا، قاله السدي.

الرابع: أنه رد عليه أهله في الجنة، وأصاب امرأته فجاءته بمثلهم في الدنيا.

الخامس: أنه لم يرد عليه منهم بعد موتهم أحداً وكانوا ثلاثة عشر ابناً فوهب الله

(١٣٢) وهو الصواب وقد تقدم تخريج الحديث في سورة الأنبياء.

(١٣٣) وهو الصواب وقد رجحه غير واحد من المفسرين.

تعالى له من زوجته التي هي أم من مات مثلهم فولدت ستة وعشرين ابناً، قاله الضحاك.

﴿رحمة منا﴾ أي نعمة منا.

﴿وذكرَى لأولي الألباب﴾ أي عبرة لذوي العقول.

قوله عزوجل: ﴿وخُذْ بيدك ضِغْثاً فاضرب به ولا تحنثْ﴾ كان أيوب قد حلف في مرضه على زوجته أن يضربها مائة جلدة.

وفي سبب ذلك ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما قاله ابن عباس أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب، فقال أداويه على أنه إذا برىء قال أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه قالت نعم، فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها.

الثاني: ما حكاه سعيد بن المسيب أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها.

الثالث: ما حكاه يحيى بن سلام أن الشيطان أغواها على أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة ليبرأ بها فحلف ليجلدنها فلما برىء أيوب وعلم الله تعالى بإيمان امرأته أمره رفقاً بها وبراً له أن يأخذ بيده ضغثاً.

وفيه سبعة أقاويل:

أحدها: أنه أشكال النخل الجامع لشماريخه، قاله ابن عباس.

الثاني: الأثل، حكاه مجاهد وقاله مجاهد.

الثالث: السنبل، حكاه يحيى بن سلام.

الرابع: الثمام اليابس، قاله سعيد بن المسيب.

الخامس: الشجر الرطب، قاله الأخفش.

السادس: الحزمة من الحشيش، قاله قطرب وأنشد قول الكميت[١٣٤]:

تحيد شِماساً إذا ما العسيفُ بضِغثِ الخلاء إليها أشارا

السابع: أنه ملء الكف من القش أو الحشيش أو الشماريخ، قاله أبو عبيدة.

(١٣٤) ديوانه (١/ ١٩٠).

﴿فاضرب﴾ فاضرب بعدد ما حلفت عليه وهو أن يجمع مائة من عدد(*) الضغث فيضربها به في دفعة يعلم فيها وصول جميعها إلى بدنها فيقوم ذلك فيها مقام مائة جلدة مفردة.

﴿ولا تحنث﴾ يعني في اليمين وفيه قولان:

أحدهما: أن ذلك لأيوب خاصة، قاله مجاهد.

الثاني: عام في أيوب وغيره من هذه الأمة، قاله قتادة. والذي نقوله في ذلك مذهباً: إن كان هذا في حد الله تعالى جاز في المعذور بمرض أو زمانة ولم يجز في غيره، وإن كان في يمين جاز في المعذور وغيره إذا اقترن به ألم المضروب، فإن تجرد عن ألم ففي بره وجهان:

أحدهما: يبر لوجود العدد المحلوف عليه.

الثاني: لا يبر لعدم المقصود من الألم.

﴿إنا وجدناه صابراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على الطاعة.

الثاني: على البلاء.

﴿نعم العبد﴾ يعني نعم العبد في صبره.

﴿إنه أوّاب﴾ إلى ربه.

وفي بلائه قولان:

أحدهما: أنه بلوى اختبار ودرجة ثواب من غير ذنب عوقب عليه.

الثاني: أنه بذنب عوقب عليه بهذه البلوى وفيه قولان.

أحدهما: أنه دخل على بعض الجبابرة فرأى منكراً فسكت عنه.

الثاني: أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع لم يطعمه.

وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

(*) هكذا بالأصول ولعل الصواب من المواد الضغث.

قوله عز وجل: ﴿واذكُرْ عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن الأيدي القوة على العبادة، والأبصار الفقه في الدين، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الأيدي القوة في أمر الله، والأبصار العلم بكتاب الله، قاله قتادة.

الثالث: أن الأيدي النعمة رواه الضحاك، والأبصار العقول، قاله مجاهد.

الرابع: الأيدي القوة في أبدانهم، والأبصار القوة في أديانهم، قاله عطية.

الخامس: أن الأيدي العمل والأبصار العلم، قاله ابن بحر.

قال مقاتل: ذكر الله إبراهيم واسحاق ويعقوب ولم يذكر معهم إسماعيل لأن إبراهيم صبر على إلقائه في النار، وصبر إسحاق على[١٣٥] الذبح، وصبر يعقوب على ذهاب بصره ولم يبتل إسماعيل ببلوى.

قوله عز وجل: ﴿إنا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: نزع الله ما في قلوبهم من الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها، قاله مالك بن دينار.

الثاني: اصطفيناهم لأفضل ما في الآخرة وأعطيناهم، قاله ابن زياد.

الثالث: أخلصناهم بخالصة الكتب المنزلة التي فيها ذكرى الدار الآخرة، وهذا قول مأثور.

الرابع: أخلصناهم بالنبوة وذكرى الدار الآخرة، قاله مقاتل.

الخامس: أخلصناهم من العاهات والآفات وجعلناهم ذاكرين الدار الآخرة، حكاه النقاش.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ (٥٤)﴾

---

(١٣٥) ولم يصح الأثر في ذلك وقد عرفناك أن الراجح هو أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق.

قوله عزوجل: ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾ يعني قاصرات الطرف على أزواجهم.

﴿أتراب﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أقران، قاله عطية.

الثاني: أمثال، قاله مجاهد.

الثالث: متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن، حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

الرابع: مستويات الأسنان بنات ثلاث وثلاثين قاله يحيى بن سلام.

الخامس: أتراب أزواجهن بأن خلقهن على مقاديرهم، وقال ابن عيسى: الترب اللدة وهو مأخوذ من اللعب بالتراب.

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

قوله عزوجل: ﴿هذا فليذوقوه حميمٌ وغساق﴾ أي منه حميم ومنه غساق والحميم الحار، وفي الغساق ستة أوجه:

أحدها: أنه البارد الزمهرير، قاله ابن عباس فكأنهم عذبوا بحارّ التراب وبارده.

الثاني: أنه القيح الذي يسيل من جلودهم، قاله عطية.

الثالث: أنه دموعهم التي تسيل من أعينهم، قاله قتادة.

الرابع: أنها عين في جهنم تسيل إليها حِمة كل ذي حِمة من حية أو عقرب، قاله كعب الأحبار.

الخامس: أنه المنتن، رواه أبو سعيد الخدري[١٣٦] مرفوعاً.

السادس: أنه السواد والظلمة وهو ضد ما يراد من صفاء الشراب ورقته، قاله ابن بحر.

وفي هذا الاسم وجهان:

أحدهما: حكاه النقاش أنه بلغة الترك.

الثاني: حكاه ابن بحر وابن عيسى أنه عربي مشتق واختلف في اشتقاقه على وجهين:

أحدهما: من الغسق وهو الظلمة، قاله ابن بحر.

الثاني: من غسقت القرحة تغسق غسقاً. إذا جرت، وأنشد قطرب قول الشاعر:

فالعين مطروقة لبينهم تغسق في غربة سرها

وإليه ذهب ابن عيسى.

وفي ﴿غساق﴾ قراءتان بالتخفيف والتشديد وفيها وجهان:

أحدهما: أنهما لغتان معناهما واحد، قاله الأخفش.

الثاني: معناهما مختلف والمراد بالتخفيف الاسم وبالتشديد الفعل وقيل إن في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديره: هذا حميم وهذا غساق فليذوقوه.

قوله عز وجل: ﴿وآخر مِنْ شكله أزواج﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وآخر من شكل العذاب أنواع، قاله السدي.

الثاني: وآخر من شكل عذاب الدنيا أنواع في الآخرة لم تر في الدنيا، قاله الحسن.

الثالث: أنه الزمهرير، قاله ابن مسعود.

وفي الأزواج هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنواع.

الثاني: ألوان.

الثالث: مجموعة.

---

(١٣٦) رواه الطبري (٢٣/١٧٨) ولم يصح وقد تقدم تخريج الحديث موسعاً.

قوله عزوجل: ﴿**هذا فوج مقتحم معكم . . .**﴾ فوج بعد فوج أي قوم بعد قوم، مقتحمون النار أي يدخلونها. وفي الفوج قولان:

أحدهما: أنهم بنو إبليس.

والثاني: بنو آدم، قاله الحسن.

والقول الثاني: أن كلا الفوجين بنو آدم إلا أن الأول الرؤساء والثاني الأتباع. وحكى النقاش أن الفوج الأول قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر، والفوج الثاني أتباعهم ببدر.

وفي القائل ﴿**هذا فـوجٌ مقتحم معكم**﴾ قولان:

أحدهما: الملائكة قالوا لبني إبليس لما تقدموا في النار هذا فوج مقتحم معكم إشارة لبني آدم حين دخلوها. قال بنو إبليس ﴿**لا مرحَباً بهم إنهم صالوا النار قالوا**﴾ أي بنو آدم: ﴿**بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار**﴾.

والقول الثاني: أن الله قال للفوج الأول حين أمر بدخول الفوج الثاني: ﴿**هذا فوج مقتحم معكم**﴾ فأجابوه ﴿**لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار**﴾ فأجابهم الفوج الثاني ﴿**بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أنتم شرعتموه لنا وجعلتم لنا إليه قدماً، قاله الكلبي.

الثاني: قدمتم لنا هذا العذاب بما أضللتمونا عن الهدى ﴿**فبئس القرار**﴾ أي بئس الدار النار، قاله الضحاك.

الثالث: أنتم قدمتم لنا الكفر الذي استوجبنا به هذا العذاب في النار، حكاه ابن زياد.

﴿**قالوا ربنا من قدم لنا هذا**﴾ الآية. يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه قاله الفوج الأول جواباً للفوج الثاني.

الثاني: قاله الفوج تبعاً لكلامهم الأول تحقيقاً لقولهم عند التكذيب.

وفي تأويل ﴿**من قدم لنا هذا**﴾ وجهان:

أحدهما: من سنه وشرعه، قاله الكلبي.

الثاني: من زينه، قاله مقاتل. والمرحب والرحب: السعة ومنه سميت الرحبة

لسعتها ومعناه لا اتسعت لكم أماكنكم؛ وأنشد الأخفش قول أبي الأسود (١٣٧).

اذا جئت بوّاباً له قال مرحباً ألا مَرْحباً واديك غير مضيق

قوله عزوجل: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً . . .﴾ الآية. قال مجاهد هذا يقوله أبو جهل وأشياعه في النار: ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار لا نرى عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً.

﴿أتخذناهم سخرياً﴾ قال مجاهد اتخذناهم سخرياً في الدنيا فأخطأنا.

﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ فلم نعلم مكانهم. قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم. وقال أبو عبيدة من كسر ﴿سخرياً﴾ جعله من الهزء، ومن ضمه جعله من التسخير ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ يعني أهم معنا في النار أم زاغت أبصارنا فلا نراهم وإن كانوا معنا.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

قوله عزوجل: ﴿قُلْ هو نبأ عظيم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه القيامة لأن الله تعالى قد أنبأنا بها في كتبه.

والقول الثاني: هو القرآن، قاله مجاهد والضحاك والسدي.

﴿أنتم عنه معرضون﴾ قال الضحاك أنتم به مكذبون. قال السدي: يريد به المشركين.

وفي تسميته نبأ وجهان:

أحدهما: لأن الله أنبأ به فعرفناه.

الثاني: لأن فيه أنباء الأولين.

وفي وصفه بأنه عظيم وجهان:

أحدهما: لعظم قدره وكثرة منفعته.

---

(١٣٧) الطبري (٢٣ / ١٧٩) واقتصر على الشطر الثاني من البيت.

الثاني : لعظيم ما تضمنه من الزواجر والأوامر.

قوله عزوجل: ﴿**ما كان لي من عِلم بالملإ الأعلى**﴾ قال ابن عباس يعني الملائكة.

﴿**إذ يختصمون**﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في قوله تعالى للملائكة : ﴿**إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها**﴾ الآية. فهذه الخصومة، قاله ابن عباس.

الثاني : ما رواه أبو الأشهب عن الحسن قال[١٣٨]: قال رسول الله ﷺ. «**سألني ربي فقال يا محمد فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قلت في الكفارات والدرجات، قال وما الكفارات؟ قلت المشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبرات، والتعقيب في المساجد إنتظار الصلوات بعد الصلوات. قال وما الدرجات؟ قلت إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بليل والناس نيام**».

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ

(١٣٨) هذا الحديث هنا مرسل رواه مختصراً عبد بن حميد كما في الدر (٢٠٢/٧) وقد ورد الحديث موصولاً من طرق عن معاذ، وأبي أمامة، وأنس، وعبد الرحمن بن عياش الحضرمي، وطارق بن شهاب، وأبي عبيدة بن الجراح، وعدي بن حاتم وثوبان وسأقتصر على تخريجه من رواية عبد الرحمن بن عائش فهي أمثلها وتراجع بقية الطرق في الدر (٢٠٢/٧ ـ ٢٠٥). أما رواية عبد الرحمن بن عائش فقد رواها الدارمي (١٢٦/٢) وابن ابي عاصم في السنة (٣٩٨) ٤٦٧، ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل (ص ٢٢) والآجري في الشريعة (ص ٤٩٧) والنجاد (٧٧، ٧٩، ٨١) واللالكائي في أصول السنة (٩٠١، ٩٠٢) والحاكم (١، ٥٢٠، ٥٢١) وصححه وسكت عليه الذهبي والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٩٩ والبغوي في التفسير (٦/ ٩٤ ـ ٦٥) وفي شرح السنة (٤/ ٣٥ ـ ٣٦) وابن الجوزي في العلل (١١) وابن عائش في صحبته خلافاً.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خَلَقْتُ بيديَّ﴾** فيه ثلاثة أوجه (١٣٩):

أحدها: بقوتي، قاله علي بن عاصم.

الثاني: بقدرتي، ومنه قول الشاعر (١٤٠):

تحملت من عفراء، ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان

الثالث: لما توليت خلقه بنفسي، قاله ابن عيسى.

﴿أستكبرت﴾ أي عن الطاعة أم تعاليت عن السجود؟

قوله عزوجل: **﴿قال فالحق والحق أقول﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنا الحق، وأقول الحق، قاله مجاهد.

الثاني: الحق مني والحق قولي، رواه الحكم.

---

(١٣٩) ما ذكره المؤلف هنا من أن القدرة بمعنى اليد فهذا من تأويلات المعتز له المردودة وأما مذهب السلف فإن له يداً ليست كأيدينا أي ليست بجارحة «ليس كمثله شيء». وأزيد الأمر بياناً فأقول لو كان المراد باليد هنا القدرة أو القوة لبطل تخصيص آدم عليه السلام بخلقه بهما فإن جميع المخلوقات حتى إبليس خلقت بقدرته تبارك وتعالى فأي مزية لآدم على إبليس في قوله «لما خلقت بيدي فكان يمكن لإبليس أن يقول وأنا خلقتني بيديك إذا كان المراد بها القدرة، وأيضاً لو كان المراد باليد القدرة لوجب أن يكون لله قدرتان وقد أجمع المسلمون على بطلان ذلك فاحذر أيها القارىء من هذا التأويل الأجنبي عن هدى السلف الصالح. وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضاه.

(١٤٠) هو عروة بن حزام، والبيت في اللسان «حمل».
وفتح القدير (٤/٤٤٥).
وفيه: تحملت من زلفاء......

الثالث: معناه حقاً حقاً لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين، قاله الحسن.

قوله عز وجل: ﴿**قل ما أسألكم عليه من أجْر**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قل يا محمد للمشركين ما أسألكم على ما أدعوكم إليه من طاعة الله أجراً قاله ابن عباس.

الثاني: ما أسألكم على ما جئتكم به من القرآن أجراً، قاله عطاء.

﴿**وما أنا من المتكلفين**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما أنا من المتكلفين لهذا القرآن من تلقاء نفسي.

الثاني: وما أنا من المتكلفين لأن آمركم بما لم أؤمر به.

الثالث: وما أنا بالذي أكلفكم الأجر وهو معنى قول مقاتل.

قوله عز وجل: ﴿**ولتعلَمُنَّ نبأه بَعْد حين**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: نبأ القرآن أنه حق.

الثاني: نبأ محمد ﷺ أنه رسول.

الثالث: نبأ الوعيد أنه صدق.

﴿**بعد حين**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بعد الموت، قاله قتادة. وقال الحسن: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

الثاني: يوم بدر، قاله السدي.

الثالث: يوم القيامة، قاله ابن زيد وعكرمة. والله أعلم.



مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس إلا آيتين نزلتا بالمدينة إحداهما **﴿الله نزل أحسن الحديث﴾** ، والأخرى **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾** الآية وقال آخرون إلا سبع آيات من قوله تعالى **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾** إلى آخر السبع.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾

قوله عزوجل: **﴿تنزيل الكتاب﴾** والكتاب هو القرآن سمي بذلك لأنه مكتوب.

﴿من الله العزيز الحكيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: العزيز في ملكه الحكيم في أمره.

الثاني: العزيز في نقمته الحكيم في عدله. قوله عزوجل: **﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾** فيه وجهان:

أحدهما: أنه الإخلاص بالتوحيد، قاله السدي.

الثاني: إخلاص النية لوجهه، وفي قوله ﴿له الدين﴾ وجهان:

أحدهما: له الطاعة، قاله ابن بحر.

الثاني: العبادة.

﴿ألا لله الدين الخالص﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: شهادة أن لا إله إلا الله، قاله قتادة.

الثاني: الإسلام، قاله الحسن.

الثالث: ما لا رياء فيه من الطاعات.

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يعني آلهة يعبدونها.

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ قال كفار قريش هذه لأوثانهم وقال من قبلهم ذلك لمن عبدوه من الملائكة وعزير وعيسى، أي عبادتنا لهم ليقربونا إلى الله زلفى، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الزلفى الشفاعة في هذا الموضع، قاله قتادة.

الثاني: أنها المنزلة، قاله السدي.

الثالث: أنها القرب، قاله ابن زيد.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

قوله عزوجل: ﴿يكوِّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يحمل الليل على النهار، ويحمل النهار على الليل، قاله ابن عباس.

الثاني: يغشى الليل على النهار فيذهب ضوءه، ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته، قاله قتادة.

الثالث: هو نقصان أحدهما عن الآخر، فيعود نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل، قاله الضحاك.

ويحتمل رابعاً: يجمع الليل حتى ينتشر النهار، ويجمع النهار حتى ينتشر الليل.

قوله عزوجل: **﴿خلقكم من نفسٍ واحدة﴾** يعني من آدم.

﴿ثم جعل منها زوجها﴾ يعني حواء. فيه وجهان:

أحدهما: أنه خلقها من ضلع الخَلْف من آدم وهو أسفل الأضلاع، قاله الضحاك.

الثاني: أنه خلقها من مثل ما خلق منه آدم، فيكون معنى قوله **﴿جعل منها﴾** أي من مثلها، قاله ابن بحر.

﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ قال قتادة: من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كل واحد زوج.

وفي قوله **﴿أنزل﴾** وجهان:

أحدهما: يعني جعل، قاله الحسن.

الثاني: أنزلها بعد أن خلقها في الجنة، حكاه ابن عيسى.

﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً، قاله قتادة والسدي.

الثاني: خلقاً في بطون أمهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: خلقاً في ظهر الأب ثم خلقاً في بطن الأم ثم خلقاً بعد الوضع.

﴿في ظلمات ثلاث﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة.

الثاني: ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم، حكاه ابن

عيسى. ويحتمل ثالثاً: أنها ظلمة عتمة الليل التي تحيط بظلمة المشيمة مظلمة الأحشاء وظلمة البطن.

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

قوله عزوجل: **﴿وإذا مس الإنسان ضُرٌّ دعا ربَّهُ منيباً إليه﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مخلصاً إليه، قاله الضحاك.

الثاني: مستغيثاً به، قاله السدي.

الثالث: مقبلاً عليه، قاله الكلبي وقطرب.

﴿ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا أصابته نعمة ترك الدعاء، قاله الكلبي.

الثاني: إذا أصابته عافية نسي الضر. والتخويل العطية العظيمة من هبة أو منحة، قال أبو النجم(١٤١):

أعطى فلم يبخل ولم يبخلِ ... كوم الذّرى من خول المخوَّلِ

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

قوله عزوجل: **﴿أمّن هو قانتٌ﴾** في الألف التي في **﴿أمّن﴾** وجهان:

أحدهما: أنها ألف استفهام.

الثاني: ألف نداء.

(١٤١) الطبري (١٩٩/٢٣) واللسان خول، وفتح القدير (٤٥٢/٤).

وفي قانت أربعة أوجه:

أحدها: أنه المطيع، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه الخاشع في صلاته، قال ابن شهاب.

الثالث: القائم في صلاته، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: أنه الداعي لربه.

﴿آناء الليل﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: طرف الليل، قاله ابن عباس.

الثاني: ساعات الليل، قاله الحسن.

الثالث: ما بين المغرب والعشاء، قاله منصور.

﴿ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه﴾ قال السدي: يحذر عذاب الآخرة ويرجو نعيم الجنة.

وفيمن أريد به هذا الكلام خمسة أقاويل:

أحدها: أنه رسول الله ﷺ، حكاه يحيى بن سلام.

الثاني: أبو بكر، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه.

الثالث: عثمان بن عفان، قاله ابن عمر.

الرابع: عمار بن ياسر وصهيب وأبو ذر وابن مسعود، قاله الكلبي.

الخامس: أنه مرسل فيمن كان على هذه الحال قانتاً آناء الليل.

فمن زعم أن الألف الأولى استفهام أضمر في الكلام جواباً محذوفاً تقديره: أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً كمن جعل لله أنداداً؟ قاله يحيى. وقال ابن عيسى: المحذوف من الجواب: كمن ليس كذلك.

ومن زعم أن الألف للنداء لم يضمر جواباً محذوفاً، وجعل تقدير الكلام: أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه.

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ فيه ثلاثة أوجه.

أحدها: هل يستوي الذين يعلمون هذا فيعملون به والذين لا يعلمون هذا فلا يعملون به، قاله قتادة.

الثاني: أن الذين يعلمون هم المؤمنون يعلمون أنهم لاقو ربهم، والذين لا

يعلمون هم المشركون الذين جعلوا لله أنداداً قاله يحيى .

الثالث: ما قاله أبو جعفر محمد بن علي قال: الذين يعلمون نحن، والذين لا يعلمون عدونا .

ويحتمل رابعاً: أن الذين يعلمون هم الموقنون، والذين لا يعلمون هم المرتابون .

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة في الآخرة، وهي الجنة.

الثاني: للذين أحسنوا في الدنيا حسنة في الدنيا فيكون ذلك زائداً على ثواب الآخرة.

وفيما أريد بالحسنة التي لهم في الدنيا أربعة أوجه:

أحدها: العافية والصحة، قاله السدي.

الثاني: ما رزقهم الله من خير الدنيا، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: ما أعطاهم من طاعته في الدنيا وجنته في الآخرة، قاله الحسن.

الرابع: الظفر والغنائم، حكاه النقاش.

ويحتمل خامساً: إن الحسنة في الدنيا الثناء وفي الآخرة الجزاء.

﴿وأرض الله واسعة﴾ فيها قولان:

أحدهما: أرض الجنة رغبهم في سعتها، حكاه ابن عيسى.

الثاني: هي أرض الهجرة، قاله عطاء.

ويحتمل ثالثاً: أن يريد بسعة الأرض سعة الرزق لأنه يرزقهم من الأرض فيكون معناه: ورزق الله واسع، وهو أشبه لأنه أخرج سعتها مخرج الامتنان بها.

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني بغير مَنٍّ عليهم ولا متابعة، قاله السدي.

الثاني: لا يحسب لهم ثواب عملهم فقط ولكن يزدادون على ذلك، قاله ابن جريج.

الثالث: لا يعطونه مقدراً لكن جزافاً.

الرابع: واسعاً بغير تضييق قال الراجز:

يـا هند سقـاك بـلا حسـابـه ... سقيـا مليك حسن الـربـابـة

وحكي عن علي كرم الله وجهه قال: كل أجر يكال كيلاً ويوزن وزناً إلا أجر الصابرين فإنه يحثى حثواً.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿قل إن الخاسرين ٱلَّذِين خَسِروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: خسروا أنفسهم بإهلاكها في النار، وخسروا أهليهم بأن لا يجدوا في النار أهلاً، وقد كان لهم في الدنيا أهل، قاله مجاهد وابن زيد.

الثاني: خسروا أنفسهم بما حرموها من الجنة وأهليهم من الحور العين الذين أعدوا [لهم](*) في الجنة، قاله الحسن وقتادة.

الثالث: خسروا أنفسهم وأهليهم بأن صاروا هم بالكفر إلى النار، وصار أهلوهم بالإيمان إلى الجنة وهو محتمل.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ

(*) زيادة يقتضيها السياق.

يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

قوله عزوجل: **﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾** فيه قولان:

أحدهما: أن الطاغوت الشيطان، قاله مجاهد وابن زيد.

الثاني: الأوثان، قاله الضحاك والسدي.

وفيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي مثل هاروت وماروت.

الثاني: عربي مشتق من الطغيان.

﴿وأنابوا إلى الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أقبلوا الى الله، قاله قتادة.

الثاني: استقاموا إلى الله، قاله الضحاك.

ويحتمل ثالثاً: وأنابوا الى الله من ذنوبهم.

﴿لهم البشرى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها الجنة، قاله مقاتل ويحيى بن سلام.

الثاني: بشرى الملائكة للمؤمنين، قاله الكلبي.

ويحتمل ثالثاً: أنها البشرى عند المعاينة بما يشاهده من ثواب عمله.

قوله عزوجل: **﴿فبشر عبادِ الذين يستمعون القول﴾** فيه قولان:

أحدهما: أن القول كتاب الله، قاله مقاتل ويحيى بن سلام.

الثاني: أنهم لم يأتهم كتاب من الله ولكن يستمعون أقاويل الأمم، قاله ابن زيد.

﴿فيتبعون أحسنَه﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: طاعة الله، وقاله قتادة.

الثاني: لا إله إلا الله، قاله ابن زيد.

الثالث: أحسن ما أمروا به، قاله السدي.

الرابع: أنهم إذا سمعوا قول المسلمين وقول المشركين اتبعوا أحسنه وهو الإسلام، حكاه النقاش.

الخامس: هو الرجل يسمع الحديث من الرجل فيحدث بأحسن ما يسمع منه، ويمسك عن أسوإه فلا يتحدث به، قاله ابن عباس.

ويحتمل سادساً: أنهم يستمعون عزماً وترخيصاً فيأخذون بالعزم دون الرخص.

﴿**أولئك الذين هداهم الله**﴾ الآية. قال عبد الرحمن بن زيد: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم، واتبعوا أحسن ما صار من العقول إليهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

قوله عزوجل: ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وسع صدره للإسلام حتى يثبت فيه، قاله ابن عباس والسدي.

الثاني: وسع صدره بالإسلام بالفرح به والطمأنينة إليه، فعلى هذا لا يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام، وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام.

﴿**فهو على نور من ربه**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على هدى من ربه، قاله السدي.

الثاني: أنه كتاب الله الذي به يأخذ وإليه ينتهي، قاله قتادة.

وروى عمرو بن مرّة عن عبدالله بن سدر(١٤٢) قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية، فقالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ فقال: **نور يقذف به في القلب**، قالوا: يا رسول الله هل لذلك من أمارة؟ قال **نعم**، قالوا: وما هي؟ قال: **الإنابة إلى دار**

(١٤٢) تقدم تخريجه في سورة الإنعام عند قوله ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾.

الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت.

وفي من نزلت فيه هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: في رسول الله ﷺ، قاله الكلبي.

الثاني: في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حكاه النقاش.

الثالث: في عمار بن ياسر، قاله مقاتل.

﴿**فويل للقاسية قلوبُهم من ذِكر الله**﴾ قيل أنه عنى أبا جهل وأتباعهُ من كفار قريش، وفي الكلام مضمر محذوف تقديره: فهو على نور من ربه كمن طبع الله على قلبه فويل للقاسية قلوبهم.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**الله نزّل أحسن الحديث**﴾ يعني القرآن، ويحتمل تسميته حديثاً وجهين:

أحدهما: لأنه كلام الله، والكلام يسمى حديثاً كما سمي كلام الرسول الله ﷺ حديثاً.

الثاني: لأنه حديث التنزيل بعدما تقدمه من الكتب المنزلة على من تقدم من الأنبياء.

ويحتمل وصفه بأحسن الحديث وجهين:

أحدهما: لفصاحته وإعجازه.

الثاني: لأنه أكمل الكتب وأكثرها إحكاماً.

﴿**كِتاباً متشابهاً**﴾ فيه قولان:

أحدهما: يشبه بعضه بعضاً من الآي والحروف، قاله قتادة.

الثاني: يشبه بعضه بعضاً في نوره وصدقه وعدله، قاله يحيى بن سلام.

ويحتمل ثالثاً: يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه لما يتضمنه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، وإن كان أعم وأعجز. ثم وصفه فقال:

﴿مثاني﴾ وفيه سبعة تأويلات:

أحدها: ثنى الله فيه القضاء، قاله الحسن وعكرمة.

الثاني: ثنى الله فيه قصص الأنبياء، قاله ابن زيد.

الثالث: ثنى الله فيه ذكر الجنة والنار، قاله سفيان.

الرابع: لأن الآية تثنى بعد الآية، والسورة بعد السورة، قاله الكلبي.

الخامس: يثنى في التلاوة فلا يمل لحسن مسموعه، قاله ابن عيسى.

السادس: معناه يفسر بعضه بعضاً، قاله ابن عباس.

السابع: أن المثاني اسم لأواخر الآي، فالقرآن اسم لجميعه، والسورة اسم لكل قطعة منه، والآية اسم لكل فصل من السورة، والمثاني اسم لآخر كل آية منه، قاله ابن بحر.

﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها تقشعر من وعيده وتلين من وعده، قاله السدي.

الثاني: أنها تقشعر من الخوف وتلين من الرجاء، قاله ابن عيسى.

الثالث: تقشعر الجلود لإعظامه، وتلين عند تلاوته.

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿أفمن يتقي بوجهه سوءَ العذاب يومَ القيامة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار يوم القيامة.

الثاني: لأن النار تبدأ بوجهه إذا دخلها.

قوله عز وجل: **﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾** فيه وجهان:

أحدهما: من مأمنهم، قاله السدي.

الثاني: فجأة، قاله يحيى.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾

قوله عز وجل: **﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: غير ذي لبس، قاله مجاهد.

الثاني: غير مختلف، قاله الضحاك.

الثالث: غير ذي شك، قاله السدي.

قوله عز وجل: **﴿ضرب الله مثلاً رجلاً﴾** يعني الكافر.

﴿فيه شركاء﴾ أي يعبد أوثاناً شتى.

﴿متشاكسون﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: متنازعون، قاله قتادة.

الثاني: مختلفون، قاله ابن زياد.

الثالث: متعاسرون.

الرابع: متظالمون مأخوذ من قولهم: شكسني مالي أي ظلمني.

﴿ورَجُلاً سَلَماً لرجُلٍ﴾ يعني المؤمن سلماً لرجل أي مخلصاً لرجل، يعني أنه بإيمانه يعبد إلٰهاً واحداً.

﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي هل يستوي حال العابد لله وحده وحال من يعبد آلهة غيره؟ فضرب لهما مثلاً بالعبدين اللذين يكون أحدهما لشركاء متشاكسين، لا يقدر أن يوفي كل واحد منهم حق خدمته، ويكون الآخر لسيد واحد يقدر أن يوفيه حق خدمته.

﴿الحمد لله﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على احتجاجه بالمثل الذي خَصم به المشركين.

الثاني: على هدايته التي أعان بها المؤمنين.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يعلمون المثل المضروب.

الثاني: لا يعلمون بأن الله هو الإله المعبود.

قوله عزوجل: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ أخبر بموته وموتهم، فاحتمل خمسة أوجه:

أحدها: أن يذكر ذلك تحذيراً من الآخرة.

الثاني: أن يذكره حثاً على العمل.

الثالث: أن يذكره توطئة للموت.

الرابع: لئلا يختلفوا في موته كما اختلف الأمم في غيره حتى إن عمر لما أنكر موته احتج أبو بكر بهذه الآية فأمسك.

الخامس: ليعلمه أن الله تعالى قد سوى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره لتكثر فيه السلوى وتقل الحسرة. ومعنى إنك ميت أي ستموت، يقال ميت بالتشديد للذي سيموت، وميت بالتخفيف لمن قد مات.

قوله عزوجل: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: في الدماء، قاله عكرمة.

الثاني: في المداينة، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: في الإيمان والكفر، قاله ابن زيد، فمخاصمة المؤمنين تقريع، ومخاصمة الكافرين ندم.

الرابع: ما قاله ابن عباس يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر. قال إبراهيم النخعي: لما نزلت هذه الآية جعل أصحاب النبي ﷺ يقولون ما خصومتنا بيننا[١٤٣].

ويحتمل خامساً: أن تخاصمهم هو تحاكمهم إلى الله تعالى فيما تغالبوا عليه في الدنيا من حقوقهم خاصة دون حقوق الله ليستوفيها من حسنات من وجبت عليه في حسنات من وجبت له.

---

(١٤٣) وفي نسخة أخرى للمخطوطة «فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا بيننا».

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل: ﴿والذي جاء بالصدق﴾ الآية. وفي الذي جاء بالصدق أربعة أقاويل:

أحدها: أنه جبريل، قاله السدي.

الثاني: محمد ﷺ، قاله قتادة ومجاهد.

الثالث: أنهم المؤمنون جاءوا بالصدق يوم القيامة، حكاه النقاش.

الرابع: أنهم الأنبياء، قاله الربيع وكان يقرأ: والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به.

وفي (**الصدق**) قولان:

أحدهما: أنه لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: القرآن، قاله مجاهد وقتادة.

ويحتمل ثالثاً: أنه البعث والجزاء.

وفي الذي صدق به خمسة أقاويل:

أحدها: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس.

الثاني: المؤمنون من هذه الأمة، قاله الضحاك.

الثالث: أتباع الأنبياء كلهم، قاله الربيع.

الرابع: أنه أبو بكر، رضي الله عنه حكاه الطبري[١٤٤] عن علي رضي الله عنه، وذكره النقاش عن عون بن عبدالله.

الخامس: أنه علي كرم الله وجهه، حكاه ليث عن مجاهد.

---

(١٤٤) جامع البيان (٢٤/٣).

ويحتمل سادساً: أنهم المؤمنون قبل فرض الجهاد من غير رغبة في غنم ولا رهبة من سيف.

﴿أولئك هم المتقون﴾ إنما جاز الجمع في **﴿هم المتقون﴾** و **﴿الذي﴾** واحد في مخرج لفظه وجمع في معناه على طريق الجنس كقوله تعالى **﴿إن الإنسان لفي خسر﴾**.

قوله عز وجل: **﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عَمِلوا﴾** قبل الإيمان والتوبة، ووجه آخر: أسوأ الذي عملوا من الصغائر لأنهم يتقون الكبائر.

﴿ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي يجزيهم بأجر أحسن الأعمال وهي الجنة.

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل: **﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾** في قراءة بعضهم، يعني محمداً ﷺ يكفيه الله المشركين، وقرأ الباقون **﴿عباده﴾** وهم الأنبياء.

﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم كانوا يخوفونه بأوثانهم يقولون تفعل بك وتفعل، قاله الكلبي والسدي.

الثاني: يخوفونه من أنفسهم بالوعيد والتهديد.

قوله عز وجل: **﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على ناحيتكم، قاله الضحاك ومجاهد.

الثاني: على تمكنكم، قاله ابن عيسى.

الثالث: على شرككم، قاله يحيى.

﴿**إني عامل**﴾ على ما أنا عليه من الهدى.

﴿**فسوف تعلمون**﴾ وهذا وعيد.

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

قوله عز وجل: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الله عند توفي الأنفس يقبض أرواحها من أجسادها والتي لم تمت وهي في منامها يقبضها عن التصرف مع بقاء أرواحها في أجسادها.

﴿**فيمسك التي قضى عليها الموت**﴾ أنى تعود الأرواح إلى أجسادها.

﴿**ويرسلُ الأخرى**﴾ وهي النائمة فيطلقها باليقظة للتصرف إلى أجل موتها، قاله ابن عيسى.

الثاني: ما حكاه ابن جريج عن ابن عباس أن لكل جسد نفساً وروحاً فيتوفى الله الأنفس في منامها بقبض أنفسها(١٤٥) دون أرواحها حتى تتقلب بها وتتنفس، فيمسك التي قضى عليها الموت أن تعود النفس إلى جسدها ويقبض الموت روحها، ويرسل الأخرى وهي نفس النائم إلى جسدها حتى تجتمع مع روحها إلى أجل موتها.

الثالث: قاله سعيد بن جبير إن الله تعالى يقبض أرواح الموتى إذا ماتوا وأرواح

(١٤٥) وقد اختلف القول في النفس والروح هل هما بمعنى واحد أم مختلفان وشرح ذلك يطول والتحقيق أنها شيء واحد باعتبار وشيء متعدد باعتبار فهما شيء واحد باعتبار الذات ومتعدد باعتبار الصفات فهناك النفس اللوامة والمطمئنة والأمارة بالسوء راجع المطولات في ذلك ككتاب الروح لابن القيم.

الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يعيدها ويرسل الأخرى فيعيدها. قال علي رضي الله عنه: فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها تلقيها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبُ...﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: انقبضت، قاله المبرد.

الثاني: نفرت[١٤٦].

الثالث: استكبرت.

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾

---

(١٤٦) يتعلق حول قوله ﴿وإذا ذكر الله﴾ أيها القارىء الكريم إن النذير في هذه الآية وغيرها من آيات القرآن من الأمور التي تبعث على التوبة وعدم التسويف فيها.. إن كثيراً من الناس لهم نصيب من هذه الآية فصنف من غلاة الصوفية هداهم الله تراهم حينما يذكر إمامهم القرآن أو ذكر الله لا يرتدعون ولا ينتهون بل هم بربهم يشركون وإذا ذكر إمامهم الغناء والطرب والوجد وما شابه ذلك تراهم محدقي الأبصار منشرحي الصدور فرحين طربين وصنف آخر من الناس تراهم عند المطالبة بتحكيم شريعة الله غافلين أو متغافلين ساهين وعند ذكر القانون الوضعي يرعدون ويزبدون ولربهم يغضبون ولهدى نبيهم تاركون وهم في الوقت نفسه يدافعون عن القانون الباطل الذي هو وضع البشر.

قوله عز وجل: ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض﴾ أي خالقهما.

﴿عالمَ الغيب والشهادة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: السر والعلانية.

الثاني: الدنيا والآخرة.

﴿أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون﴾ من الهدى والضلالة.

ويحتمل ثانياً: من التحاكم إليه في الحقوق والمظالم.

قال ابن جبير: اني لأعرف موضع آية ما قرأها أحدٌ فسأل الله شيئاً إلا أعطاه، قوله ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون﴾.

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

قوله عز وجل: ﴿فإذا مسّ الإنسان ضرٌّ دعانا﴾ قيل إنها نزلت في أبي حذيفة ابن المعيرة.

﴿ثم اذا خوّلناه نعمة منا قال إنما أوتيتُه على عِلمٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: على علم برضاه عني، قاله ابن عيسى.

الثاني: بعلمي، قاله مجاهد.

الثالث: بعلم علمني الله إياه، قاله الحسن.

الرابع: علمت أني سوف أصيبه: حكاه النقاش.

الخامس: على خبر عندي، قاله قتادة.

﴿بل هي فتنة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: النعمة لأنه يمتحن بها.

الثاني : المقالة التي اعتقدها لأنه يعاقب عليها.

﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ البلوى من النعمى.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي أسرفوا على أنفسهم في الشرك.

ويحتمل ثانياً: أسرفوا على أنفسهم في ارتكاب الذنوب مع ثبوت الإيمان والتزامه ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ أي لا تيأسوا من رحمته.

﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يغفرها بالتوبة منها، قاله الحسن.

الثاني: يغفرها بالعفو عنها إلا الشرك.

الثالث: يغفر الصغائر باجتناب الكبائر.

﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ قيل نزلت هذه الآية والتي بعدها في وحشي قاتل حمزة، قاله الحسن والكلبي، وقال علي عليه السلام(*): ما في القرآن آية أوسع منها.

(*) الأولى أن يقول رضي الله عنه، وانظر تفسير ابن كثير عند الآية (رقم ٥٦) من سورة الأحزاب (ج ٣/ص ٥١٧، ٥١٨).

وروى ثوبان قال[١٤٧]: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما أحب أن لي الدنيا وما عليها بهذه الآية**».

قوله عز وجل: **﴿واتبغوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾** فيه خمسة تأويلات:

أحدها: هو ما أمرهم الله به في الكتاب، قاله السدي.

الثاني: أن يأخذوا ما أمر به وينتهوا عما نهوا عنه، قاله الحسن.

الثالث: هو الناسخ دون المنسوخ، حكاه ابن عيسى.

الرابع: هو طاعة الله تعالى في الحرام والحلال قاله ابن زياد.

الخامس: تأدية الفرائض، قاله زيد بن علي، ومعاني أكثرها متقاربة.

ويحتمل سادساً: أنه الأخذ بالعزيمة دون الرخصة. وجعله منزلاً عليهم لأنه منزل إليهم على نبيهم ﷺ.

قوله عز وجل: **﴿أن تقول نفس يا حَسْرتَا﴾** فيه وجهان:

أحدهما: معناه لئلا تقول نفس.

الثاني: أن لا تقول نفس، والألف التي في يا حسرتا[١٤٨] بدل من ياء الإضافة ففعل ذلك في الاستغاثة لمدة الصوت بها.

﴿على ما فرطت في جنب الله﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: في مجانبة أمر الله، قاله مجاهد والسدي.

الثاني: في ذات الله[١٤٩]، قاله الحسن.

---

(١٤٧) رواه الطبري (١٦/٢٤) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ووثقه بعضهم وزاد السيوطي في الدر (٢٣٧/٧) نسبته لعبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب وأحمد.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠٠/٧) رواه الطبري في الأوسط وأحمد بنحوه.... وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن اهـ يعني حسن في الشواهد. أو من طريق العبادلة كما هو معروف عند أهل الحديث.

(١٤٨) يقصد المؤلف رحمه الله أن الأصل في يا حسرتا يا حسرتي بالياء لكن الألف جاءت بدلاً من ياء الإضافة.

(١٤٩) وقد ظن البعض أن قوله تعالى **﴿في جنب الله﴾** وصفة من صفات الله وهذا خطأ واضح فالآية ما سيقت أصلاً لإثبات أن الجنب من صفات الله ولم يفسرها أحد بذلك وقد قال الإمام الدارمي في الرد على بشر المريسي ص ٥٤ من عقائد السلف: إنما تفسيرها عندهم (أي عند السلف) نحشر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعو إلى ذات الله تعالى «واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله فهذا تفسير=

الثالث: في ذكر الله، قاله السدي، وذكر الله هنا القرآن.

الرابع: في ثواب الله من الجنة حكاه النقاش.

الخامس: في الجانب المؤدي إلى رضا الله، والجنب والجانب سواء.

السادس: في طلب القرب من الله ومنه قوله تعالى ﴿والصاحب بالجنب﴾ أي بالقرب.

﴿وإن كنت لمن السّاخرين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من المستهزئين في الدنيا بالقرآن، قاله النقاش.

الثاني: بالنبي ﷺ وبالمؤمنين، قاله يحيى بن سلام.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بنجاتهم من النار.

الثاني: بما فازوا به من الطاعة.

الثالث: بما ظفروا من الإدارة.

ويحتمل رابعاً: بما سلكوا فيه مفاز، الطاعات الشاقة، مأخوذ من مفازة السفر.

= الجنب عندهم فمن أنبأك أنهم قالوا جنب من الجنوب فإنه يجهل هذا المعنى كثير من العوام فضلاً عن علمائهم وقد قال أبو بكر رضي الله عنه الكذب بجانب الايمان راجع تفسير الطبري (١٣/٢٤) زاد المسير (١٩٢/٧) لأبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٦١.

﴿لا يمسهم السُّوءُ﴾ لبراءتهم منه. ﴿ولا هم يحزنون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يحزنون، بألا يخافوا سوء العذاب.

الثاني: لا يحزنون على ما فاتهم من ثواب الدنيا.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وما قدروا الله حق قدرِه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما عظموه حق عظمته إذ عبدوا الأوثان من دونه، قاله الحسن.

الثاني: وما عظموه حق عظمته إذ دعوا إلى عبادة غيره، قاله السدي.

الثالث: ما وصفوه حق صفته، قاله قطرب.

﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن قبضه استبدالها(١٥٠) بغيرها لقوله ﴿يوم تبدل الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] وهو محتمل(١٥١).

الثاني: أي هي في مقدوره كالذي يقبض عليه القابض في قبضته.

﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بقوته لأن اليمين القوة(١٥٢).

---

(١٥٠) ولعل الصواب أن يقال استبدال غيرها بها لأن الباء تدخل على المتروك كما في قوله تعالى ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط﴾ الآية راجع زاد المسير (١٩٢/٧).

(١٥١) وقد ثبت في البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض» فما عليه السلف الصالح أننا نؤمن بهذا النص إيماناً يليق بكمال الله وجلاله.

(١٥٢) إن ما عليه مذهب السلف الصالح في هذه الآية وفي كثير من الآيات مثيلاتها أنهم لا يتركونها على ظاهرها ولا يؤولونها تأويلاً تفصيلياً كما أولوا بعض الآيات وهي مواضع قليلة إنما فوضوا الأمر إلى الله مع إيمانهم بأنها ليست جسماً ولا جارحة وإنما إيمانهم في الله تعالى أنه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وتعالى الله عما يقول المعطلة والمجسمة علواً كبيراً.

وفي صحيح مسلم (١٨٢٧) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين راجع الفتح (٣٩٦/٣) والأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٢٣.

الثاني: في ملكه كقوله ﴿**وما ملكت أيمانكم**﴾[النساء: ٣٦].

ويحتمل طيها بيمينه وجهين:

أحدهما: طيها يوم القيامة[١٥٣]. لقوله يوم نطوي السماء.

الثاني: أنها في قبضته مع بقاء الدنيا كالشيء المطوي لاستيلائه عليها.

﴿**سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾روى صفوان بن سليم أن يهودياً[١٥٤] جاء إلى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم إن الله أنزل عليك ﴿**والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و والسموات مطويات بيمينه**﴾ فأين يكون الخلق؟ قال «**يكونون في الظلمة عند الجسر حتى ينجي الله من يشاء**». قال: والذي أنزل التوراة على موسى ما على الأرض أحد يعلم هذا غيري وغيرك.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

قوله عز وجل: ﴿**ونفخ في الصُّور فصعق مَنْ في السموات ومن في الأرض**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الصعق الغَشي، حكاه ابن عيسى.

الثاني: وهو قول الجمهور أنه الموت وهذا عند النفخة الأولى.

﴿**إلا من شاء الله**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام. وملك الموت يقبض أرواحهم بعد ذلك، قاله السدي ورواه أنس عن النبي[١٥٥] ﷺ.

---

(١٥٣) وهو الصواب لما ثبت في صحيح البخاري وغيره وقد تقدم ولاينافي ذلك القول الثاني فإن الله تعالى على كل شيء قدير وكل ما في الوجود تحت سلطانه وقدرته لا يخرج عن قدرته ولا يشبه شيء.

(١٥٤) وروى مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٠)من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات**﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال على الصراط، وكذلك جاء في حديث الخبر الذي رواه ابن مسعود انظره في الصحيح (٨/ ٥٥٠)

(١٥٥) رواه الطبري (٢٤/ ٢٩) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس وهذا سند ضعيف ويزيد ضعيف وقد مرّ أكثر

الثاني : الشهداء، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: هو الله الواحد القهار، قاله الحسن.

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ وهي النفخة الثانية للبعث.

﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ قيل قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وعدوا به.

ويحتمل وجهاً آخر ينظرون مايؤمرون به.

قوله عز وجل: **﴿وأشرقتِ الأرض﴾** إشراقها إضاءتها، يقال أشرقت الشمس إذا أضاءت، وشَرَقت إذا طلعت.

وفي قوله **﴿بِنُورِ رَبِّها﴾** وجهان:

أحدهما: بعدله، قاله الحسن.

الثاني: بنوره[١٥٦] وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه نور قدرته.

الثاني: نور خلقه لإشراق أرضه.

الثالث: أنه اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه لأنه نهار لا ليل معه.

﴿ووضع الكتاب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحساب، قاله السدي.

الثاني: كتاب أعمالهم[١٥٧]، قاله قتادة.

﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ فيهم قولان:

من مرة وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٢٥٠) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وأبي نعيم السجزي في الإبانة وابن مردويه.

ومن طريق اخرى عن أنس مختصراً بنحوه رواه البيهقي في البعث وابن مردويه كما في الدر (٧/ ٢٥٠).

(١٥٦) إن هذه الآية وسواها من مثيلاتها لا يجوز أن تحمل على ظاهرها لئلا يؤول الأمر إلى التجسيم والعياذ بالله تعالى وإنما مذهب السلف التسليم والتفويض مع الإيمان الكامل بقوله تعالى «ليس كمثله شيء» أي نؤمن بها إيماناً يليق بكماله وجلاله وقد مر معنا في سورة النور «الله نور السموات والأرض» فقال البعض مُنَوِّر السموات والأرض وقال البعض أي هادي أهل السموات وبعض أهل الأرض.

(١٥٧) و يؤيده الحديث الوارد وهو حديث البطاقة المشهور من حديث عبدالله بن عمرو رواه الترمذي (٢٦٤١) وابن حبان وغيرهما وصححه غير واحد من الأئمة راجع جامع الاصول (١٠/ ٤٥٨).

أحدهما: أنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم للأنبياء أنهم قد بلغوا، وأن الأمم قد كذبوا، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم الذين استشهدوا في طاعة الله، قاله السدي.

﴿وقضي بينهم بالحق﴾ قال السدي بالعدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ قال سعيد بن جبير لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أفواجاً، قاله الحسن.

الثاني: أمماً، قاله الكلبي.

الثالث: جماعات، قاله السدي. قال الأخفش جماعات متفرقة، بعضها إثر بعض واحدها زمرة. قال خفاف بن ندبة:

كأن إخراجها في الصبح غادية ... من كل شائبةٍ في أنها زُمَر

الرابع: دفعاً وزجراً بصوت كصوت المزمار، ومن قولهم مزامير داود.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

قوله عز وجل: ﴿سلام عليكم طبتم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: طبتم بطاعة الله قاله مجاهد.

الثاني: طبتم بالعمل الصالح، قاله النقاش.

الثالث: ما حكاه مقاتل أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداهما فتطهر أجوافهم فذلك قوله ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ [الإنسان: ٢١] ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أبشارهم، فعندها يقول لهم خزنتها: **﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾** فإذا دخلوها قالوا **﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾**.

وفي معنى طبتم ثلاثة أوجه:

أحدها: نعمتم، قاله الضحاك.

الثاني: كرمتم، قاله ثعلب.

الثالث: زكوتم، قاله الفراء وابن عيسى.

﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ وعده في الدنيا بما نزل به القرآن، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه وعده بالجنة في الآخرة ثواباً على الإيمان.

الثاني: أنه وعده في الدنيا بظهور دينه على الأديان، وفي الآخرة بالجزاء على الإيمان.

﴿وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاءُ﴾ وفي هذه الأرض قولان:

أحدهما: أرض الجنة، قاله أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وأكثر المفسرين.

الثاني: أرض الدنيا. فإن قيل إنها أرض الجنة ففي تسميتها ميراثاً وجهان:

أحدهما: لأنها صارت إليهم في آخر الأمر كالميراث.

الثاني: لأنهم ورثوها من أهل النار، وتكون هذه الأرض من جملة الجزاء والثواب، والجنة في أرضها كالبلاد في أرض الدنيا لوقوع التشابه بينهما قضاء بالشاهد على الغائب.

﴿نتبوأ من الجنة حيث نشآء﴾ يعني منازلهم التي جوزوا بها، لأنهم مصروفون عن إرادة غيرها.

وفي تأويل قوله ﴿حيث نشاء﴾ وجهان:

أحدهما: حيث نشاء من منزلة وعلو.

الثاني: حيث نشاء من منازل ومنازه، فإن قيل إنها أرض الدنيا فهي من النعم دون الجزاء.

ويحتمل تأويله وجهين:

أحدهما: أورثنا الأرض بجهادنا نتبوأ من الجنة حيث نشاء بثوابنا.

الثاني: وأورثنا الأرض بطاعة أهلها لنا نتبوأ من الجنة حيث نشاء بطاعتنا له لأنهم أطاعوا فأطيعوا.

﴿فنعم أجر العاملين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فنعم أجر العاملين في الدنيا الجنة في الآخرة.

الثاني: فنعم أجر من أطاع أن يطاع.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ قال قتادة: محدقين.

﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ وتسبيحهم تلذذ لا تعبد. وفي قوله.

﴿بحمد ربهم﴾ وجهان:

أحدهما: بمعرفة ربهم، قاله الحسن.

الثاني: يذكرون بأمر ربهم، قاله مقاتل.

﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي بالعدل وفيه قولان:

أحدهما: وقضي بينهم بعضهم لبعض.

الثاني: بين الرسل والأمم، قاله الكلبي.

﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ وفي قائله قولان:

أحدهما: أنه من قول الملائكة، فعلى هذا يكون حمدهم لله على عدله في قضائه.

الثاني : أنه من قول المؤمنين.

فعلى هذا يحتمل حمدهم وجهين:

أحدهما: على أن نجاهم مما صار إليه أهل النار.

الثاني : على ما صاروا إليه من نعيم الجنة، فختم قضاؤه في الآخرة بالحمد كما افتتح خلق السموات والأرض بالحمد في قوله **﴿الحمد لله الذي خلق السموات وَٱلْأَرْضَ﴾** [الأنعام: ١] فتلزم الاقتداء به والأخذ بهديه في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمه بحمده وبالله التوفيق.



مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾ [غافر: ٥٦] والتي بعدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه اسم من أسماء الله أقسم به، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أنها حروف مقطعة من اسم الله الذي هو الرحمن، قاله سعيد بن جبير وقال: الر وحمٓ ونٓ هو الرحمن.

الرابع: هو محمد ﷺ، قاله جعفر بن محمد.

الخامس: فواتح السور، قاله مجاهد قال شريح[١٥٨] بن أوفى العبسي:

يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

ويحتمل سادساً: أن يكون معناه حُم أمر الله أي قرب، قال الشاعر:

قد حُمَّ يومي فسر قوم ... قومٌ بهم غفلة ونوم

(١٥٨) وقيل هو الأشتر النخعي، والبيت في اللسان «حمم» والطبري (٢٤/٣٩).

ومنه سميت الحمى لأنها تقرب منه المنيـة.

فعلى هذا يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه يريد به قرب قيام الساعة لقـول النبي ﷺ: «**بعثت في آخرهـا ألفاً**»(١٥٩).

الثاني: أنه يريـد به قرب نصره لأوليائه وانتقامه من أعدائه يوم بدر.

قوله عز وجل: ﴿**غافر الذنب**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه غافره لمن استغفره، قاله النقاش.

الثاني: غافره بمعنى أنه موصوف بمغفرته، قاله ابن عيسى.

الثالث: ساتره على من يشاء، قاله سهل بن عبدالله.

﴿**وقابل التوب**﴾ يجوز أن يكون جمع توبة، ويجوز أن يكون مصدراً من تاب يتوب توباً، وقبوله للتوبة إسقاط الذنب بها مع إيجاب الثواب عليها.

قوله عز وجل: ﴿**ذي الطول**﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: ذي النعم، قاله ابن عباس.

الثاني: ذي القدرة، قاله ابن زيد.

الثالث: ذي الغنى والسعة، قاله مجاهد.

الرابع: ذي الخير، قاله زيد بن الأصم.

الخامس: ذي المن، قاله عكرمة.

السادس: ذي التفضيل، قاله محمـد بن كعب.

والفرق بين المن والفضل أن المن عفو عن ذنب، والفضل إحسـان غير مستحق والطول مأخوذ من الطول كأنه طال إنعامه على غيره وقيل لأنه طالت مدة إنعامه.

مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ

(١٥٩) لم أهتـد إلى تخريجه بنفس اللفظ، وقـد ورد من حـديث أنس مـرفـوعـاً بلفظ بعثت أنـا والساعة كهاتين وقرن السبابة والوسطى.

رواه البخاري (١١/٣٤٧) ومسلم (٤/٢٢٦٨ ـ ٢٢٦٩).

﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾** فيه وجهان:

أحدهما: ما يماري فيها، قاله السدي.

الثاني: ما يجحد بها، قاله يحيى بن سلام.

وفي الفرق بين المجادلة والمناظرة وجهان:

أحدهما: أن المجادلة لا تكون إلا بين مبطلين أو مبطل ومحق، والمناظرة بين محقين.

الثاني: أن المجادلة فتل الشخص عن مذهبه محقاً أو مبطلاً، والمناظرة التوصل إلى الحق في أي من الجهتين كان.

وقيل إنه أراد بذلك الحارث بن قيس السهمي وكان أحد المستهزئين.

﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ قال قتادة: إقبالهم وإدبارهم وتقلبهم في أسفارهم، وفيه وجهان:

أحدهما: لا يغررك تقلبهم في الدنيا بغير عذاب، قاله يحيى.

الثاني: لا يغررك تقلبهم في السعة والنعمة قاله مقاتل وقيل إن المسلمين قالوا نحن في جهد والكفار في السعة، فنزل **﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾** حكاه النقاش وفيه حذف تقديره: فلا يغررك تقلبهم في البلاد سالمين فسيؤخذون.

قوله عز وجل: **﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾** فيه وجهان:

أحدهما: ليحبسوه ويعذبوه، حكاه ابن قتيبة.

الثاني: ليقتلوه، قاله قتادة والسدي. والعرب تقول: الأسير الأخيذ لأنه مأسور للقتل، وأنشد قطرب قول الشاعر(١٦٠):

فإما تأخذوني تقتلوني ومن يأخذ فليس إلى خلود

---

(١٦٠) وفي تفسير القرطبي (١٥/٢٩٣).
الشطر الثاني فيه: فكم من آخذ يهوى خلودي.

وفي وقت أخذهم لرسولهم قولان:

أحدهما: عند دعائه لهم.

الثاني: عند نزول العذاب بهم.

﴿**وجادلوا بالباطل ليُدْحضوا به الحقَّ**﴾ قال يحيى بن سلام: جادلوا الأنبياء بالشرك ليبطلوا به الإيمان.

﴿**فأخذتهم**﴾ قال السدي: فعذبتهم.

﴿**فكيف كان عقاب**﴾ في هذا السؤال وجهان:

أحدهما: أنه سؤال عن صدق العقاب، قال مقاتل وجدوه حقاً.

الثاني: عن صفته، قال قتادة: شديد والله.

قوله عز وجل: ﴿**وكذلك حقت كلمت ربِّك على الذين كفروا**﴾ أي كما حقت على أولئك حقت على هؤلاء. وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: وكذلك وجب عذاب ربك.

الثاني: وكذلك صدق وعد ربك.

﴿**أنهم أصحاب النار**﴾ جعلهم أصحابها لأنهم يلزمونها وتلزمهم.

ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾

قوله عز وجل: ﴿**ربنا وسعت كل شَيْءٍ رحمة وعلماً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ملأت كل شيء رحمة وعلماً، أو رحمة عليه وعلماً به، وهو معنى قول يحيى بن سلام.

الثاني: معناه: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء.

﴿فاغفر للذين تابوا﴾ قال يحيى : من الشرك .

﴿و اتبعوا سبيلك﴾ قال الإسلام لأنه سبيل إلى الجنة .

﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ بالتوفيق لطاعتك .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل : ﴿إن الذين كفروا ينادَوْنَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنهم ينادون يوم القيامة ، قاله قتادة .

الثاني : ينادون في النار ، قاله السدي .

﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعوْن إلى الإيمان فتكفرون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لمقت الله بكم في الدنيا إذا دعيتم إلى الإيمان فكفرتم أكبر من مقتكم لأنفسكم في الآخرة حين عاينتم العذاب وعلمتم أنكم من أهل النار ، قاله الحسن وقتادة .

الثاني : معناه : إن مقت الله لكم إذ عصيتموه أكبر من مقت بعضكم لبعض حين علمتم أنهم أضلوكم ، حكاه ابن عيسى .

فإن قيل : كيف يصح على الوجه الأول أن يمقتوا أنفسهم؟

ففيه وجهان :

أحدهما : أنهم أحلوها بالذنوب محل الممقوت .

الثاني: أنهم لما صاروا إلى حال زال عنهم الهوى وعلموا أن نفوسهم هي التي أوبقتهم في المعاصي مقتوها.

وفي اللام التي في ﴿لمقت الله﴾ وجهان:

أحدهما: أنها لام الابتداء كقولهم لزيد أفضل من عمرو، قاله البصريون.

الثاني: أنها لام اليمين تدخل على الحكاية وما ضارعها، قاله ثعلب.

قوله عز وجل: ﴿قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾[١٦١] فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه خلقهم أمواتاً في أصلاب آبائهم، ثم أحياهم بإخراجهم ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم للبعث، فهما ميتتان إحداهما في أصلاب الرجال، الثانية في الدنيا، وحياتان: إحداهما في الدنيا والثانية في الآخرة، قاله ابن مسعود وقتادة.

الثاني: أن الله أحياهم حين أخذ عليهم الميثاق في ظهر آدم بقوله ﴿وإذ أخذ رَبُّكَ مِن آبني آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذرِيتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧١] الآية. ثم إن اللَّه أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم، ثم أحياهم حين أخرجهم، ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم للبعث فتكون حياتان وموتتان في الدنيا وحياة في الآخرة، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

الثالث: أن الله أحياهم حين خلقهم في الدنيا، ثم أماتهم فيها عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم في قبورهم للمساءلة، ثم أماتهم إلى وقت البعث. ثم أحياهم للبعث، قاله السدي.

﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ أنكروا البعث في الدنيا وأن يحيوا بعد الموت، ثم اعترفوا في الآخرة بحياتين بعد موتتين.

﴿فهل إلى خروج مِن سبيل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فهل طريق نرجع فيها إلى الدنيا فنقر بالبعث، وهو معنى قول قتادة.

الثاني: فهل عمل نخرج به من النار، ونتخلص به من العذاب؟ قاله الحسن.

---

(١٦١) واستدل بعض العلماء بهذه الآية على إثبات عذاب القبر راجع الروح للإمام ابن القيم. وهو قول السدي كما سيذكره المؤلف بعد قليل.

وفي الكلام مضمر محذوف تقديره: لا سبيل إلى الخروج.

قوله عز وجل: **﴿ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم﴾** أي كفرتم بتوحيد الله.

﴿وإن يُشرك به تؤمنوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه تصدقوا من أشرك به، قاله النقاش.

الثاني: تؤمنوا بالأوثان، قاله يحيى بن سلام.

﴿فالحكم لله﴾ يعني في مجازاة الكفار وعقاب العصاة.

﴿العلي الكبير﴾ إنما جاز وصفه بأنه علي ولم تجز صفته بأنه رفيع لأنها صفة قد تنقل من علو المكان إلى علو الشأن والرفيع لا يستعمل إلا في ارتفاع المكان.

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل: **﴿رفيع الدرجات﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: رفع السموات السبع، قاله سعيد بن جبير والكلبي.

الثاني: عظيم الصفات، قاله ابن زياد.

الثالث: هو رفعه درجات أوليائه، قاله يحيى.

﴿ذو العرش﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن عرشه فوق سماواته، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنه رب العرش، قاله يحيى.

﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أن الروح الوحي، قاله قتادة.

الثاني: النبوة، قاله السدي.

الثالث: القرآن، قاله ابن عباس.

الرابع: الرحمة، حكاه إبراهيم الجوني (١٦٢).

الخامس: أرواح عباده، لا ينزل ملك إلا ومعه منها روح، قاله مجاهد.

السادس: جبريل يرسله الله بأمره، قاله الضحاك.

﴿لينذر يوم التلاق﴾ فيه قولان:

أحدهما: لينذر الله به يوم القيامة، قاله الحسن.

الثاني: لينذر أنبياؤه يوم التلاق وهو يوم القيامة وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، قاله السدي وابن زيد.

الثاني: لأنه يلتقي فيه الأولون والآخرون، وهو معنى قول ابن عباس.

الثالث: يلتقي فيه الخلق والخالق، قاله قتادة.

قوله عز وجل: ﴿يومَ هم بارزون﴾ يعني من قبورهم.

﴿لا يخفى على الله منهم شَيْءٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أبرزهم جميعاً لأنه لا يخفى على الله منهم شيء.

الثاني: معناه يجازيهم من لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿لمن الملك اليوم﴾ هذا قول الله، وفيه قولان:

أحدهما: أنه قوله بين النفختين حين فني الخلائق وبقي الخالق فلا يرىٰ ـ غير نفسه ـ مالكاً ولا مملوكاً: لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد لأن الخلق أموات، فيجيب نفسه فيقول: ﴿لله الواحد القهار﴾ لأنه بقي وحده وقهر خلقه، قاله محمد بن كعب.

الثاني: أن هذا من قول الله تعالى في القيامة حين لم يبق من يدَّعي ملكاً، أو يجعل له شريكاً.

وفي المجيب عن هذا السؤال قولان:

أحدهما: أن الله هو المجيب لنفسه وقد سكت الخلائق لقوله، فيقول: لله الواحد القهار، قاله عطاء.

الثاني: أن الخلائق كلهم يجيبه من المؤمنين. والكافرين، فيقولون: لله الواحد القهار، قاله ابن جريج.

---

(١٦٢) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب إبراهيم الحربي والتصويب من زاد المسير (٧/ ٢١٠).

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

قوله عز وجل: ﴿**وأنذرهم يوم الآزفة**﴾ فيه قولان:

أحدهما: يوم حضور المنية، قاله قطرب.

الثاني: يوم القيامة وسميت الآزفة لدنوها، وكل آزف دانٍ، ومنه قوله تعالى ﴿**أزفت الآزفة**﴾ [النجم: ٥٧] أي دنت القيامة.

﴿**إذ القلوب لَدَى الحناجر**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن القلوب هي النفوس بلغت الحناجر عند حضور المنية، وهذا قول من تأول يوم الآزفة بحضور المنية، قاله قتادة. ووقفت في الحناجر من الخوف فهي لا تخرج ولا تعود في أمكنتها.

﴿**كاظمين**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: مغمومون(*) قاله الكلبي.

الثاني: باكون، قاله ابن جريج.

الثالث: ممسكون بحناجرهم، مأخوذ من كظم القربة وهو شد رأسها.

الرابع: ساكتون، قاله قطرب، وأنشد قول الشماخ:

فظلت كأن الطير فوق رؤوسها صيامٌ تنائي الشمس وهي كظوم

قال ابن عيسى: والكاظم الساكت على امتلائه غيظاً.

﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾ في الحميم قولان:

أحدهما: أنه القريب، قاله الحسن.

الثاني: الشفيق، قاله مجاهد، ومعنى الكلام: ما لهم من حميم ينفع ولا شفيع يطاع أي يجاب إلى الشفاعة، وسميت الإجابة طاعة لموافقتها إرادة المجاب.

قوله عز وجل: ﴿**يعلم خائنة الأعين**﴾ فيه خمسة أوجه:

(*) وفي نسخه مهمومون.

أحدها: أنه الرمز بالعين، قاله السدي.

الثاني: هي النظرة بعد النظرة، قاله سفيان.

الثالث: مسارقة النظر، قاله ابن عباس.

الرابع: النظر إلى ما نهى عنه، قاله مجاهد.

الخامس: هو قول الإنسان ما رأيت وقد رأى، أو رأيت وما رأى، قاله الضحاك.

وفي تسميتها خائنة الأعين وجهان:

أحدهما: لأنها أخفى الإشارات فصارت بالاستخفاء كالخيانة.

الثاني: لأنها باستراق النظر إلى المحظور خيانة.

﴿وما تُخفي الصدور﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: الوسوسة، قاله السدي.

الثاني: ما تضمره [عندما ترى امرأة](*) إذا أنت قدرت عليها أتزني بها أم لا، قاله ابن عباس.

الثالث: ما يسره الإنسان من أمانة أو خيانة وعبر عن القلوب بالصدور لأنها مواضع القلوب.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)﴾

قوله عز وجل: **﴿... كانوا هم أشدَّ منهم قوة﴾** فيه وجهان:

أحدهما: يعني بطشاً، قاله يحيى.

الثاني: قدرة، قاله ابن عيسى.

﴿وآثاراً في الأرض﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها آثارهم من الملابس والأبنية، قاله يحيى.

(*) زيادة يقتضيها وضوح المراد.

الثاني : خراب الأرضين وعمارتها ، قاله مجاهد .

الثالث: المشي فيها بأرجلهم ، قاله ابن جريج .

الرابع : بُعْد الغاية في الطلب ، قاله الكلبي .

الخامس: طول الأعمار، قاله مقاتل.

ويحتمل سادساً : ما سنوا فيها من خير وشر .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل : ﴿**وقال فرعون ذروني أقتُل موسى**﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه أشيروا عليّ بقتل موسى لأنهم قد كانوا أشاروا عليه بأن لا يقتله لأنه لو قتله منعوه، قاله ابن زياد.

الثاني : ذروني أتولى قتله ، لأنهم قالوا إن موسى ساحر إن قتلته هلكت لأنه لو أمر بقتله خالفوه .

الثالث : أنه كان في قومه مؤمنون يمنعونه من قتله .فسألهم تمكينه من قتله .

﴿**وليدع ربه**﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وليسأل ربه فإنه لا يجاب .

الثاني : وليستعن به فإنه لا يعان .

﴿**إني أخاف أن يبدِّل دينكم**﴾ فيها وجهان :

أحدهما : يغير أمركم الذي أنتم عليه ، قاله قتادة .

الثاني : معناه هو أن يعمل بطاعة الله ، رواه سعيد بن أبي عروبة .

الثالث : محاربته لفرعون بمن آمن به ، حكاه ابن عيسى .

الرابع : هو أن يقتلوا أبناءكم ويستحيوا نساءكم إذا ظهروا عليكم كما كنتم تفعلون بهم، قاله ابن جريج .

ويحتمل خامساً : أن يزول به ملككم لأنه ما تجدد دين إلا زال به ملك .

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل : ﴿**وقال رجلٌ مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه**﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه كان ابن عم فرعون، قاله السدي ، قال وهو الذي نجا مع موسى .

الثاني : أنه كان قبطياً من جنسه ولم يكن من أهله ، قاله مقاتل .

قال ابن إسحاق : وكان اسمه حبيب .

وحكى الكلبي أن اسمه حزبيل(١٦٣)، وكان مَلِكاً على نصف الناس وله الملك بعد فرعون، بمنزلة ولي العهد .

وقال ابن عباس : لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وامرأة فرعون وغير المؤمن الذي أنذر فقال ﴿**إن الملأ يأتمرون بك**﴾ [القصص : ٢٠] .

وفي إيمانه قولان :

أحدهما : أنه آمن بمجيء موسى وتصديقه له وهو الظاهر .

الثاني : أنه كان مؤمناً قبل مجيء موسى وكذلك امرأة فرعون قاله الحسن، فكتم إيمانه، قال الضحاك كان يكتم إيمانه للرفق بقومه ثم أظهره فقال ذلك في حال كتمه .

---

(١٦٣) وهو الموافق لما في زاد المسير (٧/٢١٧) .

﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي اللهُ﴾ أي لقوله ربي الله .

﴿وقد جاءَكم بالبينات من ربِّكم﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنه الحلال والحرام ، قاله السدي .

الثاني : أنها الآيات التي جاءتهم : يده وعصاه والطوفان وغيرها، كما قال تعالى ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقصٍ من الثمرات﴾ [الأعراف: ١٣٠] قاله يحيى .

﴿وإن يك كَاذباً فعليه كَذِبُه﴾ ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ولكن تلطفاً في الاستكفاف واستنزالاً عن الأذى .

﴿وإن يَكُ صادقاً يصبكم بعض الذي يعدُكم﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه كان وعدهم بالنجاة إن آمنوا وبالهلاك إن كفروا، فقال ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ لأنهم إذا كانوا على إحدى الحالتين نالهم أحد الأمرين فصار ذلك بعض الوعد لا كله .

الثاني : لأنه قد كان أوعدهم على كفرهم بالهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة ، فصار هلاكهم في الدنيا بعض ما وعدهم .

الثالث : أن الذي يبدؤهم من العذاب هو أوله ثم يتوالى عليهم حالاً بعد حال حتى يستكمل فصار الذي يصيبهم هو بعض الذي وعدهم لأنه حذرهم ما شكوا فيه وهي الحالة الأولى وما بعدها يكونون على يقين منه .

الرابع : أن البعض قد يستعمل في موضع الكل تلطفاً في الخطاب وتوسعاً في الكلام كما قال الشاعر(١٦٤) :

قد يُدْرِكُ المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

﴿إن الله لا يهدي من هو مُسْرِفٌ كَذّابٌ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : مسرف على نفسه كذاب على ربه إشارة إلى موسى ، ويكون هذا من قول المؤمن .

الثاني : مسرف في عناده كذاب في ادعائه إشارة إلى فرعون [ويكون](*) هذا من قوله تعالى .

---

(١٦٤) هو عمر القطامي ،والبيت في البحر المحيط(٤٦١/٧) فتح القدير (٤٨٩/٤) روح المعاني (٦٤/٢٤) .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

قوله عز وجل: ﴿ويا قوم لكم الملك اليوم ظاهِرين في الأرض﴾ قال السدي: غالبين على أرض مصر قاهرين لأهلها، وهذا قول المؤمن تذكيراً لهم بنعم الله عليهم.

﴿فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءَنا﴾ أي من عذاب الله، تحذيراً لهم من نقمة، فذكر وحذر فعلم فرعون ظهور محبته.

﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: معناه ما أشير عليكم إلا بما أرى لنفسي.

﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ في تكذيب موسى والإيمان بي.

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التنادِ﴾ يعني يوم القيامة، قال أمية بن أبي الصلت:

وبث الخلق فيها إذ دحاها فهم سكانها حتى التّنادِ

سمي بذلك لمناداة بعضهم بعضاً، قاله الحسن.

وفيما ينادي به بعضهم بعضاً قولان:

أحدهما: يا حسرتا، يا ويلتا، يا ثبوراه، قاله ابن جريج.

الثاني: ينادي أهلُ الجنة أهل النار أن ﴿قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً﴾ [الأعراف: ٤٤] الآية.

وينادي أهل النار أهل الجنة ﴿أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم اللّه﴾ [الأعراف: ٥٠] قاله قتادة

وكان الكلبي يقرؤها: يوم التنادّ، مشدودة، أي يوم الفرار، قال ينِدّون كما يندّ البعير. وقد جاء في الحديث(١٦٥) أن للناس جولة يوم القيامة يندون يطلبون أنهم يجدون مفراً ثم تلا هذه الآية.

﴿يوم تولون مدبرين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مدبرين في انطلاقهم إلى النار، قاله قتادة.

الثاني: مدبرين في فِرارهم من النار حتى يقذفوا فيها، قاله السدي.

﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ناصر، قاله قتادة.

الثاني: من مانع، وأصل العصمة المنع، قاله ابن عيسى.

﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ وفي قائل هذا قولان:

أحدهما: أن موسى هو القائل له.

الثاني: أنه من قول مؤمن آلِ فرعون.

قوله عز وجل: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن يوسف بن يعقوب(١٦٦)، بعثه الله رسولاً إلى القبط بعد موت الملك من قبل موسى **بالبينات**. قال ابن جريج: هي الرؤيا.

الثاني: ما حكاه النقاش عن الضحاك أن الله بعث اليهم رسوْلاً من الجن يقال له يوسف.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ

(١٦٥) جزء من حديث الصور الطويل رواه الطبري وغيره وقد تقدم تخريجه وهو حديث ضعيف ضعفه ابن كثير وغيره.

(١٦٦) وهو الصواب ورجحه غير واحد والقول الثاني ليس بشيء لأنه لا دليل عليه.

﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني مجلساً، قاله الحسن.

الثاني: قصراً، قاله السدي.

الثالث: أنه الآجر ومعناه أوقد لي على الطين حتى يصير آجراً، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: أنه البناء المبني بالآجر، وكانوا يكرهون أن يبنوا بالآجر ويجعلوه في القبر، قاله إبراهيم.

﴿لعلّي أبلغ الأسباب﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما يسبب إلى فعل مرادي.

الثاني: ما أتوصل به إلى علم ما غاب عني، ثم بين مراده فقال:

﴿أسباب السموات﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: طرق السموات، قاله أبو صالح.

الثاني: أبواب السموات، قاله السدي والأخفش، وأنشد قول الشاعر(١٦٧):

ومن هاب أسباب المنايا يَنَلْنه ... ولو نال أسباب السماء بِسلَّمِ

الثالث: ما بين السموات، حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

﴿فأطَّلعَ إلى إلّه موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه غلبه الجهل على قول هذا أو تصوره.

الثاني: أنه قاله تمويهاً على قومه مع علمه باستحالته، قاله الحسن.

---

(١٦٧) هو زهير بن أبي سلمى والبيت من معلقته المشهورة.
شرح المعلقات لأبي بكر الأنباري ٢٨٣ فتح القدير (٤/٤٩٢).
وفي شرح المعلقات:

ومن يبغ أطراف الرماح ينلنه ... ولو رام أن يرقى السماء بسلَّم

﴿وما كَيْدُ فرعون إلا في تبابٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في خسران قاله ابن عباس.

الثاني: في ضلال، قاله قتادة.

وفيه وجهان:

أحدهما: في الدنيا لما أطلعه الله عليه من هلاكه.

الثاني: في الآخرة لمصيره إلى النار، قاله الكلبي.

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

قوله عز وجل: ﴿لا جَرَمَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه: لا بد، قاله المفضل.

الثاني : معناه : لقد حق واستحق ، قاله المبرد .

الثالث : أنه لا يكون إلا جواباً كقول القائل : فعلوا كذا، فيقول المجيب : لا جرم انهم سيندمون ، قاله الخليل .

﴿أن ما تدعونني إليه﴾ أي من عبادة ما تعبدون من دون الله .

﴿ليس له دعوةٌ في الدنيا ولا في الآخرة﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة، قاله السدي .

الثاني : لا ينفع ولا يضر في الدنيا ولا في الآخرة، قاله قتادة .

الثالث : ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة، قاله الكلبي .

﴿وأن مردنا إلى الله﴾ أي مرجعنا بعد الموت إلى الله ليجازينا على أفعالنا .

﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ فيهم قولان :

أحدهما : يعني المشركين ، قاله قتادة .

الثاني : يعني السفاكين للدماء بغير حق، قاله الشعبي ، وقال مجاهد : سمى الله القتل سرفاً .

قوله عز وجل : ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني في الآخرة، قاله ابن زيد .

الثاني : عند نزول العذاب بهم ، قاله النقاش .

﴿وأفوّض أمري إلى الله﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه : وأسلم أمري إلى الله ، قاله ابن عيسى .

الثاني : أشهد عليكم الله ، قاله ابن بحر .

الثالث : أتوكل على الله ، قاله يحيى بن سلام .

﴿إن الله بصير بالعباد﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بأعمال العباد .

الثاني : بمصير العباد .

وفي قائل هذا قولان :

أحدهما : أنه من قول موسى .

الثاني : من قول مؤمن آل فرعون ، فعلى هذا يصير بهذا القول مظهراً لإيمانه .

قوله عز وجل: **﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾** فيه قولان:

أحدهما: أن موسى وقاه الله سيئات ما مكروا، فعلى هذا فيه قولان:

أحدهما: أن مؤمن آل فرعون نجاه الله مع موسى حتى عبر البحر وأغرق الله فرعون، قاله قتادة، وقيل إن آل فرعون هو فرعون وحده ومنه قول أراكة الثقفي:

لا تبك ميتاً بعد موت أحبةٍ ... عليّ وعباس وآل أبي بكر

يريد أبا بكر.

الثاني: أن مؤمن آل فرعون خرج من عنده هارباً إلى جبل يصلي فيه، فأرسل في طلبه، فجاء الرسل وهو في صلاته وقد ذبت عنه السباع والوحوش أن يصلوا إليه، فعادوا إلى فرعون فأخبروه فقتلهم فهو معنى قوله **﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾**.

﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم قومه، وسوء العذاب هو الغرق، قاله الضحاك.

الثاني: رسله الذين قتلهم، وسوء العذاب هو القتل.

قوله عز وجل: **﴿النار يعرضون عليها غُدُوّاً وعشيًّا﴾** فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يعرض عليهم مقاعدهم من النار غدوة وعشية، فيقال: لآلِ فرعون هذه منازلكم، توبيخاً، قاله قتادة.

الثاني: أن أرواحهم في أجواف طير سود تغدو على[١٦٨] جهنم وتروح فذلك عرضها، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنهم يعذبون بالنار في قبرهم غدواً وعشياً، وهذا لآل فرعون خصوصاً. قاتل مجاهد: ما كانت الدنيا.

﴿ويوم تقوم الساعةُ﴾ وقيامها وجود صفتها على استقامة، ومنه قيام السوق وهو حضور أهلها على استقامة في وقت العادة.

﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ لأن عذاب جهنم مُخْتَلِف. وجعل الفراء في الكلام تقديماً وتأخيراً وتقديره: ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً، وهو خلاف ما ذهب إليه نغيره من انتظار الكلام على سياقه.

---

(١٦٨) وعلى هذا فالآية يستدل بها على إثبات عذاب القبر لأن الله تعالى غاير فيها بين العذابين بحرف الواو وهذا يدل على أن العذاب الأول غير العذاب الثاني.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿**إنا لننصرُ رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا**﴾ فيه قولان:

أحدهما: بإفلاج حجتهم، قاله أبو العالية.

الثاني: بالانتقام من أعدائهم قال السدي: ما قتل قوم قط نبياً أو قوماً من دعاة الحق(١٦٩) من المؤمنين إلا بعث الله من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وإن قُتلوا.

﴿**ويومَ يقومُ الأشْهاد**﴾ بمعنى يوم القيامة. وفي نصرهم قولان:

أحدهما: بإعلاء كلمتهم وإجزال ثوابهم.

الثاني: إنه بالانتقام من أعدائهم.

وفي ﴿**الأشهاد**﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الملائكة شهدوا للأنبياء بالإبلاغ، وعلى الأمم بالتكذيب، قاله مجاهد والسدي.

الثاني: أنهم الملائكة والأنبياء، قاله قتادة.

---

(١٦٩) وهذا يدل على أن الداعي إلى الله تعالى دائماً منصور في الدنيا والآخرة فلا يظن أن بموته تموت الدعوة بل إن الدعوة تزيد انتشاراً وما موته إلا رقود وبداية لانطلاق الدعوة وانتشارها ألا ترى إلى ما حدث لغلام قصة أصحاب الأخدود كيف كان موت الغلام مغيراً لمجرى الأحداث ومشعلاً يستضاء به ألا فليعلم الدعاة هذا وليعتصموا بحبل الله جميعاً وليصدعوا بالحق غير هيابيـن فإن كلمة الحق لا تقضي آجالاً ولا تقطع أرزاقاً حمانا الله وإياهم من شرور أعدائه وأيدنا وإياهم بمدد من عنده.

الثالث: أنهم أربعة: الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد، قاله زيد بن أسلم ثم في ﴿الأشهاد﴾ أيضاً وجهان:

أحدهما: جمع شهيد مثل شريف، وأشراف.

الثاني: أنه جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب.

قوله عز وجل: ﴿فاصبر إنَّ وعد الله حق﴾ فيه قولان:

أحدهما: هو ما وعد الله رسوله في آيتين من القرآن أن يعذب كفار مكة، قاله مقاتل.

الثاني: هو ما وعد الله رسوله أن يعطيه المؤمنين في الآخرة، قاله يحيى بن سلام.

﴿واستغفر لذنبك﴾ أي من ذنب إن كان منك. قال الفضيل: تفسير الاستغفار أقلني.

﴿وسبح بحمد ربِّك﴾ قال مجاهد: وصَلِّ بأمر ربك.

﴿بالعشي والإبكار﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها صلاة العصر والغداة، قاله قتادة.

الثاني: أن العشي ميل الشمس إلى أن تغيب، والإبكار أول الفجر، قاله مجاهد.

الثالث: هي صلاة مكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ركعتان غدوة وركعتان عشية، قاله الحسن.

قوله عز وجل: ﴿إنّ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم﴾ أي بغير حجة جاءتهم.

﴿إن في صدورهم إلا كبرٌ ما هم ببالغيه﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الكبر العظمة التي في كفار قريش، ما هم ببالغيها، قاله مجاهد.

الثاني: ما يستكبر من الاعتقاد وفيه قولان:

أحدهما: هو ما أمله كفار قريش في النبي ﷺ وفي أصحابه أن يهلك ويهلكوا، قاله الحسن.

الثاني: هو أن اليهود قالوا إن الدجال منا وعظموا أمره، واعتقدوا أنهم يملكون، وينتقمون، قاله أبو العالية.

﴿فاستعذ بالله﴾ من كبرهم.

﴿إنه هو السميع﴾ لما يقولونه ﴿البصير﴾ بما يضمرونه.

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

قوله عز وجل: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لخلق السموات والأرض أعظم من خلق الدجال(١٧٠) حين عظمت اليهود شأنه، قاله أبو العالية.

الثاني: أكبر من إعادة خلق الناس حين أنكرت قريش البعث، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: أكبر من أفعال الناس حين أذل الكفار بالقوة وتباعدوا بالقهر.

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال ربكم ادعوني استجبْ لكم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه وحدوني بالربوبية أغفر لكم ذنوبكم، قاله ابن عباس.

الثاني: اعبدوني استجب لكم، قاله جرير بن عبدالله، أي اتبعكم على عبادتكم.

الثالث: سلوني أعطكم، قاله السدي. وإجابة الداعي عند صدق الرغبة مقيد بشرط الحكمة. وحكى قتادة أن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطهن

(١٧٠) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٨٤) تعقيباً على هذا القول «وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

أمّة قبلكم إلا نبي: كان إذا أرسل نبي قيل له: أنت شاهد على أمتك، وجعلكم شهداء على الناس، وكان يقال للنبي: ليس عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: وما جعل عليكم في الدين من حرج، وكان يقال للنبي: ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ادعوني أستجب لكم.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

قوله عز وجل: ﴿**الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لتستريحوا فيه من عمل النهار.

الثاني: لتكفوا فيه عن طلب الأرزاق.

الثالث: لتحاسبوا فيه أنفسكم على ما عملتم بالنهار.

﴿والنهار مبصراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مبصراً لقدرة الله في خلقه.

الثاني: مبصراً لمطالب الأرزاق.

قوله عز وجل: ﴿كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: كذلك يصرف، قاله يحيى.

الثاني: كذلك يكذب بالتوحيد، قاله مقاتل.

الثالث: كذلك يعدل عن الحق، قاله ابن زيد.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

قوله عز وجل: ﴿**ذلكم بما كنتم تفرحون . .**﴾ الآية.

في الفرح والمرح وجهان:

أحدهما: أن الفرح: السرور والمرح: البطر، فسرّوا بالإمهال وبطروا بالنعم.

الثاني: الفرح والسرور، قاله الضحاك، والمرح العدوان.

روى خالد عن ثور عن معاذ قال: قال رسول الله(١٧١) ﷺ «**إن الله تعالى يبغض البذخين الفرحين المرحين، ويحب كل قلب حزين ويبغض أهل بيت لحمين، ويبغض كل حبر سمين**». فأما أهل بيت لحمين فهم الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة، وأما الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر به الناس، يعني المستكثر من علمه ولا ينفع به الناس.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العِلْمْ**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بقولهم نحن أعلم منهم لن نبعث لن نعذب، قاله مجاهد.

الثاني: بما كان عندهم أنه علم وهو جهل، قاله السدي.

الثالث: فرحت الرسل بما عندهم من العلم بنجاتهم وهلاك أعدائهم، حكاه ابن عيسى.

---

(١٧١) ورد هذا الحديث مرفوعاً من رواية شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت مرفوعاً ذكره الحكيم الترمذي وشهر ضعيف وقد وثقه بعضهم.

الرابع : رضوا بعلمهم واستهزأوا برسلهم، قاله ابن زيد.

﴿وحاق بهم﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أحاط بهم، قاله الكلبي .

الثاني : عاد عليهم .

﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : محمد ﷺ أنه ساحر.

الثاني : بالقرآن أنه شِعْر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ﴾ قد مضى تأويله.

﴿**تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه على التقديم والتأخير فيكون تقديره حمٓ تنزيل الكتاب من الرحمن الرحيم.

الثاني: أن يكون فيه مضمر محذوف تقديره تنزيل القرآن من الرحمن الرحيم.

ثم وصفه فقال ﴿**كتابٌ فصلت آياتُه**﴾ وفي تفصيل آياته خمسة تأويلات:

أحدها: فسّرت، قاله مجاهد.

الثاني: فصلت بالوعد والوعيد، قاله الحسن.

الثالث: فصلت بالثواب والعقاب، قاله سفيان.

الرابع: فصلت ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته، قاله قتادة.

الخامس: فصلت من ذكر محمد ﷺ، فحكم فيما بينه وبين من خالفه، قال عبد الرحمن بن زيد.

﴿قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعلمون انه إلّه واحد في التوراة والإنجيل، قاله مجاهد.

الثاني: أن القرآن من عند الله نزل، قاله الضحاك.

الثالث: يعلمون العربية فيعجزون عن مثله.

قوله عز وجل: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في أغطية، قاله السدي.

الثاني: كالجعبة للنبل، قاله مجاهد.

﴿وفي آذاننا وقر﴾ أي صمم وهما في اللغة يفترقان فالوقر ثقل السمع والصمم ذهاب جميعه.

﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني ستراً مانعاً عن الإجابة، قاله ابن زياد.

الثاني: فرقة في الأديان، قاله الفراء.

الثالث: أنه تمثيل بالحجاب ليؤيسوه من الإجابة، قاله ابن عيسى.

الرابع: أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً وقال: يا محمد بيننا وبينك حجاب، استهزاء منه، حكاه النقاش.

﴿فاعمل إننا عامِلون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فاعمل بما تَعْلَم من دينك فإنا نعمل بما نعلم من ديننا، قاله الفراء.

الثاني: فاعمل في هلاكنا فإنّا نعمل في هلاكك، قاله الكلبي.

الثالث: فاعمل لإلّهك الذي أرسلك فإنا نعمل لآلهتنا التي نعبدها، قاله مقاتل.

ويحتمل رابعاً: فاعمل لآخرتك فإنا نعمل لدنيانا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ

﴿هُم كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨﴾

قوله عز وجل: ﴿**وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه قرعهم بالشح الذي يأنف منه الفضلاء، وفيه دلالة على أن الكافر يعذب بكفره، مع وجوب(١٧٢) الزكاة عليه، أكثر مما يعذب من لم تكن الزكاة واجبة عليه، قاله ابن عيسى.

الثاني: معناه انهم لا يزكون أعمالهم، قاله ابن عمر.

الثالث: معناه لا يأتون به أزكياء، قاله الحسن.

الرابع: معناه لا يؤمنون بالزكاة، قاله قتادة.

الخامس: معناه ليس هم من أهل الزكاة، قاله معاوية بن قرة.

قوله عز وجل: ﴿**لهم أجرٌ غير ممنون**﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: غير محسوب، قاله مجاهد.

الثاني: غير منقوص، قاله ابن عباس وقطرب، وأنشد قول زهير(١٧٣):

فَضْل الجياد على الخيل البطاء فما ... يعطي بذلك ممنوناً ولا نزقا

الثالث: غير مقطوع، قاله ابن عيسى، مأخوذ من مننت الحبل إذا قطعته، قال ذو الأصبع العدواني(١٧٤):

إني لعمرك ما بابي بذي غلق ... على الصديق ولا خيري بممنون

الرابع: غير ممنون عليهم به، قاله السدي.

﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾

(١٧٢) وهذا على قول من قال إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وأصولها.

(١٧٣) فتح القدير (٤/٥٠٦).

(١٧٤) فتح القدير (٤/٥٠٦) روح المعاني (٢٤/٩٨).

وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

قوله عز وجل: ﴿**قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين**﴾ قال ابن عباس خلقها في يومي الأحد والاثنين، وخلقها في يومين أدل على القدرة والحكمة من خلقها دفعة واحدة في طرفة عين، لأنه أبعد من أن يظن به الاتفاق والطبع، وليرشد خلقه إلى الأناة في أمورهم.

﴿**وتجعلون له أنداداً**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أشباهاً، قاله ابن عباس.

الثاني: شركاء، قاله أبو العالية.

الثالث: كفواً من الرجال تطيعونهم في معاصي الله تعالى قاله السدي.

الرابع: هو قول الرجل لولا كلبة[١٧٥] فلان لأتى اللصوص، ولولا فلان لكان كذا، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله عز وجل: ﴿**وجعل فيها رواسي من فوقها**﴾ أي جبالاً، وفي تسميتها رواسي وجهان:

أحدهما: لعلوّ رءوسها.

الثاني: لأن الأرض بها راسية أو لأنها على الأرض ثابتة راسية.

﴿**وبارك فيها**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي أنبت شجرها من غير غرس وأخرج زرعها من غيره بذر، قال السدي.

الثاني: أودعها منافع أهلها وهو معنى قول ابن جريج.

﴿**وقَدَّر فيها أقواتها**﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: قدر أرزاق أهلها، قاله الحسن

الثاني: قدر فيها مصالحها من جبالها وبحارها وأنهارها وشجرها ودوابها قاله قتادة.

---

(١٧٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١/٥٧) وسنده حسن وفيه شبيب بن بشر وهو حسن الحديث وقول ابن عباس مطول في المصدر المشار إليه ولكن المؤلف هنا اقتصر على جزء منه.

الثالث: قدر فيها أقواتها من المطر، قاله مجاهد.

الرابع: قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد، قاله عكرمة.

﴿**في أربعة أيام**﴾ يعني تتمة أربعة أيام، ومنه قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، أي في تتمة خمسة عشر يوماً.

وقد جاء في الحديث المرفوع أن الله(١٧٦) عز وجل خلق الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والخراب والعمران، فتلك أربعة أيام، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وآدم.

وفي خلقها شيئاً بعد شيء قولان:

أحدهما: لتعتبر به الملائكة الذين أحضروا.

والثاني: ليعتبر به العباد الذين أخبروا.

﴿**سواء للسائلين**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: سواء للسائلين عن مبلغ الأجل في خلق الله الأرض، قاله قتادة.

الثاني: سواء للسائلين في أقواتهم وأرزاقهم.

قوله عز وجل: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان**﴾ فيه وجهان:

---

(١٧٦) رواه مطولاً الطبري (٢٤/٩٤) من حديث ابن عباس وزاد السيوطي في الدر (٧/٣١٤) نسبته للنحاس في ناسخه وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وقال الحافظ ابن كثير (٤/٩٤): هذا الحديث فيه غرابة وقد روى مسلم (٤/١٤٩) والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٦ من حديث ابي هريرة مرفوعاً خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق فيها الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل. والحديث لا مطعن في سنده ولا تعارض بينه وبين القرآن كما توهمه بعضهم فإن القرآن ذكر أن الله تعالى خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام وخلق الأرض وحدها في يومين والحديث بيَّن أن الله خلق ما في الأرض في سبعة أيام ويحتمل أن هذه الأيام السبعة غير الأيام الستة التي ذكرها الله في خلق السموات والأرض وحينئذ لا تعارض فإن الحديث فصَّل كيفية الخلق على الأرض وحدها والله تعالى أعلم.

أحدهما: عمد إلى السماء، قاله ابن عيسى.

الثاني: استوى أمره[١٧٧] إلى السماء، قاله الحسن.

﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوْعاً أو كرهاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قال ذلك قبل خلقها، ويكون معنى ائتيا أي كونا فكانتا كما قال تعالى ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كُن فيكون﴾ قاله ابن بحر.

الثاني: قول الجمهور أنه قال ذلك لهما بعد خلقهما.

فعلى هذا يكون في معناها أربع تأويلات:

أحدها: معناه أعطيا الطاعة في السير المقدر لكما طوعاً أو كرهاً أي اختياراً أو إجباراً قاله سعيد بن جبير.

الثاني: ائتيا عبادتي ومعرفتي طوعاً أو كرهاً باختيار أو غير اختيار.

الثالث: ائتيا بما فيكما طوعاً أو كرهاً، حكاه النقاش.

الرابع: كونا كما أمرت من شدة ولين، وحزن وسهل ومنيع وممكن، قاله ابن بحر.

وفي قوله ﴿لَهَا﴾ وجهان:

أحدهما: أنه قول تكلم به.

الثاني: أنها قدرة منه ظهرت[١٧٨] لهما فقام مقام الكلام في بلوغ المراد

﴿قالتا أتينا طائعين﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه أعطينا الطاعة رواه طاووس.

الثاني: أتينا بما فينا. قال ابن عباس: أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وأتت الأرض بما فيها من الأشجار والأنهار والثمار.

الثالث: معناه كما أراد الله أن نكون، قاله ابن بحر. وفي قولهما وجهان:

أحدهما: أنه ظهور الطاعة منهما قائم[١٧٩] مقام قولهما.

---

(١٧٧) راجع ما عليه السلف أنه استوى استواء يليق به تعالى.

(١٧٨) ولا شك أن القول الأول أرجح وهو الصواب وذلك من غير حركة ولا مماسة ولا معالجة والله سبحانه أعلم.

(١٧٩) وقد يقال تكلمتا بذلك على الحقيقة بكلام حقيقي لكن لا ندري كيفيته لأنه لم يرد نص يدل على ذلك. فيكفينا الأخذ بظاهر الآية لأنه لم يرد صارف والله المستعان.

الثاني: أنهما تكلمتا بذلك. قال أبو النصر السكسكي: فنطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها فوضع الله فيه حرمه.

قوله عز وجل: ﴿فقضاهن سبع سماوات(*) في يومين﴾ أي خلقهن سبع سماوات في يومين، قيل يوم الخميس والجمعة. قال السدي: سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات(*) وخلق الأرضين. وقالت طائفة خلق(١٨٠) السماوات قبل الأرضين في يوم الأحد والاثنين، وخلق الأرضين والجبال في يوم الثلاثاء والأربعاء، وخلق ما سواهما من العالم يوم الخميس والجمعة. وقالت طائفة ثالثة أنه خلق السماء دخاناً قبل الأرض ثم فتقها سبع سماوات بعد الأرضين والله أعلم بما فعل فقد اختلفت فيه الأقاويل وليس للاجتهاد فيه مدخل.

﴿وأوحى في كلِّ سماءٍ أمرها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أسكن في كل سماء ملائكتها، قاله الكلبي.

الثاني: خلق في كل سماء خلقها خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها، قاله قتادة.

الثالث: أوحى إلى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة، حكاه ابن عيسى.

﴿وزينا السماءَ الدنيا بمصابيح وحِفْظاً﴾ أي جعلناها زينة وحفظاً.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا

(*) كذلك في الأصل.

(١٨٠) وروى أبو الشيخ في العظمة (٣/١٠٣٩) وفي سنده إليه عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال رأيت أشياء تختلف عليّ في القرآن قال: هات ما اختلف عليك في ذلك، فقال: أسمع الله تعالى يقول ﴿أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في.... حتى بلغ طائعين﴾ فبدأ بخلق الأرض في هذه الآية قبل خلق السماء ثم قال سبحانه في الآية الأخرى ﴿أم السماء بناها﴾ ثم قال ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فبدأ جل شأنه بخلق السماء قبل خلق الأرض فقال ابن عباس رضي الله عنهما: أما خلق الأرض في يومين فإن الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخاناً فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض وأما قوله ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ يقول جعل فيها جبالاً وجعل فيها نهراً وجعل فيها شجراً وجعل فيها بحوراً أ هـ.

لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: **﴿إذ جاءتهم الرسلُ مِن بين أيديهم ومِن خلفهم﴾** فيه وجهان:

أحدهما: أرسل من قبلهم ومن بعدهم، قاله ابن عباس والسدي.

الثاني: ما بين أيديهم عذاب الدنيا، وما خلفهم عذاب الآخرة، قاله الحسن.

قوله عز وجل: **﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الشديدة البرد، قاله عكرمة وسعيد بن جبير، وأنشد قطرب قول الحطيئة (١٨١):

المطعمون إذا هبت بصرصرة ... والحاملون إذا استودوا على الناس

استودوا أي سئلوا الدية

الثاني: الشديدة السموم، قاله مجاهد.

الثالث: الشديدة الصوت، قاله السدي مأخوذ من الصرير، وقيل إنها الدبور.

﴿في أيام نحسات﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: مشئومات، قاله مجاهد وقتادة، كن آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء وذلك **﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾** قال ابن عباس: ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء.

الثاني: باردات، حكاه النقاش.

---

(١٨١) فتح القدير (٤/ ٥١٠).

الثالث: متتابعات، قاله ابن عباس وعطية.

الرابع: ذات غبار، حكاه ابن عيسى ومنه قول الراجز[١٨٢]:

قد أغتدي قبل طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس

قوله عز وجل: ﴿وأمّا ثمود فهديناهم﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: دعوناهم، قاله سفيان.

الثاني: بيّنا لهم سبيل الخير والشر، قاله قتادة.

الثالث: أعلمناهم الهدى من الضلالة، قاله عبد الرحمن بن زيد.

﴿فاستحبوا العَمى على الهدى﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: اختاروا العمى على البيان، قاله أبو العالية.

الثاني: اختاروا الكفر على الإيمان.

الثالث: اختاروا المعصية على الطاعة، قاله السدي.

﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ وفي الصاعقة هنا أربعة أقاويل:

أحدها: النار، قاله السدي.

الثاني: الصيحة من السماء، قاله مروان بن الحكم.

الثالث: الموت وكل شيء أمات، قاله ابن جريج.

الرابع: أن كل عذاب صاعقة، وإنما سميت صاعقة لأن كل من سمعها يصعق لهولها.

وفي ﴿الهون﴾ وجهان:

أحدهما: الهوان، قاله السدي.

الثاني: العطش، حكاه النقاش.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ

(١٨٢) روح المعاني (٢٤/١١٣).

﴿وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**فهم يوزعون**﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يدفعون، قاله ابن عباس.

الثاني: يساقون، قاله ابن زيد.

الثالث: يمنعون من التصرف، حكاه ابن عيسى.

الرابع: يحبس أولهم على آخرهم، قاله مجاهد، وهو مأخوذ من وزعته أي كففته.

قوله عز وجل: ﴿**وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لفروجهم، قاله ابن زيد.

الثاني: لجلودهم أنفسها وهو الظاهر.

الثالث: أنه يراد بالجلود الأيدي والأرجل، قاله ابن عباس وقيل إن أول ما يتكلم منه فخذه الأيسر وكفه الأيمن (١٨٣).

قوله عز وجل: ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني وما كنتم تتقون، قاله مجاهد.

الثاني: وما كنتم تظنون، قاله قتادة.

الثالث: وما كنتم تستخفون منها، قاله السدي. قال الكلبي: لأنه لا يقدر على الاستتار من نفسه.

﴿**ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون**﴾ حكى ابن (١٨٤) مسعود أنها

---

(١٨٣) تقدم تخريج الحديث في تكلم الفخذ الأيسر في سورة يس وأما الكف فقد ورد تكلمه في حديث حكيم بن معاوية عن أبيه رواه الطبري (٢٤/١٠٧) ولكن لم يرد تعيين اليمنى فيه.

(١٨٤) رواه البخاري (٨/٤٣١، ٤٣٢) ومسلم (٢٧٧٥) وأحمد (١٣٦٤)(٣٨٧٥)(٤٠٤٧) مطولاً والترمذي (٢/١٥٢) وحسنه والطبري (٢٤/١٠٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٧/٣١٩) لعبد بن حميد واللسان وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وسعيد بن منصور.

نزلت في ثلاثة نفر تسارّوا فقالوا أترى الله يسمع إسرارنا[١٨٥]؟

قوله عز وجل: ﴿و إن يستعتبوا فما هم مِن المعتبين﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: معناه وإن يطلبوا الرضا فما هم بمرضى عنهم، والمعتب: الذي قُبل عتابه وأُجيب إلى سؤاله، قاله ابن عيسى.

الثاني: إن يستغيثوا فما هم من المغاثين.

الثالث: وإن يستقيلوا فما هم من المقالين.

الرابع: وإن يعتذروا فما هم من المعذورين.

الخامس: وإن يجزعوا فما هم من الآمنين.

قال ثعلب: يقال عتب إذا غضب، وأعتب إذا رضي.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)﴾

قوله عز وجل: ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾ فيه قولان:

أحدهما: هيأنا لهم شياطين، قاله النقاش.

الثاني: خلينا بينهم وبين الشياطين، قاله ابن عيسى.

﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ فيه أربعة تأويلات:

---

(١٨٥) قال العلامة الألوسي (٢٤/ ١١٧) وفي الآية تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن لا يمر عليه حال إلا بملاحظة أن عليه رقيباً كما قال أبو نواس:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب

أحدها: ما بين أيديهم من أمر الدنيا، وما خلفهم من أمر الآخرة، قاله السدي ومجاهد.

الثاني: ما بين أيديهم من أمر الآخرة فقالوا لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب، وما خلفهم من أمر الدنيا فزينوا لهم اللذات، قاله الكلبي.

الثالث: ما بين أيديهم هو فعل الفساد في زمانهم، وما خلفهم هو ما كان قبلهم، حكاه ابن عيسى.

الرابع: ما بين أيديهم ما فعلوه، وما خلفهم ما عزموا أن يفعلوه.

ويحتمل خامساً: ما بين أيديهم من مستقبل الطاعات أن لا يفعلوها، وما خلفهم من سالف المعاصي أن لا يتوبوا منها.

قوله عز وجل: **﴿وقال الذين كفروا لا تسمعُوا لهذا القرآن﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تتعرضوا لسماعه.

الثاني: لا تقبلوه.

الثالث: لا تطيعوه من قولهم السمع والطاعة.

﴿والغوا فيه﴾ وفيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني قعوا فيه وعيبوه، قاله ابن عباس.

الثاني: جحدوه وأنكروه، قاله قتادة.

الثالث: عادوه، رواه سعيد بن أبي عروبة.

الرابع: آلغوا فيه بالمكاء والتصدية، والتخليط في النطق حتى يصير لغواً، قاله مجاهد.

قوله عز وجل: **﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضَلاّنا من الجن والإنس﴾** فيهما قولان:

أحدهما: دعاة الضلالة من الجن والإنس، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أن الذي من الجن إبليس، يدعوه كل من دخل النار من المشركين، والذي من الإنس ابن آدم القاتل أخاه يدعوه كل عاص من الفاسقين، قاله السدي(١٨٦).

(١٨٦) وقد نسب هذا القول لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولكن قال العلامة الألوسي (٢٤/ ١٢٠) وتعقب

وفي قوله :﴿أرنا اللذين﴾ وجهان :

أحدهما : أعطنا اللذين أضلانا .

الثاني : أبصرنا اللذين أضلانا .

﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : انتقاماً منهم .

الثاني : استذلالاً لهم .

﴿ليكونا من الأسفلين﴾ يعني في النار، قالوا ذلك حنقاً عليهما وعداوة لهما .

ويحتمل قوله ﴿من الأسفلين﴾ وجهين :

أحدهما : من الأذلين .

الثاني : من الأشدين عذاباً لأن من كان في أسفل النار كان أشد عذاباً .

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

قوله عز وجل: ﴿إن الذين قالوا ربنا اللهُ﴾ قال ابن عباس: وحّدوا الله تعالى .

﴿ ثم استقاموا﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها: ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده، وهو قول أبي بكر رضي الله عنه ومجاهد .

الثاني : استقاموا على طاعته وأداء فرائضه ، قاله ابن عباس والحسن وقتادة .

الثالث: على إخلاص الدين والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية والسدي .

الرابع : ثم استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم .

الخامس: ثم استقاموا سراً كما استقاموا جهراً .

بأنه لا يصح عن علي كرم الله وجهه فإن قابيل مؤمن عاصي والظاهر أن الكفار إنما طلبوا إرادة المضلين بالكفر المؤدي إلى الخلود وكونهم رئيس الكفرة ورئيس أهل الكبائر خلاف الظاهر».

ويحتمل سادساً: أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي لأن التكليف يشتمل على أمر بطاعة تبعث على الرغبة ونهي عن معصية يدعو إلى الرهبة.

﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ فيه قولان:

أحدهما: تتنزل عليهم عند الموت، قاله مجاهد وزيد بن أسلم.

الثاني: عند خروجهم من قبورهم للبعث، قاله ثابت ومقاتل.

﴿ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: لا تخافوا أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم، قاله عكرمة.

الثاني: لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على أولادكم. وهذا قول مجاهد.

﴿وأبشروا بالجنة﴾ الآية. قيل إن بشرى المؤمن في ثلاثة مواطن: أحدها عند الموت، ثم في القبر، ثم بعد البعث.

قوله عز وجل: **﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾** فيه وجهان:

أحدهما: نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياؤكم في الآخرة، قاله السدي.

الثاني: نحفظكم في الحياة الدنيا ولا نفارقكم في الآخرة حتى تدخلوا الجنة.

ويحتمل ثالثاً: نحن أولياؤكم في الدنيا بالهداية وفي الآخرة بالكرامة.

﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الخلود لأنهم كانوا يشتهون البقاء في الدنيا، قاله ابن زيد.

الثاني: ما يشتهونه من النعيم، قاله أبو أمامة.

﴿ولكم فيها ما تدَّعون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما تمنون، قاله مقاتل.

الثاني: ما تدعي أنه لك فهو لك بحكم ربك، قاله ابن عيسى.

﴿نزلاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني ثواباً.

الثاني: يعني منزلة.

الثالث: يعني منًّا، قاله الحسن.

الرابع: عطاء، مأخوذ من نزل الضيف ووظائف الجند ﴿**من غفور رحيم**﴾.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل: ﴿**ومَن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله**﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: أنه رسول الله ﷺ دعا إلى الإسلام، قاله الحسن والسدي.

الثاني: أنهم المؤمنون دعوا إلى الله، قاله قيس بن أبي حازم ومجاهد.

﴿**وعمل صالحاً**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أداء الفرائض، قاله الكلبي.

الثاني: أنهم المصلون ركعتين بين الأذان والإقامة، قالته عائشة رضي الله عنها[١٨٧].

وروى هشام بن عروة عن عائشة قالت: كان بلال إذا قام يؤذن قالت اليهود قام غراب ـ لاقام ـ فنادى بالصلاة، وإذا ركعوا في الصلاة قالوا قد جثوا ـ لا جثوا ـ فنزلت هذه الآية في بلال والمصلين.

قوله عز وجل: ﴿**ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئةُ**﴾ فيه ستة تأويلات[١٨٨]:

---

(١٨٧) وقال بعضهم نزلت في المؤذنين قال الشوكاني رحمه الله (٥١٥/٤) ويجاب عن هذا بأن الآية مكية والأذان إنما شرع بالمدينة والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولاً أولياً فكل من جمع بين دعاء العباد إلى شرعة الله وعمل عملاً صالحاً وهو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرم عليه وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم فلا التي أحسن منه ولا أوضح من طريقه ولا أكثر ثواباً من عمله.

(١٨٨) والصواب أن السيئة يدخل فيها هذه الصور كلها وكذا الحسنة يدخل فيها كل صورة جاءت فيها ولهذا قال الإمام الشوكاني (٥١٦/٤) ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطاعات وتخصيص السيئة بنوع من أنواع المعاصي فإن اللفظة أوسع من ذلك».

أحدها: أن الحسنة المداراة، والسيئة الغلظة، حكاه ابن عيسى.

الثاني: الحسنة الصبر والسيئة النفور.

الثالث: الحسنة الإيمان، والسيئة الشرك، قاله ابن عباس.

الرابع: الحسنة العفو والسيئة الانتصار، حكاه ابن عمير.

الخامس: الحسنة الحلم والسيئة الفحش، قاله الضحاك.

السادس: الحسنة حب آل رسول الله ﷺ والسيئةُ بغضهم[١٨٩]، قاله علي كرم الله وجهه.

﴿ادفع بالتي هي أحسنُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ادفع بحلمك جهل من يجهل، قاله ابن عباس.

الثاني: ادفع بالسلامة إساءة المسيء، قاله عطاء.

ويحتمل ثالثاً: ادفع بالتغافل إساءة المذنب. والذنب من الأدنى، والإساءة من الأعلى.

﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه ولي حميمٌ﴾ قاله عكرمة: الولي الصديق، والحميم القريب.

وقيل هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام كان يؤذي رسول الله ﷺ، فأمره بالصبر عليه والصفح عنه.

قوله عز وجل: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما يلقى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على الحلم.

الثاني: ما يلقى الجنة إلا الذين صبروا على الطاعة.

﴿وما يلقاها إلا ذو حَظٍ عظيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ذو جد عظيم، قاله السدي.

الثاني: ذو نصيب [وافر][*] من الخير، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الحظ العظيم الجنة. قال الحسن: والله ما عظم حظ قط دون الجنة.

---

(١٨٩) وهو الصواب ولهذا قال الشوكاني (٤/٥١٩) وظاهر الآية العموم اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(*) زيادة من تفسير القرطبي.

ويحتمل رابعاً: أنه ذو الخلق الحسن.

قوله عز وجل: ﴿وإما ينزغنك مِن الشيطان نزغ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه النزغ الغضب. قاله ابن زيد.

الثاني: أنه الوسوسة وحديث النفس، قاله السدي.

الثالث: أنه النجس، قاله ابن عيسى.

الرابع: أنه الفتنة، قاله ابن زياد.

الخامس: أنه الهمزات، قاله ابن عباس.

﴿فاستعذ بالله﴾ أي اعتصم بالله.

﴿إنه هو السميع﴾ لاستعاذتك ﴿العليم﴾ بأذيتك.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل: ﴿ومن آياته الليل والنهار﴾ ووجه الآيات فيهما تقديرهما على حد مستقر، وتسييرهما على نظم مستمر، يتغايران لحكمة ويختلفان لمصلحة.

﴿والشمس والقمر﴾ ووجه الآية فيهما ما خصهما به من نور، وأظهره فيهما من تدبير وتقدير.

﴿لا تسجُدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ قال الزجاج: أي خلق هذه الآيات.

وفي موضع السجود من هذه الآية قولان:

أحدهما: عند قوله ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ قاله ابن مسعود والحسن.

الثاني: عند قوله ﴿وهم لا يسأمون﴾ قاله ابن عباس وقتادة.

قوله عز وجل: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غبراء دارسة، قاله قتادة.

الثاني: ميتة يابسة، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: ذليلة بالجدب لأنها مهجورة، وهي إذا أخصبت عزيزة لأنها معمورة.

﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اهتزت بالحركة للنبات، وربت بالارتفاع قبل أن تنبت، قاله مجاهد.

الثاني: اهتزت بالنبات وربت بكثرة ريعها، قاله الكلبي. فيكون على قول مجاهد تقديم وتأخير تقديره: ربت واهتزت.

﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى﴾ الآية، جعل ذلك دليلاً لمنكري البعث على إحياء الخلق بعد الموت استدلالاً بالشاهد على الغائب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل: **﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾** فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يكذبون بآياتنا، قاله قتادة.

الثاني: يميلون عن آياتنا، قاله أبو مالك.

الثالث: يكفرون بنا، قاله ابن زيد.

الرابع: يعاندون رسلنا، قاله السدي.

الخامس: هو المكاء والتصفيق عند تلاوة القرآن، قاله مجاهد.

﴿لا يخفون علينا﴾ وهذا وعيد.

﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الذي يلقى في النار أبو جهل، والذي يأتي آمناً عمار بن ياسر، قاله عكرمة.

الثاني: أن الذي يلقى في النار أبو جهل، والذي يأتي آمنا يوم القيامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قاله ابن زياد.

الثالث: أن الذي يلقى في النار أبو جهل وأصحابه قاله الكلبي، والذي يأتي آمناً رسول الله ﷺ، قاله مقاتل.

الرابع: أنها على العموم فالذي يلقى في النار الكافر، والذي يأتي آمناً يوم القيامة المؤمن، قاله ابن بحر.

﴿اعملوا ما شئتم﴾ هذا تهديد.

﴿إنه بما تعملون بصير﴾ وعيد، فهدد وتوعد.

قوله عز وجل: **﴿إنّ الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾** الذكر هنا القرآن في قول الجميع، وله جواب محذوف تقديره: هالكون أو معذبون.

﴿وإنه لكتابٌ عزيز﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عزيز من الشيطان أن يبدله، قاله السدي.

الثاني: يمتنع على الناس أن يقولوا مثله، قاله ابن عباس.

﴿لا يأتيه الباطل﴾ في **﴿الباطل﴾** هنا أربعة أقاويل:

أحدها: أنه إبليس، قاله قتادة.

الثاني: أنه الشيطان، قاله ابن جريج.

الثالث: التبديل، قاله مجاهد.

الرابع: التعذيب(١٩٠)، قاله سعيد.

ويحتمل خامساً: أن الباطل التناقض والاختلاف.

﴿من بين يديه ولا من خلفهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يأتيه الباطل من كتاب قبله، ولا يأتيه من كتاب بعده، قاله قتادة.

الثاني: لا يأتيه الباطل من أول التنزيل ولا من آخره.

---

(١٩٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب التكذيب والتصويب من زاد المسير (٧/٤٦٣) ونسبه لسعيد بن جبير.

الثالث: لا يأتيه الباطل في إخباره عما تقدم ولا في إخباره عما تأخر، قاله ابن جريج.

ويحتمل رابعاً: ما بين يديه: لفظه وما خلفه: تأويله، فلا يأتيه الباطل في لفظ ولا تأويل:

﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ قال قتادة: حكيم في أمره حميد إلى خلقه.

قوله عز وجل: ﴿ما يُقالُ لك إلا ما قد قِيل للرسل من قبلك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما يقول المشركون لك إلا ما قاله من قبلهم لأنبيائهم إنه ساحر أو مجنون، قاله قتادة.

الثاني: ما تخبر إلا بما يخبر الأنبياء قبلك بـ. ﴿إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾ حكاه ابن عيسى وقاله الكلبي.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بالأعجمي غير المبين وإن كان عربيًا، قاله المفضل.

الثاني: بلسان أعجمي.

﴿لقالوا لولا فصلت آياته﴾ أي بينت آياته لنا بالعربية على الوجه الثاني، والفصح على الوجه الأول.

﴿ءاعجميٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كيف يكون القرآن أعجمياً ومحمد ﷺ عربي؟ قاله سعيد بن جبير.

الثاني: كيف يكون القرآن أعجميًا ونحن قوم عرب؟ قاله السدي. قال مجاهد أعجمي الكلام وعربي الرجل.

﴿قل هو للذين آمنوا هُدىً وشفاءٌ﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: هدى للأبصار وشفاء للقلوب.
الثاني: هدى من الضلال وشفاء من البيان(*).
﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ﴾ أي صمم.
﴿وهو عليهم عَمىً﴾ أي حيرة، وقال قتادة: عموا عن القرآن وصموا عنه.
﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: من مكان بعيد من قلوبهم. قاله علي كرم الله وجهه ومجاهد.
الثاني: من السماء، حكاه النقاش.
الثالث: ينادون بأبشع أسمائهم، قاله الضحاك.
ويحتمل رابعاً: من مكان بعيد من الإجابة.

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: علمواْ ما لهم من معدل.
الثاني: استيقنوا أن ليس لهم ملجأ من العذاب، قاله السدي، وقد يعبر بالظن عن اليقين فيما طريقه الخبر دون العيان لأن الخبر محتمل والعيان غير محتمل.

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟

(*) هكذا في الأصول ولعل الصواب بالبيان.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

قوله عزوجل: ﴿لَّا يَسْأَمُ ٱلإنسَانُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي لا يمل من دعائه بالخير، والخير هنا المال والصحة، قاله السُدي، والإنسان هنا يراد به الكافر.

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ يعني الفقر والمرض، ويحتمل وجهين:

أحدهما: يؤوس من الخير قنوط من الرحمة.

الثاني: يؤوس من إجابة الدعاء، قنوط بسوء الظن بربه.

قوله عزوجل: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: رخاء بعد شدة.

الثاني: غنى بعد فقر.

﴿لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هذا باجتهادي.

الثاني: هذا باستحقاقي.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ إنكاراً منه للبعث والجزاء مع ما حظ به من النعمة والرخاء ودفع عنه من الضر والبلاء.

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ الآية. إن كان كما زعمتم رجعة وجزاء فإن لي عنده آجلاً مثل ما أولانيه عاجلاً. وقيل إنها نزلت في النضر بن الحارث.

قوله عزوجل: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإنسَانِ أَعْرَضَ وَنَئَا بِجَانِبِهِ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه.

أحدها: أعرض عن الإيمان وتباعد من الواجب.

الثاني: أعرض عن الشكر وبعد من الرشد.

الثالث: أعرض عن الطاعة وبعد من القبول.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تام لخلوص الرغبة فيه.

الثاني : كثير لدوام المواصلة له، وهو معنى قول السدي، وإنما وصف التام والكثير بالعريض دون الطويل لأن العرض يجمع طولاً وعرضاً فكان أعم. قال ابن عباس : الكافر[١٩١] يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخاء.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن في الآفاق فتح أقطار الأرض، وفي أنفسهم فتح مكة، قاله السدي.

الثاني : في الآفاق ما أخبر به من حوادث الأمم، وفي أنفسهم ما أنذرتهم به من الوعيد

الثالث: أنها في الآفاق آيات السماء وفي أنفسهم حوادث الأرض.

الرابع : أنها في الآفاق إمساك القطر عن الأرض كلها وفي أنفسهم البلاء الذي يكون في أجسادهم، قاله ابن جريج.

الخامس: أنها في الآفاق انشقاق القمر، وفي أنفسهم كيف خلقناهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، وكيف إدخال الطعام والشراب من موضع واحدٍ وإخراجه من موضعين آخرين، قاله الضحاك.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يتبين لهم أن القرآن حق.

الثاني : أن ما جاءهم به الرسول ﷺ ودعاهم إليه حق.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ يعني أولـم يكفك من ربك.

﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يحتمل وجهين :

---

(١٩١) ومصداق ذلك من كتاب الله قوله ﴿وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾.

أحدهما: عليم.

الثاني: حفيظ.

قوله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ قال السُّدي في شكٍ من البعث.

﴿أَلَآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أحاط علمه بكل شيء، قاله السدي.

الثاني: أحاطت قدرته بكل شيء، قاله الكلبي.



مكية في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر، وقاله ابن عباس، وقتادة، إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة﴾ إلى آخرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴿٣﴾ له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم ﴿٤﴾ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴿٥﴾ والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل ﴿٦﴾

قوله عزوجل: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثاني: أنه اسم من أسماء الله أقسم به، قاله ابن عباس.

الثالث: فواتح السور، قاله مجاهد.

الرابع: أنه اسم الجبل المحيط بالدنيا، قاله عبدالله بن بريدة.

الخامس: أنها حروف مقطعة من أسماء الله فالحاء والميم من الرحمن والعين من العليم، والسين من القدوس، والقاف من القاهر، قاله محمد بن كعب.

السادس: أنها حروف مقطعة من حوادث آتية، فالحاء من حرب والميم من تحويل ملك، والعين من عدو مقهور، والسين من استئصال سنين كسني يوسف، والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء.

السابع: ما حُكي عن حذيفة بن اليمان أنها[١٩٢] نزلت في رجلٍ يقال له عبد الإِلّه كان في مدينة على نهر بالمشرق خسف الله بها، فذلك قوله حمّ يعني عزيمة من الله تعالى، عين يعني عدلاً منه: سيـن يعني سكون، قاف يعني واقعاً بهم.

وكان ابن عباس يقرؤها: ﴿حمّ سّقّ﴾ بغير عين، وهي في مصحف ابن مسعود كذلك حكاه[١٩٣] الطبري.

قوله عزوجل: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يتشققن فَرَقاً من عظمة الله، قاله الضحاك والسُّدي، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ليت السماء تفطرت أكنافها ... وتناثرت منها نجوم

الثاني: من علم الله، قاله قتادة.

الثالث: ممن فوقهن، قاله ابن عباس.

الرابع: لنزول العذاب منهن.

﴿وَٱلْمَلَآئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بأمر ربهم، قاله السدي.

الثاني: بشكر ربهم.

وفي تسبيحهم قولان:

أحدهما: تعجباً مما يرون من تعرضهم لسخط الله، قاله علي رضي الله عنه.

الثاني: خضوعاً لما يرون من عظمة الله، قاله ابن عباس.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان:

---

(١٩٢) رواه الطبري (٦/٢٥) وزاد السيوطي في الدر (٧/٣٣٥) نسبته لابن أبي حاتم ونعيم بن حماد والخطيب وقال الحافظ ابن كثير (٤/١٠٥) واصفاً إيّاه بأنه أثر غريب وعجيب منكر.

(١٩٣) ولكن الإمام الطبري ذكر ذلك في (٦/٢٥) بلفظ يشعر بضعف ذلك عن ابن عباس فقال رحمه الله «وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه حم سق بغير عين».

أحدهما: لمن في الأرض من المؤمنين(١٩٤)، قاله الضحاك والسدي.

الثاني: للحسين بن علي رضي الله عنهما، رواه الأصبغ بن نباتة عن علي كرم(١٩٥) الله وجهه.

وسبب استغفارهم لمن في الأرض ما حكاه الكلبي أن الملائكة لما رأت الملكين(١٩٦) اللذين اختبرا وبعثا إلى الأرض ليحكما بينهم، فافتتنا بالزهرة وهربا إلى إدريس وهو جد أبي نوح عليه السلام، وسألاه أن يدعو لهما سبحت الملائكة بحمد ربهم واستغفرت لبني آدم.

وفي استغفارهم قولان:

أحدهما: من الذنوب والخطايا. وهو ظاهر قول مقاتل.

الثاني: أنه طلب الرزق لهم والسعة عليهم، قاله الكلبي.

وفي هؤلاء الملائكة قولان:

أحدهما: أنهم جميع ملائكة السماء وهو الظاهر من قول الكلبي.

الثاني: أنهم حملة العرش. قال مقاتل وقد بين الله ذلك من حمّ المؤمن فقال ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ﴾ وقال مطرف: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين.

وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

---

(١٩٤) ويدل على التخصيص قوله تعالى في سورة غافر ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ غافر: ٧.

(١٩٥) وهذا الأثر عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يصح وأصبغ بن نباتة هذا هو الحنظلي المجاشعي الكوفي قال ابو بكر بن عياش فيه: كذاب وقال ابن معين: ليس بثقة وقال مرة: ليس بشيء وقال النسائي وابن حبان: متروك وقال ابن عدي بيّن الضعف وقال أبو حاتم لينّ الحديث وقال العقيلي: كان يؤمن بالرجعة وقال ابن حبان: فُتِنَ بحب علي فأتى بالطامات فاستحق من أجلها الترك. راجع بعض طاماته في الميزان (١/٢٧١).

(١٩٦) أي هاروت وماروت وهذه القصة لم تثبت وقد سبق الكلام عليها في سورة البقرة فراجعه.

قوله عزوجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال الضحاك أهل دين واحد أهل ضلالة أو أهل هدى.

﴿وَلَـٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال أنس بن مالك: في الإسلام.

﴿وَٱلظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾ يمنع ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

قوله عزوجل: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ يعني ذكوراً وإناثاً.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾ يعني ذكوراً وإناثاً.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ وفيه ستة تأويلات:

أحدها: يخلقكم فيه، قاله السدي.

الثاني: يكثر نسلكم فيه، قاله الفراء.

الثالث: يعيشكم فيه، قاله قتادة.

الرابع: يرزقكم فيه، قاله ابن زيد.

الخامس: يبسطكم فيه، قاله قطرب.

السادس: نسلاً من بعد نسل من الناس والأنعام، قاله مجاهد.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليس كمثل الرجل والمرأة شيء، قاله ابن عباس، والضحاك.

الثاني: ليس كمثل الله شيء[١٩٧]، وفيه وجهان:

---

(١٩٧) ولا شك أنه أرجح لدلالة السياق عليه.

أحدهما: ليس مثله شيء والكاف زائدة للتوكيد، قال الشاعر[١٩٨]:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما إن كمثلهم في الناس من أحد

الثاني: ليس شيء[١٩٩]، والمثل زائد للتوكيد، قاله ثعلب.

قوله عز وجل: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: خزائن السموات والأرض، قاله السدي.

الثاني: مفاتيح السموات والأرض، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

ثم فيهما قولان:

أحدهما: أنه المفاتيح بالفارسية، قاله مجاهد.

الثاني: أنه عربي جمع واحده إقليد، قاله ابن عيسى.

وفيما هو مفاتيح السموات والأرض خمسة أقاويل:

أحدها: أن مفاتيح السماء المطر ومفاتيح الأرض النبات.

الثاني: أنها مفاتيح الخير والشر.

الثالث: أن مقاليد السماء الغيوب، ومقاليد الأرض الآفات.

الرابع: أن مقاليد السماء حدوث المشيئة، ومقاليد الأرض ظهور القدرة.

الخامس: أنها قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قاله وعلمه[٢٠٠]

---

(١٩٨) الطبري (١٣/٢٥) فتح القدير (٥٢٨/٤).

(١٩٩) إعلم أيها المسلم البصير بأمر دينه أن هذه الآية الكريمة الوجيزة في الألفاظ الدقيقة المعاني اشتملت على نفي وإثبات فهي قطب رحى السلف الصالح في إثبات صفات الله ونفي التشبيه والتعطيل والتحريف عنها فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قال الشوكاني رحمه الله (٥٢٨/٤) «ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى قوله «وهو السميع البصير» فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفي للماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة والبرهان القوي فإنك تحطم بها كثيراً من البدع وتهشم بها رؤوساً من الضلالة وترغم بها آناف طوائف من المتكلمين ولا سيما إذا ضممت إليه قول الله سبحانه **﴿ولا يحيطون به علماً﴾** فإنك حينذاك قد أخذت بطرفي حبل ما يسمونه علم الكلام وأصول الدين أ هـ.

(٢٠٠) رواه مطولاً أبو يعلى كما في المطالب (٣٦٤/٣) ومختصراً من حديث أبي هريرة سئل عثمان بن عفان

لعثمان بن عفان وقد سأله عن مقاليد السماء(*) والأرض.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يوسع ويضيق.

الثاني: يسهل ويعسر.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من البسط والقدرة.

۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

قوله عزوجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً﴾ وفي ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ أربعة أوجه:

أحدها: سن لكم.

الثاني: بيّن لكم.

الثالث: اختار لكم، قاله الكلبي.

الرابع: أوجب عليكم.

﴿مِنَ ٱلدِّينِ﴾ يعني الدين ومن زائدة في الكلام.

وفي ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً﴾ وجهان:

أحدهما: تحريم الأمهات والبنات والأخوات، لأنه أول نبي أتى أمته بتحريم ذلك، قاله الحكم.

عن مقاليد السموات والأرض فساق الحديث ورواه الحارث بن أبي أسامة أيضاً كما في المطالب (٣/٣٦٥) وقال البوصيري: إسناده منقطع.

(*) وفي نسخة السموات.

الثاني: تحليل الحلال وتحريم الحرام، قاله قتادة.

﴿وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اعملوا به، قاله السدي.

الثاني: ادعوا إليه. قال مجاهد: دين الله في طاعته وتوحيده واحد.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: جاهدوا عليه من عانده.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: لا تتعادوا عليه، وكونوا عليه إخواناً، قاله أبو العالية.

الثانية: لا تختلفوا فيه فإن كل نبي مصدق لمن قبله، قاله مقاتل.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ قاله قتادة: من شهادة أن لا إله إلا الله.

ويحتمل أن يكون من الاعتراف بنبوته، لأنه عليهم أشد وهم منه أنفر.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: يجتبي إليه من يشاء هو من يولد على الإسلام.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ هو من يسلم من الشرك، قاله الكلبي.

الثاني: يستخلص إليه من يشاء. قاله مجاهد ويهدي إليه من يقبل على طاعته، قاله السدي.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَفَرَّقُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن محمد ﷺ.

الثاني: في القرآن.

﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلا من بعد ما تبحروا في العلم، قاله الأعمش.

الثاني: إلا من بعد ما علمواْ أن الفرقة ضلال، قاله ابن زياد.

الثالث: إلا من بعد ما جاءهم القرآن، وسماه علماً لأنه يتعلم منه.

﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لابتغاء الدنيا وطلب ملكها، قاله أُبي بن كعب.

الثاني: لبغي بعضهم على بعض، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في رحمته للناس على ظلمهم.

الثاني: في تأخير عذابهم، قال قتادة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى قيام الساعة لأن آلله تعالى يقول: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ الآية.

ويحتمل إلى الأجل الذي قُضِيَ فيه بعذابهم.

﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي لعجل هلاكهم.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، قاله السدي.

الثاني: أنهم نبئوا من بعد الأنبياء، قاله الربيع.

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لفي شك من القرآن، قاله الربيع.

الثاني: لفي شك من الإخلاص، قاله أبو العالية.

الثالث: لفي شك من صدق الرسول، قاله السدي.

فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ معناه فإلى ذلك فادع، وفي المراد بذلك وجهان:

أحدهما: القرآن، قاله الكلبي.

الثاني: التوحيد، قاله مقاتل.

وفي قوله: ﴿فَٱدْعُ﴾ وجهان:

أحدهما: فاعتمد.

الثاني: فاستدع.

﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ...﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: واستقم على أمر الله، قاله قتادة.

الثاني: على القرآن، قاله سفيان.

الثالث: فاستقم على تبليغ الرسالة، قاله الضحاك.

وفي قوله: ﴿. . . وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُم﴾ وجهان:

أحدهما: في الأحكام.

الثاني: في التبليغ.

وفي قوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: لا خصومة بيننا وبينكم، قاله مجاهد. قال السدي: وهذه قبل السيف، وقبل أن يؤمر بالجزية.

الثاني: معناه فإنكم بإظهار العداوة قد عدلتم عن طلب الحجة، قاله ابن عيسى.

الثالث: معناه إنا قد أعذرنا بإقامة الحجة عليكم فلا حجة بيننا وبينكم نحتاج إلى إقامتها علكيم.

وقيل إن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة وقد سألا رسول الله ﷺ أن يرجع عن دعوته ودينه إلى دين قريش على أن يعطيه الوليد نصف ماله ويزوجه شيبة بابنته.

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في توحيد الله عز وجل.

الثاني : أنهم اليهود قالوا : كتابنا قبل كتابكم(*)، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم، قاله قتادة.

﴿مِن بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدهـا : من بعد ما أجابه الله إلى إظهاره من المعجزات.

الثاني : من بعد ما أجاب الله الرسول من المحاجة.

الثالث : من بعد ما استجاب المسلمون لربهم وآمنوا بكتابه ورسوله، قاله ابن زيد.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : باطلة، قاله ابن عيسى.

الثاني : خاسرة، قاله ابن زيد.

قوله عزوجل : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بالمعجز الدال على صحته.

الثاني : بالصدق فيما أخبر به من ماض ومستقبل.

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب.

الثاني : أنه العدل فيما أمر به ونهى عنه، قاله قتادة.

الثالث : أنه الميزان الذي يوزن به، أنزله الله من السماء وعلم عباده الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس، قال قتادة : الميزان العدل.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فلم يخبره بها، ولم يؤنث قريب لأن الساعة تأنيثها غير حقيقي لأنها كالوقت.

ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا

(*) وفي نسخة وأمتنا قبل أمتكم.

﴿لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢)﴾

قوله عزوجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: أن الله تعالى يعطي على نية الآخرة من شاء من أمر الدنيا، ولا يعطي على نية الدنيا إلا الدنيا، قاله قتادة.

الثاني: معناه من عمل للآخرة أعطاه الله بالحسنة عشر أمثالها، ومن عمل للدنيا لم يزد على من عمل لها.

﴿وَمَا لَهُ فِي ٱلآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ في الجنة وهذا معنى قول ابن زيد وشبه العامل الطالب بالزارع لاجتماعهما في طلب النفع.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤)﴾

قوله عزوجل: ﴿قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: معناه ألا تؤذوني في نفسي لقرابتي[٢٠١] منكم، وهذا لقريش خـ صة لأنه

(٢٠١) قال الحافظ ابن كثير (١١٣/٤) ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين أ هـ.

لم يكن بطن من قريش إلا بينهم وبين رسول الله ﷺ قرابة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وأبو مالك.

الثاني: معناه إلا أن تؤدوا قرابتي، وهذا قول علي بن الحسين وعمرو بن شعيب والسدي. وروى مقسم عن ابن عباس قال[٢٠٢]: سمع رسول الله ﷺ سيئاً فخطب فقال للأنصار «**أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّاءَ فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ بِي؟ أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ أَلَمْ تَكُونُوا خَائِفِينَ فَأَمَّنَكُمُ اللَّهُ بِي؟ أَلَا تَرُدُّواْ عَلَيَّ؟** فقالواْ: بم نجيبك؟ فقال **تَقُولُونَ: أَلَمْ يَطْرُدْكَ قَوْمُكَ فَآوَيْنَاكَ؟ أَلَمْ يُكَذِّبْكَ قَومُكَ فَصَدَّقْنَاكَ؟** فعد عليهم، قال: فجثوا على ركبهم وقالواْ: أنفسنا وأموالنا لك » . فنزلت ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾.

الثالث: معناه إلا أن توادوني وتؤازروني كما توادون وتؤازرون قرابتكم، قاله ابن زيد

الرابع: معناه إلا أن تتوددوا وتتقربوا إلى الله بالطاعة والعمل الصالح، قاله الحسن، وقتادة.

الخامس: معناه إلا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم، قاله عبدالله بن القاسم.

﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**﴾ أي يكتسب، وأصل القرف الكسب.

﴿**نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾ أي نضاعف له بالحسنة عشراً.

﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غفور للذنوب، شكور للحسنات، قاله قتادة.

الثاني: غفور لذنوب آل رسول الله ﷺ، شكور لحسناتهم، قاله السدي.

قوله عزوجل: ﴿**فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أي ينسيك ما قد آتاك من القرآن، قاله قتادة.

---

(٢٠٢) رواه ابن جرير (٢٥/٢٥) وزاد السيوطي في الدر (٣٤٧/٧) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه وفي سنده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وضعفه الحافظ ابن كثير (١١٢/٤) وقال «وذكر نزولها في المدينة فيه نظر لأن السورة مكية وليس يظهر بين هذه الآية والسياق مناسبة والله أعلم.

الثاني: معناه يربط على قلبك فلا يصل إليه الأذى بقولهم افترى على الله كذباً، قاله مقاتل.

الثالث: معناه لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذباً لطبع الله على قلبك، قاله ابن عيسى.

﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ينصر دينه بوعده.

الثاني: يصدق رسوله بوحيه.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

قوله عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ والقنوط الإياس، قاله قتادة.

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: جدبت الأرض وقنط الناس فقال: مطروا إذن. والغيث ما كان نافعاً في وقته، والمطر قد يكون ضاراً ونافعاً في وقته وغير وقته.

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ بالغيث فيما يعم ويخص.

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الولي المالك والحميد مستحق الحمد.

الثاني: الولي المنعم والحميد المستحمد.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَآ أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الحدود على المعاصي، قاله الحسن.

الثاني: أنها البلوى في النفوس والأموال عقوبة على المعاصي والذنوب.

قال النبي ﷺ: «مَا[٢٠٣] يُصِيبُ ٱبنَ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ وَلاَ عَثْرَةُ قَدَمٍ وَلاَ ٱخْتِلَاجُ عِرْقٍ إِلاَّ بِذَنبٍ وَمَا يَعْفُو عَنهُ أَكْثَرَ» وقال ثابت البناني: كان يقال ساعات الأذى يذهبن ساعات الخطايا.

ثم فيها قولان:

أحدهما: أنها خاصة في البالغين أن تكون عقوبة لهم؛ وفي الأطفال أن تكون مثوبة لهم.

الثاني: عقوبة عامة للبالغين في أنفسهم وللأطفال في غيرهم من والدٍ أو والدة، قاله العلاء بن زيد.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن كثير من المعاصي أن لا يكون عليها حدود، وهو مقتضى قول الحسن.

الثاني: عن كثير من العصاة وأن لا يعجل عليهم بالعقوبة.

قال علي رضي الله عنه[٢٠٤]: ما عاقب الله به في الدنيا فالله أحلم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم[*] من أن يعود في عفوه يوم القيامة.

---

(٢٠٣) رواه ابن مردويه من حديث البراء بن عازب مرفوعاً كما في الدر (٣٥٥/٧) ولفظه «ما عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله عنه أكثر وقد ورد الحديث من مرسل قتادة رواه ابن جرير (٢٣/٢٥) ومن مرسل الحسن رواه ابن أبي حاتم وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد كما في الدر (٣٥٤/٧).

(٢٠٤) رواه ابن أبي حاتم موقوفاً ونقله ابن كثير (١١٦/٤) ورواه مرفوعاً بنحوه مطولاً وزاد السيوطي في الدر (٣٥٤/٧) نسبته لأحمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وأبي يعلى وابن المنذر وابن مردويه والحاكم.

(*) وفي نسخة أحلم.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمِن ءَايَاتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ﴾ قال مجاهد هي السفن في البحر ﴿كَٱلْأَعْلَامِ﴾ أي كالجبال، ومنه قول الخنساء(٢٠٥):

وإنَّ صَخْراً لتأتَمُّ الهُداةُ به   كأنَّه علمٌ في رأسِه نار

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ أي وقوفاً على ظهر الماء، قال قتادة: لأن سفن هذا البحر تجري بالرياح. فإذا أمسكت عنها ركدت.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ صبار على البلوى، شكور على النعماء.

قال قطرب: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعْطِي شكر، وإذا ابتُلِيَ صبر.

قال عون بن عبدالله: فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم من مبتلٍ غير صابر.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ معناه يغرقهن بذنوب أهلها.

﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ من أهلها فلا يغرقهم معها.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من فرار ومهرب، قاله قطرب.

الثاني: ملجأ، قاله السُدي مأخوذ من قولهم حاص به البعير حيصة إذا مال به، ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق أي يميل عنه.

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

(٢٠٥) ديوانها:

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول حين أنفذ إليهم قبل الهجرة اثني عشر نقيباً منهم.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه المحافظة على مواقيتها، قاله قتادة.

الثاني: إتمامها بشروطها، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنهم كانوا قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملواْ عليه فمدحهم الله تعالى به، قاله النقاش.

الثاني: يعني أنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا على اتفاق كلمتهم. قال الحسن: ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم.

الثالث: هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله ﷺ وورود النقباء إليهم حتى اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له، قاله الضحاك.

الرابع: أنهم يتشاورون فيما يعرض لهم فلايستأثر بعضهم بخير دون بعض.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنفِقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريد به أداء الزكاة من أموالهم، قاله السدي.

الثاني: إنفاق الحلال من أكسابهم، وهو محتمل.

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُم ٱلْبَغْيُ هُم يَنتَصِرُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أصابهم يعني المشركين على دينهم انتصروا بالسيف منهم. قاله ابن جريج.

الثاني: أصابهم يعني باغ عليهم كره لهم أن يستذلوا، فإذا قدروا عفوا، قاله إبراهيم.

الثالث: إذا أصابهم البغي تناصروا عليه حتى يزايلوه عنهم ويدفعوه عنهم، قاله ابن بحر.

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

قوله عزوجل: ﴿وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه محمول على الجراح التي تتمثل في القصاص دون غيرها من سب أو شتم، قاله الشافعي، وأبو حنيفة، وسفيان.

الثاني: أنه محمول على مقابلة الجراح، وإذا قال أخزاه الله أو لعنه الله أن يقول مثله، ولا يقابل القذف بقذف ولا الكذب بكذب، قاله ابن أبي نجيح والسدي. وسمي الجزاء سيئة لأنه في مقابلتها وأنها عند المعاقب بها سواء.

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فأذن في الجزاء وندب إلى العفو.

وفي قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ وجهان:

أحدهما: أصلح العمل، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أصلح بينه وبين أخيه، قاله ابن زياد. وهذا مندوب إليه في العفو عن التائب دون المصرّ.

روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال(٢٠٦): «**إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: مَن كَانَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ مَن ذَا الَّذي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَيَقُولُونَ العَافُونَ عَنِ النَّاسِ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ**».

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الظالمين في الابتداء، قاله سعيد بن جبير.

---

(٢٠٦) وروى أبو يعلى نحوه من حديث أنس مرفوعاً «إذا التقى الخلائق يوم القيامة فدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد [من تحت العرش] يسمع الخلائق يا أهل الجمع هل أنتم تاركو المظالم وثوابكم عليَّ» قال البوصيري: في سنده سدوسي صاحب السامري وهو ضعيف كما في المطالب (٣٩٢/٤).

وقال أبو بكر: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة ناد مناد أين أهل العفو؟ قال: فيكافئهم الله تعالى بما كان من عفوهم عن الناس.

رواه أحمد بن منيع كما في المطالب (٣٩٢/٤) قال البوصيري: في سنده كوثر بن حكيم وهو ضعيف.

الثاني: المعتدي في الجزاء، قاله ابن عيسى.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي استوفى حقه بنفسه.

﴿فَأُوْلَـٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ وهذا ينقسم ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يكون قصاصاً في بدن يستحقه آدمي فلا حرج عليه فيه إذا استوفاه من غير عدوان، وثبت حقه عند الحكام، لكن يزجره الإمام في تفرده بالقصاص لما فيه من الجرأة على سفك الدماء، وإن كان حقه غير ثابت عند الحكام فليس عليه فيما بينه وبين الله حرج وهو في الظاهر مطالب وبفعله مؤاخذ.

والقسم الثاني: أن يكون حداً لله لا حق فيه لآدمي كحد الزنى وقطع السرقة، فإن لم يثبت ذلك عند حاكم أخذ به وعوقب عليه، وإن ثبت عند حاكم نظر فإن كان قطعاً في سرقة سقط به الحد لزوال العضو المستحق قطعه، ولم يجب عليه في ذلك حق إلا التعزير أدباً، وإن كان جلداً لم يسقط به الحد لتعديه به مع بقاء محله وكان مأخوذاً بحكمه.

القسم الثالث: أن يكون حقاً في مال فيجوز لصاحبه أن يغالب على حقه حتى يصل إليه إن كان من هو عليه عالماً به، وإن كان غير عالم نظر، فإن أمكنه الوصول إليه عند المطالبة لم يكن له الاستسرار(٢٠٧) بأخذه، وإن كان لا يصل إليه بالمطالبة لجحود من هو عليه مع عدم بينة تشهد به ففي جواز الاستسرار بأخذه مذهبان:

أحدهما: جوازه، وهو قول مالك، والشافعي.

الثاني: المنع، قاله أبو حنيفة.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يظلمون الناس بعدوانهم عليهم وهو قول كثير منهم.

الثاني: يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم، قاله ابن جريج.

﴿وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه بغيهم في النفوس والأموال، وهو قول الأكثرين.

الثاني: عملهم بالمعاصي، قاله مقاتل.

---

(٢٠٧) ولعل هذه المسألة تعرف عندهم بالظفر والقول بالجواز مال إليه البخاري وغيره.

الثالث: هو ما يرجوه كفار قريش أن يكون بمكة غير الإسلام ديناً، قاله أبو مالك.

قوله عزوجل: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: صبر على الأذى وغفر للمؤذي.

الثاني: صبر عن المعاصي وستر المساوىء.

ويحتمل قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وجهين:

أحدهما: لمن عزائم الله التي أمر بها.

الثاني: لمن عزائم الصواب التي وفق لها.

وذكر الكلبي والفراء أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع ثلاث آيات قبلها وقد شتمه بعض الأنصار فرد عليه ثم أمسك، وهي المدنيات من هذه السورة.

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم المشركون جميعاً يعرضون على جهنم عند إطلاقهم إليها، قاله الأكثرون.

الثاني: آل فرعون خصوصاً تحبس أرواحهم في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح، فهم عرضهم، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنهم عامة المشركين ويعرضون على العذاب في قبورهم، وهذا معنى قول أبي الحجاج.

﴿خَاشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ قال السدي: خاضعين من الذل.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه ثلاثة تأويلات.

أحدها: ينظرون بأبصار قلوبهم دون عيونهم لأنهم يحشرون عمياً، قاله أبو سليمان.

الثاني: يسارقون النظر إلى النار حذراً، قاله محمد بن كعب.

الثالث: بطرفٍ ذليل، قاله ابن عباس.

ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من منج.

الثاني: من حرز، قاله مجاهد.

﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ناصر ينصركم، قاله مجاهد.

الثاني: من منكر يغير ما حل بكم، حكاه ابن أبي حاتم وقاله الكلبي.

قوله عز وحل: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن الرحمة المطر، قاله مقاتل.

الثاني: العافية، قاله الكلبي.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه السنة القحط، قاله مقاتل.

الثاني: المرض، قاله الكلبي.

﴿فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالنعمة.

الثاني : بالله.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ﴾ قال عبيدة: يهب لمن يشاء إناثاً لا ذكور فيهن، ويهب لمن يشاء ذكوراً لا إناث فيهم. وأدخل الألف على الذكور دون الإناث لأنهم أشرف فميزهم بسمة التعريف.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو أن تلد المرأة غلاماً ثم تلد جارية ثم تلد غلاماً ثم تلد جارية، قاله مجاهد.

الثاني: هو أن تلد توأمين غلاماً وجارية، قاله محمد بن الحنفية. والتزويج هنا الجمع بين البنين والبنات. قال ابن قتيبة: تقول العرب زوجني إبلي إذا جمعت بين الصغار والكبار.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً﴾ أي لا يولد له. يقال عقم فرجه عن الولادة أي منع.

وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في الأنبياء خصوصاً وإن عم حكمها، فوهب للوط البنات ليس فيهن ذكر، ووهب لإبراهيم الذكور ليس معهم أنثى، ووهب لإسماعيل وإسحاق الذكور والإناث، وجعل عيسى ويحيى عقيمين.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلاَّ وَحْياً﴾ الآية. سبب نزولها ما حكاه النقاش أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً صادقاً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فنزلت هذه الآية.

وفي قوله: ﴿وَحْياً﴾ وجهان:

أحدهما: أنه نفث ينفث في قلبه فيكون إلهاماً، قاله مجاهد.

الثاني: رؤيا يراها في منامه، قاله زهير بن محمد.

﴿أَوْ مِن وَرَآءِي حِجَابٍ﴾ قال زهير: كما كلم موسى.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ قال زهير: هو جبريل.

﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ﴾ وهذا الوحي من الرسل خطاب منهم للأنبياء يسمعونه نطقاً ويرونه عياناً. وهكذا كانت حال جبريل إذا نزل بالوحي على النبي ﷺ.

قال ابن عباس: نزل جبريل على كل نبي فلم يره منهم إلا محمد وعيسى وموسى وزكريا صلوات الله عليهم أجمعين، فأما غيرهم فكان وحياً إلهاماً في المنام.

قوله عزوجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: رحمة من عندنا، قاله قتادة.

الثاني: وحياً من أمرنا، قاله السدي.

الثالث: قرآناً من أمرنا، قاله الضحاك.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلاَ ٱلإِيمَانُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما كنت تدري ما الكتاب لولا الرسالة، ولا الإيمان لولا البلوغ، قاله ابن عيسى.

الثاني: ما كنت تدري ما الكتاب لولا إنعامنا عليك، ولا الإيمان لولا هدايتنا لك وهو محتمل.

وفي هذا الإيمان وجهان:

أحدهما: أنه الإيمان بالله، وهذا يعرفه بعد بلوغه وقبل نبوته.

الثاني: أنه دين الإسلام، وهذا لا يعرفه إلا بعد النبوة.

﴿وَلَـكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً. . .﴾ فيه قولان:

أحدهما: جعلنا القرآن نوراً، قاله السدي.

الثاني : جعلنا الإيمان نوراً . حكاه النقاش وقاله الضحاك .

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه : وإنك لتدعو إلى دين مستقيم ، قاله قتادة .

الثاني : إلى كتاب مستقيم ، قاله علي رضي الله عنه .

وقرأ عاصم الجحدري : وإنك لتُهدي ، بضم التاء أي لتُدْعَىٰ .

قوله عز وجل : ﴿صِرَاطِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن صراط الله هو القرآن ، قاله علي كرم الله وجهه .

الثاني : الإسلام ، رواه النواس بن سمعان (٢٠٨) الأنصاري عن النبي ﷺ .

﴿أَلَا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه وعيد بالبعث .

الثاني : أنه وعيد بالجزاء . والله أعلم .

---

(٢٠٨) تقدم تخريجه في سورتي البقرة والأنعام .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

قوله عزوجل: ﴿حمٓ. وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ﴾ الكتاب هو القرآن: وفي تسميته مبيناً ثلاثة أوجه:

أحدها: لأنه بيَّن الحروف، قاله أبو معاذ.

الثاني: لأنه بين الهدى والرشد والبركة، قاله قتادة.

الثالث: لأن الله تعالى قد بين فيه أحكامه وحلاله وحرامه، قاله مقاتل.

وفي هذا موضع القسم، وفيه وجهان:

أحدهما: معناه ورب الكتاب.

الثاني: أنه القسم بالكتاب، ولله عز وجل أن يقسم بما شاء، وإن لم يكن ذلك لغيره من خلقه.

وجواب القسم ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرءاناً عَرَبِيّاً﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إنا أنزلناه قرآناً عربياً، قاله السدي.

الثاني: إنا قلناه قرآناً عربياً، قاله مجاهد.

الثالث: إنا بيناه قرآناً عربياً، قاله سفيان الثوري. ومعنى العربي أنه بلسان عربي، وفيه قولان:

أحدهما: أنه جعل عربياً لأن لسان أهل السماء عربي، قاله مقاتل.

الثاني: لأن كل نبي أنزل كتابه بلسان قومه، قاله سفيان الثوري.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تفهمون، فعلى هذا يكون هذا القول خاصاً بالعرب دون العجم، قاله ابن عيسى.

الثاني: يتفكرون قاله ابن زيد، فعلى هذا يكون خطاباً عاماً للعرب والعجم.

قوله عزوجل: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: جملة الكتاب.

الثاني: أصل الكتاب، قاله ابن سيرين.

الثالث: أنها الحكمة التي نبه الله عليها جميع خلقه، قاله ابن بحر.

وفي ﴿ٱلْكِتَابِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه اللوح المحفوظ؛ قاله مجاهد.

الثاني: أنه ذكر عند الله فيه ما سيكون من أفعال العباد مقابل يوم القيامة بما ترفعه الحفظة من أعمالهم، قاله ابن جريج.

وفي المكنى عنه أنه في أم الكتاب قولان:

أحدهما: أنه القرآن(٢٠٩)، قاله الكلبي.

الثاني: أنه ما يكون من الخلق من طاعة ومعصية وإيمان أو كفر، قاله ابن جريج.

﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ فيه وجهان:

(٢٠٩) والسياق من الآيات يدل عليه ورجحه غير واحد من المفسرين كالطبري (٢٥/٢٨) وابن كثير (٤/١٢٢) والشوكاني (٤/٥٤٧).

أحدهما: رفيع عن أن ينال فيبدل. حكيم أي محفوظ من نقص أو تغيير، وهذا تأويل من قال أنه ما يكون من الطاعات والمعاصي.

الثاني: أنه علي في نسخه ما تقدم من الكتب، وحكيم أي محكم الحكم فلا ينسخ، وهذا تأويل من قال أنه القرآن.

قوله عز وجل: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أفحسبتم أن نصفح ولما تفعلون ما أمرتم به؟ قاله ابن عباس.

الثاني: معناه أنكم تكذبون بالقرآن ولا نعاقبكم فيه، قاله مجاهد.

الثالث: أي نهملكم فلا نعرفكم بما يجب عليكم، حكاه النقاش.

الرابع: أن نقطع تذكيركم بالقرآن: وإن كذبتم به: قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أن نوعد ولا نؤاخذ، ونقول فلا نفعل.

﴿قَوْماً مُّسْرِفِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مشركين، قاله قتادة.

الثاني: مسرفين في الرد.

ومعنى صفحاً أي إعراضاً، يقال صفحت عن فلان أي أعرضت عنه. قال ابن قتيبة: والأصل فيه إنك توليه صفحة عنقك. قال كثير في صفة امرأة(٢١٠):

صفوحٌ فما تلقاك إلا بخيلة ... فمن قلّ منها ذلك الوصل قلّت

أي تعرض عنه بوجهها.

قوله عزوجل: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: سنة الأولين، قاله مجاهد.

الثاني: عقوبة الأولين، قاله قتادة.

الثالث: عِبرة الأولين، قاله السدي.

الرابع: خبر الأولين أنهم أهلكوا بالتكذيب، حكاه النقاش.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ

(٢١٠) والبيت في غريب القرآن ٢٩٥، اللسان «صفح» زاد المسير (٣٠٢/٧).

تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً**﴾ أي فراشاً.

﴿**وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلاً**﴾ أي طرقاً.

ويحتمل ثانياً: أي معايش.

﴿**لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تهتدون في أسفاركم، قاله ابن عيسى.

الثاني: تعرفون نعمة الله عليكم، قاله سعيد بن جبير.

ويحتمل ثالثاً: تهتدون إلى معايشكم.

قوله عز وجل: ﴿**وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: الأصناف كلها، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أزواج الحيوان من ذكر وأنثى، قاله ابن عيسى.

الثالث: أن الأزواج الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسموات والأرض، والشمس والقمر، والجنة والنار، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أن الأزواج ما يتقلب فيه الناس من خيرٍ وشر، وإيمان وكفر، وغنى وفقر، وصحة وسقم.

﴿**وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ**﴾ يعني السفن.

﴿**وَالأَنعَامِ مَا تَرْكَبُونَ**﴾ في الأنعام هنا قولان:

أحدهما: الإبل والبقر، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: الإبل وحدها، قاله معاذ. فذكرهم نعمه عليهم في تسييرهم في البر والبحر.

ثم قال ﴿لِتَسْتَوُواْ عَلَى ظُهُورِهَا﴾ وأضاف الظهور إلى واحد لأن المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي ركبتم.

﴿وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا﴾ أي ذلل لنا هذا المركب.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ضابطين، قاله الأخفش.

الثاني: مماثلين في الأيد والقوة، قاله قتادة من قولهم هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة.

الثالث: مطيقين، قاله ابن عباس والكلبي، وأنشد قطرب لعمرو بن معدي كرب[٢١١]:

لقد علم القبائل ما عقيل   لنا في النائبات بمقرنينا

وفي أصله قولان:

أحدهما: أن أصله مأخوذ من الإقران، يقال أقرن فلان إذا أطاق.

الثاني: أن أصله مأخوذ من المقارنة وهو أن يقرن بعضها ببعض في السير.

وحكى سليمان بن يسار أن قوماً كانوا في سفر، فكانوا إذا ركبوا قالوا: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وكان فيهم رجل على ناقة له رازم وهي لا تتحرك هزالاً فقال أما أنا فإني لهذه مقرن، قال فقصمت به فدقت عنقه.

وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ

---

(٢١١) فتح القدير (٤/٥٤٩).

﴿مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: عدلاً أي مثلاً، قاله قتادة.

الثاني: من الملائكة ولداً، قاله مجاهد.

الثالث: نصيباً، قاله قطرب.

الرابع: أنه البنات، والجزء عند أهل العربية البنات[٢١٢]. يقال قد أجزأت المرأة إذا ولدت البنات. قال الشاعر[٢١٣]:

إن أجزأت مرة قوماً فلا عجب قد تجزىء الحرة المذكارُ أحيانا

﴿إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ قال الحسن: يعد المصائب وينسى النعم.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلاً﴾ أي بما جعل للرحمـٰن البنات ولنفسه البنين.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَداً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ببطلان مثله الذي ضربه.

الثاني: بما بشر به من الأنثى.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: حزين، قاله قتادة.

الثاني: مكروب، قاله عكرمة.

الثاني: ساكت، حكاه ابن أبي حاتم. وذلك لفساد مثله وبطلان حجته.

قوله عز وجل: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ النشوء التربية، والحلية الزينة. وفي المراد بها ثلاثة أوجه:

أحدها: الجواري، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: البنات. قاله ابن قتيبة.

---

(٢١٢) وقد أنكر بعض المفسرين تفسير الجزء بالإناث في لغة العرب وادعى أن هذا كذب ولم يصح في اللغة وهو مردود، راجع فتح القدير (٥٤٩/٤) زاد المسير (٣٠٥/٧).

(٢١٣) غريب القرآن (٣٩٦) القرطبي (٦٩/١٦) البحر المحيط (٨/٨) اللسان «جزء» فتح القدير (٥٤٩/٤).

الثالث: الأصنام، قاله ابن زيد.

وفي ﴿ٱلْخِصَامِ﴾ وجهان:

أحدهما: في الحجة.

الثاني: في الجدل.

﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه عني قلة البلاغة، قاله السدي.

الثاني: ضعف الحجة، قال قتادة: ما حاجت امرأة إلا أوشكت أن تتكلم بغير حجتها.

الثالث: السكوت عن الجواب، قاله الضحاك وابن زيد ومن زعم أنها الأصنام.

قوله عزوجل: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَآئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَاثاً﴾ في قوله ﴿عِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه سماهم عباده على وجه التكريم كما قال ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلأَرْضِ هَوْناً﴾.

الثاني: أنه جمع عابد.

وفي قوله: ﴿إِنَاثاً﴾ وجهان:

أحدهما: أي بنات الرحمن.

الثاني: ناقصون نقص البنات.

﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مشاهدتهم وقت خلقهم.

الثاني: مشاهدتهم بعد خلقهم حتى علموا أنهم إناث.

﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أي ستكتب شهادتهم إن شهدوا ويسألون عنها إذا بعثوا.

أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

﴿فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: على دين، قاله قتادة وعطية. ومنه قول قيس بن الخطيم[٢١٤]:

كنا على أمة آبائنا ... قد يقتدي الآخر بالأول

الثاني: على ملة وهو قريب من معنى الأول، قاله مجاهد وقطرب وفي بعض المصاحف ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ مِلَّةٍ﴾.

الثالث: على قبلة، حُكي ذلك عن الفراء.

الرابع: على استقامة، قاله الأخفش، وأنشد النابغة[٢١٥]:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وهل يأثمن ذو أمة[٢١٦] وهو طائع

الخامس: على طريقة، قاله عمر بن عبد العزيز، وكان يقرأ ﴿عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ بكسر الألف والأمة الطريقة من قولهم أممت القوم. حكاه الفراء.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ قال قتادة متبعون. وحكى مقاتل أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وأبي سفيان، وأبي جهل، وعتبة، وشيبة ابني ربيعة من قريش.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ﴾

(٢١٤) فتح القدير (٤/٥٥١) والشطر الثاني فيه: ونقتدي بالأوّل الأوّل وفي نسخة للمخطوطة يقتدي الآخر فالأول.

(٢١٥) ديوانه: ٣٥، فتح القدير (٤/٥٥١).

(٢١٦) وفي الديوان ذو إِمَّة والأمة الدين والطريق المستقيمة.

مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ البراء مصدر موضع الوصف، لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فكأنه قال إنني بريء.

﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ وهذا استثناء منقطع وتقديره: لكن الذي فطرني أي خلقني:

﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ وقيل فيه محذوف تقديره إلا الذي فطرني لا أبرأ منه(٢١٧) ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ قال ذلك ثقة بالله وتنبيهاً لقومه أن الهداية من ربه.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا إله إلا الله، لم يزل في ذريته من يقولها، قاله مجاهد، وقتادة.

الثاني: ألا تعبدوا إلا الله، قاله الضحاك.

الثالث: الإسلام، لقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ قاله عكرمة. وفي ﴿عَقِبِهِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: ولده، قاله عكرمة.

الثاني: في آل محمد ﷺ، قاله السدي.

الثالث: من خلفه، قاله ابن عباس.

---

(٢١٧) وفي المطبوعة لا أبرد منه وهو خطأ فاحش والصواب لا أبرأ منه.

﴿لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يرجعون إلى الحق، قاله إبراهيم.

الثاني: يتوبون، قاله ابن عباس.

الثالث: يذكرون، قاله قتادة.

الرابع: يرجعون إلى دينك الذي هو دين إبراهيم، قاله الفراء.

قوله عزوجل: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أما القريتان فإحداهما مكة والأخرى الطائف.

وأما عظيم مكة ففيه قولان:

أحدهما: أنه الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس.

الثاني: عتبة بن ربيعة، قاله مجاهد.

وأما عظيم الطائف ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه حبيب بن عمر الثقفي، قاله ابن عباس.

الثاني: [عمير] بن عبد ياليل، [الثقفي](*) قاله مجاهد.

الثالث: عروة بن مسعود، قاله قتادة.

الرابع: أنه كنانة [عبد](*) بن عمرو، قاله السدي.

قوله عزوجل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ يعني النبوة فيضعوها حيث شاءوا.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني أرزاقهم، قال قتادة: فتلقاه ضعيف القوة قليل الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له، وتلقاه شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: بالفضائل، فمنهم فاضل ومنهم مفضول، قاله مقاتل.

الثاني: بالحرية والرق، فبعضهم مالك وبعضهم مملوك.

الثالث: بالغنى والفقر، فبعضهم غني وبعضهم فقير.

الرابع: بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(*) ما بين المربعين من تفسير القرطبي.

(*) زيادة من القرطبي.

الخامس: قاله السدي، التفضيل في الرزق إن الله تعالى قسم[٢١٨] رحمته بالنبوة كما قسم الرزق بالمعيشة.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيًّا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني خدماً، قاله السدي.

الثاني: ملكاً، قاله قتادة.

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن النبوة خير من الغنى.

الثاني: أن الجنة خير من الدنيا.

الثالث: أن إتمام الفرائض خير من كثرة النوافل.

الرابع: أن ما يتفضل به عليهم خير مما يجازيهم عليه من أعمالهم، قاله بعض أصحاب الخواطر.

قوله عزوجل: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على دين واحد كفاراً، قاله ابن عباس والسدي.

الثاني: على اختيار الدنيا على الدين، قاله ابن زيد.

﴿لَّجعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها أعالي البيوت، قاله قتادة، ومجاهد.

الثاني: الأبواب، قاله النقاش.

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ قال ابن عباس: المعارج الدرج، وهو قول الجمهور واحدها معراج.

﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي درج من فضة عليها يصعدون، والظهور الصعود، وأنشد: نابغة بني جعدة رسول الله ﷺ قوله[٢١٩]:

علونا السماء عفة وتكرما ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

---

(٢١٨) ولا وجه لتخصيص الرفع بل يدخل فيه كل ما هو فاضل.

(٢١٩) الأغاني (٥/٨) وفيه بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وفي اللسان «ظهر» بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وفي القرطبي (١٦/٨٥) علونا السماء عزة ومهابة وفي فتح القدير (٤/٥٥٤) بلغنا السماء مجداً وفخراً وسؤدداً.

فغضب رسول الله ﷺ وقال «إلى أين»؟ قال: إلى الجنة.

قال: «أجل إن شاء الله» قال الحسن: والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل؟

﴿وزخرفاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الذهب: قاله ابن عباس. وأنشد قطرب قول ذي الأصبع:

زخارف أشباهاً تخال بلوغها ... سواطع جمر من لظى يتلهب

الثاني: الفرش ومتاع البيت، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه النقوش، قاله الحسن.

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعرض، قاله قتادة.

الثاني: يعمى، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه السير في الظلمة، مأخوذ من العشو وهو البصر الضعيف، ومنه قول الشاعر (٢٢٠):

لنعم الفتى تعشو إلى ضوءِ ناره ... إذا الريحُ هبّت والمكان جديب

---

(٢٢٠) فتح القدير (٤/٥٥٦).

وفي قوله: ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: عن ذكر الله، قاله قتادة.

الثاني: عما بيّنه الله من حلال وحرام وأمر ونهي، وهو معنى قول ابن عباس.

الثالث: عن القرآن لأنه كلام الرحمٰن، قاله الكلبي.

﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نلقيه شيطاناً.

الثاني: نعوضه شيطاناً، مأخوذ من المقايضة وهي المعاوضة.

﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه شيطان يقيض له في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: هو أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصير بهما الله إلى النار، قاله سعيد بن جبير.

قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَآءَنَا﴾ قرأ على التوحيد أبو عمرو[٢٢١]، وحمزة، والكسائي، وحفص، يعني ابن آدم، وقرأ الباقون ﴿جَاءَانَا﴾ على التثنية يعني ابن آدم وقرينه.

﴿قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ هذا قول ابن آدم لقرينه وفي المشرقين قولان:

أحدهما: أنه المشرق، والمغرب فغلب أحدهما على الآخر، كما قيل سُنّة العمرين، كقول الشاعر[٢٢٢]:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

الثاني: أنه مشرق الشتاء ومشرق الصيف، كقوله تعالى ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ وهذا خطاب للنبي ﷺ، وفيه قولان:

---

(٢٢١) زاد المسير (٣١٦/٧) الحجة في القراءات ص ٦٥٠.

(٢٢٢) هو الفرزدق والبيت في ديوانه ٥١٩ والكامل ١٢٤ والطبري (٧٤/٢٥).

أحدهما: إما نخرجنك من مكة من أذى قريش فإنا منهم منتقمون بالسيف يوم بدر.

الثاني: فإما نقبض روحك إلينا فإنا منتقمون من أمتك فيما أحدثوا بعدك.

وروي أن النبي[٢٢٣] ﷺ أُرِي ما لقيت أمته بعده فما زال منقبضاً ما انبسط ضاحكاً حتى لقي الله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ يعني القرآن ذكر لك [ولقومك][*] وفي ﴿لَذِكْرٌ﴾ قولان:

أحدهما: الشرف، أي شرف لك ولقومك، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه لذكر لك ولقومك تذكرون به أمر الدين وتعملون به، حكاه ابن عيسى.

﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من اتبعك من أمتك، قاله قتادة.

الثاني: لقومك من قريش فيقال: ممن هذا الرجل؟ فيقال: من العرب، فيقال: من أي العرب؟: فيقال: من قريش، قاله مجاهد.

﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الشكر، قاله مقاتل.

الثاني: أنت ومن معك عما أتاك، قاله ابن جريج.

وحكى ابن أبي سلمة عن أبيه عن مالك بن أنس في قوله ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أنه قول الرجل حدثني أبي عن جدي.

قوله عز وجل: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

---

(٢٢٣) رواه الطبري (٢٥/ ٧٥) من مرسل قتادة وأورده السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٩).

وقال: قال قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾.

قال: قال أنس......

ونسبه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وعبد بن حميد. ولكني لم أره في الطبري في هذا الموضع والله أعلم.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

أحدها: يعني الأنبياء الذين جمعوا له ليلة الإسراء، قاله ابن عباس، وابن زيد، وكانوا سبعين نبياً منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فلم يسألهم لأنه كان أعلم بالله منهم، قاله ابن عباس.

الثاني: أهل الكتابين التوراة والإنجيل، قاله قتادة، والضحاك، ويكون تقديره سل أمم(٢٢٤) من أرسلنا من قبلك من رسلنا.

الثالث: جبريل، ويكون تقديره. واسأل عما أرسلنا من قبلك من رسلنا، حكاه النقاش.

﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ وسبب هذا الأمر بالسؤال أن اليهود والمشركين قالوا للنبي ﷺ: إن ما جئت به مخالف لمن كان قبلك، فأمره الله بسؤالهم لا لأنه كان في شك منه(٢٢٥).

واختلف في سؤال النبي ﷺ لهم على قولين:

أحدهما: أنه سألهم، فقالت الرسل بعثنا بالتوحيد، قاله الواقدي.

الثاني: أنه لم يسأل ليقينه بالله تعالى، حتى حكى ابن زيد أن ميكائيل قال لجبريل: هل سألك محمد ذلك؟ فقال جبريل: هو أشد إيماناً وأعظم يقيناً من أن يسألني عن ذلك.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

---

(٢٢٤) ونظير ذلك قوله.. ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول..﴾

ومعلوم أن معنى ذلك فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله لأن الرد إلى ذلك رد إلى الله ولرسوله راجع الطبري (٢٥/٧٨).

(٢٢٥) لكن لإقامة الحجة عليهم من واقع كتبهم ومن كلام أحبارهم ورهبانهم.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ يَـٰأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا على وجه الاستهزاء، قاله الحسن.

الثاني: أنه يجري على ألسنتهم ما ألفوه من اسمه، قاله الزجاج.

الثالث: أنهم أرادوا بالساحر غالب السحرة، وهو معنى قول ابن بحر.

الرابع: أن الساحر عندهم هو العالم، فعظموه بذلك ولم تكن صفة ذم، حكاه ابن عيسى وقاله الكلبي.

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ قال مجاهد: لئن أمنا لتكشف العذاب عنا، قال الضحاك، وذلك أن الطوفان أخذهم ثمانية أيام لا يسكن ليلاً ولا نهاراً.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ أي يغدرون وكان موسى دعا لقومه فأجيب فيهم فلم يفوا.

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معنى نادى أي قال، قاله أبو مالك.

الثاني: أمر من نادى في قومه، قاله ابن جريج.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الإسكندرية، قاله مجاهد.

الثاني: أنه ملك منها أربعين فرسخاً في مثلها، حكاه النقاش.

﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: كانت جنات وأنهاراً تجري من تحت قصره، قاله قتادة. وقيل من تحت سريره.

الثاني: أنه أراد النيل يجري من تحتي أي أسفل مني.

الثالث: أن معنى قوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ أي القواد والجبابرة يسيرون تحت لوائي، قاله الضحاك.

ويحتمل رابعاً: أنه أراد بالأنهار الأموال، وعبر عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها وقوله ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ أي أفرقها على من يتبعني لأن الترغيب والقدرة في الأموال في الأنهار.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أفلا تبصرون إلى قوتي وضعف موسى؟.

الثاني: قدرتي على نفعكم وعجز موسى.

ثم صرح بحاله فقال ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ قال السدي: بل أنا خير.

﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أي ضعيف، قاله قتادة.

الثاني: حقير، قاله سفيان.

الثالث: لأنه كان يمتهن نفسه في حوائجه، حكاه ابن عيسى.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي يفهم، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أنه عيي اللسان، قاله قتادة.

الثاني: ألثغ، قاله، الزجاج.

الثالث: ثقيل اللسان لجمرة كان وضعها في فيه وهو صغير، قاله سفيان.

قوله عزوجل: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ[٢٢٦] مِّن ذَهَبٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك لأنه كان عادة الوقت وزي أهل الشرف.

الثاني: ليكون ذلك دليلاً على صدقه، والأساورة جمع أسورة، والأسورة جمع سوار.

(٢٢٦) وهذا على قراءة الجماعة غير حفص راجع الحجة (٩٥١).

﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ ٱلْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: متتابعين، قاله قتادة.

الثاني: يقارن بعضهم بعضاً في المعونة، قاله السدي.

الثالث: مقترنين أي يمشون معاً، قاله مجاهد.

وفي مجيئهم معه قولان:

أحدهما: ليكونوا معه أعواناً، قاله مقاتل.

الثاني: ليكونوا دليلاً على صدقه، قاله الكلبي. وليس يلزم هذا لأن الإعجاز كاف، وقد كان في الجائز أن يكذب مع مجيء الملائكة كما يكذب مع ظهور الآيات.

وذكر فرعون الملائكة حكاية عن لفظ موسى لأنه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم.

قوله عز وجل: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: استفزهم بالقول فأطاعوه على التكذيب، قاله ابن زياد.

الثاني: حركهم بالرغبة فخفوا معه في الإجابة، وهو معنى قول الفراء.

الثالث: استجهلهم فأظهروا طاعة جهلهم، وهو معنى قول الكلبي.

الرابع: دعاهم إلى باطله فخفوا في إجابته، قاله ابن عيسى.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أغضبونا، رواه الضحاك عن ابن عباس.

الثاني: أسخطونا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. ومعناهما مختلف، والفرق بينهما أن السخط إظهار الكراهة، والغضب إرادة الانتقام[٢٢٧].

والأسف هو الأسى على فائت. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه لما جعل هنا في موضع الغضب صح أن يضاف إلى الله لأنه قد يغضب[٢٢٨] على من عصاه.

---

(٢٢٧) نثبت لله صفة الغضب مع التنزيه لله. فإن الله تعالى يغضب غضباً يليق بذاته وجلاله فعلينا الإيمان بالصفة دون تعطيل أو تشبيه أو تحريف. وقد عرفناك مراراً مذهب السلف في ذلك وتقدم الكلام في سورة البقرة على صفة الغضب.

(٢٢٨) وهو الصواب كما سبق في التعليق السابق.

الثاني : أن الأسف راجع إلى الأنبياء[٢٢٩] لأن الله تعالى لا يفوته شيء ، ويكون تقديره : فلما آسفوا رسلنا انتقمنا منهم .

قوله عز وجل : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً﴾ قرأ حمزة[٢٣٠]، والكسائي بضم السين واللام ، وفيه تأويلان :

أحدهما : أهواء مختلفة ، قاله ابن عباس .

الثاني : جمع سلف أي جميع من قد مضى من الناس ، قاله ابن عيسى .

وقرأ الباقون بفتح السين واللام ، أي متقدمين ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : سلفاً في النار ، قاله قتادة .

الثاني : سلفاً لكفار أمة محمد ﷺ ، قاله مجاهد .

الثالث : سلفاً لمثل من عمل مثل عملهم ، قاله أبو مجلز .

﴿وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عظة لغيرهم ، قاله قتادة .

الثاني : عبرة لمن بعدهم ، قاله مجاهد .

۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا

---

(٢٢٩) وهذا من التأويل الذي لا يدل عليه أي دليل فالصواب تفسير ابن عباس للأسف هنا بالغضب كما ذكره المؤلف في القول الأول .

(٢٣٠) الحجة في القراءات ٦٥٢ .

صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

قوله عز وجل: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا**﴾ الآية. فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ما رواه ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ(٢٣١): «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ**» فقالوا: ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً صالحاً؟ فقد كان يعبد من دون الله، فنزلت.

الثاني: ما حكاه مجاهد أن قريشاً قالت: إن محمداً يريد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى، فنزلت.

الثالث: ما حكاه قتادة أن الله لما ذكر نزول عيسى في القرآن قالت قريش: يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى؟ فنزلت هذه الآية.

الرابع: ما ذكره ابن عيسى أنه لما ذكر الله خلق عيسى من غير ذكر كآدم أكبرته قريش فنزلت هذه الآية، وضربه مثلاً أن خلقه من أنثى بغير ذكر كما خلق آدم من غير أنثى ولا ذكر ولذلك غلت فيه النصارى حين اتخذته إلَهاً.

﴿. . . **يَصِدُّونَ**﴾ فيه قراءتان:

إحداهما: بكسر الصاد.

والثانية: بضمها(٢٣٢) فاختلف أهل التفسير في اختلافهما على قولين:

أحدهما: معناه واحد وإن اختلف لفظهما في الصيغة مثل يشد ويشُد وينِم وينُم، فعلى هذا في تأويل ذلك أربعة أوجه:

أحدها: يضجون، قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك.

الثاني: يضحكون، قاله قتادة.

الثالث: يجزعون، حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

---

(٢٣١) قال الهيثمي في المجمع (١٠٤/٧): رواه أحمد والطبراني بنحوه. . . . وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح وزاد في الدر (٣٨٥/٧) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه. .

(٢٣٢) وهي قراءة ابن عامر ونافع والكسائي راجع الحجة ص ٦٥٢ وزاد المسير (٣٢٤/٧).

الرابع: يعرضون، قاله إبراهيم.

والقول الثاني: معناهما مختلف، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها بالضم يعدلون. وبالكسر يتفرقون، قاله الحسن.

الثاني: أنه بالضم يعتزلون، وبالكسر يضجون، قاله الأخفش.

الثالث: أنه بالضم من الصدود، وبالكسر من الضجيج، قاله قطرب.

﴿وَقَالُواْ ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ وهذا قول قريش، قالواْ: آلهتنا وهي أصنامهم التي يعبدونها خير ﴿أَمْ هُوَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أم محمد ﷺ، قاله قتادة.

الثاني: أم عيسى(٢٣٣)، قاله السدي.

﴿مَا ضَرَبُوه لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾ قال السدي: هو قول قريش لرسول الله ﷺ تزعم كل شيء عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة هؤلاء قد عبدوا من دون الله.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الخصم الحاذق بالخصومة.

الثاني: أنه المجادل بغير حجة.

قوله عزوجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ قال قتادة: يعني عيسى.

﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالنبوة.

الثاني: بخلقه من غير أب كآدم. وفيه وجه.

الثالث: بسياسة نفسه وقمع شهوته.

﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أنه لبني إسرائيل، قاله قتادة.

الثاني: لتمثيله بآدم، قاله ابن عيسى.

قوله عز وجل ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلاَئِكَةً﴾ فيه وجهان:

---

(٢٣٣) والسياق يقتضي أرجحية هذا القول.

أحدهما: يعني لقلبنا بعضكم ملائكة من غير أب كما خلقنا عيسى من غير أب ليكونوا خلفاء من ذهب منكم.

الثاني: جعلنا بدلاً منكم ملائكة.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: ملائكة يخلف بعضها بعضاً، قاله قتادة.

الثاني: ملائكة يكونون خلفاً منكم، قاله السدي.

الثالث: ملائكة يعمرون الأرض بدلاً منكم، قاله مجاهد.

الرابع: ملائكة يكونون رسلاً إليكم بدلاً من الرسل منكم.

قوله عزوجل: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن القرآن علم الساعة لما فيه من البعث والجزاء، قاله الحسن وسعيد بن جبير.

الثاني: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى، قاله ابن إسحاق.

الثالث: أن خروج عيسى علم(٢٣٤) الساعة لأنه من علامة القيامة وشروط الساعة، قاله ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، والسدي.

وروى خالد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ(٢٣٥): **«الأَنبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعِلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُم شَتَّىٰ وَدِينُهُم وَاحِدٌ، أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ، إِنَّهُ لَيسَ بَينِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ أَوَّلُ نَازِلٍ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ(٢٣٦) وَيَقْتُلُ الخنزِيرَ، وَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلَامِ».**

وحكى ابن عيسى عن قوم أنهم قالوا: إذا نزل عيسى رفع التكليف لئلا يكون

---

(٢٣٤) وهو الصواب وقد ورد فيه حديث مرفوع صحيح الإسناد رواه ابن حبان (١٧٥٨ ـ موارد) وهاك لفظه: نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة.

(٢٣٥) هذا الحديث مرسل من مرسلات الحسن وقد ورد موصولاً من حديث أبي هريرة. مرفوعاً بلفظ أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوه لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد. رواه البخاري (١٦٧/٤) وبنحوه من حديث أبي هريرة رواه مسلم (٩٦/٧) وأبو داود بمعناه (٣٠٢/٤) وأحمد (٣١٩/٢، ٤٠٦، ٤٣٧، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٤٦) والطيالسي (٨٤/٢).

(٢٣٦) وذلك فيما رواه البخاري (٤١٤/٤) (١٢١/٥) (٤٩٠/٦) ومسلم حديث رقم ١٥٥ في كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة.

رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم. وهذا قول مردود(*) لثلاثة أمور: للحديث الذي قدمناه، ولأن بقاء الدنيا يقتضي بقاء التكليف فيها، ولأنه ينزل آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وليس يستنكر أن يكون أمر الله تعالى مقصوراً على تأييد الإسلام والأمر به والدعاء إليه.

وحكى مقاتل أن عيسى ينزل من السماء على ثنية جبل بأرض الشام يقال له أفيف.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تشكون فيها يعني الساعة. قاله يحيى بن سلام.

الثاني: فلا تكذبون بها، قاله السُدي.

﴿وَاتَّبِعُونِ هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: القرآن صراط مستقيم إلى الجنة، قاله الحسن.

الثاني: عيسى، قاله ابن عباس.

الثالث: الإسلام، قاله يحيى.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه الإنجيل، قاله قتادة.

الثاني: أنه الآيات التي جاء بها من إحياء الموتى وإبراء الأسقام، والإخبار بكثير من الغيوب، قاله ابن عباس.

﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالنبوة، قاله السدي.

الثاني: بعلم ما يؤدي إلى الجميل ويكف عن القبيح، قاله ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: أن الحكمة الإنجيل الذي أنزل عليه.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: تبديل التوراة، قاله مجاهد.

الثاني: ما تختلفون فيه من أمر دينكم لا من أمر دنياكم، حكاه ابن عيسى.

وفي قوله: ﴿بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي كل الذي تختلفون فيه، فكان

(*) وفي نسبخه مرذول.

البعض هنا بمعنى الكل لأنه ما اقتصر على بيان بعض دون الكل، قاله الأخفش، وأنشد لبيد[٢٣٧]:

تــرّاك أمـكنــة إذا لــم أرضهــا أو يعتلق بعض النفوس حمامها

والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض.

الثاني: أنه بين لهم بعضه دون جميعه، ويكون معناه أبين لكم بعض ذلك أيضاً وأكلكم في بعضه إلى الاجتهاد، وأضمر ذلك لدلالة الحال عليه.

قوله عز وجل ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال قتادة يعني ﴿مِن بَيْنِهِم﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضاً، قاله مجاهد والسدي.

الثاني: فرق النصارى من النسطورية واليعاقبة والملكية اختلفوا في عيسى فقالت النسطورية: هو ابن الله. وقالت اليعاقبة هو الله. وقالت الملكية ثالث ثلاثة[٢٣٨] أحدهم الله، قاله الكلبي ومقاتل.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

(٢٣٧) الطبري (٢٥/٩٢) وشرح معلقات السبع للزوزني ص ١١٦ وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ١٦٠.
(٢٣٨) وهذه الفرق الثلاثة كلها كفار.

قوله عز وجل: ﴿ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم أعداء في الدنيا، لأن كل واحد منهم زين للآخر ما يوبقه، وهو معنى قول مجاهد.

الثاني: أنهم أعداء في الآخرة مع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا لما رأوا سوء العاقبة فيها بالمقارنة، وهو معنى قول قتادة.

وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وعقبة بن أبي معيط كانا خليلين. وكان عقبة يجالس النبي ﷺ فقالت قريش قد صبأ عقبة بن أبي معيط وقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً ولم تتفل في وجهه ففعل عقبة ذلك فنذر النبي ﷺ قتله، فقتله يوم بدر صبراً، وقتل أمية في المعركة، وفيهما نزلت هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: هم وأزواجهم المؤمنات في الدنيا.

الثاني: ومن يزوجون من الحور في الآخرة.

الثالث: هم وقرناؤهم في الدنيا.

وفي ﴿تُحْبَرُونَ﴾ ستة تأويلات:

أحدها: تكرمون(*)، قاله ابن عباس، والكرامة في المنزلة.

الثاني: تفرحون، قاله الحسن، والفرح في القلب.

الثالث: تتنعمون، قاله قتادة، والنعيم في البدن.

الرابع: تسرّون، قاله مجاهد، والسرور في العين.

الخامس: تعجبون، قاله ابن أبي نجيح، والعجب ها هنا درك ما يستطرف.

السادس: أنه التلذذ بالسماع، قاله يحيى بن أبي كثير.

قوله عزوجل: ﴿ . . وَأَكْوَابٍ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه الآنية المدورة الأفواه، قاله مجاهد.

الثاني: أنها ليست لها آذان، قاله السدي.

(*) وفي كثير من كتب التفسير نسب هذا القول لابن عباس رضي الله عنه.

الثالث: أن الكوب: المدور القصير العنق القصير العروة، والإبريق: الطويل العنق الطويل العروة، قاله قتادة.

الرابع: أنها الأباريق التي لا خراطيم لها، قاله الأخفش.

الخامس: أنها الأباريق التي ليس لها عروة، قاله قطرب.

قوله عز وجل: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص[٢٣٩] ﴿تَشْتَهِيهِ﴾.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: ما تشتهي الأنفس ما تتمناه، وما تلذ الأعين هو ما رآه فاشتهاه.

الثاني: ما تشتهيه الأنفس هو ما كان طيب المخبر، وما تلذ الأعين ما كان حسن المنظر.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَنَادَوْاْ يَا مَالِكُ﴾ هذا نداء أهل النار لخزانها حين ذاقوا عذابها.

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي يميتنا، طلبوا الموت ليستريحوا به مس عذاب النار.

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ أي لابثون في عذابها أحياء، وفي مدة ما بين ندائهم وجوابه أربعة أقاويل:

أحدها: أربعون سنة، قاله عبدالله بن عمرو.

الثاني: ثمانون سنة، قاله السدي.

الثالث: مائة سنة، قاله نوف.

(٢٣٩) الحجة في القراءات ص ٦٥٤.

الرابع: ألف سنة، قاله ابن عباس، لأن بعد ما بين النداء والجواب أخزى لهم وأذل.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أم أجمعوا على التكذيب فإنا مجمعون على الجزاء بالبعث، قاله قتادة.

الثاني: أم أحكموا كيداً فإنا محكمون لهم كيداً، قاله ابن زيد.

الثالث: قضوا أمراً فإنا قاضون عليهم بالعذاب، قاله الكلبي.

وقيل إن هذه الآية نزلت في كفار قريش حين اجتمع وجوههم في دار الندوة يتشاورون في أمر النبي ﷺ حتى استقر رأيهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتله فتضعف المطالبة بدمه، فنزلت هذه الآية، وقتل الله جميعهم عليهم اللعنة يوم بدر.

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

قوله عزوجل: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْعَابِدِينَ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول من يعبد الله ليس له ولد، قاله ابن زيد ومجاهد.

الثاني: معناه فأنا أول العابدين، ولكن لم يكن ولا ينبغي أن يكون، قاله قتادة.

الثالث: قل لم يكن للرحمن ولد وأنا أول الشاهدين بأن ليس له ولد. قاله ابن عباس.

الرابع: قل ما كان للرحمٰن ولد، وهذا كلام تام ثم استأنف فقال: فأنا أول العابدين أي الموحدين من أهل مكة، قاله السدي.

الخامس: قل إن قلتم إن للرحمٰن ولداً فأنا أول الجاحدين أن يكون له ولد، قاله سفيان.

السادس: إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول الآنفين أن يكون له ولد، قاله الكسائي وابن قتيبة، ومنه قول الفرزدق(٢٤٠):

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   وأعْبُدُ أن أهجو تميماً بدارم

قوله عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وهذا إبطال أن يكون غير الله إلَهاً وأن الإلَه هو الذي يكون في السماء إلَهاً وفي الأرض إلَهاً وليست هذه صفة لغير الله، فوجب أن يكون هو الإلَه

وفي معنى الكلام وجهان:

أحدهما: أنه الموحد في السماء والأرض. قاله مقاتل.

الثاني: أنه المعبود في السماء والأرض، قاله الكلبي.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه يذكر ذلك صفة لتعظيمه.

الثاني: أنه يذكره تعليلاً لإلاهيته لأنه حكيم عليم وليس في الأصنام حكيم عليم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ﴾ فيها قولان:

أحدهما: الشركة ومنه أخذت الشفعة في البيع لاستحقاق الشريك لها. ويكون معنى الكلام أن الذين يدعون من دون الله لا يملكون مع الله شركة يستحقون أن يكونوا بها آلهة إلا أن يشهدوا عند الله بالحق على من عليه حق أو له حق، وهذا معنى قول ابن بحر.

---

(٢٤٠) وأورده في فتح القدير (٤/٥٦٦) وفيه:

أولئك أحلاس فجئني بمثلهم   واعبد أن أهجو كليباً بدارم

الثاني: أن الشفاعة استعطاف المشفوع إليه فيما يرجى، واستصفاحه فيما يخشى وهو قول الجمهور.

وقيل إن سبب نزولها ما حكي أن النضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة، وهم أحق بالشفاعة لنا منه فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ﴾ معناه الذين يعبدونهم من دون الله وهم الملائكة الشفاعة لهم. وقال قتادة: هم الملائكة وعيسى وعزير لأنهم عبدوا من دون الله.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أن الشهادة بالحق إنما هي لمن شهد في الدنيا بالحق وهم يعلمون أنه الحق فتشفع لهم الملائكة، قاله الحسن.

الثاني: أن الملائكة لا تشفع إلا لمن شهد أن لا إلٓه إلا الله وهم يعلمون أن الله ربهم.

قوله عز وجل: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وهي تقرأ على ثلاثة (٢٤١) أوجه بالنصب والجر والرفع.

فأما الجر فهي على قراءة عاصم وحمزة، وهي في المعنى راجعة إلى قوله تعالى ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وعلم قيلِه.

وأما الرفع فهو قراءة الأعرج، ومعناها ابتداء، وقيله، قيل محمد، يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون. والقيل هو القول.

وأما النصب فهي قراءة الباقين من أئمة القراء، وفي تأويلها أربعة أوجه:

أحدها: بمعنى إلا من شهد بالحق وقال قيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، على وجه الإنكار عليهم، قاله ابن عيسى.

الثاني: أنها بمعنى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيلَه يا رب، قاله يحيى بن سلام.

---

(٢٤١) انظر لهذه القراءات زاد المسير (٣٣٤/٧، ٣٣٥) الحجة في القراءات ص ٦٥٥.

الثالث: بمعنى وشكا محمد إلى ربه قيله، ثم ابتداء فأخبر ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَـٰؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ، قاله الزجاج.

قوله عز وجل: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ قال قتادة: أمره بالصفح عنهم، ثم أمره بقتالهم فصار الصفح منسوخاً بالسيف. ويحتمل الصفح عن سفههم أن يقابلهم عليه ندباً له إلى الحلم.

﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أي قل ما تسلم به من شرهم، قاله ابن عيسى.

الثاني: قل خيراً بدلاً من شرهم؛ قاله السدي.

الثالث: أي احلم عنهم؛ قاله الحسن.

الرابع: أنه أمره بتوديعهم بالسلام ولم يجعله تحية لهم؛ حكاه النقاش.

الخامس: أنه عرفه بذلك كيف السلام عليهم؛ رواه شعيب بن الحباب.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: فسوف يعلمون حلول العذاب بهم.

الثاني: فسوف يعلمون صدقك في إنذارهم، والله أعلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

قوله عزوجل: ﴿حمٓ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني والقرآن المبين، فأقسم به، وفي قسمه بـ ﴿حمٓ﴾ وجهان من اختلافهم في تأويله.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن أنزله الله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا.

﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها ليلة النصف[٢٤٢] من شعبان؛ قاله عكرمة.

الثاني: أنها ليلة القدر.

(٢٤٢) هذا القول بعيد جداً قال الحافظ ابن كثير (٤/١٣٧) ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة فإن نص القرآن أنها في رمضان ا هـ وعلى هذا فإن الصواب هو القول الأول وعليه عامة المفسرين.

روى قتادة عن وائلة(٢٤٣) أن النبي ﷺ قال: «نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيلَةٍ مِن رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍ مَضَيْنَ مِن رَمَضَانَ وَأُنزِلَ الزَّبُورُ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَضَتْ مِن رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الإِنْجِيلُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِن رَمَضَانَ. وَأُنزِلَ القُرْآنُ لأَرْبعٍ وَعِشرِينَ مِن رَمَضَانَ».

وفي تسميتها مباركة وجهان:

أحدهما: لما ينزل فيها من الرحمة.

الثاني: لما يجاب فيها من الدعاء.

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ بالقرآن من النار.

ويحتمل: ثانياً: منذرين بالرسل من الضلال.

﴿فِيهَا﴾ في هذه الليلة المباركة.

﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وفي يفرق أربعة أوجه:

أحدها: يقضىٰ، قاله الضحاك.

الثاني: يكتب، قاله ابن عباس.

الثالث: ينزل، قاله ابن زيد.

الرابع: يخرج، قاله ابن سنان.

وفي تأويل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: الآجال والأرزاق والسعادة والشقاء من السنة إلى السنة، قاله ابن عباس.

الثاني: كل ما يقضى من السنة إلى السنة، إلا الشقاوة والسعادة فإنه في أم الكتاب لا يغير ولا يبدل، قاله ابن عمر.

الثالث: كل ما يقضى من السنة إلى السنة إلا الحياة والموت، قاله مجاهد.

الرابع: بركات عمله من انطلاق الألسن بمدحه، وامتلاء القلوب من هيبته، قاله بعض أصحاب الخواطر.

الحكيم هنا هو المحكم. وليلة القدر باقية ما بقي الدهر، وهي في شهر رمضان

(٢٤٣) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب واثلة وقد تقدم تخريج هذا الحديث في سورة البقرة.

في العشر الأواخر منه. ولا وجه لقول من قال إنها رفعت بموت النبي ﷺ، ولا لقول من جوزها في جميع السنة لأن الخبر والأثر والعيان يدفعه. واختلف في محلها من العشر الأواخر من رمضان على أقاويل ذكرها في سورة القدر أولى.

قوله عز وجل: ﴿أَمْراً مِنْ عِندِنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الأمر هو القرآن أنزله الله من عنده، حكاه النقاش.

الثاني: أنه ما قضاه الله في الليلة المباركة من أحوال عباده، قاله ابن عيسى.

ويحتمل:

ثالثاً: أنه إرسال محمد ﷺ نبياً.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مرسلين الرسل للإنذار.

الثاني: منزلين ما قضيناه على العباد.

الثالث: مرسلين رحمة من ربك.

وفي ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ هنا وجهان:

أحدهما: أنها نعمة الله ببعثة رسوله ﷺ.

الثاني: أنها رأفته بهداية من آمن به.

﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بفعلهم.

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ في ارتقب وجهان:

أحدهما: معناه فانتظر يا محمد بهؤلاء يوم تأتي السماء بدخان مبين، قاله قتادة.

الثاني: معناه فاحفظ يا محمد قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين، ولذلك سمي الحافظ رقيباً، قال الأعشى(٢٤٤):

علـيَّ رقـيـب لـه حـافظٌ فقـل في امـرىءٍ غِلقٍ مـرتهن

وفي قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما أصاب أهل مكة من شدة الجوع حتى صار بينهم وبين السماء كهيئة الدخان لما دعا عليهم رسول الله ﷺ في إبطائهم عن الإيمان وقصدهم له بالأذى، فقال(٢٤٥): «اللَّهُمَّ اكفِنِيهِم بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ»، قاله ابن مسعود. قال أبو عبيدة والدخان الجدب. وقال ابن قتيبة: سمي دخاناً ليبس الأرض منه حتى يرتفع منها الدخان.

الثاني: أنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغيوم، قاله عبد الرحمن بن الأعرج.

الثالث: أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة، وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً(٢٤٦).

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الدخان، قاله قتادة.

الثاني: الجوع: قاله النقاش.

الثالث: أنه الثلج وهذا لا وجه له لأن هذا إما أن يكون في الآخرة أو في أهل مكة، ولم تكن مكة من بلاد الثلج غير أنه مقول فحكيناه.

قوله عزوجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أي عائدون إلى نار جهنم.

الثاني: إلى الشرك، قاله ابن مسعود. فلما كشف ذلك عنهم باستسقاء النبي ﷺ لهم عادوا إلى تكذيبه.

---

(٢٤٤) ديوانه: ١٩٠.

(٢٤٥) رواه البخاري (٨/٣٩٤، ٤٢٠، ٤٤٠) وزاد السيوطي في الدر (٦/٢٩) نسبته لسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل معاً والطبري (٢٥/١١١).

(٢٤٦) رواه ابن ابي حاتم كما في الدر (٢٥/٤٠٨).

قوله عزوجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ والبطشة الكبرى هي العقوبة الكبرى، وفيها قولان:

أحدهما: القتل بالسيف يوم بدر، قاله ابن مسعود وأُبي بن كعب ومجاهد والضحاك.

الثاني: عذاب جهنم يوم القيامة، قاله ابن عباس والحسن.

ويحتمل:

ثالثاً: أنها قيام الساعة لأنها خاتمة بطشاته في الدنيا.

﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ أي من أعدائنا. وفي الفرق بين النقمة والعقوبة ثلاثة أوجه:

أحدها: أن العقوبة بعد المعصية لأنها من العاقبة، والنقمة قد تكون قبلها، قاله ابن عيسى.

الثاني: أن العقوبة قد تكون في المعاصي، والنقمة قد تكون في خلقه لأجله.

الثالث: أن العقوبة ما تقدرت، والانتقام غير مقدر.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي ابتليناهم.

﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ وهو موسى بن عمران عليه السلام. وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كريم على ربه، قاله الفراء.

الثاني: كريم في قومه.

الثالث: كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح.

قوله عزوجل: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أي أرسلوا معي بني إسرائيل ولا تستعبدوهم، قاله مجاهد.

الثاني: أجيبوا عباد الله خيراً، قاله أبو صالح.

الثالث: أدوا إليَّ يا عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله، وهذا محتمل.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أمين على أن أؤديه لكم فلا أتزيد فيه.

الثاني: أمين على ما أستأديه منكم فلا أخون فيه.

قوله عزوجل: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: لا تبغوا على الله، قاله قتادة.

الثاني: لا تفتروا على الله، قاله ابن عباس، والفرق بين البغي والافتراء أن البغي بالفعل، والافتراء بالقول.

الثالث: لا تعظموا على الله، قاله ابن جريج.

الرابع: لا تستكبروا على عباد الله، قاله يحيى. والفرق بين التعظيم والاستكبار أن التعظيم تطاول المقتدر، والاستكبار ترفع المحتقر[٢٤٧].

﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بعذر مبين، قاله قتادة.

الثالث: بحجة بينة، قاله يحيى.

قوله عزوجل: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لجأت إلى ربي وربكم.

الثاني: استغثت. والفرق بينهما أن الملتجىء مستدفع والمستغيث مستنصر.

---

(٢٤٧) وهذه الفروق التي يسوقها الإمام الماوردي رحمه الله من اللفتات الجميلة في تفسيره فرحمه الله.

قوله: ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ أي ربي الذي هو ربكم.

﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالحجارة، قاله قتادة.

الثاني: أن تقتلوني، قاله السدي.

الثالث: أن تشتموني بأن تقولوا ساحر أو كاهن أو شاعر، قاله أبو صالح.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ أي إن لم تؤمنوا بي وتصدقوا قولي فخلوا سبيلي وكفوا عن أذاي.

قوله عز وجل: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْواً﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: سمتاً، قاله ابن عباس.

الثاني: يابساً، قاله ابن أبي نجيح.

الثالث: سهلاً، قاله الربيع.

الرابع: طريقاً، قاله كعب والحسن.

الخامس: منفرجاً، قاله مجاهد.

السادس: غرقاً، قاله عكرمة.

السابع: ساكناً، قاله الكلبي والأخفش وقطرب. قال القطامي(٢٤٨):

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلةٌ ولا الصدور على الأعجاز تتكل

قال قتادة: لما نجا بنو إسرائيل من البحر وأراد آل فرعون أن يدخلوه خشي نبي الله موسى عليه السلام أن يدركوه فأراد أن يضرب البحر حتى يعود كما كان فقال الله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْواً﴾ أي طريقاً يابساً حتى يدخلوه.

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ قال مقاتل: هو النيل، وكان عرضه يومئذٍ فرسخين، قال الضحاك: كان غرقهم بالقلزم وهو بلد بين مصر والحجاز.

فإن قيل فليست هذه الأحوال في البحر من فعل موسى ولا إليه.

قيل يشبه أن يكون الله تعالى قد أعلمه أنه إنْ ضرب البحر بعصاه ثانية تغيرت أحواله، فأمره أن يكف عن ضربه حتى ينفذ الله قضاءه في فرعون وقومه.

(٢٤٨) اللسان «ها» وروح المعاني (٢٥/١٢٢).

وتأويل سهل بن عبد الله ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ﴾ أي اجعل القلب ساكناً في تدبيري[٢٤٩] ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أي إن المخالفين قد غرقوا في التدبير.

قوله عزوجل: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الجنات البساتين. وفي العيون قولان:

أحدهما: عيون الماء، وهو قول الجمهور.

الثاني: عيون الذهب، قاله ابن جبير.

﴿وَزُرُوعٍ﴾ قيل إنهم كانوا يزرعون ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها، وكانت مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعاً لما دبروه وقدروه من قناطر وجسور.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها المنابر، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد.

الثاني: المساكن، قاله أبو عمرو والسدي، لمقام أهلها فيها.

الثالث: مجالس الملوك لقيام الناس فيها.

ويحتمل رابعاً: أنه مرابط الخيل لأنها أكرم مذخور لعدة وزينة.

وفي الكريم ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الحسن، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: هو المعطي(*) لديه كما يعطي الرجل الكريم صلته، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنه كريم لكرم من فيه، قاله ابن بحر.

قوله عزوجل: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ في النعمة هنا أربعة أوجه:

أحدها: نيل مصر، قاله ابن عمر.

الثاني: الفيّوم، قاله ابن لهيعة.

الثالث: أرض مصر لكثرة خيرها، قاله ابن زياد.

الرابع: ما كانوا فيه من السعة والدعة.

وقد يقال نعمة ونِعمة بفتح النون وكسرها، وفي الفرق بينهما وجهان:

---

(٢٤٩) وهذا التأويل أشبه بالتأويل الباطني وقد أغنانا الله تعالى عن مثل هذه التأويلات وأشباهها.

(*) هكذا في الأصول والله أعلم.

أحدهما: أنها بكسر النون في الملك، وبفتحها في البدن والدين؛ قاله النضر بن شميل.

الثاني: أنها بالكسر من السنة وهو الإفضال والعطية، وبالفتح من التنعم وهو سعة العيش والراحة، قاله ابن زياد.

وفي ﴿فاكهين﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: فرحين، قاله السدي.

الثاني: ناعمين، قاله قتادة.

الثالث: أن الفاكه هو المتمتع بأنواع اللذة كما يتمتع الآكل بأنواع الفاكهة، قاله ابن عيسى.

وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿فَكِهِينَ﴾ ومعناه معجبين.

قوله عز وجل ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل ملكهم الله أرض مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين، فصاروا لها وارثين لوصول ذلك إليهم كوصول الميراث.

قوله عزوجل: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني أهل السماء وأهل الأرض، قاله الحسن.

الثاني: أن السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحاً؛ قاله مجاهد. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله، فقال أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟

الثالث: أنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء، قاله علي كرم الله وجهه. وتقديره فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الأرض. وهو معنى قول سعيد بن جبير.

الرابع: ما رواه يزيد الرقاشي (٢٥٠) عن أنس بن مالك. قال: قال رسول

---

(٢٥٠) رواه الترمذي (٢/١٥٨) وأبو يعلى مطولاً كما في المجمع (٧/١٠٥) وقال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث قلت

الله ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلا وله في السماء بابان، باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقداه فبكيا عليه» ثم تلا هذه الآية.

وفي بكاء السماء والأرض ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كالمعروف من بكاء الحيوان ويشبه أن يكون قول مجاهد.

الثاني: أنه حمرة أطرافها، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعطاء.

وحكى جرير عن يزيد بن أبي زياد(٢٥١) قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمر له آفاق السماء أربعة أشهر، واحمرارها بكاؤها.

الثالث: أنها أمارة تظهر منها تدل على حزن وأسف. كقول الشاعر(٢٥٢):

والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مؤخرين بالغرق، قاله الكلبي.

الثاني: لم ينظروا بعد الآيات التسع حتى أغرقوا، قاله مقاتل.

وقد أعله الهيثمي في المجمع بموسى بن عبيدة فزادالسيوطي فيالدر (١١/٧) نسبته لابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والخطيب.

(٢٥١)هذا الأثر ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد وقد رواه ابن أبي حاتم وساق سنده ابن كثير (١٤٢/٤، ١٤٣) وقال الحافظ ابن كثير (١٤٣/٤) بعد أن ذكر الأثر.. وذكروا «وذكروا أيضاً في مقتل الحسين رضي الله عنه أن ما قلب حجر يوْمئذ إلا وجد تحته دم عبيط وأنه كسفت الشمس واحمرّ الأفق وسقطت حجارة وفي كل من ذلك نظر والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكروه فإنه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا أفضل منه بالإجماع ولم يقع شيءمن ذلك وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل محصوراً مظلوماً ولم يكن شيء من ذلك وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شيء من ذلك وهذا رسول الله ﷺ وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه ويوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ خسفت الشمس فقال الناس خسفت لموت إبراهيم فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته اهـ.
قلت وكلام الحافظ رحمه الله غاية في المتانة فرحمه الله وأجزل له العطاء.

(٢٥٢)هو جرير الشاعر يرثي عمر بن عبد العزيز والبيت في ديوانه: ٣٠٤ ومشكل القرآن ١٢٨ واللسان «بكى» وروح المعاني (١٢٤/٢٥).
والبيت في الديوان:

فالشمس كاسفة لست بطالعة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ٱخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ معناه على علم منا بهم. وفي اختياره لهم ثلاثة أوجه:

أحدها: باصطفائهم لرسالته، والدعاء إلى طاعته.

الثاني: باختيارهم لدينه وتصديق رسله.

الثالث: بإنجائهم من فرعون وقومه.

وفي قوله: ﴿عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾ قولان:

أحدهما: على عالمي زمانهم، لأن لكل زمان عالماً، قاله قتادة.

الثاني: على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء. وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم(٢٥٣)، حكاه ابن عيسى.

قوله عز وجل ﴿وءَاتَيْنَاهُم مِّنَ ٱلآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاَءٌ مُّبِينٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أنجاهم من عدوهم وفلق البحر لهم وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، قاله قتادة. ويكون هذا الخطاب متوجهاً إلى بني إسرائيل.

الثاني: أنها العصا ويده البيضاء، ويشبه أن يكون قول الفراء. ويكون الخطاب متوجهاً إلى قوم فرعون.

الثالث: أنه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي أمرهم به، قاله عبد الرحمن بن زيد. ويكون الخطاب متوجهاً إلى الفريقين معاً من قوم فرعون وبني إسرائيل.

وفي قوله ﴿مَا فِيهِ بَلاَءٌ مُّبِينٌ﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: نعمة ظاهرة، قاله الحسن وقتادة كما قال تعالى ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً﴾. وقال زهير(٢٥٤):

فأبلاه خير البلاء الذي يبلو.

الثاني: عذاب شديد، قاله الفراء.

الثالث: اختيار بيِّن يتميز به المؤمن من الكافر، قاله عبد الرحمن بن زيد.

---

(٢٥٣) والقول الأول أرجح رجحه كثير من المفسرين.

(٢٥٤) فتح القدير (٤/٥٧٦).

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٦ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٣٧﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾ يعني كفار قريش.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي بمبعوثين قيل: إن قائل هذا أبو جهل قال: يا محمد إن كنت صادقاً في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا أحدهما قصيّ بن كلاب فإنه كان رجلاً صادقاً، لنسأله عما يكون بعد الموت وهذا القول من أبي جهل من أضعف الشبهات، لأن الإعادة إنما هي للجزاء لا للتكليف. فكأنه قال: إن كنت صادقاً في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف. وهو كقول قائل لو قال: إن كان ينشأ بعدنا قوم من الأبناء، فلم لا يرجع من مضى من الآباء.

قوله عز وجل: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أهم أظهر نعمة وأكثر اموالاً.

الثاني: أهم أعز وأشد أم قوم تبع.

وحكى قتادة أن تبعاً كان رجلاً من حِمير سار بالجيوش حتى عبر الحيرة وأتى سمرقند فهدمها. وحكي لنا أنه كان إذا كتب؛ كتب باسم الله الذي سما وملك براً وبحراً وضحاً وريحاً.

وروي عن عمرو بن رجاء عن سهل بن سعد الساعدي(٢٥٥) أن رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم. وحكى ابن قتيبة في المعارف(٢٥٦) شعراً ذكر أنه لتبع وهو:

---

(٢٥٥) رواه الطبري وابن مردويه كما في الدر (٧/ ٤١٥).

(٢٥٦) المعارف ص ٦٣٠ لابن قتيبة ولكن من البيت الثاني إلى الأخير فيه اختلاف وزيادة.

وهاك ما في المعارف:

وطلوعها بيضاء صافية ... وغروبها صفراء كالورس

تجري على كبد السماء كما ... يجري حمام الموت في النفس

اليوم نعلم ما يجيء به ... ومضى بفضل قضائه أمس

قال ابن قتيبة وبعض الرواة يذكرون أن هذا الشعر لأسقف نجران اهـ.

منح البقاءَ تقلبُ الشمسِ ... وطلوعها من حيث لا تُمْسِي
وشروقها بيضاء صافية ... وغروبُها حمراءَ كالورْسِ
وتشتت الأهواءِ أزعجني ... سيراً لأبلغ مطلع الشمسِ
ولرب مطعمةٍ يعود لها ... رأي الحليم إلى شفا لبسِ

وفي تسميته تبعاً قولان:

أحدهما: لأنه تَبِعَ من قبله من ملوك اليمن كما قيل خليفة لأنه خلف من قبله.

الثاني: لأنه اسم لملوك اليمن.

وذم الله قومه ولم يذمه، وضرب بهم مثلاً لقريش لقربهم من دارهم، وعظمهم في نفوسهم، فلما أهلكهم الله ومن قبلهم ـ لأنهم كانوا مجرمين ـ كان من أجرم مع ضعف اليد وقلة العدد أحرى بالهلاك.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غافلين، قاله مقاتل.

الثاني: لاهين، قاله الكلبي..

﴿وَمَا خَلَقْنَاهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: للحق، قاله الكلبي.

الثاني: بقول الحق، قاله مقاتل.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني يوم القيامة، وفي تسميته بيوم الفصل وجهان:

أحدهما: [إن الله] يفصل فيه أمور عباده.

الثاني: لأنه يفصل فيه بين المرء وعمله.

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ قد ذكرنا ما في الزقوم من الأقاويل، وهو في اللغة ما أُكِلَ بكرْه شديد. ولهذا يقال قد تزقم هذا الطعام تزقماً أي هو في حكم من أكله بكره شديد لحشو فمه وشدة شره.

وحكى النقاش عن مجاهد أن شجرة الزقوم (٢٥٧) أبو جهل.

وفي الأثيم وجهان:

أحدهما: أنه الآثم، قاله ابن عيسى.

الثاني: المشرك المكتسب للإثم، قاله يحيى.

قوله عز وجل: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: فجروه، قاله الحسن.

الثاني: فادفعوه، قاله مجاهد.

الثالث: فسوقوه، حكاه الكلبي.

الرابع: فاقصفوه كما يقصف الحطب، حكاه الأعمش:

الخامس: فردوه بالعنف، قاله ابن قتيبة. قال الفرزدق (٢٥٨):

ليس الكرام بناحليك أباهم   حتى ترد إلى عطية تعتل

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وسط الجحيم، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة.

الثاني: معظم الجحيم يصيبه الحر من جوانبها، قاله الحسن.

---

(٢٥٧) لعله يقصد أنها طعام الأثيم فإن المعروف أن شجرة الزقوم هي شجرة في النار تنبت في أصل الجحيم على ما أخبرنا ربنا.

(٢٥٨) فتح القدير (٤/٥٧٩) ديوانه: ٧٢٢، الطبري (٢٥/١٣٣).

قوله عز وجل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ قال قتادة: نزلت في أبي جهل، وفيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه أنك لست بعزيز ولا كريم، لأنه قال توعدني محمد، والله إني لأعز من مشى حبليها، فرد الله عليه قوله، قاله قتادة.

الثاني: أنك أنت العزيز الكريم عند نفسك، قاله قتادة أيضاً.

الثالث: أنه قيل له ذلك استهزاء على جهة الإهانة، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: أنك أنت العزيز في قومك، الكريم على أهلك حكاه ابن عيسى.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أمين من الشيطان والأحزان، قاله قتادة.

الثاني: أمين من العذاب، قاله الكلبي.

الثالث: من الموت، قاله مقاتل.

قوله عز وجل: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ فيهما ثلاثة أوجه:

أحدها: أن السندس الحرير الرقيق، والاستبرق الديباج الغليظ، قاله عكرمة.

الثاني: السندس يعمل بسوق العراق وهو أفخر الرقم، قاله يحيى، والاستبرق الديباج سمي استبرقاً لشدة بريقه، قاله الزجاج.

الثالث: أن السندس ما يلبسونه، والاستبرق ما يفترشونه.

وفي ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ وجهان:

أحدهما: متقابلين بالمحبة لا متدابرين بالبغضة، قاله علي بن عيسى.

الثاني: متقابلين في المجالس لا ينظر بعضهم قفا بعض، قاله مجاهد.

قوله عزوجل: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني القرآن. وفيه وجهان:

أحدهما: معناه جعلناه بلسانك عربياً.

الثاني: أطلقنا به لسانك تيسيراً.

﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يرجعون.

الثاني: يعتبرون.

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فانتظر ما وعدتك من النصر عليهم. إنهم منتظرون بك الموت، حكاه النقاش.

الثاني: وانتظر ما وعدتك من الثواب فإنهم من المنتظرين لما وعدتهم من العقاب. والله أعلم.



مكية كلها، في قول الحسن وعطاء وجابر وعكرمة، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية، وهي ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

قوله عزوجل: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ﴾ يعني القرآن.

﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ وفي إضافة التنزيل إليه في هذا الموضع وفي أمثاله وجهان:

أحدهما: افتتاح كتاب منه كما يفتتح الكاتب كتابه به.

الثاني: تعظيماً لقدره وتضخيماً لشأنه عليه في الابتداء بإضافته إليه.

قوله عزوجل: ﴿وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني اختلافهما بالطول والقصر.

الثاني : اختلافهما بذهاب أحدهما ومجيء الآخر.

﴿وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : المطر الذي ينبت به الزرع وتحيا به الأرض.

الثاني : ما قضاه في السماء من أرزاق العباد.

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : تصريفها بإرسالها حيث يشاء.

الثاني : ينقل الشمال جنوباً والجنوب شمالاً، قاله الحسن.

الثالث : أن يجعلها تارة رحمة وتارة نقمة ؛ قاله قتادة.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

قوله عزوجل : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الأفاك : الكذاب، قاله ابن جريج.

الثاني : أنه المكذب بربه.

الثالث : أنه الكاهن، قاله قتادة.

﴿يَسْمَعُ ءَآيَاتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيهِ﴾ يعني القرآن.

﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً﴾ فيه تأويلان :

أحدها : يقيم على شركه مستكبراً عن طاعة ربه، وهو معنى قول يحيى بن سلام.

الثاني : أن الإصرار على الشيء العقد بالعزم عليه. وهو مأخوذ من صَرِّ الصُّرَّة إذا شدها، قاله ابن عيسى.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ في عدم الاتعاظ بها والقبول لها.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال ابن جريج نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث(٢٥٩).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا ينالون نعم الله، قاله مجاهد.

الثاني: لا يخشون عذاب الله، قاله الكلبي ومقاتل.

الثالث: لا يطمعون في نصر الله في الدنيا ولا في الآخرة، قاله ابن بحر.

وفي المراد بأيام الله وجهان:

أحدهما: أيام إنعامه وانتقامه في الدنيا، لأنه ليس في الآخرة. وتكون الأيام وقتاً وإن تكن أياماً على الحقيقة.

وفي الكلام أمر محذوف فتقديره: قل للذين آمنوا إغفروا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله. الغفران ها هنا العفو وترك المجازاة على الأذى.

وحكى الكلبي أن هذه الآية نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من المشركين فهمَّ أن يبطش به، فلما نزل ذلك فيه كف عنه.

وفي نسخ هذه الآية قولان:

---

(٢٥٩) وقيل أبو جهل عليه لعنة الله قال الألوسي (٢٥/١٤٢) لكنها عامة كما هو مقتضى كل ويدخل من نزلت فيه دخولاً أولياً ا هـ.

أحدهما: أنها ثابتة في العفو عن الأذى في غير الدين.

الثاني: أنها منسوخة[٢٦٠]. وفيما نسخها قولان:

أحدهما: بقوله سبحانه ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ قاله قتادة.

الثاني: بقوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ قاله أبو صالح.

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَءَاتيناهم بيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ذكر الرسول وشواهد نبوته.

الثاني: بيان الحلال والحرام، قاله السدي.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من بعد يوشع بن نون فآمن بعضهم وكفر بعضهم، حكاه النقاش.

الثاني: بعدما أعلمهم الله ما في التوراة.

﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: طلباً للرسالة[٢٦١] وأنفة من الإذعان للصواب، حكاه ابن عيسى.

الثاني: بغياً على رسول الله ﷺ في جحود ما في كتابهم من نبوة وصفته، قاله الضحاك.

---

(٢٦٠) وهو قول الجمهور كما حكاه في زاد المسير (٧/ ٣٥٩).

(٢٦١) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب طلباً للرياسة.

الثالث: أنهم أرادوا الدنيا ورخاءها فغيروا كتابهم وأحلوا فيه ما شاؤوا وحرموا ما شاؤوا، قاله يحيى بن آدم.

قوله عز وجل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ﴾ أي على طريقة من الدين كالشريعة التي هي طريق إلى الماء، ومنه الشارع لأنه طريق إلى القصد.

وفي المراد بالشريعة أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الدين، قاله ابن زيد، لأنه طريق للنجاة.

الثاني: أنها الفرائض والحدود والأمر والنهي، قاله قتادة لأنها طريق إلى الدين.

الثالث: أنها البينة، قاله مقاتل، لأنها طريق الحق.

الرابع: السنة، حكاه الكلبي لأنه يستنّ بطريقة من قبله من الأنبياء.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

قوله عزوجل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ أي اكتسبوا الشرك. قال الكلبي: الذين أريد بهم هذه الآية عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة.

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ قال الكلبي أريد بهم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم.

قوله عزوجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أفرأيت من اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه، قاله ابن عباس.

الثاني: أفرأيت من جعل إلّهه الذي يعبده ما يهواه ويستحسنه، فإذا استحسن شيئاً وهو به اتخذه إلّهاً، قاله عكرمة. قال سعيد بن جبير: كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر.

الثالث: أفرأيت من ينقاد لهواه انقياده لإلّهه ومعبوده تعجباً لذوي العقول من هذا الجهل.

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: وجده ضالاً، حكاه ابن بحر.

الثاني: معناه ضل عن الله. ومنه قول الشاعر:

هبوني امرأً منكم اضلَّ بعيره ... له ذمة إن الذمام كثير

أي ضل عنه بعيره.

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ وجهان:

أحدهما: على علم منه أنه ضال، قاله مقاتل.

الثاني: قاله ابن عباس أي في سابق علمه أنه سيضل.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ أي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى.

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ حتى لا يبصر الرشد.

ثم في هذا الكلام وجهان:

أحدهما: أنه خارج مخرج الخبر عن أحوالهم.

الثاني: أنه خارج مخرج الدعاء بذلك عليهم.

وحكى ابن جريج أنها نزلت في الحارث(٢٦٢) بن قيس من الغياطلة، وحكى الضحاك أنها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف.

وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ

---

(٢٦٢) قال العلامة الألوسي (١٥٢/٢٥) «وحكمها عام وفيها من ذم اتباع هوى النفس ما فيها».

بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ وهذا القول منهم إنكار للآخرة وتكذيب بالبعث وإبطال للجزاء.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه مقدم ومؤخر، وتقديره: نحيا ونموت. وهي كذلك في قراءة ابن مسعود.

الثاني: أنه على تربيته، وفي تأويله وجهان:

أحدهما نموت نحن ويحيا أولادنا، قاله الكلبي.

الثاني: يموت بعضنا.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: وما يهلكنا إلا العمر، قاله قتادة. وأنشد قول الشاعر:

لكل أمر أتى يوماً له سبب والدهر فيه وفي تصريفه عجب

الثاني: وما يهلكنا إلا الزمان، قاله مجاهد.

وروى أبو هريرة قال: كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار، والذي يهلكنا يميتنا ويحيينا، فنزلت هذه الآية.

الثالث: وما يهلكنا إلا الموت، قاله قطرب، وأنشد لأبي ذؤيب:

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

الرابع: وما يهلكنا إلا الله، قاله عكرمة.

وروى الحسن قال(٢٦٣): قال رسول الله ﷺ: رجال يقولون: يا خيبة الدهر، يا

---

(٢٦٣) هذا الأثر من مرسلات الحسن ويغني عنه ما رواه مسلم (١٧٦٣/٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

ولكن اعلم أيها المسلم أن الدهر ليس من أسماء الله كما توهمه بعضهم بل المعنى أن الله هو فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات راجع صحيح مسلم بشرح النووي.

بؤس الدهر، لا تسبوا الدهر فإن الله عز وجل هو الدهر، وإنه يقبض الأيام ويبسطها.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)﴾

قوله عز وجل: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ الأمة أهل كل ملة. وفي الجاثية خمسة تأويلات:

أحدها: مستوفزة، قاله مجاهد. وقال سفيان: المستوفز الذي لا يصيب منه الأرض إلا ركبتاه وأطراف أنامله.

الثاني: مجتمعة، قاله ابن عباس.

الثالث: متميزة، قاله عكرمة.

الرابع: خاضعة بلغة قريش، قاله مؤرج.

الخامس: باركة على الركب، قاله الحسن.

وفي الجثاة قولان:

أحدهما: أنه للكفار خاصة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه عام للمؤمن والكافر انتظاراً للحساب.

وقد روى سفيان بن عيينة عن[٢٦٤] عمرو بن عبدالله بن باباه أن النبي ﷺ قال: كأني أراكم بالكوم جاثين دون جهنم.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلى حسابها، قاله يحيى بن سلام.

---

(٢٦٤) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عن عمرو عن عبد الله بن باباه والتصحيح من ابن كثير (١٥٢/٤).

والحديث رواه سعيد بن منصور وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر (١٢٨/٧).

الثاني: إلى كتابها الذي كان يستنسخ لها فيه ما عملت من خير وشر، قاله الكلبي.

الثالث: إلى كتابها الذي أنزل على رسولها، حكاه الجاحظ.

قوله عزوجل: ﴿هَـٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه القرآن يدلكم على ما فيه من الحق، فكأنه شاهد عليكم، قاله ابن قتيبة.

الثاني: أنه اللوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من سعادة وشقاء، خير وشر، قاله مقاتل، وهو معنى قول مجاهد.

الثالث: أنه كتاب الأعمال الذي يكتب الحفظة فيه أعمال العباد ويشهد عليكم بما تضمنه من صدق أعمالكم، قاله الكلبي.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني يكتب الحفظة ما كنتم تعملون في الدنيا، قاله علي رضي الله عنه ومن زعم أنه كتاب الأعمال.

الثاني: أنه الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدوَّن عندها من أحوال العباد، قاله ابن عباس ومن زعم أن الكتاب هو اللوح المحفوظ.

الثالث: نستنسخ ما كتب عليكم الملائكة الحفظة، قاله الحسن لأن الحفظة ترفع إلى الخزنة صحائف الأعمال.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا

يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: اليوم نترككم في النار كما تركتم أمري، قاله الضحاك.

الثاني: اليوم نترككم من الرحمة كما تركتم الطاعة، وهو محتمل.

الثالث: اليوم نترككم من الخير كما تركتمونا من العمل، قاله سعيد بن جبير.

قوله عزوجل: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الكبرياء العظمة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه السلطان، قاله مجاهد.

الثالث: الشرف، قاله ابن زياد.

الرابع: البقاء والخلود.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره.



مكية في قول الجميع إلا رواية تشذ عن ابن عباس وقتادة أنها كذلك إلا آية منها مدنية وهي ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وقال الكلبي: بل هي ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾

قوله عزوجل: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه قُضِي نزول الكتاب من الله العزيز الحكيم، قاله النقاش.

الثاني: هذا الكتاب يعني القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم، قاله الحسن.

قوله عزوجل: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: إلا بالصدق، قاله ابن إسحاق.

الثاني: إلا بالعدل، وهو مأثور.

الثالث: إلا للحق، قاله الكلبي.

الرابع: إلا للبعث، قاله يحيى.

﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أجل القيامة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الأجل المقدور لكل مخلوق، وهو محتمل.

قوله عزوجل: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ قرأ الحسن وطائفة معه[٢٦٥] ﴿أَوْ أَثَرَةٍ﴾ وفي تأويل ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾ وهي قراءة الجمهور ثلاثة أوجه:

أحدها: رواية من علم، قاله يحيى.

الثاني: بقية، قاله أبو بكر بن عياش، ومنه قول الشاعر:[٢٦٦]

وذات أثارة أكلت عليها نباتاً في أكمته قفارا

أي بقية من شحم.

الثالث: أو علم تأثرونه عن غيركم، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: أو اجتهاد بعلم، لأن أثارة العلم الاجتهاد.

ويحتمل خامساً: أو مناظرة بعلم لأن المناظر في العلم مثير لمعانيه.

ومن قرأ ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ ففي تأويله خمسة أوجه:

أحدها: أنه الخط، وقد رواه ابن عباس[٢٦٧] عن النبي ﷺ.

الثاني: ميراث من علم، قاله عكرمة.

الثالث: خاصة من علم، قاله قتادة.

الرابع: أو بقية من علم، قاله عطية.

الخامس: أثرة يستخرجه فيثيره، قاله الحسن.

---

(٢٦٥) زاد المسير (٧/٣٦٩).

(٢٦٦) هو الراعي والبيت في الطبري (٢٦/٣) خزانة الأدب (٤/٢٥١) اللسان «أثر» ونسبه للشماخ.

(٢٦٧) قال أبو بكر بن عياش الخط هو العيافة ونقله في زاد المسير (٧/٣٦٩) والحديث رواه أحمد (١/٢٢٦) وزاد السيوطي في الدر (٧/٤٣٤) نسبته لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

قوله عزوجل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قال ابن عباس: معناه لست بأول الرسل. والبدع الأول. والبديع من كل شيء المبتدع، وأنشد قطرب لعدي بن زيد[٢٦٨]:

فلا أنا بدع من حوادث تعتري ... رجالاً غدت من بعد بؤسي بأسعد

﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا لا في الآخرة، فلا أدري ما يفعل بي أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلي، أو أقتل كما قتل الأنبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بكم، إنكم مصدقون أو مكذبون، أو معذبون أو مؤخرون، قاله الحسن:

الثاني: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة. وهذا قبل نزول ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الآية. فلما نزل عليه ذلك عام الحديبية علم ما يفعل به في الآخرة وقال لأصحابه: «لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ ٱلدُّنْيَا جَمِيعِهَا» فلما تلاها قال رجل من القوم: هنيئاً مريئاً يا رسول الله، قد بين الله ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى ﴿لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ﴾ الآية، قاله قتادة[٢٦٩].

الثالث: أن النبي ﷺ قال قبل الهجرة «لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَرْضاً أَخْرُجُ إِلَيْهَا مِن مَكَّةَ» فلما اشتد البلاء على أصحابه بمكة قالوا: يا رسول الله حتى متى نلقى هذا

(٢٦٨) الطبري (٢٦/٦) فتح القدير (٥/١٥).

(٢٦٩) رواه الطبري (٢٦/٧) مطولاً عن عكرمة والحسن البصري معاً.

البلاء؟ ومتى تخرج إلى الأرض التي رأيت؟ فقال ﷺ: « **مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُم، أَنَمُوتُ بِمَكَّةَ أَمْ نَخْرُجُ مِنهَا** » قال الكلبي.

الرابع: معناه قل لا أدري ما أؤمر به ولا ما تؤمرون به، قاله الضحاك.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُم إن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ**﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به، قاله يحيى.

الثاني: إن كان محمد ﷺ نبياً من عند الله وكفرتم به، قاله الشعبي.

﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَني إِسْرَآئِيلَ عَلَى مِثْلِهِ**﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه عبد الله بن سلام شهد على اليهود أن رسول الله ﷺ مذكور في التوراة، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد.

الثاني: أنه آمين بن يامين، قال لما أسلم عبد الله بن سلام: أنا شاهد مثل شهادته ومؤمن كإيمانه، قاله السدي.

الثالث: أن موسى مثل محمد ﷺ يشهد بنبوته، والتوراة مثل القرآن يشهد بصحته، قاله مسروق. ولم يكن في عبد الله بن سلام لأنه أسلم بالمدينة والآية مكية.

الرابع: هو من آمن من بني إسرائيل بموسى والتوراة، قاله الشعبي.

الخامس: أنه موسى الذي هو مثل محمد صلى الله عليهما شهد على التوراة التي هي مثل القرآن، حكاه ابن عيسى.

﴿فَآمَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أنتم عن الإيمان بمحمد ﷺ، قاله مسروق.

وفيه قولان:

أحدهما: فآمن عبد الله بن سلام برسول الله ﷺ وبالقرآن واستكبر الباقون عن الإيمان، قاله ابن عباس.

الثاني: فآمَن مَن آمن بموسىٰ وبالتوراة واستكبرتم أنتم عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، قاله مسروق. وحكىٰ النقاش أن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره: قل أرأيتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن هو وكفرتم.

وقال ابن عيسى: الكلام على سياقه ولكن حذف منه جواب إن كان من عند الله وفي المحذوف ثلاثة أوجه:

أحدها: تقديره: وشهد شاهد من بني إسرائيل فآمن، أتؤمنون؟ قاله الزجاج.

الثاني: تقدير المحذوف: فآمن واستكبرتم أفما تهلكون، قاله مذكور.

الثالث: تقدير المحذوف من جوابه: فمن أضل منكم إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

قوله عزوجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ وفي سبب نزول هذه الآية أربعة أقاويل:

أحدها: أن أبا ذر الغفاري دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام بمكة فأجاب واستجاب به قومه فأتاه زعيمهم فأسلم، ثم دعاهم الزعيم فأسلموا فبلغ ذلك قريشاً فقالوا: غفار الخلفاء لو كان خيراً ما سبقونا إليه» فنزلت، قاله أبو المتوكل.

الثاني: أن زنيرة أسلمت فأصيب بصرها، فقالوا لها: أصابك اللات والعزى، فرد الله عليها بصرها، فقال عظماء قريش: لو كان ما جاء به محمد خير ما سبقتنا إليه زنيرة فنزلت، قاله عروة بن الزبير.

الثالث: أن الذين كفروا هم عامر وغطفان وأسد وحنظلة قالوا لمن أسلم من غفار وأسلم وغطفان وجهينة ومزينة وأشجع: لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقتنا إليه رعاة البهم. فنزلت، قاله الكلبي.

الرابع: أن الكفار قالوا: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه اليهود فنزلت هذه الآية، قاله مسروق.

وهذه المعارضة من الكفار في قولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه من أقبح المعارضات لانقلابها عليهم لكل من خالفهم حتى يقال لهم: لو كان ما أنتم عليه خيراً ما عدنا عنه، ولو كان تكذيبكم للرسول خيراً ما سبقتمونا إليه.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ﴾ يعني إلى الإيمان. وفيه وجهان:

أحدهما: وإذالم يهتدوا بمحمد ﷺ، قاله مقاتل.

الثاني: بالقرآن.

﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فسيقولون هذا القرآن كذب قديم، تشبيهاً بدين موسى القديم، تكذيباً بهما جميعاً.

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: ثم استقاموا على أن الله ربهم، قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

الثاني: ثم استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثالث: على أداء فرائض الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

الرابع: على أن أخلصوا له الدين والعمل، قاله أبو العالية.

الخامس: ثم استقاموا عليه فلم يرجعوا عنه إلى موتهم، رواه أنس مرفوعاً(٢٧٠).

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يعني في الآخرة.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني عند الموت، قاله سعيد بن جبير.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ

(٢٧٠) لم أعثر عليه والله أعلم.
وقد ورد في الحديث الصحيح أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني وأوجز قال له: قل آمنت بالله ثم استقم».

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه إِحْسَاناً﴾ في قراءة أهل[٢٧١] الكوفة وقرأ الباقون حسناً. قال السدي: يعني براً.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ أي حملته بمشقة ووضعته بمشقة. وقرىء كرهاً بالضم[٢٧٢] والفتح. قال الكسائي والفراء في الفرق بينهما أن الكره بالضم ما حمل الإنسان على نفسه، وبالفتح ما حمل على غيره.

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ الفصال مدة الرضاع، فقدر مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهراً، وكان في هذا التقدير قولان:

أحدهما: أنها مدة قدرت لأقل الحمل وأكثر الرضاع، فلما كان أكثر الرضاع أربعة وعشرين شهراً لقوله تعالى: ﴿حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَنْ أَرادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] دل ذلك على أن مدة أقل الحمل ما بقي وهو ستة أشهر، فإن ولدته لتسعة أشهر لم يوجب ذلك نقصان الحولين في الرضاع، قاله الشافعي وجمهور الفقهاء.

الثاني: أنها مدة جمعت زمان الحمل ومدة الرضاع، فإن كانت حملته تسعة أشهر؛ أرضعته أحداً وعشرين شهراً، وإن كانت حملته عشرة أشهر أرضعته شهراً لئلا تزيد المدة فيهما عن ثلاثين شهراً، قاله ابن عباس.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وفي الأشد تسعة أقاويل:

أحدها: أنه البلوغ، قاله ابن مالك والشعبي وزيد بن أسلم.

الثاني: خمسة(*) عشر سنة، قاله محمد بن أويس.

الثالث: ثماني عشرة سنة، قاله ابن جبير.

الرابع: عشرون سنة، قاله سنان.

---

(٢٧١) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي زاد المسير (٧/٣٧٦).

(٢٧٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عمرو قال الفراء والنحويون يستحبون الضم ها هنا ويكرهون الفتح للعلة التي بيناها عن قوله «وهو كره لكم» راجع زاد المسير (٧/٣٧٦).

(*) هكذا في الأصول والصواب خمس عشرة.

الخامس: خمسة(*) وعشرون سنة، قاله عكرمة.

السادس: ثلاثون سنة، قاله السدي.

السابع: ثلاثة وثلاثون سنة، قاله ابن عباس.

الثامن: أربعة وثلاثون سنة، قاله سفيان الثوري.

التاسع: أربعون سنة، وهو قول عائشة، والحسن.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنها زمان الأشد، وهو قول من ذكرنا.

الثاني: لأنها زمان الاستواء، قال زيد بن أسلم: لم يبعث الله نبياً حتى يبلغ الأربعين.

وقال ابن زيد: وقوله تعالى لموسى ﴿وَٱسْتَوَىٰ﴾ قال بلغ أربعين سنة. وقال الشعبي: يثغر الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة، وينتهي طوله لإحدى وعشرين سنة، وينتهي عقله لثمان وعشرين، فما زاد بعد ذلك فهو تجربة ويبلغ أشده لثلاث وثلاثين.

الثالث: لأنها أول عمر بعد تمام عمر، قال ابن قيس.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ قال سفيان معناه ألهمني.

قال ابن قتيبة: والأصل في الإيزاع هو الإغراء بالشيء، ويقال فلان موزع بكذا أي مولع به.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنعمت علي بالبر والطاعة، وأنعمت على والدي بالتحنن والشفقة.

الثاني: أنعمت عليَّ بالعافية والصحة، وعلى والديَّ بالغنى والثروة، وفي النعمة على كل واحد منهما نعمة على الآخر لما بينهما من الممازجة والحقوق الملتزمة.

وحكى أبو زهير عن الأعمش قال: سمعتهم يقولون إن الولد يأتيه رزقه من أربع خلال: يأتيه رزقه وهو في بطن أمه، ثم يولد فيكون رزقه في ثدي أمه، فإذا تحرك كان رزقه على أبويه، فإذا اجتمع وبلغ أشده جلس يهتم للرزق ويقول من أين يأتيني رزقي، فاختصت الأم بخلتين من خلال رزقه، واشترك أبوه في الثالثة، وتفرد هو

(*) كذا في الأصول والصواب خمس وعشرون.

بالرابعة، فذهب عنه الهم لما كان موكلاً إلى غيره، واهتم لما صار موكلاً إلى نفسه ليتنبه بذلك على التوكل على خالقه ليكون نقى لهمته وأقل لحيرته وأدرّ لرزقه، وليعلم أن لأمه عليه حقاً يعجز عن أدائه لما عانت من موارد رزقه ما عجز الخلق عن معاناته (٢٧٣).

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: في بر الوالدين.

الثاني: في ديني.

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يدعو بإصلاحهم لبره وطاعته لإضافته ذلك إلى نفسه.

الثاني: أن يدعو بإصلاحهم لطاعة الله وعبادته وهو الأشبه، لأن طاعتهم لله من بره، ولأنه قد دعا بصلاح ذرية قد تكون من بعده.

وفيه لأصحاب الخواطر أربعة أوجه:

أحدها: قاله سهل: اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق.

الثاني: قاله أبو عثمان: اجعلهم أبراراً، أي مطيعين لك.

الثالث: قاله ابن عطاء وفقهم لصالح أعمال ترضى بها عنهم.

الرابع: قاله محمد الباقر رضي الله عنه: لا تجعل للشيطان والنفس والهوىٰ عليهم سبيلاً.

﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيكَ﴾ قال ابن عباس: رجعت عن الأمر الذي كنت عليه.

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قاله مقاتل والكلبي.

الثاني: مرسلة نزلت على العموم، قاله الحسن.

قوله عزوجل: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

---

(٢٧٣) لله درك يا أعمش رحمك الله إن للوالدين حقاً ومكانةً وبراً لاسيما الأم اللهم اجعلنا ممن يبرون آبائهم ويحفظون عهدهم وودهم وارحمهما كما ربيانا صغاراً.

أحدها: أنهم إذا أسلموا قبلت حسناتهم وغفرت سيئاتهم، قاله زيد بن أسلم يحكيه (٢٧٤) مرفوعاً.

الثاني: هو إعطاؤهم بالحسنة عشراً رواه أبو هلال.

الثالث: هي الطاعات لأنها الأحسن من أعماله التي يثاب عليها وليس في المباح ثواب ولا عقاب، حكاه ابن عيسى.

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِم فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: نتجاوز عن سيئاتهم بالرحمة.

الثاني: نتجاوز عن صغائرهم بالمغفرة.

الثالث: نتجاوز عن كبائرهم بالتوبة.

﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ وعد الصدق الجنة، الذي كانوا يوعدون في الدنيا على ألسنة الرسل.

وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

قوله عزوجل: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾: أي أبعث.

﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ فلم يبعثوا. وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر (٢٧٥) الصديق وأمه أم رومان

(٢٧٤) رواه الطبري (٢٦/ ١٨) مرفوعاً من حديث ابن عباس ولفظه يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فإذا بقيت حسنة وسع الله له في الجنة.

(٢٧٥) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ١٥٩) هذا عام في كل من قال هذا ثم قال ومن زعم أنها في عبد الرحمن بن =

يدعوانه إلى الإسلام ويعدانه بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله عنه، وكان هذا منه قبل إسلامه، قاله السدي.

قال السدي: فلقد رأيت عبد الرحمن بن أبي بكر بالمدينة، وما بالمدينة أَعْبَدُ منه، ولقد استجاب الله فيه دعوة أبي بكر رضي الله عنه، ولما أسلم وحسن إسلامه، نزلت توبته في هذه الآية ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُواْ﴾.

الثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر، وكان يدعوه أبواه إلى الإسلام فيجيبهما بما أخبر الله تعالى، قاله مجاهد.

الثالث: أنها نزلت في جماعة من الكفار قالوا ذلك لآبائهم ولذلك قال: ﴿أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ والعرب قد تذكر الواحد وتريد به الجمع وهذا معنى قول الحسن. فأما الـ ﴿أُفٍّ﴾ فهي كلمة تبرم يقصد بها إظهار السخط وقبح الرد. قال الشاعر:

ما يذكر الدهر إلا قلت أف له ... إذا لقيتك لولا قال لي لاقي

وفي أصل الأف والتف ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الأف وسخ الأذن، والتف وسخ الأنف.

الثاني: الأف وسخ الأظفار، والتف الذي يكون في أصول الأظافر.

الثالث: أن الأف العليل الأنف، والتف الإبعاد.

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي يدعوان الله: اللهم اهده، اللهم اقبل بقلبه، اللهم اغفر له.

﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ في الثواب على الإيمان، والعقاب على الكفر.

قوله عزوجل: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: معناه أذهبتم طيباتكم في الآخرة بمعاصيكم في الدنيا.

الثاني: ألهتكم الشهوات عن الأعمال الصالحة.

= أبي بكر... فقوله ضعيف لأن عبد الرحمن أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه.

الثالث: أذهبتم لذة طيباتكم في الدنيا بما استوجبتموه من عقاب معاصيكم في الآخرة.

الرابع: معناه اقتنعتم بعاجل الطيبات في الدنيا بدلاً من آجل الطيبات في الآخرة.

وروى الحسن عن الأحنف بن قيس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: لأنا أعلم بخفض العيش، ولو شئت لجعلت أكباداً وأسنمة وصلاء وصناباً وسلائق، ولكن أستبقي حسناتي[٢٧٦]، فإن الله تعالى وصف قوماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ والصلاء، والشواء، والصناب الأصبغة والسلائق الرقاق العريض.

وقال ابن بحر فيه تأويل خامس: أن الطيبات: الشباب والقوة، مأخوذ من قولهم: ذهب أطيباه أي شبابه وقوته. ووجدت الضحاك قاله أيضاً.

﴿وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالدنيا.

الثاني: بالطيبات.

﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ قال مجاهد: الهون الهوان. قال قتادة بلغة قريش.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: تستعلون على أهلها بغير استحقاق.

الثاني: تتغلبون على أهلها بغير دين.

الثالث: تعصون الله فيها بغير طاعة.

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تفسقون في أعمالكم بغياً وظلماً.

الثاني: في اعتقادكم كفراً وشركاً.

---

(٢٧٦) لك الله يا عمر فرضي الله عنك أين الملوك وأصحاب السلطان من فعل أمير المؤمنين أين أصحاب القصور من يتقلبون في الحرير ويقضون الأيام في اللهو واللعب ويزعمون أنهم مسلمون بل زاهدون بل خلفاء راشدون نسأل الله العافية.

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾** وهو هود بعث إلى عاد، وكان أخاهم في النسب لا في الدين لأنه مناسب وإن لم يكن أخا أحد منهم.

﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ وهي جمع حقف، وهو ما استطال واعوج من الرمل العظيم، ولا يبلغ أن يكون جبلاً. ومنه قول العجاج: (٢٧٧)

بــات إلــى أرطــاة حــقــف أحــقــفــا ....

أي رمل مستطيل مشرق.

وفيما أريد بالأحقاف هنا خمسة أقاويل:

أحدها: أن الأحقاف رمال مشرقة كالجبال، قاله ابن زيد، وشاهده ما تقدم، وقال هي رمال مشرقة على البحر بالسحر في اليمن.

الثاني: أن الأحقاف أرض من حسمي تسمى الأحقاف، قاله مجاهد.

الثالث: أنه جبل بالشام يسمى الأحقاف، قاله الضحاك.

الرابع: هو ما بين عمان وحضرموت، قاله ابن إسحاق.

الخامس: هو واد بين عُمان ومهرة، قاله ابن عباس.

وروى أبو الطفيل عن علي كرم الله وجهه أنه قال: خير واد بين في الناس واد بمكة، وواد نزل به آدم بأرض الهند، وشر واديين في الناس وادي الأحقاف، وواد

(٢٧٧) الطبري (٢٦/٢٣) واللسان حقف.

بحضرموت يدعى برهوت[٢٧٨] تلقى فيه أرواح الكفار، وخير بئر في الناس بئر زمزم، وشر بئر في الناس بئر برهوت وهي ذلك الوادي بحضرموت.

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي قد بعث الرسل من قبل هود ومن بعده، قال الفراء: من بين يديه من قبله، ومن خلفه من بعده وهي في قراءة ابن مسعود: ﴿مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ بَعدِهِ﴾.

قوله عزوجل: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لتزيلنا عن عبادتها بالإفك.

الثاني: لتصدنا عن آلهتنا بالمنع، قاله الضحاك.

قوله عزوجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ يعني السحاب. وأنشد الأخفش لأبي كبير الهذلي:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المنهال

وفي تسميته عارضاً ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنه أخذ في عرض السماء، قال ابن عيسى.

الثاني: لأنه يملأ آفاق السماء، قال النقاش.

الثالث: لأنه مار من السماء. والعارض هو المار الذي لا يلبث وهذا أشبه.

﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ حسبوه سحاباً يمطرهم، وكان المطر قد أبطأ عليهم.

﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ كانوا حين أوعدهم هود استعجلوه استهزاء منهم بوعيده، فلما رأوا السحاب بعد طول الجدب أكذبوا هوداً وقالوا: هذا عارض ممطرنا.

ذكر أن القائل ذلك من قوم عاد، بكر بن معاوية. فلما نظر هود إلى السحاب قال: بل هو ما استعجلتم به، أي الذي طلبتم تعجيله ريح فيها عذاب أليم وهي الدبور.

---

(٢٧٨) وقد ورد فيه حديث مرفوع ولفظه «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي برهوت بقية حضرموت كرجل الجراد من الهوام يصبح يتدفق ويمسي لا بلال بها» رواه الطبراني وغيره وحسنه الشيخ الألباني رقم ١٠٥٦ السلسلة الصحيحة.
أما أثر علي هذا فقد رواه ابن ابي حاتم كما في الدر (٧/٤٤٨).

وروي عن ابن عباس(٢٧٩) أن النبي ﷺ قال: «**نُصِرْتُ بِالصبا وأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**».

فنظر بكر بن معاوية إلى السحاب فقال: إني لأرى سحاباً مُرْمِداً، لا يدع من عَادٍ أحداً. فذكر عمرو بن ميمون أنها كانت تأتيهم بالرجل الغائب حتى تقذفه في ناديهم.

قال ابن اسحاق: واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه هو ومن معه فيها إلا ما يلين على الجلود وتلتذ الأنفس به، وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض.

وحكى الكلبي أن شاعرهم قال في ذلك:

فدعا هود عليهم دعوة أضحوا همودا
عصفت ريح عليهم تركت عاداً خمودا
سخرت سبع ليال لم تدع في الأرض عودا

وعمَّر هود في قومه بعدهم مائة وخمسين سنة.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فيما لم نمكنكم فيه، قاله ابن عباس.

الثاني: فيما مكناكم فيه وإن هنا صلة زائدة.

---

(٢٧٩) رواه مسلم (٩٠٠) وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنه والصبا ريح ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار والدبور هي الريح الغربية التي تقابل الصبا.

ويحتمل ثالثاً: وهو أن تكون ثابتة غير زائدة ويكون جوابها مضمراً محذوفاً ويكون تقديره: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر وعنادكم أشد.

ثم ابتدأ فقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً﴾ الآية. يحتمل وجهين:

أحدهما: أننا جعلنا لهم من حواس الهداية ما لم يهتدوا به.

الثاني: معناه جعلنا لهم أسباب الدفع ما لم يدفعوا به عن أنفسهم.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم صرفوا عن استراق سمع السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى صرفوا عنه إلا عند مبعث النبي ﷺ، فقالوا: ما هذا الذي حدث في الأرض؟ فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبي ﷺ ببطن نخلة عائداً إلى عكاظ وهو يصلي الفجر، فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي ويقتدي به أصحابه، فرجعوا إلى قومهم فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً، قاله ابن عباس (٢٨٠).

وحكى عكرمة أن السورة التي كان يقرأها ببطن نخلة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

وحكى ابن عباس كان يقرأ في العشاء ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾.

(٢٨٠) رواه البخاري (٢/٢١٠)(٨/٥١٣) ومسلم (١/٣٣)، والترمذي (٣٣٢٣) والحاكم (٢/٥٠٣) وأحمد (١/٢٥٢) وزاد السيوطي في الدر (٦/٢٧٠) نسبته لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل.

الثاني: أنهم صرفوا عن بلادهم بالتوفيق هداية من الله لهم حتى أتوا نبي الله ببطن نخلة.

وفيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم جن من أهل نصيبين، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم من أهل نينوى، قاله قتادة.

الثالث: أنهم من جزيرة الموصل، قاله عكرمة.

الرابع: من أهل نجران، قاله مجاهد.

واختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل، قاله عكرمة.

الثاني: أنهم كانوا تسعة أحدهم زوبعة، قاله زر بن حبيش.

الثالث: أنهم كانوا سبعة: ثلاثة من أهل نجران وأربعة من أهل نصيبين، وكانت أسماؤهم حسى ومسى وشاصر وناصر(*) والأردن وأنيان والأحقم، قاله مجاهد.

واختلف في علم النبي ﷺ بهم على قولين:

أحدهما: أنه ما شعر بهم رسول الله ﷺ حتى أوحى الله إليه فيهم وأخبره عنهم، قاله ابن عباس، والحسن.

الثاني: أن الله قد كان أعلمه بهم قبل مجيئهم.

روى شعبة عن قتادة أن نبي(٢٨١) الله ﷺ قال: **«إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى الْجِنِّ فَأَيُّكُم يَتْبَعُنِي؟»** فأطرقوا فاتبعه ابن مسعود فدخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له شعب الحجون وخط عليه وخط على ابن مسعود ليثبته بذلك، قال عكرمة: وقال لابن مسعود: **«لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ»** فلما خشيهم ابن مسعود كاد أن يذهب فذكر قول النبي ﷺ فلم يبرح، فقال له النبي ﷺ: **«لَوْ ذَهَبْتَ مَا الْتَقَيْنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**.

ولما توجه رسول الله ﷺ إليهم تلا عليهم القرآن وقضى بينهم في قتيل منهم.

(*) وفي نسخه باصر

(٢٨١) رواه الطبري مطولاً (٢٦/٣١) ولكن من طريق سعيد عن قتادة على كل حال فهو حديث مرسل وقد ورد من حديث ابن مسعود بنحوه مطولاً مع اختلاف يسير في ألفاظه رواه مسلم (١/٣٣٢) وأحمد (٤١٤٩) وغيرهم.

وروى قتادة عن[٢٨٢] ابن مسعود أنهم سألوه الزاد فقال: «**كُلُّ عَظْمٍ لَكُم عِرْقٌ، وَكُلُّ رَوْثَةٍ لَكُم خَضِرَةٌ**» فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا، فنهى رسول الله ﷺ أن يستنجي بأحدهما.

روى عبد الله بن عمرو بن غيلان[٢٨٣] عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ وَفْدَ الجِنِّ سَأَلُونِي ٱلمَتَاع، ـ وَالمَتَاعُ: الزَّادُ ـ فَمَتَّعْتُهُم بِكُلِّ عَظْمٍ حَائِلٍ وَبَعْرَةٍ أَوْ رَوْثَةٍ**». فقلت: يا رسول الله وما يغني عن ذلك عنهم؟ فقال: «**إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثة ولا بعرة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت، فلا يستنجين أحدكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة**».

﴿**فَلَمَّا حَضَرُوه قَالُواْ أَنصِتُواْ**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فلما حضروا قراءة القرآن قال بعضهم لبعض أنصتوا لسماع القرآن.

الثاني: لما حضروا رسول الله ﷺ قالوا أنصتوا لسماع قوله.

﴿**فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلما فرغ من الصلاة ولوا إلى قومهم منذرين برسول الله ﷺ، قال الكلبي: مخوفين، قاله الضحاك.

الثاني: فلما فرغ من قراءة القرآن ولوا إلى قومهم منذرين، حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

قوله عزوجل: ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ**﴾ أي نبي الله يعني محمداً ﷺ.

﴿**وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ**﴾ أي نبي الله يعني محمداً ﷺ.

﴿**فَلَيسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ**﴾ أي سابق لله فيفوته هرباً.

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ

---

(٢٨٢) تقدم تخريجه في الذي سبق.

(٢٨٣) رواه الطبري (٢٦/٣٢) ولكن فيه «فلا يستنقين» ولعل المؤلف هنا أورده بالمعنى كما هو في كثير من الأحيان وقد مر بك من ذلك شيء غير يسير.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿٣٤﴾

قوله عز وجل: ﴿فَاصْبِر كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِن الرُّسُلِ﴾ فيهم ستة أوجه:

أحدها: أن أولي العزم من الرسل الذين أمروا بالقتال من الأنبياء، قاله السدي والكلبي.

الثاني: أنهم العرب من الأنبياء، قاله مجاهد والشعبي.

الثالث: من لم تصبه فتنة من الأنبياء، قاله الحسن.

الرابع: من أصابه منهم بلاء بغير ذنب، قاله ابن جريج.

الخامس: أنهم أولوا العزم، حكاه يحيى.

السادس: أنهم أولوا الصبر الذين صبروا على أذى قومهم فلم يجزعوا.

وروت عائشة عن(٢٨٤) النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل لم يرض عن أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على مخبوئها**».

وفي أولي العزم منهم ستة أقاويل:

أحدها: أن جميع الأنبياء أولوا العزم، ولم يبعث الله رسولاً إلا كان من أولي العزم. فأمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا، قاله ابن زيد.

الثاني: أن أولي العزم منهم نوح وهود وإبراهيم، فأمر الله رسوله أن يكون رابعهم، قاله أبو العالية.

الثالث: أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، قاله ابن عباس.

الرابع: أنهم نوح وهود وإبراهيم وشعيب وموسى، قاله عبد العزيز.

الخامس: أنهم إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، قاله السدي.

---

(٢٨٤) رواه ابن أبي حاتم والديلمي كما في الدر (٧/٤٥٤) والمؤلف قد اقتصر على جزء منه وسند الحديث ضعيف لأن فيه مجالد بن سعيد وهو ليس بالقوي.

السادس: أن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم، قاله ابن جريج.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالدعاء عليهم، قاله مقاتل.

الثاني: بالعذاب وهذا وعيد.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من العذاب، قاله يحيى.

الثاني: من الآخرة، قاله النقاش.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الدنيا حتى جاءهم العذاب، وهو مقتضى قول يحيى.

الثاني: في قبورهم حتى بعثوا للحساب، وهو مقتضى قول النقاش.

﴿بَلَاغٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك اللبث بلاغ، قاله ابن عيسى.

الثاني: أن هذا القرآن بلاغ، قاله الحسن.

الثالث: أن هذا الذي وصفه الله بلاغ، وهو حلول ما وعده إما من الهلاك في الدنيا أو العذاب في الآخرة على ما تقدم من الوجهين.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ يعني بعد هذا البلاغ.

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾ قال يحيى: المشركون.

وذكر مقاتل أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم أحد، فأمره الله أن يصبر على ما أصابه كما صبر أولوا العزم من الرسل تسهيلاً عليه وتثبيتاً له. والله أعلم.



مدنية في قول الجميع إلا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا: إلا آية منها نزلت بعد حجه حين خرج (عليه السلام) من مكة جعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزناً عليه. فنزل عليه: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك﴾ الآية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم (١) والذين ءامنوا وعملوا الصالحات وءامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم (٢) ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين ءامنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم (٣)﴾

قوله عز وجل: ﴿الذين كفروا﴾ يعني كفروا بتوحيد الله.

﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الله وهو الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه، قاله السدي.

الثاني: عن بيت الله يمنع قاصديه إذا عرض رسول الله ـ ﷺ ـ عليهم الإسلام أن يدخلوا فيه، قاله الضحاك.

﴿أضل أعمالهم﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أحبط ما فعلوه من الخير بما أقاموا عليه من الكفر.

الثاني: أبطل ما أنفقوا ببدر لما نالهم من القتل.

الثالث: أضلهم عن الهدى بما صرفهم عن التوفيق.

وحكى مقاتل بن حيان أن هذه الآية نزلت في اثني عشر رجلاً من كفار مكة، ذكر النقاش أنهم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وأبو البختري وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام والحارث بن عامر بن نوفل.

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الأنصار، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها نزلت خاصة في ناس من قريش، قاله مقاتل.

وفي قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: المواساة بمساكنهم وأموالهم، وهذا قول من زعم أنهم الأنصار.

الثاني: الهجرة وهذا قول من زعم أنهم قريش.

﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ أي آمنوا بمحمد ﷺ وبما أنزل عليه من القرآن.

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن إيمانهم هو الحق من ربهم.

الثاني: أن القرآن هو الحق من ربهم.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سترها عليهم.

الثاني: غفرها بإيمانهم.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أصلح شأنهم(*)، قاله مجاهد.

الثاني: أصلح حالهم، قاله قتادة.

الثالث: أصلح أمرهم، قاله ابن عباس، والثلاثة متقاربة وهي متأولة على إصلاح ما تعلق بدنياهم.

(*) وفي نسخة أصلح قلبهم.

الرابع: أصلح نياتهم. حكاه النقاش، ومنه قول الشاعر [٢٨٥]:

فإن تقبلي بالود أقبل بمثله   وإن تدبري أذهب إلى حال باليا

وهو على هذا التأويل محمول على إصلاح دينهم، والبال لا يجمع لأنه أبهم إخوانه من الشأن والحال والأمر.

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَاطِلَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الباطل الشيطان، قاله مجاهد.

الثاني: إبليس، قاله قتادة، وسُمِّي بالباطل لأنه يدعو إلى الباطل.

ويحتمل ثالثاً: أنه الهوىٰ.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اتبعوا الرسول، لأنه دعاهم إلى الحق وهو الإسلام.

الثاني: يعني القرآن سمي حقاً لمجيئه بالحق.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ قال يحيى: صفات أعمالهم، وفي الناس هنا قولان:

أحدهما: أنه محمد ﷺ، قال الكلبي.

الثاني: جميع الناس، قاله مقاتل.

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾

قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيهم هنا قولان:

(٢٨٥) فتح القدير (٥/ ٣٠).

أحدهما: أنهم عبدة الأوثان، قاله ابن عباس.

الثاني: كل من خالف دين الإسلام من مشرك أو كتابي إذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة.

وفي قوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ وجهان:

أحدهما: ضرب أعناقهم صبراً عند القدرة عليهم.

الثاني: أنه قتلهم بالسلاح واليدين، قاله السدي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ يعني بالإثخان الظفر، وبشد الوثاق الأسر.

﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ في المَنِّ هنا قولان:

أحدهما: أنه العفو والإطلاق كما من رسول الله ﷺ على ثمامة بن أثال بعد أسره.

الثاني: أنه العتق، قاله مقاتل.

فأما الفداء ففيه وجهان:

أحدهما: أنه المفاداة على مال يؤخذ من أسير يطلق، كما فادى رسول الله ﷺ في بدر كل أسير بأربعة آلاف درهم، وفادى في بعض المواطن رجلاً برجلين.

الثاني: أنه البيع، قاله مقاتل.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن أوزار الحرب أثقالها، والوزر الثقل ومنه وزير الملك لأنه يتحمل عنه الأثقال، وأثقالها السلاح.

الثاني: هو [وضع](*) سلاحهم بالهزيمة أو الموادعة، قال الشاعر(٢٨٦):

وأعددت للحرب أوزارها ... رماحا طوالاً وخيلاً ذكورا

الثالث: حتى تضع الحرب أوزار كفرهم بالإسلام، قاله الفراء.

الرابع: حتى يظهر الإسلام على الدين كله، وهو قول الكلبي.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

(٢٨٦) هو الأعشى والبيت في ديوانه ٩٩ وغريب القرآن ٤٠٩ والقرطبي (١٦/ ٢٢٩) واللسان «وزر» وروح المعاني (٢٦/ ٤١).

الخامس: حتى ينزل عيسى ابن مريم، قاله مجاهد.

ثم في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، [الأنفال: ٥٧] قاله قتادة.

الثاني: أنها ثابتة الحكم[٢٨٧]، وأن الإمام مخير في من أسره منهم بين أربعة أمور: أن يقتل لقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾، أو يسترق لأن رسول الله ﷺ استرق العقيلي، أو يَمُنَّ كما مَنَّ علىٰ ثمامة، أو يفادي بمال أو أُسرىٰ، فإذا أسلموا أسقط القتل عنهم وكان في الثلاثة الباقية على خياره، وهذا قول الشافعي.

﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالملائكة، قاله الكلبي.

الثاني: بغير قتال، قاله الفراء.

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قراءة أبي عمرو[٢٨٨] وحفص، قال قتادة: هم قتلى أحد. وقرأ الباقون ﴿قَاتَلُواْ﴾.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يحق لهم الهداية، قاله الحسن.

الثاني: يهديهم إلى محاجة منكر ونكير في القبر[٢٨٩]، قاله زياد.

الثالث: يهديهم إلى طريق الجنة، قاله ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: عرفها بوصفها على ما يشوق إليها، حكاه ابن عيسى.

الثاني: عرفهم ما لهم فيها من الكرامة، قاله مقاتل.

الثالث: معنى عرفها أي طيبها بأنواع الملاذ، مأخوذ من العرف وهي الرائحة الطيبة، قاله بعض أهل اللغة.

الرابع: عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يسألون عنها، قاله مجاهد. قال الحسن:

---

(٢٨٧) ورجحه الطبري (٢٦/٤٢) وإليه ذهب عامه العلماء كما في زاد المسير (٧/٣٩٧).

(٢٨٨) زاد المسير (٧/٣٩٧) والحجة في القراءات ص ٦٦٦.

(٢٨٩) والأولى عدم التخصيص بنوع من أنواع الهداية والصواب أن الهداية تعم كل نوع.

وصف الجنة لهم في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها.

ويحتمل خامساً: أنه عرف أهل السماء أنها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها.

قولهعز وجل: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن تنصروادين الله ينصركم الله. الثاني: إن تنصروا نبي الله ينصركم الله، قاله قطرب.

﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ويثبت أقدامكم في نصره.

الثاني: عند لقاء عدوه.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: يعني تثبيت الأقدام بالنصر.

الثاني: يريد تثبيت القلوب بالأمن.

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْساً لَّهُمْ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: خزياً لهم، قاله السدي.

الثاني: شقاء لهم، قاله ابن زيد.

الثالث: شتماً لهم من الله، قاله الحسن.

الرابع: هلاكاً لهم، قاله ثعلب.

الخامس: خيبة لهم، قاله ابن زياد.

السادس: قبحاً لهم، حكاه النقاش.

السابع: بعدائهم، قاله ابن جريج.

الثامن: رغماً لهم، قاله الضحاك.

التاسع: أن التعس الانحطاط والعثار، حكاه ابن عيسى.

۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ

أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾

قوله عزوجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكم من قرية، وأنشد الأخفش للبيد[٢٩٠]:

وكائن رأينا من ملوك وسوقة ومفتاح قيد للأسير المكبل

فيكون معناه: وكم من أهل قرية.

﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ أي أهلها أشد قوة.

﴿مِّن قَرْيَتِكَ﴾ يعني مكة.

﴿ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ أي أخرجك أهلها عند هجرتك منها.

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني بالعذاب.

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ يعني فلا مانع لهم منا، وهذا وعيد.

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

قوله عزوجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه القرآن، قال ابن زيد.

الثاني: أنه محمد ﷺ، قاله أبو العالية، والبينة الوحي.

الثالث: أنهم المؤمنون، قاله الحسن، والبينة معجزة الرسول.

الرابع: أنه الدين، قاله الكلبي.

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عبادتهم الأوثان، قاله الضحاك.

الثاني: شركهم، قاله قتادة. وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم كافة المشركين.

---

(٢٩٠) فتح القدير (٥/٣٤) وقال: قال الوليد وهو خطأ والصواب لبيد.

الثاني: أنهم الإثنا عشر رجلاً من قريش.

وفيمن زينه لهم قولان:

أحدهما: الشيطان.

الثاني: أنفسهم.

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه نعت لمن زين له سوء عمله.

الثاني: أنهم المنافقون، قاله ابن زيد.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ هم المنافقون: عبدالله بن أُبيّ بن سلول، ورفاعة بن التابوت، وزيد بن الصليت(*)، والحارث بن عمرو، ومالك بن الدخشم.

وفيما يستمعونه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة فإذا سمعوا ذكر المنافقين فيها أعرضوا عنه، فإذا خرجوا سألوا عنه، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: أنهم كانوا يحضرون عند رسول الله ﷺ مع المؤمنين، فيسمعون منه ما يقول، فيعيه المؤمن ولا يعيه المنافق.

﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ﴾ أي من عند رسول الله ﷺ.

﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنه عبد الله بن عباس، قاله عكرمة.

(*) هكذا في الأصول وفي سيرة ابن هشام اللصيت وفي تاريخ الطبري اللصيب بالياء الموحدة.

الثاني: عبد الله بن مسعود، قاله عبد الله بن بريدة.

الثالث: أبو الدرداء، قاله القاسم بن عبد الرحمن.

الرابع: أنهم الصحابة قاله[٢٩١] ابن زيد.

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفاً﴾ هذا سؤال المنافقين للذين أُوتوا العلم إذا خرجوا من عند النبي ﷺ. وفيه وجهان:

أحدهما: يعني قريباً.

الثاني: مبتدئاً.

وفي مقصودهم بهذا السؤال وجهان:

أحدهما: الإستهزاء بما سمعوه.

الثاني: البحث عما جهلوه.

قوله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الإستهزاء زاد المؤمنين هدى، قاله الفراء.

الثاني: أن القرآن زادهم هدى، قاله ابن جريج.

الثالث: أن الناسخ والمنسوخ زادهم هدى، قاله عطية.

وفي الهدى الذي زادهم أربعة أقاويل:

أحدها: زادهم علماً، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: علموا ما سمعوا، وعلموا بما عملوا، قاله الضحاك.

الثالث: زادهم بصيرة في دينهم وتصديقاً لنبيهم، قاله الكلبي.

الرابع: شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان.

ويحتمل خامساً: والذين اهتدوا بالحق زادهم هدى للحق.

﴿وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: آتاهم الخشية، قاله الربيع.

الثاني: ثواب تقواهم في الآخرة، قاله السدي.

الثالث: وفقهم للعمل الذي فرض عليهم، قاله مقاتل.

الرابع: بين لهم ما يتقون، قاله ابن زياد.

---

(٢٩١) وهو أولى لأنه أعم واختاره ابن كثير (٤/٧٧) والشوكاني (٥/٣٥).

الخامس :أنه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ ، قاله عطية .

قوله عزوجل : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة .

﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أشراطها آياتها ، قاله ابن زيد .

الثاني : أوائلها(*) ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ ، قاله الحسن .

الرابع : ظهور النبي ، قاله الضحاك . قال الضحاك لأنه آخر الرسل وأمته آخر الأمم . وقد قال رسول الله[٢٩٢] ﷺ : «بُعِثْتُ وَالسَّاعَة كَهَاتِين» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطىٰ .

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾ قال السدي : معناه فكيف لهم النجاة .

﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إذا جاءتهم الساعة ، قاله قتادة .

الثاني : إذا جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة ، قاله ابن زيد . وفي الذكرى وجهان :

أحدهما : تذكيرهم بما عملوه من خير أو شر .

الثاني : هو دعاؤهم بأسمائهم تبشيراً أو تخويفاً .

روى أبان عن أنس[٢٩٣] عن النبي ﷺ أنه قال : «أَحْسِنُواْ أَسْمَآءَكُم فَإِنَّكُم تُدْعَوْنَ

(*) هكذا في الأصول ولعلها أدلتها أي أمارتها .

(٢٩٢)رواه البخاري (٨/ ٥٣٠) ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وفي الدر (٤١٧/٧) سهل بن مسعود وهو خطأ فليصحح .

(٢٩٣)وهو حديث ضعيف لأنه من رواية أبان عن أنس وأبان متروك وكذبه بعضهم ورواه أبو نعيم من حديث أبي الدرداء بلفظ إنكم تدعون يوم القيامة باسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم .

رواه أبو داود أيضاً رقم ٤٩٤٨ وضعفه بالإنقطاع بين أبي زكريا وابي الدرداء . وضعف الحديث أيضاً البيهقي والمنذري وابن حجر العسقلاني كما في فيض القدير (٥٥٣/٢)والألباني كما السلسلة الضعيفة رقم ٤٣٣ وحديث أنس له لفظ آخر رواه ابن عـدي في الكامل ولفظه يدعى الناس يوم القيامة بأمهاتهم ستراً من الله عز وجل عليهم قال ابن عدي هذا منكر الحديث بهذا الإسناد وإسحاق بن إبراهيم منكر الحديث وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وكذا الالباني في السلسلة الضعيفة رقم ٤٣٣ . وله شاهد من حديث ابن عباس ولكنه موضوع أخرجـه الطبـراني وقال الهيثمي في المجمـع (٣٥٩/١٠) فيه إسحق بن بشر وهو متروك .

بِهَا يَوْمَ القِيامَةِ، يَا فُلَانُ قُمْ إِلَى نُورِكَ، يَا فُلانُ قُمْ فَلَا نُورَ لَكَ».

قوله عزوجل: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** وفيه ـ وإن كان الرسول ﷺ عالماً به ـ ثلاثة أوجه: أحدها: يعني: اعلم أن الله أعلمك أن لا إلّه إلا الله.

الثاني: ما علمته استدلالاً فاعلمه خبراً يقيناً.

الثالث: يعني فاذكر أن لا إلّه إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب.

الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي استغفر لهم ذنوبهم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: متقلبكم في أسفاركم، ومثواكم في أوطانكم.

الثاني: متقلبكم في أعمالكم نهاراً ومثواكم في ليلكم نياماً.

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾

قوله عزوجل: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾** كان المؤمنون إذا تأخر نزول القرآن اشتاقوا إليه وتمنوه ليعلموا أوامر الله وتعبده لهم.

﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ وفي قراءة ابن مسعود: فإذا أنزلت سورة محدثة **﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾**.

في السورة المحكمة قولان:

أحدهما: أنها التي يذكر فيها الحلال والحرام، قاله ابن زياد(*) النقاش.

(*) كذا في الأصول ولعل الصواب ابن زيد والنقاش.

الثاني: أنها التي يذكر فيها القتال، وهي أشد القرآن على المنافقين، قاله قتادة.

ويحتمل:

ثالثاً: أنها التي تضمنت نصوصاً لم يتعقبها ناسخ ولم يختلف فيها تأويل.

﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم المنافقون، لأن قلوبهم كالمريضة بالشك. فإذا أنزلت السورة المحكمة سر بها المؤمنون وسارعوا إلى العمل بما فيها، واغتم المنافقون ونظروا إلى رسول الله ﷺ.

﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوتِ﴾ غماً بها وفزعاً منها.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه وعيد، كأنه قال: العقاب أولى لهم، قاله قتادة.

الثاني: أولى لهم، ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ من أن يجزعوا من فرض الجهاد عليهم، قاله الحسن.

وفيه وجه ثالث: أن قوله ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ حكاية من الله عنهم قبل فرض الجهاد عليهم، ذكره ابن عيسى.

والطاعة هي الطاعة لله ورسوله في الأوامر والنواهي. وفي القول المعروف وجهان:

أحدهما: هو الصدق والقبول.

الثاني: الإجابة بالسمع والطاعة.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾ أي جد الأمر في القتال.

﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ بأعمالهم ﴿لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ من نفاقهم.

قوله عزوجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلأَرْضِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فهل عسيتم إن توليتم أمور الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم، قاله الكلبي.

الثاني: فهل عسيتم إن توليتم الحكم فجعلتم حكاماً أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا، قاله أبو العالية

الثالث: فهل عسيتم إن توليتم عن كتاب الله أن تفسدوا في الأرض بسفك الدماء الحرام[٢٩٤]: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾، قاله قتادة.

الرابع: فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام، قاله ابن جريج.

وفي هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى بها المنافقين وهو الظاهر.

الثاني: قريشاً، قاله أبو حيان.

الثالث: أنها نزلت في الخوارج، قاله بكر بن عبد الله المزني.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود كفروا بمحمد ﷺ من بعدما علموا في التوراة أنه نبي، قاله قتادة وابن جريج.

الثاني: المنافقون قعدوا عن القتال من بعدما علموه في القرآن، قاله السدي.

﴿ٱلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ فيه وجهان:

---

(٢٩٤) والأولى عدم تخصيص الفساد بنوع معين فكل ما يفسد فهو منهى عنه وكل ما يغضب الله ورسوله فهو فساد.

أحدهما: أعطاهم سؤالهم، قاله ابن بحر.

الثاني: زين لهم خطاياهم، قاله الحسن.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أمهلهم، قاله الكلبي ومقاتل فعلى هذا يكون الله تعالى هو الذي أملى لهم بالإمهال في عذابهم.

والوجه الثاني: أن معنى أملى لهم أي مد لهم في الأمل فعلى هذا فيه وجهان:

أحدهما: أن الله تعالى هو الذي أملى لهم في الأمل، قاله الفراء والمفضل.

الثاني: أن الشيطان هو الذي أملى لهم في مد الأمل بالتسويف، قاله الحسن.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ وفي قائل ذلك قولان:

أحدهما: أنهم اليهود قالوا للمنافقين سنطيعكم في بعض الأمر. وفيما أرادوا بذلك وجهان:

أحدهما: سنطيعكم في ألا نصدق بشيء، من مقالته، قاله الضحاك.

الثاني: سنطيعكم في كتم ما علمنا من نبوته، قال ابن جريج.

القول الثاني: أنهم المنافقون قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الأمر. وفيما أرادوه بذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: سنطيعكم في غير القتال من بغض محمد ﷺ والقعود عن نصرته، قال السدي.

الثاني: سنطيعكم في الميل إليكم والمظاهرة على رسول الله ﷺ.

الثالث: سنطيعكم في الارتداد بعد الإيمان.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما أسر بعضهم إلى بعض من هذا القول.

الثاني: ما أسروه في أنفسهم من هذا الاعتقاد.

قوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: بالقتال نصرة لرسول الله ﷺ.

الثاني: بقبض الأرواح عند الموت.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يكون على احتمال وجهين:
أحدهما: يضربون وجوههم في القتال عند الطلب وأدبارهم عند الهرب.
الثاني: يضربون وجوههم عند الموت بصحائف كفرهم، وأدبارهم في القيامة عند سوقهم إلى النار.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: شك، قاله مقاتل.
الثاني: نفاق، قاله الكلبي.
﴿أن لن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:
أحدها: غشهم، قاله السدي.
الثاني: حسدهم، قاله ابن عباس.
الثالث: حقدهم، قاله ابن عيسى.
الرابع: عدوانهم، قاله قطرب وأنشد:

قل لابن هند ما أردت بمنطق ... ساء الصديق وسر ذا الأضغان

قوله عزوجل: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: في كذب القول، قاله الكلبي.
الثاني: في فحوى كلامهم. واللحن هو الذهاب بالكلام في غير جهته، مأخوذ من اللحن في الإعراب وهو الذهاب عن الصواب ومنه قول النبي ﷺ(٢٩٥): «**إنكم**

(٢٩٥)رواه البخاري (١٠٧/٥) ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها. والمؤلف إنما اقتصر على جزء من الحديث ولم يأت به كله فتنبه.

لَتَحْتَكِمُونَ إِلَيَّ، أَحَدَكُمْ أَن يَكُونَ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ» أي أذهب بها في الجهات لقوته[٢٩٦] على تصريف الكلام. قال مرار[٢٩٧] الأسدي:

ولحنت لحناً فيه غش ورابني صدودك ترضين الوشاة الأعاديا

قال الكلبي: فلم يتكلم بعد نزولها منافق[٢٩٨] عند النبي ﷺ إلا عرفه.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المجاهدين في سبيل الله.

الثاني: الزاهدين في الدنيا.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على الجهاد.

الثاني: عن الدنيا.

﴿وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: نختبر أسراركم.

الثاني: ما تستقبلونه من أفعالكم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أطيعوا الله بتوحيده، وأطيعوا الرسول بتصديقه.

---

(٢٩٦) وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن من أسرّ سريرة في نفسه ظهرت على وجهه أو في فلتات لسانه وما أكثر المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون نسأل الله تعالى أن يريح المسلمين منهم.

(٢٩٧) روح المعاني (٢٦/٧٧).

(٢٩٨) راجع روح المعاني (٢٦/٧٨) فقد ذكر كلاماً مهماً حول هذا.

الثاني : أطيعوا الله في حرمة الرسول، وأطيعوا الرسول في تعظيم الله.

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي، قاله الحسن.

الثاني: لا تبطلوها بالكبائر، قاله الزهري.

الثالث: لا تبطلوها بالرياء والسمعة، وأخلصوها لله، قاله ابن جريج والكلبي.

قوله عزوجل: ﴿وَلَن يَتِرَكُم أَعمالَكُم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لن ينقصكم أعمالكم، قاله مجاهد وقطرب. وأنشد قول الشاعر:

إن تترني من الإجارة شيئاً ... لا يفتني على الصراط بحقي

الثاني: لن يظلمكم، قاله قتادة، يعني أجور أعمالكم.

الثالث: ولا يستلبكم أعمالكم، ومنه قول النبي ﷺ[٢٩٩]: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله».

﴿إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يسألكم أموالكم لنفسه.

الثاني: لا يسألكم جميع أموالكم في الزكاة ولكن بعضها.

---

(٢٩٩) رواه بهذا اللفظ الإمام النسائي (١/٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩) من حديث نوفل بن معاوية رضي الله عنه ورواه البخاري (٢/٢٦) والنسائي (١/٢٣٦) من حديث أبي المليح ولفظه «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» وقد ثبت أيضاً مرفوعاً من حديث بريدة رضي الله عنه.

الثالث: لا يسألكم أموالكم وإنما يسألكم أمواله، لأنه أملك بها وهو المنعم بإعطائها.

﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الإحفاء أخذ الجميع، قاله ابن زيد وقطرب.

الثاني: أنه الإلحاح وإكثار السؤال، مأخوذ من الحفاء وهو المشي بغير حذاء، قاله ابن عيسى.

الثالث: أن معنى فيحفكم أي فيجدكم تبخلوا، قاله ابن عيينة.

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يظهر بامتناعكم ما أضمرتموه من عدوانكم.

الثاني: تظهرون عند مسألتكم ما أضمرتموه من عداوتكم.

قوله عز وجل: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: وإن تتولوا عن كتابي، قاله قتادة.

الثاني: عن طاعتي، حكاه ابن أبي حاتم.

الثالث: عن الصدقة التي أُمرتم بها، قاله الكلبي.

الرابع: عن هذا الأمر فلا تقبلونه، قاله ابن زيد.

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم أهل اليمن وهم الأنصار، قاله شريح بن عبيد.

الثاني: أنهم الفرس.

روى أبو هريرة قال: (٣٠٠) لما نزل ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم ثُمَّ لَا يَكُونُوآ

(٣٠٠) رواه الطبري (٢٦/٦٦) وفي سنده مسلم بن خالد المخزومي الزنجي قال الحافظ في التقريب صدوق كثير الأوهام وقال الحافظ ابن كثير (٤/١٨٢) تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم والله أعلم.

ورواه الترمذي في سننه (٢/١٠٨) وفي سنده جعفر بن عبدالله بن نجيح وقال الحافظ في التقريب ضعيف.

وقد روى البخاري (٨/٤٩٢) ومسلم (٤/١٩٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة فلما قرأ ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وقال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٥٢ رواه الترمذي وابن حبان والحاكم والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم وقال في =

﴿أَمْثَالَكُم﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا يستبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان وقال: «**هٰذا وَقَوْمُهُ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ الدِّينَ مُعَلَّقٌ بِالثُّرَيَّا لَنالَهُ رِجَالٌ مِن أَبْنَاءِ فَارِس**».

الثالث: أنهم من شاء من سائر الناس، قاله مجاهد.

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني في البخل بالإنفاق في سبيل الله، قاله الطبري.

الثاني: في المعصية وترك الطاعة.

وحكي عن أبي موسى الأشعري[٣٠١] أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله ﷺ وقال: «**هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن الدُّنْيَا**».

= الفتح (٨/٦٤٣) وفي بعض طرق الحديث عند أبي نعيم عن أبي هريرة أن ذلك كان عند نزول قوله **﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾** قال ويحتمل أن يكون ذلك صدر عند نزول كل من الآيتين ا هـ.
[اي آية الجمعة وآية القتال].

والحديث في صحيح مسلم دون سبب النزول عن أبي هريرة ولفظه لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس او أبناء فارس حتى يتناوله.

ورواه أحمد (٢/٤٢٠، ٤٢٢، ٤٦٩) من حديث أبي هريرة بلفظ لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناوله ناس من بلاد فارس وفي سنده شهر بن حوشب وفيه ضعف.

(٣٠١) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ فيه قولان:

أحدهما: إنا أعلمناك علماً مبيناً فيما أنزلناه عليك من القرآن وأمرناك به من الدين. وقد يعبر عن العلم بالفتح كقوله ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي علم الغيب، قاله ابن بحر. وكقوله ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩] أي إن أردتم العلم فقد جاءكم العلم.

الثاني: إنا قضينا لك قضاء بيناً فيما فتحناه عليك من البلاد.

وفي المراد بهذا الفتح قولان:

أحدهما: فتح مكة، وعده الله عام الحديبية عند انكفائه منها.

الثاني: هو ما كان من أمره بالحديبية. قال الشعبي[٣٠٢]: نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ [الفتح: ١] في وقت الحديبية أصاب فيها ما لم يصب في غيرها: بويع بيعة الرضوان، وأطعموا نخل خيبر، وظهرت الروم على فارس تصديقاً لخبره، وبلغ

(٣٠٢) رواه سعيد بن منصور بإسناد صحيح عنه كما قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٤٠).

الهدي محله، فعلى هذا في الذي أراده بالفتح يوم الحديبية. قال جابر: ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية.

الثاني: أنه بيعة الرضوان. قال البراء بن عازب(٣٠٣): أنتم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية.

الثالث: أنه نحره وحلقه يوم الحديبية حتى بلغ الهدي محله بالنحر.

والحديبية بئر، وفيها تمضمض رسول الله ﷺ، وقد غارت فجاشت بالرواء(٣٠٤).

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليغفر لك الله استكمالاً لنعمه عندك.

الثاني: يصبرك على أذى قومك.

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما تقدم قبل الفتح وما تأخر بعد الفتح.

الثاني: ما تقدم قبل النبوة وما تأخر بعد النبوة.

الثالث: ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور إذا كان.

ويحتمل رابعاً: ما تقدم قبل نزول هذه الآية وما تأخر بعدها.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بفتح مكة والطائف وخيبر.

الثاني: بخضوع من استكبر. وطاعة من تجبر.

﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه الأسر والغنيمة كما كان يوم بدر.

الثاني: أنه الظفر والإسلام وفتح مكة.

وسبب نزول هذه الآية، ما حكاه الضحاك عن ابن عباس أنه لما نزل قوله: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قال أهل مكة: يا محمد كيف ندخل في دينك وأنت لا تدري ما يفعل بك ولا بمن اتبعك فهلا أخبرك بما يفعل بك وبمن اتبعك كما

---

(٣٠٣) رواه البخاري (٧/ ٣٤٠) وقد جمع الحافظ رحمه الله بين هذه الأقوال في ذلك فراجعه في الفتح.

(٣٠٤) أي ماء عذب.

أخبر عيسى ابن مريم؟ فاشتد ذلك على النبي ﷺ وعلى أصحابه حتى قدم المدينة، فقال عبدالله بن أبي بن سلول ـ رأس المنافقين ـ للأنصار: كيف تدخلون في دين رجل لا يدري ما يفعل به ولا بمن اتبعه؟ هذا والله الضلال المبين. فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: يا رسول الله ألا تسأل ربك يخبرك بما يفعل بك وبمن اتبعك؟ فقال: إن له أجلاً فأبشرا بما يقر الله به أعينكما. إلى أن نزلت عليه هذه الآي وهو في دار أبي الدحداح على طعام مع أبي بكر وعمر فخرج وقرأها على أصحابه، قال قائل منهم: هنيئاً مريئاً يا رسول الله قد بين الله لنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله ﴿**لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**﴾ الآية.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

قوله عزوجل: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الصبر على أمر الله.

الثاني: أنها الثقة بوعد الله.

الثالث: أنها الرحمة لعباد الله.

﴿**لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ**﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: ليزدادوا عملاً مع تصديقهم.

الثاني: ليزدادوا صبراً مع اجتهادهم.

الثالث: ليزدادوا ثقة بالنصر مع إيمانهم بالجزاء.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون معناه: ولله ملك السموات والأرض ترغيباً للمؤمنين في خير الدنيا وثواب الآخرة.

الثاني: معناه: ولله جنود السموات والأرض إشعاراً للمؤمنين أن لهم في جهادهم أعواناً على طاعة ربهم.

قوله عزوجل: ﴿الظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: هو ظنهم أن لله شريكاً.

الثاني: هو ظنهم أنه لن يبعث الله أحداً.

الثالث: هو ظنهم أن يجعلهم الله كرسوله.

الرابع: أن سينصرهم على رسوله.

قال الضحاك: ظنت أسد وغطفان في رسول الله ﷺ حين خرج إلى الحديبية أنه سيقتل أو ينهزم ولا يعود إلى المدينة سالماً، فعاد ظافراً.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عليهم يدور سوء اعتقادهم.

الثاني: عليهم يدور جزاء ما اعتقدوه في نبيهم.

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: شاهداً على أمتك بالبلاغ، قاله قتادة.

الثاني: شاهداً على أمتك بأعمالهم من طاعة أو معصية.

الثالث: مبيناً ما أرسلناك به إليهم.

﴿وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مبشراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين.

الثاني: مبشراً بالجنة لمن أطاع ونذيراً بالنار لمن عصى، قاله قتادة، والبشارة والإنذار معاً خير لأن المخبر بالأمر السار مبشر والمحذر من الأمر المكروه منذر. قال النابغة الذبياني (٣٠٥):

تناذرها الراقون من سوء سعيها ... تطلقها طوراً وطوراً تراجع

قوله عزوجل: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تطيعوه، قاله بعض أهل اللغة.

الثاني: تعظموه، قاله الحسن والكلبي.

الثالث: تنصروه وتمنعوا منه، ومنه التعزير في الحدود لأنه مانع، قاله القطامي:

ألا بكرت مي بغير سفاهة ... تعاتب والمودود ينفعه العزر

وفي ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وجهان:

أحدهما: تسودوه، قاله السدي.

الثاني: أن تأويله مختلف بحسب اختلافهم فيمن أشير إليه بهذا الذكر: فمنهم من قال أن المراد بقوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تعزروا اللّٰه وتوقروه لأن قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ راجع إلى الله وكذلك ما تقدمه، فعلى هذا يكون تأويل قوله: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك.

ومنهم من قال: المراد به رسول الله ﷺ أن يعزروه ويوقروه لأنه قد تقدم ذكرها، فجاز أن يكون بعض الكلام راجعاً إلى الله وبعضه راجعاً إلى رسوله، قاله الضحاك. فعلى هذا يكون تأويل ﴿تُوَقِّرُوهُ﴾ أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تسبيحه بالتنزيه له من كل قبيح.

الثاني: هو فعل الصلاة التي فيها التسبيح.

---

(٣٠٥) ديوانه: ٣٤ واللسان «نذر» وفيه وطوراً تراجعه ورواية الديوان تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع. ومن هنا تعلم أن ما في المطبوعة خطأ.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي غدوة وعشياً. قال الشاعر[٣٠٦]:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأجلس في أفيائه بالأصائل

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٤)﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فاسدين قاله قتادة.

الثاني: هالكين، قاله مجاهد. قال عبدالله بن الزبعرى[٣٠٧]:

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

الثالث: أشرار، قاله ابن بحر. وقال حسان بن ثابت:

لا ينفع الطول من نوك الرجال وقد يهدي الإله سبيل المعشر البور

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)﴾

قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَامَ اللَّهِ﴾ فيه وجهان:

(٣٠٦) هو أبو ذؤيب والبيت في اللسان «أصل».

(٣٠٧) تقدم تخريجه وفي الأصول كعب بن زهير وهو خطأ.

أحدهما: ما وعد الله نبيّه من النصرة والفتح حين ظنوا ظن السوء بأنه يهلك أو لا يظفر، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: قوله: ﴿لَن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ حين سألوه الخروج معه لأجل المغانم بعد امتناعهم منه وظن السوء، قاله ابن زيد.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧)﴾

قوله عزوجل: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ وهؤلاء المخلفون هم أحد أصناف المنافقين، لأن الله تعالى صنف المنافقين من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ثلاثة أصناف، منهم من أعلم أنه لا يؤمن وأوعدهم العذاب في الدنيا مرتين ثم العذاب العظيم في الآخرة وذلك قوله ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١] الآية. ومنهم من اعترف بذنبه وتاب، وهم من قال الله فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية ومنهم من وقفوا بين الرجاء لهم والخوف عليهم بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] فهؤلاء المخاطبون بقوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ دون الصنفين المتقدمين لترددهم بين أمرين.

قوله عزوجل: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ...﴾ الآية. فيهم خمسة أوجه:

أحدها: أنهم أهل فارس، قاله ابن عباس.

الثاني: الروم، قاله الحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

(*) وفي نسخة سبيل المفسد.

الثالث: هوازن وغطفان بحنين، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

الرابع: بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب، قاله الزهري.

الخامس: أنهم قوم لم يأتوا بعد، قاله أبو هريرة.

۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾

قوله عزوجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ كانت سبب هذه البيعة وهي بيعة الرضوان تأخر[٣٠٨] عثمان رضي الله عنه بمكة حين أنفذه رسول الله ﷺ من الحديبية رسولاً يدعوهم إلى الإسلام فأبطأ وأرجف بقتله، فبايع أصحابه وبايعوه على الصبر والجهاد، وكانوا فيما رواه ابن عباس ألفاً وخمسمائة، وقال جابر: كانوا ألفاً وأربعمائة وقال عبدالله بن أبي أوفى: ألفاً وثلاثمائة.

وكانت البيعة تحت الشجرة بالحديبية والشجرة سمرة. وسميت بيعة الرضوان، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من صدق النية، قاله الفراء.

الثاني: من كراهة البيعة على أن يقاتلوا معه على الموت، قاله مقاتل.

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فتح خيبر لقربها من الحديبية، قاله قتادة.

الثاني: فتح مكة.

وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ

---

(٣٠٨) انظر خبره مطولاً من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. رواه البخاري (١/٢٤)(٧/٣٤٨) وراجع المطولات في ذلك كالبداية والنهاية (٤/١٧٣) والدر المنثور (٦/٧٦) وهو معروف بحديث قصة الحديبية.

تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

قوله عزوجل: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: هي مغانم خيبر(٣٠٩)، قاله ابن زيد.

الثاني: هو كل مغنم غنمه المسلمون، قاله مجاهد.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مغانم خيبر، قاله مجاهد.

الثاني: صلح الحديبية، قاله ابن عباس.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: اليهود كف أيديهم عن المدينة عند خروجهم إلى الحديبية.

الثاني: قريش كف أيديهم عن المدينة عند خروجهم إلى الحديبية.

الثالث: أسد وغطفان الحليفان عليهم عيينة بن حصن ومالك بن عوف جاءوا لينصروا أهل خيبر، فألقى الله في قلوبهم الرعب فانهزموا.

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليكون كف أيديهم عنكم آية للمؤمنين.

الثاني: ليكون فتح خيبر آية أي علامة لصدق الله تعالى في وعده وصدق رسوله في خبره. قيل لتكون البيعة آية لهم.

قوله عزوجل: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

---

(٣٠٩)ورجحه الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٤٠) وقال: وقد رواه أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال: شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغيم وقد جمع الناس فقرأ عليهم ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ فقال رجل: يا رسول الله أي فتح هو قال أي والذي نفسي بيده إنه الفتح، ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية.

أحدها: هي أرض فارس والروم وجميع ما فتحه المسلمون، قاله ابن عباس.

الثاني: هي مكة، قاله قتادة.

الثالث: هي أرض خيبر، قاله الضحاك.

في قوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ وجهان:

أحدهما: قدر الله عليها، قاله ابن بحر.

الثاني: حفظها عليكم ليكون فتحها لكم.

قوله عزوجل: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ يعني طريقة الله وعادته السالفة نصر رسله وأوليائه على أعدائه.

وفي قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ وجهان:

أحدهما: ولن تتغير سنة الله وعادته في نصرك على أعدائك وأعدائه.

الثاني: لن تجد لعادة الله في نصر رسله مانعاً من الظفر بأعدائه وهو محتمل.

قوله عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كف أيديهم عنكم بالرعب وأيديكم عنهم بالنهي.

الثاني: كف أيديهم عنكم بالخذلان، وأيديكم عنهم بالاستبقاء لعلمه بحال من يسلم منهم.

الثالث: كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بالصلح عام الحديبية.

﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يريد به مكة.

الثاني: يريد به الحديبية لأن بعضها مضاف إلى الحرام.

وفي قوله: ﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أظفركم عليهم بفتح مكة وتكون هذه نزلت بعد فتح مكة، وفيها دليل على أن مكة فتحت[٣١٠] صلحاً لقوله ﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنهُم﴾.

الثاني: أظفركم عليهم بقضاء العمرة التي صدوكم عنها.

الثالث: أظفركم عليهم بما روي ثابت عن أنس[٣١١] أن ثمانين رجلاً من أهل

---

(٣١٠) وفي المسألة قول آخر أنها فتحت عنوة راجع أدلته في زاد المعاد. وقد تقدم الكلام على ذلك.

(٣١١) رواه مسلم (٣/٤٤٢) والطبري (٢٦/٩٢) والترمذي (٣٢٦٤) وأبو داود (٢٦٨٨) وزاد السيوطي في

مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه من قبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوا من ظفروا به، فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم، فأنزل الله هذه الآية، فكان هذا هو الظفر.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني قريشاً.

﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني منعوكم عن المسجد الحرام عام الحديبية حين أحرم النبي ﷺ مع أصحابه بعمرة.

﴿وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: محبوساً.

الثاني: واقفاً.

الثالث: مجموعاً، قاله أبو عمرو بن العلاء.

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: منحره، قاله الفراء.

الثاني: الحرم، قال الشافعي. والمِحِل بكسر الحاء هو غاية الشيء، وبالفتح هو الموضع الذي يحله الناس، وكان الهدي سبعين بدنة.

الدر (٧/٥٢٧) نسبته لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن أبي شيبة وأحمد.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي لم تعلموا إيمانهم.

﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن تطئوهم بخيلكم وأرجلكم فتقتلوهم، قاله ابن عباس.

الثاني: لولا من في أصلاب الكفار وأرحام نسائهم من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لم يعلموهم أن يطئوا آباءهم فيهلك أبناؤهم، قاله الضحاك.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ فيها ستة أقاويل:

أحدها: الإثم، قاله ابن زيد.

الثاني: غرم الدية، قاله ابن إسحاق.

الثالث: كفارة قتل الخطأ، قاله الكلبي.

الرابع: الشدة، قاله قطرب.

الخامس: العيب.

السادس: الغم.

قوله عزوجل: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لو تميزوا، قاله ابن قتيبة.

الثاني: لو تفرقوا، قاله الكلبي.

الثالث: لو أزيلوا، قاله الضحاك حتى لا يختلط بمشركي مكة مسلم.

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ وهو القتل بالسيف لكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار.

قوله عزوجل: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ﴾ يعني قريشاً. وفي حمية الجاهلية قولان:

أحدهما: العصبية لآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، والأنفة من أن يعبدوا غيرها، قاله ابن بحر.

الثاني: أنفتهم من الإقرار له بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم على عادته في الفاتحة، ومنعهم له من دخول مكة، قال الزهري.

ويحتمل

ثالثاً: هو الاقتداء بآبائهم، وألا يخالفوا لهم عادة، ولا يلتزموا لغيرهم طاعة كما

أخبر الله عنهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وعَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الصبر الـذي صبروا والإجابة إلى ما سألوا، والصلح الذي عقدوه حتى عاد إليهم في مثل ذلك الشهر من السنة الثانية قاضياً لعمرته ظافراً بطلبته.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: قول لا إلّه إلا الله، قاله ابن عباس، وهو يروي عن النبي ﷺ.

الثاني (٣١٢): الإخلاص، قاله مجاهد.

الثالث: قول بسم الله الرحمن الرحيم، قاله الزهري.

الرابع: قولهم سمعنا وأطعنا بعد خوضهم. وسميت كلمة التقوى لأنهم يتقون بها غضب الله.

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وكانوا أحق بكلمة التقوى أن يقولوها.

الثاني: وكانوا أحق بمكة أن يدخلوها.

وفي من كان أحق بكلمة التقوى قولان:

أحدهما: أهل مكة كانوا أحق بكلمة التقوى أن يقولوها لتقدم إنذارهم لولا ما سلبوه من التوفيق.

الثاني: أهل المدينة أحق بكلمة التقوى حين قالوها، لتقدم إيمانهم حين صحبهم التوفيق.

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ

---

(٣١٢) رواه الترمذي (١٥٩) والطبري (٢٦/١٠٤) وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه اهـ قلت: وفي سنده ثوير بن أبي فاختة ولم يشهد له أحد بخير راجع ترجمته في الميزان (١/٣٧٥ ـ ٣٧٦) وزاد السيوطي نسبة الحديث في الدر (٧/٥٣٦) لعبد الله بن أحمد في زوائد المسند والدارقطني في الأفراد والبيهقي في الأسماء والصفات وقد ورد مرفوعاً من حديث أبي بن كعب وأبي هريرة وسلمة بن الأكوع. راجع تخريجها في الدر (٧/٥٣٦ ـ ٥٣٧).

ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

قوله عزوجل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ قال قتادة: كان رسول الله ﷺ، رأى في المنام، أنه يدخل مكة على هذه الصفة، فلما صالح قريشاً بالحديبية، ارتاب المنافقون، حتى قال ﷺ: «فَمَا رَأَيْتُ فِي هٰذَا العَامِ».

ثم قال: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ فيه قولان:

أحدهما: علم أن دخولها إلى سنة ولم تعلموه أنتم، قاله الكلبي.

الثاني: علم أن بمكة رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم؛ الآية.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الصلح الذي جرى بين رسول الله ﷺ وقريش بالحديبية، قاله مجاهد.

الثاني: فتح مكة، قاله ابن زيد والضحاك.

وفي قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللَّهُ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه خارج مخرج الشرط والاستثناء.

الثاني: أنه ليس بشرط وإنما خرج مخرج الحكاية على عادة أهل الدين، ومعناه لتدخلونه بمشيئة الله.

الثالث: إن شاء الله في دخول جميعكم أو بعضكم. ولأنه علم أن بعضهم يموت.

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾

قوله عزوجل: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾. فيه ستة تأويلات:

أحدها: أنه ثرى الأرض وندى الطهور، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنها صلاتهم تبدو في وجوههم، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه السمت، قاله الحسن.

الرابع: الخشوع، قاله مجاهد.

الخامس: هو أن يسهر الليل فيصبح مصفراً، قاله الضحاك.

السادس: هو نور يظهر على وجوههم يوم القيامة، قاله عطية العوفي.

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن مثلهم في التوراة بأن سيماهم في وجوههم. ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه.

الثاني: أن كلا الأمرين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل.

وقوله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الشطأ شوك السنبل، والعرب أيضاً تسميه السفا والبهمي، قاله قطرب.

الثاني: أنه السنبل، فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان، قاله الكلبي والفراء.

الثالث: أنه فراخه التي تخرج من جوانبه، ومنه شاطىء النهر جانبه، قاله الأخفش.

﴿فَآزَرَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: فساواه فصار مثل الأم، قاله السدي.

الثاني: فعاونه فشد فراخ الزرع أصول النبت وقواها.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ يعني اجتماع الفراخ مع الأصول.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ أي على عوده الذي يقوم عليه فيكون ساقاً له.

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يعني النبي ﷺ وأصحابه رضي الله

عنهم، لأن ما أعجب المؤمنين من قوتهم كإعجاب الزراع بقوة زرعهم هو الذي غاظ الكفار منهم.

ووجه ضرب المثل بهذا الزرع الذي أخرج شطأه، هو أن النبي ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه كان ضعيفاً، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى كثر جمعه وقوي أمره، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه وأفراخه فكان هذا من أصح مثل وأوضح بيان. والله أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل فيَّ كذا، لو أنزل فيَّ كذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.

الثاني: أنهم نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه، قاله ابن عباس.

الثالث: معناه ألا يقتاتوا على الله ورسوله، حتى يقضي الله على لسان رسوله، قاله مجاهد.

الرابع: أنها نزلت في قوم ضحوا قبل أن يصلوا مع رسول الله ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح، قاله الحسن.

الخامس: لا تقدموا أعمال الطاعات قبل وقتها الذي أمر به الله تعالى ورسوله، قال الزجاج:

وسبب نزولها ما حكاه الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ أنفذ أربعة وعشرين رجلاً من أصحابه إلى بني عامر فقتلوهم إلا ثلاثة تأخروا عنهم فسلموا وانكفئوا إلى المدينة فلقوا رجلين من بني سليم فسألوهما عن نسبهما فقالا: من بني عامر فقتلوهما، فجاء بنو سليم إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن بيننا وبينك عهداً وقد قتل منا رجلان فوداهما رسول الله ﷺ بمائة بعير ونزلت عليه هذه الآية في قتلة الرجلين.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يعني في التقدم المنهي عنه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعلكم.

قوله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قيل إن رجلين من الصحابة تماريا عنده[٣١٣] فارتفعت أصواتهما، فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر رضي الله عنه عند ذلك: والذي بعثك بالحق لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار.

﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الجهر بالصوت[٣١٤].

روي أن ثابت بن قيس بن شماس[*] قال: يا نبي الله والله لقد خشيت أن أكون قد هلكت، نهانا الله عن الجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت، فقال النبي ﷺ: «**يَا ثَابِتُ أَمَا تَرْضَىٰ أَن تَعِيشَ حَمِيداً وَتُقْتَلَ شَهِيداً وَتَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ؟**» فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيلمة.

الثاني: أن النهي عن هذا الجهر هو المنع من دعائه باسمه أو كنيته كما يدعو

---

(٣١٣) عزاه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للبزار وابن مردويه من طريق طارق بن شهاب وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٨/٨): فيه حصين بن عمر وهو متروك وقد وثقه العجلي وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن كثير (٢٠٦/٤) بعد ما ساقه من رواية البزار: «وحصين بن عمر هذا وإن كان ضعيفاً لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضي الله عنهما بنحو ذلك والله أعلم.

(٣١٤) قال الحافظ ابن كثير (٢٠٧/٤) قال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حياً وفي قبره ﷺ دائماً.

(*) لم أهتد إلى تخريجه بلفظه كما هنا ولكن له روايات أخرى راجعها في ابن كثير (٢٠٦/٤).

بعضهم بعضاً بالاسم والكنية، وهو معنى قوله ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، ولكنْ دعاؤه بالنبوة والرسالة كما قال تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ [النور: ٦٣].

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه فتحبط أعمالكم.

الثاني: لئلا تحبط أعمالكم.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ بحبط أعمالكم.

قوله عزوجل: ﴿... أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: معناه أخلصها للتقوى، قاله الفراء.

الثاني: معناه اختصها للتقوى، قاله الأخفش.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ﴾ الآية. اختلف في سبب نزولها، فروى معمر عن قتادة[٣١٥] أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فناداه من وراء الحجرة: يا محمد، إن مدحي زين وشتمي شين، فخرج النبي ﷺ فقال: «وَيْلَكَ ذَاكَ اللَّهُ، ذَاكَ اللَّهُ» فأنزل الله هذه الآية، فهذا قول. وروى زيد بن[٣١٦] أرقم قال: أتى ناس النبي ﷺ فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس باتباعه وإن يكن ملكاً نعش في جنابه، فأتوا النبي ﷺ، فجعلوا ينادونه، وهو في

(٣١٥) رواه ابن جرير (٢٦/١٢٢) مختصراً مرفوعاً من حديث الأقرع بن حابس وكذا رواه أحمد والطبراني وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٠٨): رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح إن كان أبو سلمة سمع الأقرع وإلا فمرسل كإسناد أحمد الآخر. وقد رواه ابن جرير (٢٦/١٢١) من حديث البراء مرفوعاً.

(٣١٦) رواه الطبري (٢٦/١٢١) وزاد السيوطي في الدر (٧/٥٥٢) نسبته لإسحاق بن راهويه ومسدد وأبي يعلى والطبراني وابن أبي حاتم وسنده حسن كما قال السيوطي وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٠٨): وساقه من رواية الطبراني فيه داود بن راشد الطفاوي وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين وبقية رجاله ثقات.

حجرته يا محمد، فأنزل الله هذه الآية. قيل: إنهم كانوا من بني تميم. قال مقاتل: كانوا تسعة نفر: قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، وسويد بن هشام، وخالد بن مالك، وعطاء بن حابس، والقعقاع بن معبد، ووكيع بن وكيع، وعيينة بن حصن.

وفي قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: لا يعلمون، فعبر عن العلم بالعقل لأنه من نتائجه، قاله ابن بحر.

الثاني: لا يعقلون أفعال العقلاء لتهورهم وقلة أناتهم(*)، وهو محتمل.

والحجرات جمع حجر؛ والحجر جمع حجرة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لكان أحسن لأدبهم في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

الثاني: لأطلقت أسراهم بغير فداء، لأن رسول الله ﷺ كان سبى قوماً من بني العنبر، فجاءوا في فداء سبيهم وأسراهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾

قوله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الآية[٣١٧].

نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وسبب نزولها ما رواه سعيد عن قتادة

(*) وفي نسخة قلة أناتهم.

(٣١٧) قال الحافظ ابن كثير (٢٠٨/٤): وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية مالك بن المصطلق وهو الحارث بن أبي ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها أ هـ.

قلت: وهذه الرواية قال الهيثمي عنها (١٠٩/٧ مجمع) رجال أحمد ثقات.

أن نبي الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة مصدقاً لبني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه، فهابهم فرجع إلى النبي ﷺ، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا، أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه، فعادوا إلى نبي الله ﷺ فأخبروه، فنزلت هذه الآية. فكان النبي ﷺ يقول: التأني من الله والعجلة من الشيطان. وفي هذه الآية دليل على أن خبر الواحد مقبول إذا كان عدلاً.

قوله عزوجل: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: لأثمتم، قاله مقاتل.

الثاني: لاتهمتم، قاله الكلبي.

الثالث: لغويتم.

الرابع: لهلكتم.

الخامس: لنالتكم شدة ومشقة.

قال قتادة: هؤلاء أصحاب النبي ﷺ لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا، فأنتم والله أسخف رأياً وأطيش عقولا.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلإِيمَانَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حسنه عندكم، قاله ابن زيد.

الثاني: قاله الحسن، بما وصف من الثواب عليه.

﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما وعد عليه في الدنيا من النصر وفي الآخرة من الثواب، قاله ابن بحر.

الثاني: بالدلالات على صحته.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الكذب خاصة، قاله ابن زيد.

الثاني: كل ما خرج عن الطاعة.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها على أربعة أقاويل:

أحدها: ما رواه عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير أن الأوس والخزرج كان بينهم على عهد رسول الله ﷺ قتال بالسعف والنعال ونحوه فنزلت هذه الآية فيهم.

الثاني: ما رواه سعيد عن قتادة[٣١٨] أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مدارأة في حق بينهما، فقال أحدهماللآخر: لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى رسول الله ﷺ فأبى أن يتبعه، فلم يزل بهما الأمر حتى تواقعوا وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، فنزلت فيهم.

الثالث: ما رواه أسباط عن السدي أن رجلاً من الأنصار كانت له امرأة تدعى أم زيد وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها، وأن المرأة بعثت إلى أهلها، فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها، فخرج الرجل فاستعان أهله، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وأهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال، فنزلت هذه الآية فيهم.

الرابع: ما حكاه الكلبي ومقاتل والفراء أنها نزلت في رهط عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحة من الأوس، وسببه أن النبي ﷺ وقف على حمار له على عبد الله بن أبي[٣١٩]، وهو في مجلس قومه، فراث حمار النبي ﷺ، فأمسك عبد الله أنفه وقال: إليك حمارك، فغضب عبد الله بن رواحة، وقال: أتقول هذا لحمار رسول الله ﷺ، فوالله هو أطيب ريحاً منك ومن أبيك، فغضب

(٣١٨)رواه الطبري (٢٦/١٣٩) وزاد السيوطي في الدر (٧/٥٦٠) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر ولكن فيه قال قتادة: ذكر لنا فالحديث مرسل كما ترى.

(٣١٩)رواه البخاري (٥/٢١٨) ومسلم (٣/١٤٢٤) وابن جرير (٢٦/١٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

قومه، وأعان ابن رواحة قومه حتى اقتتلوا بالأيدي والنعال فنزلت هـذه الآية فيهم، فأصلح رسول الله ﷺ بينهم.

﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ﴾ البغي التعدي بالقوة إلى طلب ما ليس بمستحق.

﴿فَقَاتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تبغي في التعدي في القتال.

الثاني: في العدول عن الصلح، قاله الفراء.

﴿حَتَّى تَفِيٓءَ إِلَى أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ترجع إلى الصلح الذي أمر الله به، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: ترجع إلى كتاب الله وسنة رسوله فيما لهم وعليهم، قاله قتادة.

﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ أي رجعت.

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بالحق.

الثاني: بكتاب الله، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ معناه واعدلوا.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: اعدلوا في ترك الهوى والممايلة.

الثاني: في ترك العقوبة والمؤاخذة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أي العادلين قال أبو مالك: في القول والفعل.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾

قوله عزوجل: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ الآية. أما القوم فهم الرجال خاصة، ولذلك ذكر بعدهم النساء. ويسمى الرجال قوماً لقيام بعضهم مع

بعض في الأمور، ولأنهم يقومون بالأمور دون النساء، ومنه قول الشاعر[٣٢٠]:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وفي هذه السخرية المنهي عنها قولان:

أحدهما: أنه استهزاء الغني بالفقير إذا سأله، قاله مجاهد.

الثاني: أنه استهزاء المسلم بمن أعلن فسقه، قاله ابن زيد.

ويحتمل ثالثاً: أنه استهزاء الدهاة بأهل السلامة.

﴿عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ﴾ عند الله تعالى. ويحتمل: خيراً منهم معتقداً وأسلم باطناً. ﴿وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ﴾.

﴿وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا تلمزوا أهل دينكم.

الثاني: لا تلمزوا بعضكم بعضاً. واللمز: العيب.

وفي المراد به هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يطعن بعضكم على بعض، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد ابن جبير.

الثاني: لا تختالوا فيخون بعضكم بعضاً، قاله الحسن.

الثالث: لا يلعن بعضكم بعضاً، قاله الضحاك.

﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِٱلأَلْقَابِ﴾ في النبز وجهان:

أحدهما: أنه اللقب الثابت، قاله المبرد.

الثاني: أن النبز القول القبيح، وفيه هنا أربعة أوجه:

أحدها: أنه وضع اللقب المكروه على الرجل ودعاؤه به. قال الشعبي: روي أن وفد بني سليم قدموا[٣٢١] على النبي ﷺ المدينة وللرجل منهم اسمان وثلاثة فكان يدعو الرجل بالاسم فيقال إنه يكره هذا، فنزلت هذه الآية.

---

(٣٢٠) هو زهير بن أبي سلمى والبيت في اللسان «قوم» وروح المعاني (١٥٣/٢٦).

(٣٢١) رواه الترمذي (١٥٩/٢) وحسنه، والطبري (١٣٢/٢٦) من حديث أبي جبيرة بن الضحاك وزاد السيوطي في الدر (٧/) نسبته لأحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب وغيرهم.

الثاني: أنه تسمية الرجل بالأعمال السيئة بعد الإسلام... يا فاسق... يا سارق، يا زاني، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه يعيره بعد الإسلام بما سلف من شركه، قاله عكرمة.

الرابع: أن يسميه بعد الإسلام باسم دينه قبل الإسلام، لمن أسلم من اليهود... يا يهودي، ومن النصارى... يا نصراني، قاله ابن عباس، والحسن. فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره، وقد وصف النبي ﷺ عدداً من أصحابه بأوصاف فصارت لهم من أجمل الألقاب.

واختلف في من نزلت فيه هذه الآية على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شمسان وكان في أذنه ثقل فكان يدنو من رسول الله ﷺ حتى يسمع حديثه، فجاء ذات يوم وقد أخذ الناس مجالسهم فقال: «**تَفَسَّحُواْ**» ففعلوا إلا رجلاً كان بين يدي النبي ﷺ فإنه لم يفسح وقال: «**قَدْ أَصَبْتَ مَوْضِعاً**» فنبذه ثابت، بلقب كان لأمه مكروهاً، فنزلت، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: أنها نزلت في كعب بن مالك الأنصاري، وكان على المغنم فقال لعبد الله بن أبي حدرد: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي، فتشاكيا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت فيهما، حكاه مقاتل.

الثالث: أنها نزلت في الذين نادوا رسول الله من وراء الحجرات عند استهزائهم بمن مع رسول الله من الفقراء والموالي فنزل ذلك فيهم.

الرابع: أنها نزلت في عائشة وقد عابت أم سلمة.

واختلفوا في الذي عابتها به فقال مقاتل: عابتها بالقصر، وقال غيره: عابتها بلباس تشهرت به.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ يعني ظن السوء بالمسلم توهماً من غير أن تعلمه يقيناً[٣٢٢].

﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني ظن السوء.

الثاني: أن يتكلم بما ظنه فيكون إثماً، فإن لم يتكلم به لم يكن إثماً، قاله مقاتل بن حيان.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو أن يتبع عثرات المؤمن، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: هو البحث عما خفي حتى يظهر، قاله الأوزاعي.

وفي التجسس والتحسس وجهان:

أحدهما: أن معناهما واحد، قاله ابن عباس وقرأ الحسن[٣٢٣] بالحاء. وقال الشاعر:

تجنبت سعدى أن تشيد بذكرها ... إذا زرت سعدى الكاشح المتحسس

وقال أبو عمرو الشيباني: الجاسوس: صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير.

والوجه الثاني: أنهما مختلفان. وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: أن التجسس بالجيم هو البحث، ومنه قيل رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور وبالحاء هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه.

الثاني: أنه بالحاء أن يطلبه لنفسه وبالجيم أن يكون رسولاً لغيره. والتجسس أن يجس الأخبار لنفسه ولغيره.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ والغيبة: ذكر العيب بظهر الغيب، قال الحسن: الغيبة ثلاثة كلها في كتاب الله: الغيبة والإفك والبهتان، فأما الغيبة، فأن تقول في

(٣٢٢) راجع كلام الإمام الشوكاني هنا في معنى الظن فإنه ذكر عدة فوائد (٥/ ٦٤) فتح القدير.

(٣٢٣) وقرأ بها أيضاً أبو رزين والضحاك وابن سيرين وأبو رجاء وأبي معمر. زاد المسير (٧/ ٤٧١).

أخيك ما هو فيه. وإما الإفك، فأن تقول فيه ما بلغك عنه. وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه.

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي [٣٢٤] هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة قال: «**هُوَ أَن تَقُولَ لأَخِيكَ مَا فِيهِ فَإِن كُنتَ صَادِقاً فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِن كُنتَ كَاذِباً فَقَدْ بَهَتَّهُ**».

﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي كما يحرم أكل لحمه ميتاً يحرم غيبته حياً.

الثاني: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حياً، قاله قتادة. واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لأن عادة العرب بذلك جارية قال الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

﴿**فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فكرهتم أكل الميتة، كذلك فاكرهوا الغيبة.

الثاني: فكرهتم أن يعلم بكم الناس فاكرهوا غيبة الناس.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ**﴾ قصد بهذه الآية النهي عن التفاخر بالأنساب، وبين التساوي فيها بأن خلقهم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء.

ثم قال: ﴿**وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ**﴾ فبين أن الشعوب والقبائل للتعارف لا للافتخار، وفيها ثلاثة أوجه:

---

(٣٢٤) رواه أبو داود (٨٧٤) والترمذي (١٥/٢) وقال حسن صحيح وابن جرير (١٣٥/٢٦) واللفظ له ورواه مسلم (٢٠٠١/٤) من حديث وأوله أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول...

أحدها: أن الشعوب النسب الأبعد والقبائل النسب الأقرب، قاله مجاهد وقتادة. وقال الشاعر[٣٢٥]:

قبائل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب

وسموا شعوباً لأن القبائل تشعبت منها.

الثاني: أن الشعوب عرب اليمن من قحطان، والقبيلة ربيعه ومضر وسائر عدنان

الثالث: أن الشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب.

ويحتمل رابعاً: أن الشعوب هم المضافون إلى النواحي والشعاب، والقبائل هم المشتركون في الأنساب، قال الشاعر:

وتفرقوا شعباً فكل جزيرة فيها أمير المؤمنين ومنبر

والشعوب جمع شَعب بفتح الشين، والشِّعب بكسر الشين هو الطريق وجمعه شعاب، فكان اختلاف الجمعين مع اتفاق اللفظين تنبيهاً على اختلاف المعنيين.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ إن أفضلكم، والكرم بالعمل والتقوى لا بالنسب.

۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

(٣٢٥) فتح القدير (٥/٦٧).

وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا. . .﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم أقروا ولم يعملوا، فالإسلام قول والإيمان[٣٢٦] عمل، قاله الزهري.

الثاني: أنهم أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة قبل أن يهاجروا فأعلمهم أن اسمهم أعراب، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم مَنُّوا على رسول الله ﷺ بإسلامهم فقالوا أسلمنا، لم نقاتلك، فقال الله تعالى لنبيه: قل لهم: لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا خوف السيف، قاله قتادة. لأنهم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم، فلم يكونوا مؤمنين، وتركوا القتال فصاروا مستسلمين لا مسلمين، فيكون مأخوذاً من الاستسلام لا من الإسلام كما قال الشاعر:

طال النهار على من لا لقاح له ... إلا الهدية أو ترك بإسلام

ويكون الإسلام والإيمان في حكم الدين على هذا التأويل[٣٢٧] واحداً وهو مذهب الفقهاء، لأن كل واحد منهما تصديق وعمل.

وإنما يختلفان من وجهين:

أحدهما: من أصل الاسمين لأن الإيمان مشتق من الأمن، والإسلام مشتق من السلم.

الثاني: أن الإسلام علم لدين محمد ﷺ والإيمان لجميع الأديان، ولذلك امتنع اليهود والنصارى أن يتسموا بالمسلمين، ولم يمتنعوا أن يتسموا بالمؤمنين. قال الفراء: ونزلت هذه الآية في أعراب بني أسد.

قوله عزوجل: ﴿. . . لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يمنعكم من ثواب عملكم شيئاً، قال رؤبة[٣٢٨]:

(٣٢٦)وفي هذا القول: أنظر كلام الأئمة في قول الزهري.

(٣٢٧)وهو الصواب من القول في ذلك وهو قول أهل السنة والجماعة.

(٣٢٨)مجاز القرآن (٢/٢٢١) والطبري (١٠/٢) (٢٦/١٤٣) اللسان «ليت» زاد المسير (٧/٤٧٧) وفتح القدير (٥/٦٨).

ولـيـلة ذات سـرى سـريـت ولم يلتني عـن سـراهـا لـيت

أي لم يمنعني عن سراها.

الثاني: ولا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً، قال الحطيئة(٣٢٩):

أبلغ سـراة بـني سـعـد مـغـلغـلـة جهـد الـرسـالـة لا ألتاً ولا كـذبـاً

أي لا نقصاً ولا كذباً.

وفيه قراءتان(٣٣٠): ﴿يَلِتْكم﴾ و ﴿يألتكم﴾ وفيها وجهان:

أحدها: [أنهما] لغتان معناهما واحد.

الثاني: يألتكم أكثر وأبلغ من يلتكم.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُم﴾ الآية. هؤلاء أعراب حول المدينة أظهروا الإسلام خوفاً، وأبطنوا الشرك اعتقاداً فأظهر الله ما أبطنوه وكشف ما كتموه، ودلهم بعلمه بما في السموات والأرض علم علمه بما اعتقدوه، وكانوا قد منوا بإسلامهم على رسول الله ﷺ، وقالوا: فضلنا على غيرنا بإسلامنا طوعاً.

فقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ وهذا صحيح لأنه إن كان إسلامهم حقاً فهو لخلاص أنفسهم فلا مِنَّةَ فيه لهم، وإن كان نفاقاً فهو للدفع عنهم، فالمنة فيه عليهم.

ثم قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الله أحق أن يمن عليكم أن هداكم للإيمان حتى آمنتم. وتكون المنة هي التحمد بالنعمة.

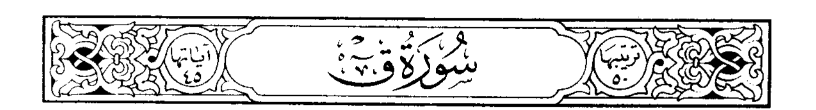
الثاني: أن الله تعالى ينعم عليكم بهدايته لكم، وتكون المنة هي النعمة. وقد يعبر بالمنة عن النعمة تارة وعن التحمد بها أخرى.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعني فيما قلتم من الإيمان.

---

(٣٢٩) روح المعاني (١٦٨/٢٦) فتح القدير (٦٨/٥).

(٣٣٠) راجع الحجة في القراءات ٦٧٦ وزاد المسير (٤٧٧/٧).



مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الآية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿قٓ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم بها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أن معناه قضى والله، كما قيل في حمٓ: حمّ والله، وهذا معنى قول مجاهد.

الرابع: أنه اسم الجبل المحيط بالدنيا، قاله الضحاك.

قال مقاتل: وعروق الجبال كلها منه.

ويحتمل خامساً: أن يكون معناه قف؛ كما قال الشاعر(٣٣١):

(٣٣١) تقدم تخريج هذا البيت في أول سورة البقرة.

قلت لها قفي فقالت قاف ... ...

أي وقفت. ويحتمل ما أريد بوقفه عليه وجهين:

أحدهما: قف على إبلاغ الرسالة لئلا تضجر بالتكذيب.

الثاني: قف على العمل بما يوحى إليك لئلا تعجل بما لم تؤمر به.

﴿وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الكريم، قاله الحسن.

الثاني: أنه مأخوذ من كثرة القدر والمنزلة، لا من كثرة العدد من قولهم فلان كثير في النفوس، ومنه قول العرب في المثل السائر: لها في كل الشجر نار، واستجمد المرخ(٣٣٢) والعفار، أي استكثر هذان النوعان من النار وزاد على سائر الشجر، قاله ابن بحر.

الثالث: أنه العظيم، مأخوذ من قولهم قد مجدت الإبل إذا أعظمت بطونها من كلأ الربيع.

﴿وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾ قسم أقسم الله به تشريفاً له وتعظيماً لخطره لأن عادة جارية في القسم ألا يكون إلا بالمعظم. وجواب القسم محذوف ويحتمل وجهين:

أحدهما: هو أن محمداً رسول الله ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُواْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنهُمْ﴾.

الثاني: أنكم مبعوثون بدليل قوله: ﴿إِءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً﴾.

قوله عز وجل: ﴿بَلْ عَجِبُواْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنهُمْ﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَـٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم عجبوا أن دعوا إلى إلّه واحد، قاله قتادة.

الثاني: عجبوا أن جاءهم منذر منهم، من قبل الله تعالى.

الثالث: أنهم عجبوا من إنذارهم بالبعث والنشور.

قوله عز وجل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من يموت منهم، قاله قتادة.

---

(٣٣٢) وهما نوعان من الشجر إذا ضرب بعضهما ببعض خرج منهما نار.

الثاني: يعني ما تأكله الأرض من لحومهم وتبليه من عظامهم، قاله الضحاك.

﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ يعني اللوح المحفوظ. وفي حفيظ وجهان:

أحدهما: حفيظ لأعمالهم.

الثاني: لما يأكله التراب من لحومهم وأبدانهم وهو الذي تنقصه الأرض منهم.

قوله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ...﴾ الآية. الحق يعني القرآن في قول الجميع.

﴿مَّرِيجٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن المريج المختلط. قاله الضحاك.

الثاني: المختلف، قاله قتادة.

الثالث: الملتبس، قاله الحسن.

الرابع: الفاسد، قاله أبو هريرة. ومنه قول أبي دؤاد[٣٣٣]:

مرج الدين فأعددت له ... مشرف الحارك محبوك الكتد

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من شقوق.

الثاني: من فتوق، قاله ابن عيسى إلا أن الملك تفتح له أبواب السماء عند العروج.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي بسطناها.

---

(٣٣٣) اللسان (مرج).

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال الرواسي الثوابت، واحدها راسية قال الشاعر:

رسا أصله تحت الثرى وسما به ... إلى النجم فرع لا ينال طويل

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي من كل نوع.

﴿بَهِيجٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حسن، مأخوذ من البهجة وهي الحسن.

الثاني: سارّ مأخوذ من قولهم قد أبهجني هذا الأمر أي سرني، لأن السرور يحدث في الوجه من الإسفار والحمرة ما يصير به حسناً. قال الشعبي: الناس نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

قوله عز وجل: ﴿تَبْصِرَةً﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بصيرة للإنسان، قاله مجاهد.

الثاني: نعماً بصر الله بها عباده، قاله قتادة.

الثالث: يعني دلالة وبرهاناً.

﴿وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المنيب المخلص، قاله السدي.

الثاني: أنه التائب إلى ربه، قاله قتادة.

الثالث: أنه الراجع المتذكر، قاله ابن بحر.

وقد عم الله بهذه التبصرة والذكرى وإن خص بالخطاب كل عبد منيب لانتفاعه بها واهتدائه إليها.

قوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَارَكاً﴾ يعني المطر، لأنه به يحيا النبات والحيوان.

﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ فيها هنا وجهان:

أحدهما: أنها البساتين، قاله الجمهور.

الثاني: الشجر، قاله ابن بحر.

﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ يعني البر والشعير، وكل ما يحصد من الحبوب، إذا تكامل واستحصد سمي حصيداً، قال الأعشى:

لسنا كما إياد دارها تكريث ينظر حبه أن يحصدا

قوله عز وجل: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنها الطوال، قاله ابن عباس ومجاهد. قاله الشاعر(٣٣٤):

يا ابن الذين بفضلهم بسقت على قيس فزاره

أي طالت عليهم

(الثاني) أنها التي قد ثقلت من الحمل، قاله عكرمة. وقال الشاعر:

فلما تركنا الدار ظلت منيفة بقران فيه الباسقات المواقر

﴿نَضِيدٌ﴾ أي منضود، فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن النضيد المتراكم المتراكب، قاله ابن عباس في رواية عكرمة عنه.

الثاني: أنه المنظوم، وهذا يروى عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: أنه القائم المعتدل، قاله ابن الهاد.

قوله عز وجل: ﴿رِزْقاً لِلْعِبَادِ﴾ يعني ما أنزله من السماء من ماء مبارك، وما أخرجه من الأرض بالماء من نبات وحب الحصيد وطلع نضيد.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيتاً كَذَلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ جعل هذا كله دليلاً على البعث والنشور من وجهين:

أحدهما: أن النشأة الأولى إذا خلقها من غير أصل كانت النشأة الثانية بإعادة ما له أصل أهون.

الثاني: أنه لما شوهد من قدرته، إعادة ما مات من زرع ونبات كان إعادة من مات من العباد أولى للتكليف الموجب للجزاء.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

---

(٣٣٤) هو ابن نوفل والبيت في اللسان (بسق). والطبري (١٠٣/٢٦).

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُم قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ في الرس وجهان:

أحدهما: أنه كل حفرة في الأرض من بئر وقبر.

الثاني: أنها البئر التي لم تطو بحجر ولا غيره.

وأما أصحاب الرس ففيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنها بئر قتل فيها صاحب ياسين ورسوه، قاله الضحاك.

الثاني: أنهم أهل بئر بأذربيجان، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم قوم باليمامة كانوا لهم آبار، قاله قتادة. قال الزهير[٣٣٥]:

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد في الفم

الرابع: أنهم أصحاب الأخدود.

﴿وَثَمُودُ﴾ وهم قوم صالح، وكانوا عرباً بوادي القرى وما حولها. وثمود مأخوذ من الثمد وهو الماء القليل الكدر، قال النابغة[٣٣٦]:

واحكم بحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الثمد

﴿وَعَادٌ﴾ وهو اسم رجل كان من العماليق كثر ولده، فصاروا قبائل وكانوا باليمن بالأحقاف، والأحقاف الرمال، وهم قوم هود.

﴿فِرْعَوْنُ﴾ وقد اختلف في أصله فحكي عن مجاهد أنه كان فارسياً من أهل إصطخر. وقال ابن لهيعة: كان من أهل مصر وحكي عن ابن عباس أنه عاش ثلاثمائة سنة منها مائتان وعشرون سنة لا يرى ما يقذي عينه، فدعاه موسى ثمانين سنة. وحكى غيره أنه عاش أربعمائة سنة.

واختلف في نسبه فقال بعضهم هو من لخم، وقال آخرون هو من تبَّع.

﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ يعني قومه وأتباعه، قال مجاهد: كانوا أربعمائة ألف بيت، في كل بيت عشرة مردة، فكانوا أربعة آلاف ألف.

---

(٣٣٥) ومعلقة زهير انظر شرح المعلقات السبع لابي بكر الأنباري ص

(٣٣٦) ديوانه: ٢٣

وقوله هنا سراع كذا وقع في المطبوعة وهو خطأ والصواب شراع كما هي رواية الديوان.

وقال عطاء: ما من أحد من الأنبياء إلا وقد يقوم معه قوم إلا لوط فإنه يقوم وحده.

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ والأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف كما قال أبو داود الإيادي:

كأن عرين أيكته تلاقى بها جمعان من نبط وروم

قال قتادة: وكان عامة شجرها الدوم، وكان رسولهم شعيباً، وأرسل إليهم، وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس، وعذبتا بعذابين، أما أهل مدين فأخذتهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكاوس.

﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٍ﴾ وتبع كان رجلاً من ملوك العرب من حِمير، سُمّي تبعاً لكثرة من تبعه. قال وهب: إن تبعاً أسلم وكفر قومه، فلذلك ذكر قومه، ولم يذكر تبع. قال قتادة وهو الذي حير الحيرة وفتح سمرقند حتى أخربها، وكان يكتب إذا كتب: بسم الله الذي تَسمَّى وملك براً وبحراً وضحى وريحاً.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ يعني أن كل هؤلاء كذبوا من أرسل إليهم، فحق عليهم وعيد الله وعذابه. فذكر الله قصص هؤلاء لهذه الأمة، ليعلم المكذبون منهم بالنبي ﷺ. أنهم كغيرهم من مكذبي الرسل إن أقاموا على التكذيب فلم يأمنوا، حتى أرشد الله منهم من أرشد وتبعهم رغباً ورهباً من تبع.

قوله عز وجل: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ أما اللبس فهو اكتساب الشك، ومنه قول الخنساء(٣٣٧):

صدق مقالته واحذر عداوته والبس عليه بشك مثل ما لبسا

والخلق الجديد هو إعادة خلق ثان بعد الخلق الأول. وفي معنى الكلام تأويلان:

أحدهما: أفعجزنا عن إهلاك الخلق الأول، يعني من تقدم ذكره حين كذبوا رسلي مع قوتهم، حتى تشكوا في إهلاكنا لكم مع ضعفكم إن كذبتم، فيكون هذا خارجاً منه مخرج الوعيد.

---

(٣٣٧) ديوانها:

الثاني: معناه أننا لم نعجز عن إنشاء الخلق الأول، فكيف تشكون في إنشاء خلق جديد، يعني بالبعث بعد الموت، فيكون هذا خارجاً مخرج البرهان والدليل.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ الوسوسة كثرة حديث النفس بما لا يتحصل في حفاء وإسرار، ومنه قول رؤبة (٣٣٨):

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق ... ...

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِن حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه حبل معلق به القلب، قاله الحسن. والأصم وهو الوتين.

الثاني: أنه عرق في الحلق، قاله أبو عبيدة.

الثالث: ما قاله ابن عباس، عرق العنق ويسمى حبل العاتق، وهما وريدان عن يمين وشمال، وسمي وريداً، لأنه العرق الذي ينصب إليه ما يرد من الرأس.

وفي قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ تأويلان:

أحدهما(٣٣٩): ونحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه.

---

(٣٣٨) وبقية البيت سراً وقد أو الفقق.
والبيت في اللسان «وسس».

(٣٣٩) معنى هذه الآية أي أن الله قريب بمعنى العلم وليس قرب المكان لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن الجهة والمكان وكما قال سيدنا الإمام علي رضي الله عنه فيما رواه الإمام عبد القاهر التميمي البغدادي «كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان» وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي وهو من السلف الصالح في عقيدته المسمى بيان عقيدة أهل السنة والجماعة قال «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» وهذه الآية كقوله تعالى «وهو معكم أينما كنتم» فهذه المعية ليست على الحقيقة وإلا لزم الحلول

الثاني: ونحن أملك به من حبل وريده، مع استيلائه عليه.

ويحتمل ثالثاً: ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده، الذي هو من نفسه، لأنه عرق يخالط القلب، فعلم الرب أقرب إليه من علم القلب.

قوله عز وجل: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ..﴾ الآية. قال الحسن ومجاهد وقتادة: المتلقيان ملكان يتلقيان عملك، أحدهما عن يمينك، يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك.

قال الحسن: حتى إذا مت طويت صحيفة عملك وقيل لك يوم القيامة: ﴿ٱقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.

وفي ﴿قَعِيدٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه القاعدة، قاله المفضل.

الثاني: المرصد الحافظ، قاله مجاهد. وهو مأخوذ من القعود.

قال الحسن: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار وملكان بالليل.

قوله عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ أي ما يتكلم بشيء، مأخوذ من لفظ الطعام، وهو إخراجه من الفم.

﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المتتبع للأمور.

الثاني: أنه الحافظ، قاله السدي.

الثالث: أنه الشاهد، قاله الضحاك.

وفي ﴿عَتِيدٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه الحاضر الذي لا يغيب.

الثاني: أنه الحافظ المعد إما للحفظ وإما للشهادة.

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله قد أوعده.

والاتحاد وكذلك هي كقوله تعالى «والله من ورائهم محيط». وكذلك ما ورد في البخاري «فإنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وحديث آخر «فإنه أقرب إلى أحدكم من شراك نعله». ولذا فلا يصح أن يقال في كل هذه الآيات والأحاديث أن القرب مكاني.

الثاني: أن يكون الحق هو الموت، سمي حقاً، إما لاستحقاقه، وإما لانتقاله إلى دار الحق. فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: وجاءت سكرة الحق بالموت، ووجدتها في قراءة ابن مسعود كذلك.

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه كان يحيد من الموت، فجاءه الموت.

الثاني: أنه يحيد من الحق، فجاءه الحق عند المعاينة.

وفي معنى التحيد وجهان:

أحدهما: أنه الفرار، قاله الضحاك.

(الثاني): العدول، قاله السدي. ومنه قول الشاعر:

ولقد قلت حين لم يك عنه   لي ولا للرجال عنه محيد.

فروى عاصم بن أبي بهدلة، عن أبي[٣٤٠] وائل، أن عائشة قالت عند أبيها وهو يقضي:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى   إذا حشرجت يوماً، وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر: [هلا قلت كما قال الله][*] ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أما السائق ففيه قولان:

أحدهما: أنه ملك يسوقه إلى المحشر[٣٤١]، قاله أبو هريرة وابن زيد.

الثاني: أنه أمر من الله يسوقه إلى موضع الحساب، قاله الضحاك.

وأما الشهيد ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه ملك يشهد عليه بعمله، وهذا قول عثمان بن عفان والحسن.

الثاني: أنه الإنسان[٣٤٢]، يشهد على نفسه بعمله، رواه أبو صالح.

(٣٤٠) رواه الطبري (٢٦/ ١٦٠).

(*) عبارة يقتضيها السياق اخذناها من تفسير القرطبي.

(٣٤١) ورجحه ابن كثير (٢٦/ ١٦١) واختاره ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

(٣٤٢) واختاره ابن جرير (٢٦/ ١٦١).

الثالث: أنها الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله بنفسه، قاله أبو هريرة.

ثم في الآية قولان:

أحدهما: أنها عامة في المسلم والكافر، وهو قول الجمهور.

الثاني: أنها خاصة في الكافر، قاله الضحاك.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الكافر، كان في غفلة من عواقب كفره، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه[٣٤٣] النبي ﷺ، كان في غفلة عن الرسالة مع قريش في جاهليتهم، قاله عبد الرحمن بن زيد.

ويحتمل ثالثاً: لقد كنت أيها الإنسان في غفلة عن أن كل نفس معها سائق وشهيد لأن هذا لا يعرف إلا بالنصوص الإلٓهية.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه إذا كان في بطن أمه فولد، قاله السدي.

الثاني: إذا كان في القبر فنشر، وهذا معنى قول ابن عباس.

الثالث: أنه وقت العرض في القيامة، قاله مجاهد.

الرابع: أنه نزول الوحي وتحمل الرسالة، وهذا معنى قول ابن زيد.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وفي المراد بالبصر هنا وجهان:

أحدهما: بصيرة القلب لأنه يبصر بها من شواهد الأفكار، ونتائج الاعتبار ما تبصر العين ما قابلها من الأشخاص والأجسام، فعلى هذا في قوله: ﴿حَدِيدٌ﴾ تأويلان:

أحدهما: سريع كسرعة مور الحديد.

الثاني: صحيح كصحة قطع الحديد.

الوجه الثاني: أن المراد به بصر العين وهو الظاهر، فعلى هذا في قوله: ﴿حَدِيدٌ﴾ تأويلان:

أحدهما: شديد، قاله الضحاك.

الثاني: بصير، قاله ابن عباس.

---

(٣٤٣) ولكن عقب الآلوسي رحمه الله على هذا القول (٢٦/١٨٤) فراجعه.

وماذا يدرك البصر؟ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يعاين الآخرة، قاله قتادة.

الثاني: لسان الميزان، قاله الضحاك.

الثالث: ما يصير إليه من ثواب أو عقاب، وهو معنى قول ابن عباس.

الرابع: ما أمر به من طاعة وحذره من معصية، وهو معنى قول ابن زيد.

الخامس: العمل الذي كان يعمله في الدنيا، قاله الحسن.

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أما قرينه ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الملك الشهيد عليه، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنه قرينه الذي قيض له من الشياطين، قاله مجاهد.

الثالث: أنه قرينه من الإنس، قاله ابن زيد في رواية ابن وهب عنه.

وفي قوله: ﴿هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ وجهان:

أحدهما: هذا الذي وكلت به أحضرته، قاله مجاهد.

الثاني: هذا الذي كنت أحبه ويحبني قد حضر، قاله ابن زيد.

قوله عز وجل: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ في ألقيا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن المأمور بألقيا كل كافر في النار ملكان.

الثاني: يجوز أن يكون واحد ويؤمر بلفظ الاثنين كقول الشاعر[٣٤٤]:

فإن تزجراني يابن عفان أنزجر ... وإن تدعاني أحم عرضاً ممنعاً

الثالث: أنه خارج مخرج تثنية القول على معنى قولك ألق ألق، قف قف،

(٣٤٤) هو أبو ثروان سويد بن كراع والبيت في مشكل القرآن ص ٢٢٥. والطبري (١٦٥/٢٦) وروح المعاني (١٨٥/٢٦) وفتح القدير (٧٧/٥) وزاد المسير (١٦/٨).

تأكيداً للأمر. والكفار [بفتح الكاف](*) أشد مبالغة من الكافر.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن الكفار الذي كفر بالله ولم يطعه، وكفر بنعمه ولم يشكره.

الثاني: أنه الذي كفر بنفسه وكفر غيره بإغوائه.

وأما العنيد ففيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه المعاند للحق، قاله بعض المتأخرين.

الثاني: أنه المنحرف عن الطاعة، قاله قتادة.

الثالث: أنه الجاحد المتمرد، قاله الحسن.

الرابع: أنه المشاق، قاله السدي.

الخامس: أنه المعجب بما عنده المقيم على العمل به، قاله ابن بحر.

فأما العاند ففيه وجهان:

أحدهما: أنه الذي يعرف بالحق ثم يجحده.

الثاني: أنه الذي يدعى إلى الحق فيأباه.

قوله عز وجل: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخير﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه منع الزكاة المفروضة، قاله قتادة.

الثاني: أن الخير المال كله، ومنعه حبسه عن النفقة في طاعة الله، قاله بعض المتأخرين.

الثالث: محمول على عموم(٣٤٥) الخير من قول وعمل.

﴿مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾ في المريب ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الشاك في الله، قاله السدي.

الثاني: أنه الشاك في البعث، قاله قتادة.

الثالث: أنه المتهم. قال الشاعر(٣٤٦):

بثينة قالت يا جميل أربتنا فقلت كلانا يا بثين مريب

(*) زيادة للايضاح.

(٣٤٥) وهو أولى لأنه أعم.

(٣٤٦) تقدم تخريج هذا الحديث في سورة البقرة.

وأرينا من لا يؤدي أمانة ولا يحفظ الأسرار حين يغيب

قال الضحاك: هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي حين استشاره بنو أخيه في الدخول في الإسلام فمنعهم.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن اختصامهم هو اعتذار كل واحد منهم فيما قدم من معاصيه، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه تخاصم كل واحد مع قرينه الذي أغواه في الكفر، قاله أبو العالية. فأما اختصامهم في مظالم الدنيا، فلا يجوز أن يضاع لأنه يوم التناصف.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الوعيد الرسول، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه القرآن، قاله جعفر بن سليمان.

الثالث: أنه الأمر والنهي، قاله ابن زيد.

ويحتمل رابعاً: أنه الوعد بالثواب والعقاب.

قوله عز وجل: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فيما أوجه من أمر ونهي، وهذا معنى قول ابن زيد.

الثاني: فيما وعد به من طاعة ومعصية، وهو محتمل.

الرابع: في أن بالحسنة عشر أمثالها وبخمس الصلوات خمسين صلاة، قاله قتادة.

﴿وَمَآ أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما أنا بمعذب من لم يجرم، قاله ابن عباس.

الثاني: ما أزيد في عقاب مسيء ولا أنقص من ثواب محسن، وهو محتمل.

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هل يزاد إلى من ألقي غيرهم؟ فالاستخبار عمن بقي، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: معناه إني قد امتلأت، ممن ألقي في، فهل أسع غيرهم؟ قاله مقاتل.

الثالث: معناه هل يزاد في سعتي؟ لإلقاء غير من ألقي في، قاله معاذ.

وفي قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ وجهان:

أحدهما: أن[٣٤٧] زبانية جهنم قالوا هذا.

الثاني: أن حالها كالمناطقة بهذا القول، كما قال الشاعر[٣٤٨]:

امتلأ الحوض وقال قطني   مهلاً رويداً قد ملأت بطني

قوله عز وجل: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ في الأواب الحفيظ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الذاكر ذنبه في الخلاء، قاله الحكم.

الثاني: أنه الذي إذا ذكر ذنباً تاب واستغفر الله منه، قاله ابن مسعود ومجاهد والشعبي.

الثالث: أنه الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله فيه، قاله عبيد بن عمير.

وأما الحفيظ هنا ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المطيع فيما أمر، وهو معنى قول السدي.

الثاني: الحافظ لوصية الله بالقبول، وهو معنى قول الضحاك.

الثالث: أنه الحافظ لحق الله بالاعتراف ولنعمه بالشكر، وهو معنى قول

---

(٣٤٧) ولماذا هذا   عن الظاهر ولا دليل إلى حرف الظاهر عن معناه وقد أخبرنا النبي ﷺ بأن الجنة والنار قد اختصمتا وتحاجتا وهذا كله يدل على أنهما تكلما بكلام حقيقي لكن لا ندري كيفيته وكذا تتكلم جهنم يوم القيامة كما أخبر ربنا بذلك.

(٣٤٨) تقدم تخريج هذا البيت.

مجاهد. وروى مكحول عن أبي هريرة[٣٤٩] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ أَرْبعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ ٱلنَّهَارِ كَانَ أَوَّاباً حَفِيظاً».

قوله عز وجل: ﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الذي يحفظ نفسه من الذنوب في السر كما يحفظها في الجهر.

الثاني: أنه التائب في السر من ذنوبه إذا ذكرها، كما فعلها سراً.

ويحتمل ثالثاً: أنه الذي يستتر بطاعته لئلا يداخلها في الظاهر رياء. ووجدت فيه لبعض المتكلمين.

رابعاً: أنه الذي أطاع الله بالأدلة ولم يره.

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المنيب المخلص، قاله السدي.

الثاني: أنه المقبل على الله، قاله سفيان:

الثالث: أنه التائب، قاله قتادة.

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ﴾ يعني ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم.

﴿وَلَدَينَا مَزِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المزيد من يزوج بهن من الحور العين، رواه أبو سعيد[٣٥٠] الخدري مرفوعاً.

الثاني: أنها الزيادة التي ضاعفها الله من ثوابه بالحسنة عشر أمثالها.

وروى أنس[٣٥١] عن النبي ﷺ أن جبريل أخبره: أن يوم الجمعة يدعى في الآخرة يوم المزيد. وفيه وجهان:

أحدهما: لزيادة ثواب العمل فيه.

---

(٣٤٩) وهو حديث منقطع بين مكحول وأبي هريرة... ولم أظفر إلى الآن بمن خرجه والله أعلم.

(٣٥٠) رواه ابن جرير (٢٦/١٧٥) وزاد السيوطي في الدر (٧/٦٠٥) نسبته لابن يعلى وأحمد وحسن سنده قلت وفي سنده دراج أبو السمح وهو صاحب مناكير وقد رواه عن أبي الهيثم وهو ضعيف فيه خاصة.

(٣٥١) رواه الطبري (٢٦/١٧٥) وفي سنده عثمان بن عمير وهو ضعيف وزاد السيوطي في الدر (٧/٦٠٥) نسبته للشافعي في الأم وابن أبي شيبة وأبي يعلى وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن المنذر والطبراني في الأوسط والآجري في الشريعة والبيهقي في الرؤية وأبي نصر السجزي في الإيمان وقال السيوطي من طرق جيدة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ.

الثاني: لما روي أن الله تعالى يقضي فيه بين خلقه يوم القيامة.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَادِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أثروا في البلاد، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم ملكوا في البلاد، قاله الحسن.

الثالث: ساروا في البلاد وطافوا، قاله قتادة، ومنه قول امرىء القيس[٣٥٢]:

وقد نقبت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

الرابع: أنهم اتخذوا فيها طرقاً ومسالك، قاله ابن جريج.

ويحتمل خامساً: أنه اتخاذ الحصون والقلاع.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هل من منجٍ من الموت، قاله ابن زيد.

الثاني: هل من مهرب، قال معمر عن قتادة: حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله تعالى لهم مدركاً.

الثالث: هل من مانع؟ قال سعيد عن قتادة: حاص الفجرة، فوجدوا أمر الله منيعاً.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لمن كان له عقل، قاله مجاهد، لأن القلب محل العقل.

---

(٣٥٢) ديوانه: ٩٩ واللسان «تعب» والطبري (١٧٦/٢٦) معاني القرآن ص ٣١٠ مجاز القرآن (٢٢٤/٢) مختار الشعر الجاهلي (٨٠/١).

الثاني: لمن كانت له حياة ونفس مميزة، فعبر عن النفس الحية بالقلب لأنه وطنها ومعدن حياتها. كما قال امرؤ القيس(٣٥٣):

أغـرك مـنـي أن حـبـك قـاتـلي وأنـك مهما تـأمـري القلب يفعـل

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ألقى السمع فيما غاب عنه بالأخبار، وهو شهيد فيما عاينه بالحضور.

الثاني: معناه سمع ما أنزل الله من الكتب وهو شهيد بصحته.

الثالث: سمع ما أنذر به من ثواب وعقاب، وهو شهيد على نفسه بما عمل من طاعة أو معصية.

وفي الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها في جميع أهل الكتب، قاله قتادة.

الثاني: أنها في اليهود والنصارى خاصة، قاله الحسن.

الثالث: أنها في أهل القرآن خاصة، قاله محمد بن كعب وأبو صالح.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ واللغوب التعب والنصب: قال الراجز.

إذا رقى الحـادي الـمـطي اللغبـا وانـتـعـل الـظل فـصـار جـوربـا

قال قتادة والكلبي: نزلت هذه الآية في يهود المدينة، زعموا أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، واستراح في يوم السبت، ولذلك جعلوه يوم راحة، فأكذبهم الله في ذلك.

قوله عز وجل: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، أمر فيه بالصبر على ما يقوله المشركون، إما من تكذيب أو وعيد.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ الآية. وهذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ، فهو عام له ولأمته.

وفي هذا التسبيح وجهان:

أحدهما: أنه تسبيحه بالقول تنزيهاً قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، قاله أبو الأحوص.

---

(٣٥٣) ديوانه ص ١٣ والبيت في معلقته المشهورة.

الثاني: أنها الصلاة ومعناه فصلِّ بأمر ربك قبل طلوع الشمس، يعني صلاة الصبح، وقبل الغروب، يعني صلاة العصر، قاله أبو صالح ورواه جرير بن عبدالله مرفوعاً(٣٥٤).

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه تسبيح الله تعالى قولاً في الليل، قاله أبو الأحوص.

الثاني: أنها صلاة الليل، قاله مجاهد.

الثالث: أنها ركعتا الفجر، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها صلاة العشاء الآخرة، قاله ابن زيد.

ثم قال ﴿وَأَدْبَارَ ٱلسُّجُودِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه التسبيح في أدبار الصلوات، قاله أبو الأحوص.

الثاني: أنها النوافل بعد المفروضات، قاله ابن زيد.

الثالث: أنها ركعتان بعد المغرب، قاله علي رضي الله عنه وأبو هريرة.

وروى ابن عباس(٣٥٥) قال: بت ليلة عند رسول الله ﷺ، فصلى ركعتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة فقال: «يا ابن عباس **رَكْعَتَانِ قَبْلَ ٱلْفَجْرِ أَدْبَارَ ٱلنُّجُومِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ ٱلْمَغْرِبِ أَدْبَارَ ٱلسُّجُودِ**».

وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ

(٣٥٤)رواه الطبراني في الأوسط وقال في المجمع (٧/١١٢) وفيه داود بن الزبرقان وهو متروك وزاد السيوطي في الدر (٧/٦١٠) نسبته لابن عساكر.

(٣٥٥)رواه ابن جرير (٢٦/١٨١) والترمذي (٣٢٧١) والحاكم (١/٣٢٠)وصححه وزاد في الدر (٧/٦١٠) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه. وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال الحافظ ابن كثير (٤/٢٣٠) وحديث ابن عباس رضي الله عنهما وأنه بات في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها وصلى تلك الليلة مع النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة ثابت في الصحيحين وغيرهما فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه والله أعلم.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ هذه الصيحة التي ينادي بها المنادي من مكان قريب هي النفخة الثانية التي للبعث إلى أرض المحشر.

ويحتمل وجهاً آخر، أنه نداؤه في المحشر للعرض والحساب.

وفي قوله: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه يسمعها كل قريب وبعيد، قال ابن جريج.

الثاني: أن الصيحة من مكان قريب. قال قتادة: كنا نحدث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الأرض: يا أيتها العظام البالية، قومي لفصل القضاء وما أعد من الجزاء. وحدثنا، أن كعباً[٣٥٦] قال: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بقول الحق.

الثاني: بالبعث الذي هو حق.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الخروج من القبور.

الثاني: أن الخروج من أسماء القيامة. قال العجاج:

وليس يوم سمي الخروجا … أعظم يوم رجه رجوجا

قوله عز وجل: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: نحن أعلم بما يجيبونك من تصديق أو تكذيب.

الثاني: بما يسرونه من إيمان أو نفاق.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني برب، قاله الضحاك، لأن الجبار هو الله تعالى سلطانه.

(٣٥٦) رواه الطبري (٢٦/١٨٣) عن قتادة عن كعب الأحبار مطولاً ومختصراً عن بريدة رضي الله عنه وقال في روح المعاني (٢٦/١٩٤) معقباً على هذا القول «وأنت تعلم أن مثل هذا لا يقبل إلا بوحي ثم إن كونها وسط الأرض مما تأباه القواعد في معرفة الأرض والأطوال.

الثاني: متجبر عليهم متسلط، قاله مجاهد. ولذلك قيل لكل متسلط جبار. قال الشاعر[٣٥٧]:

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من صعره فتقوما

وهو في صفات المخلوقين ذم.

الثالث: أنك لا تجبرهم على الإسلام من قولهم قد جبرته على الأمر إذا قهرته على أمر، قاله الكلبي.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ الوعيد العذاب، والوعد الثواب. قال الشاعر[٣٥٨]:

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

قال قتادة: اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك. وروي أنه قيل[٣٥٩]: يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

(٣٥٧) هو الملتمس وقيل عمرو بن حني التغلبي.

(٣٥٨) هو عامر بن الطفيلي والبيت في اللسان «وعد».

(٣٥٩) رواه الطبري (٢٦/١٨٥).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا**﴾ الذاريات: الرياح، واحدتها ذارية لأنها تذرو التراب والتبن أي تفرقه في الهواء، كما قال تعالى: ﴿**فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**﴾ [الكهف: ٤٥].

وفي قوله ﴿**ذَرْواً**﴾ وجهان:

أحدهما: مصدر.

الثاني: أنه بمعنى ما ذرت، قاله الكلبي. فكأنما أقسم بالرياح وما ذرت الرياح.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الذاريات النساء الولودات لأن في ترائبهن ذرو الخلق، لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات، وأقسم بهن لما في ترائبهن من خيرة عباده

الصالحين، وخص النساء بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذارياً لأمرين.

أحدهما: لأنهن أوعية دون الرجال فلاجتماع الذروين خصصن بالذكر.

الثاني: أن الذرو فيهن أطول زماناً وهن بالمباشرة أقرب عهداً.

﴿فَٱلْحَامِلَاتِ وِقْراً﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها السحب [يحملن] وِقْراً بالمطر. الثاني أنها الرياح [يحملن] وِقْراً بالسحاب، فتكون الريح الأولى مقدمة السحاب لأن أمام كل سحابة ريحاً، والريح الثانية حاملة السحاب. لأن السحاب لا يستقل ولا يسير إلا بريح. وتكون الريح الثانية تابعة للريح الأولى من غير توسط، قاله ابن بحر.

ويجري فيه احتمال قول:

ثالث: أنهن الحاملات من النساء إذا ثقلن بالحمل، والوقر ثقل الحمل على ظهر أو في بطن، وبالفتح ثقل الأذن.

﴿فَٱلْجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ فيها قولان:

أحدهما: السفن تجري بالرياح يسراً إلى حيث سيرت.

الثاني: أنه السحاب، وفي جريها يسراً على هذا القول وجهان:

أحدهما: إلى حيث يسيرها الله تعالى من البقاع والبلاد.

الثاني: هو سهولة تسييرها، وذلك معروف عند العرب كما قال الأعشى[٣٦٠]:

كأن مشيتها من بيت جارتها مشي السحابة لا ريث ولا عجل

﴿فَٱلْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه السحاب يقسم الله به الحظوظ بين الناس.

الثاني: الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه، قاله الكلبي. وهم: جبريل وهو صاحب الوحي والغلظة[٣٦١]، وميكائيل وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل وهو صاحب الصور واللوح، وعزرائيل[٣٦٢] وهو ملك الموت وقابض الأرواح، عليهم السلام.

---

(٣٦٠) ديوانه: ١٣٠ وفي الشطر الثاني فيه: مَرُّ السحابة.

(٣٦١) أي الغلظة القوة على الكافرين.

(٣٦٢) ولم يرد اسمه هذا في حديث صحيح مرفوع ولعل هذا الاسم من الإسرائيليات كما قال بعض العلماء.

والواو التي فيها واو القسم، أقسم الله بها لما فيها من الآيات والمنافع.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن يوم القيامة لكائن، قاله مجاهد.

الثاني: ما توعدون من الجزاء بالثواب والعقاب حق، وهذا جواب القسم.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن الحساب لواجب، قاله مجاهد.

الثاني: [أن] الدين الجزاء ومعناه أن جزاء أعمالكم بالثواب والعقاب لكائن، وهو معنى قول قتادة، ومنه قول لبيد.

قوم يدينون بالنوعين مثلهما   بالسوء سوء وبالإحسان إحسانا

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ في السماء ها هنا وجهان:

أحدهما: أنها السحاب الذي يظل الأرض.

الثاني: وهو المشهور أنها السماء المرفوعة، قال عبدالله بن عمر: هي السماء السابعة.

وفي ﴿ٱلْحُبُكِ﴾ سبعة أقاويل:

أحدها: أن الحبك الاستواء، وهو مروي عن ابن عباس على اختلاف.

الثاني: أنها الشدة، وهو قول أبي صالح.

الثالث: الصفاقة، قاله خصيف.

الرابع: أنها الطرق، مأخوذ من حبك الحمام طرائق على جناحه، قاله الأخفش وأبو عبيدة.

الخامس: أنه الحسن والزينة، قاله علي وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير ومنه قول الراجز(٣٦٣):

كأنما جللها الحواك   كنفشة في وشيها حباك

---

(٣٦٣) الطبري (٢٦/١٨٩) وفتح القدير (٥/٨٣) قوله كنفشة لعله خطأ والصواب كطنفسة كذا هو في الطبري وفتح القدير والقرطبي.

السادس: أنه مثل حبك الماء إذا ضربته الريح، قاله الضحاك. قال زهير[٣٦٤]:

مكلل بأصول النجم تنسجه ريح الشمال لضاحي مائة حبك

السابع: لأنها حبكت بالنجوم، قاله الحسن. وهذا قسم ثان.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني في أمر مختلف، فمطيع وعاص، ومؤمن وكافر، قاله السدي.

الثاني: أنه القرآن فمصدق له ومكذب به، قاله قتادة.

الثالث: أنهم أهل الشرك مختلف عليهم بالباطل، قاله ابن جريج.

ويحتمل رابعاً: أنهم عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره. وهذا جواب القسم الثاني.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها يضل عنه من ضل، قاله ابن عباس.

الثاني: يصرف عنه من صرف، قاله الحسن.

الثالث: يؤفن عنه من أفن، قاله مجاهد، والأفن فساد العقل.

الرابع: يخدع عنه من خدع، قاله قطرب.

الخامس: يكذب فيه من كذب، قاله مقاتل.

السادس: يدفع عنه من دفع، قاله اليزيدي.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: لعن المرتابون، قاله ابن عباس.

الثاني: لعن الكذابون، قاله الحسن.

الثالث: أنهم أهل الظنون والفرية، قاله قتادة.

الرابع: أنهم المنهمكون، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

وقوله: ﴿قُتِلَ﴾ ها هنا، بمعنى لعن، والقتل اللعن. وأما الخراصون فهو جمع خارص. وفي الخرص ها هنا وجهان.

---

(٣٦٤) روح المعاني (٢٦/٤) والشطر الثاني فيه:

ريح خريف بدلاً من ريح الشمال والخريف هي الباردة الشديدة الهبوب

أحدهما: أنه تعمد الكذب، قاله الأصم.

الثاني: ظن الكذب، لأن الخرص حزر وظن، ومنه أخذ خرص الثمار.

وفيما يخرصونه وجهان:

أحدهما: تكذيب الرسول ﷺ.

الثاني: التكذيب بالبعث. وفي معنى الأربع تأويلات وقد تقدم ذكرها في أولها.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في غفلة لاهون، قاله ابن عباس.

الثاني: في ضلالاتهم متمادون، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: في عمى وشبهة يترددون، قاله قتادة.

ويحتمل رابعاً: الذين هم في مأثم المعاصي ساهون عن أداء الفرائض.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي متى يوم الجزاء. وقيل: إن أيان كلمة مركبة من أي وآن.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ في ﴿يُفْتَنُونَ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أي يعذبون، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر:

كل امرىء من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور ومفتون

الثاني: يطبخون ويحرقون، كما يفتن الذهب بالنار، وهو معنى قول عكرمة والضحاك.

الثالث: يكذبون توبيخاً وتقريعاً زيادة في عذابهم.

﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ الآية. فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معنى فتنتكم أي عذابكم، قاله ابن زيد.

الثاني: حريقكم، قاله مجاهد.

الثالث: تكذيبكم، قاله ابن عباس.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ

حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الفرائض، قاله ابن عباس.

الثاني: من الثواب، قاله الضحاك.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي قبل الفرائض محسنين بالإجابة، قاله ابن عباس.

الثاني: قبل يوم القيامة محسنين بالفرائض، قاله الضحاك.

﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: راجع على ما تقدم من قوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُواْ قَلِيلاً﴾ بمعنى أن المحسنين كانوا قليلاً، ثم استأنف: من الليل ما يهجعون، قاله الضحاك.

الثاني: أنه خطاب مستأنف بعد تمام ما تقدمه، ابتداؤه كانوا قليلاً، الآية.

والهجوع: النوم، قال الشاعر:

أزالكم الوسمي أحدث روضه بليل وأحداق الأنام هجوع

وفي تأويل ذلك أربعة أوجه:

أحدها ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ أي يستيقظون فيه فيصلون ولا ينامون إلا قليلاً، قاله الحسن.

الثاني: أن منهم قليلاً ما يهجعون للصلاة في الليل وإن كان أكثرهم هجوعاً، قاله الضحاك.

الثالث: أنهم كانوا في قليل من الليل ما يهجعون حتى يصلوا صلاة المغرب وعشاء الآخرة، قاله أبو مالك.

الرابع: أنهم كانوا قليلاً يهجعون، وما: صلة زائدة، وهذا لما كان قيام الليل

فرضاً. وكان أبو ذر يحتجن يأخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصة ﴿قُمِ ٱللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً﴾.

﴿وَبِٱلأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وبالأسحار هم يصلون، قاله الضحاك.

الثاني: أنهم كانوا يؤخرون الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر ليستغفروا فيه، قاله الحسن.

قال ابن زيد: وهو الوقت الذي أخر يعقوب الاستغفار لبنيه حتى استغفر لهم فيه حين قال لهم ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨]. قال ابن زيد: والسحر السدس الأخير من الليل. وقيل إنما سمي سحراً لاشتباهه بين النور والظلمة.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها الزكاة، قاله ابن سيرين وقتادة وابن أبي مريم.

الثاني: أنه حق سوى الزكاة تصل به رحماً أو تقري به ضيفاً أو تحمل به كلاًّ أو تغني به محروماً، قاله ابن عباس.

﴿لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ أما السائل فهو مَن يسأل الناس لفاقته، وأما المحروم، ففيه ثمانية أقوال:

أحدها: المتعفف الذي يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته، قاله قتادة.

الثاني: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم، قاله الحسن ومحمد بن الحنفية. وروي أن النبي ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعدما فرغوا فنزلت الآية.

الثالث: أنه من ليس له سهم في الإسلام، قاله ابن عباس.

الرابع: المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه، وهذا قول عائشة.

الخامس: أنه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

السادس: أنه المصاب بثمره وزرعه يعينه من لم يصب، قاله ابن زيد:

السابع: أنه المملوك، قاله عبد الرحمن بن حميد.

الثامن: أنه الكلب، روي أن عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجاء كلب فاحتز عمر كتف شاة فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم(٣٦٥).

ويحتمل تاسعاً: أنه من وجبت نفقته بالفقر من ذوي الأنساب لأنه قد حرم كسب نفسه، حتى وجبت نفقته في مال غيره.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٌ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ يعني عظات للمعتبرين من أهل اليقين وفيها وجهان:

أحدهما: ما فيها من الجبال والبحار والأنهار، قاله مقاتل.

الثاني: من أهلك من الأمم السالفة وأباد من القرون الخالية، قاله الكلبي.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه سبيل الغائط والبول، قاله ابن الزبير ومجاهد.

الثاني: تسوية مفاصل أيديكم وأرجلكم وجوار حكم دليل على أنكم خلقتم لعبادته، قاله قتادة

الثالث: في خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، قاله ابن زيد.

الرابع: في حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من طعامكم، قاله السدي.

الخامس: في الكبر بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والشيب بعد السواد، قاله الحسن.

ويحتمل سادساً: أنه نجح العاجز وحرمان الحازم.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق فهو رزق لهم من السماء، قاله سعيد بن جبير والضحاك.

الثاني: يعني أن من عند الله الذي في السماء رزقكم.

---

(٣٦٥) قال الشوكاني رحمه الله (٨٥/٥) واختلف في تفسير المحروم... ثم قال.. والذي ينبغي التعويل عليه ما يدل عليه المعنى اللغوي فالمحروم في اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع فيدخل تحته من حرم الرزق من الأصل ومن أصيب ماله بجائحة فأذهبته ومن حرم العطاء ومن حرم الصدقة لتعففه ا هـ. وبنحوه قال ابن جرير (٢٠٤/٢٦).

ويحتمل وجهاً ثالثاً: وفي السماء تقدير رزقكم وما قسمه لكم مكتوب في أم الكتاب.

وأما قوله ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من خير وشر، قاله مجاهد.

الثاني: من جنة ونار، قاله الضحاك.

الثالث: من أمر الساعة، قاله الربيع.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما جاء به الرسول من دين وبلغه من رسالة.

الثاني: ما عد الله عليهم في هذه السورة من آياته وذكره من عظاته. قال الحسن: بلغني(٣٦٦) أن رسول الله ﷺ قال: «**قَاتَلَ ٱللَّهُ أَقْوَاماً أَقْسَمَ لَهُم رَبُّهُمْ [بِنَفْسِهِ] ثُمَّ لَمْ يُصَدِّقُوهُ**».

وقد كان قس بن ساعدة في جاهليته ينبه بعقله على هذه العبر فاتعظ واعتبر، فروي عن النبي ﷺ أنه قال(٣٦٧): «**رَأَيْتُهُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ بِعُكَاظَ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ ٱسْمَعُواْ وَعُوا، مِنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَن مَّاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ ءَاتٍ ءَاتٍ، مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ؟ أَرَضُواْ بِالإِقَامَةِ فَأَقَامُواْ؟ أَمْ تُرِكُوا فَنَاموا؟ إِنَّ فِي السَّمَآءِ لَخَبَراً، وَإِنَّ فِي ٱلْأَرْضِ لَعِبَراً، سَقْفٌ مَرْفُوعٌ، وَلَيلٌ مَوضُوعٌ، وَبِحَارٌ تَثُورُ، وَنُجُومٌ تَحُورُ ثُمَّ تَغُورُ، أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً مَا ءَاثَمُ فِيهِ، إِنَّ لِلَّهِ دِيناً هُوَ أَرْضَىٰ مِن دِينٍ أَنتُم عَلَيهِ. ثُمَّ تَكَلَّمَ بِأَبْيَاتِ شِعْرٍ مَا أَدْرِي مَا هِيَ**»، فقال أبو بكر: كنت حاضراً إذ ذاك والأبيات عندي وأنشد:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إليَّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

---

(٣٦٦) رواه الطبري (٢٦/٢٠٦) وزاد السيوطي في الدر (٧/٦١٩) نسبته لابن أبي حاتم وزاد ابن كثير (٤/٢٣٥) نسبته لمسدد والخير بلاغ كما ترى.

(٣٦٧) هذه الخطبة ذكرها ابن إسحاق في السيرة.

فقال النبي ﷺ: «يُبْعَثُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ». ونحن نسأل الله تعالى مع زاجر العقل ورادع السمع أن يصرف نوازع الهوى ومواقع البلوى. فلا عذر مع الإنذار، ولا دالة مع الاعتبار، وأن تفقهن الرشد تدرك فوزاً منه وتكرمة.

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ قال عثمان بن محسن(*): كانوا أربعة من الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل ورفائيل.

وفي قوله ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ وجهان:

أحدهما: أنهم عند الله المعظمون.

الثاني: مكرمون لإكرام إبراهيم لهم حين خدمهم بنفسه، قاله مجاهد.

قال عطاء: وكان إبراهيم إذا أراد أن يتغدى، أو يتعشى خرج الميل والميلين والثلاثة، فيطلب من يأكل معه.

قال عكرمة: وكان إبراهيم يكنى أبا الضيفان، وكان لقصره أربعة أبواب لكي لا يفوته أحد.

وسمي الضيف ضيفاً، لإضافته إليك وإنزاله عليك(٣٦٨).

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيهِ فَقَالُواْ سَلاَماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ، قاله الأخفش، أي مسالمين غير محاربين لتسكن نفسه.

(*) وفي تفسير القرطبي «حصين».

(٣٦٨) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٢٣٥) وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل.

الثاني: أنه دعا لهم بالسلامة، وهو قول الجمهور، لأن التحية بالسلام تقتضي السكون والأمان، قال الشاعر[٣٦٩]:

أظلوم إن مصابكم رجلاً   أهدى السلام تحية ظلم

فأجابهم إبراهيم عن سلامتهم بمثله:

﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ لأنه رآهم على غير صورة البشر وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم، فنكرهم وقال ﴿قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أي قوم لا يعرفون.

الثاني: أي قوم يخافون، يقال أنكرته إذا خفته، قال الشاعر[٣٧٠]:

فأنكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصلعا

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فعدل إلى أهله، قاله الزجاج.

الثاني: أنه أخفى ميله إلى أهله.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أما العجل ففي تسميته بذلك وجهان:

أحدهما: لأن بني إسرائيل عجلوا بعبادته.

الثاني: لأنه عجل في اتباع أمه.

قال قتادة: جاءهم بعجل لأن كان عامة مال إبراهيم البقر، واختاره لهم سميناً زيادة في إكرامهم، وجاء به مشوياً، وهو محذوف من الكلام لما فيه من الدليل عليه.

فروى عون بن أبي شداد أن جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج، حتى لحق بأمه، وأم العجل في الدار.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيهِم قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ لأنهم امتنعوا من الأكل لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، فروى مكحول أنهم قالوا لا نأكله إلا بثمن، قال كلوا فإن له ثمناً، قالوا وما ثمنه؟ قال: إذا وضعتم أيديكم أن تقولوا: بسم الله، وإذا فرغتم أن تقولوا: الحمد لله، قالوا: بهذا اختارك الله يا إبراهيم.

---

(٣٦٩) هو العرجي والبيت من شواهد مغني اللبيب (٢/ ٥٣٩).

(٣٧٠) هو الأعشى والبيت في ديوانه ١٠٤.

﴿فَأَوْجَسَ مِنهُمْ خِيفَةً﴾ لأنهم لم يأكلوا، خاف أن يكون مجيئهم إليه لشر يريدونه به.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه إسحاق من سارة[٣٧١]، استشهاداً بقوله تعالى في آية أخرى ﴿وبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢].

الثاني: أنه إسماعيل من هاجر، قاله مجاهد.

﴿عَلِيمٍ﴾ أي يرزقه الله علماً إذا كبر.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: الرنة والتأوه، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

وشربة من شراب غير ذي نفس ... في صرة من تخوم الصيف وهاج

الثاني: أنها الصيحة، قاله ابن عباس ومجاهد، ومنه أخذ صرير الباب، ومنه قول امرىء القيس[٣٧٢]:

فألحقه بالهاديات ودونه ... جواحرها في صرة لم تزيل

الثالث: أنها الجماعة، قاله ابن بحر، ومنه المصراة من الغنم لجمع اللبن في ضرعها. وسميت صرة الدراهم فيها، قال الشاعر[٣٧٣]:

رب غلام قد صرى في فقرته ... ماء الشباب عنفوان سنبته

وأما قوله ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ ففيه قولان:

أحدهما: معناه لطخت وجهها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها ضربت جبينها تعجباً.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي، أتلد عجوز عقيم؟ قاله مجاهد والسدي.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ لِنُرْسِلَ

---

(٣٧١) وهو الأرجح من سياق الآيات.

(٣٧٢) ديوانه: ٣٢ واللسان صرر وفتح القدير (٥/٨٨) شرح المعلقات لأبي بكر الانباري ص ٩٥.

(٣٧٣) هو الأغلب العجلي والبيت في اللسان (صدى).

عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ يعني فرعون، وفي توليه وجهان:

أحدهما: أدبر.

الثاني: أقبل، وهو من الأضداد.

﴿بِرُكْنِهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بجموعه وأجناده، قاله ابن زيد.

الثاني: بقوته، قاله ابن عباس، ومنه قول عنترة[٣٧٤]:

فما أوهى مراس الحرب ركني ... ولكن ما تقادم من[*] زماني.

الثالث: بجانبه، قاله الأخفش.

الرابع: بميله عن الحق وعناده بالكفر، قاله مقاتل.

ويحتمل خامساً بماله لأنه يركن إليه ويتقوى به.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن العقيم هي الريح التي لا تلقح، قاله ابن عباس.

الثاني: هي التي لا تنبت، قاله قتادة.

الثالث: هي التي ليس فيها رحمة، قاله مجاهد.

(٣٧٤) فتح القدير (٥/ ٩٠).

(*) وفي نسخة من عهودي.

الرابع هيَّ التي ليس فيها منفعة، قاله ابن عباس.

وفي الريح التي هي عقيم ثلاثة أقاويل:

أحدها: الجنوب، روى ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن أن النبي ﷺ(٣٧٥) قال: «**الريح العقيم الجنوب**».

الثاني الدبور(٣٧٦)، قاله مقاتل. قال عليه السلام: (**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**).

الثالث: هي ريح الصبا، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

﴿**إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الرميم التراب، قاله السدي.

الثاني: أنه الذي ديس من يابس النبات، وهذا معنى قول قتادة.

الثالث أن الرميم: الرماد، قاله قطرب.

الرابع أنه الشيء البالي الهالك، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر(٣٧٧):

تركتني حين كف الدهر من بصري ... وإذ بقيت كعظم الرمة البالي

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ أي بقوة.

﴿**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: لموسعون في الرزق بالمطر، قاله الحسن.

الثاني: لموسعون السماء، قاله ابن زيد.

الثالث: لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء.

---

(٣٧٥) والذي في الطبري (٢٧/ ٤) أن القول موقوف عن الحارث بن عبد الرحمن وليس مرفوعاً والله أعلم.

(٣٧٦) وهو الصواب والحديث رواه مسلم (٤/ ٦١٧) من حديث ابن عباس وقد تقدم تخريجه في سورة الأحقاف.

(٣٧٧) هو جرير والبيت في فتح القدير (٥/ ٩١).

الرابع: لموسعون بخلق سماء مثلها، قاله مجاهد.

الخامس: لذوو سعة لا يضيق علينا شيء نريده.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه خلق كل جنس نوعين.

الثاني: أنه قضى أمر خلقه ضدين صحة وسقم، وغنى وفقر، وموت وحياة، وفرح وحزن، وضحك وبكاء. وإنما جعل بينكم ما خلق وقضى زوجين ليكون بالوحدانية متفرداً.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تعلمون بأنه واحد.

الثاني: تعلمون أنه خالق.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي فتوبوا إلى الله.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فذكر بالقرآن، قاله قتادة.

الثاني: فذكر بالعظة فإن الوعظ ينفع المؤمنين، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: وذكر بالثواب والعقاب فإن الرغبة والرهبة تنفع المؤمنين.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: إلا ليقروا بالعبودية طوعاً أو كرهاً، قاله ابن عباس.

الثاني: إلا لآمرهم وأنهاهم، قاله مجاهد.

الثالث: إلا لأجبلهم على الشقاء والسعادة، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: إلا ليعرفوني، قاله الضحاك.

الخامس: إلا للعبادة[٣٧٨]، وهو الظاهر، وبه قال الربيع بن أنس.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما أريد أن يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم.

الثاني: ما أنفسهم، قاله أبو الجوزاء.

الثالث: ما أريد منهم معونة ولا فضلاً.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: عذاباً مثل عذاب أصحابهم، قاله عطاء.

الثاني: يعني سبيلاً، قاله مجاهد.

الثالث: يعني بالذنوب الدلو، قاله ابن عباس، قال الشاعر[٣٧٩]:

لنا ذنوب ولكم ذنوب ... فإن أبيتم فلنا القليب

ولا يسمى الذنوب دلواً حتى يكون فيه ماء.

الرابع: يعني بالذنوب النصيب، قال الشاعر[٣٨٠]:

وفي كل يوم قد خبطت بنعمة ... فحق لشاس من نداك ذنوب

ويعني بأصحابهم من كذب بالرسل من الأمم السالفة ليعتبروا بهلاكهم.

﴿فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي فلا يستعجلوا نزول العذاب بهم لأنهم قالوا: ﴿يا مُحَمَّدُ آئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ الآية، فنزل بهم يوم بدر، ما حقق الله وعده، وعجل به انتقامه.

---

(٣٧٨) والعبادة اسم جامع للأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله ويرضاها وعلى هذا فيدخل فيها التوحيد بفروعه.

(٣٧٩) اللسان ذنب والطبري (٢٧/ ١٤) والبحر المحيط (٨/ ١٣٢) زاد المسير (٨/ ٤٤).

(٣٨٠) هو علقمة بن عبيدة والبيت في ديوانه: ١٢٠.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى ﴿وَٱلطُّورِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم للجبل بالسريانية، قاله مجاهد. قال مقاتل: يسمى هذا الطور زبير.

الثاني: أن الطور ما أنبت، وما لا ينبت فليس بطور، قاله ابن عباس، وقال الشاعر:

لو مر بالطور بعض ناعقة ... ما أنبت الطور فوقه ورقة

ثم في هذا الطور الذي أقسم الله به ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه طور سيناء، قاله السدي.

الثاني: أنه الطور الذي كلمَ الله عليه موسى، قاله ابن قتيبة.

الثالث: أنه جبل مبهم، قاله الكلبي. وأقسم الله به تذكيراً بما فيه من الدلائل.

وقال بعض المتعمقة: إن الطور ما يطوى على قلوب الخائفين

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ أي مكتوب، وفي أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الكتاب الذي كتب الله لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون.

الثاني: أنه القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ.

الثالث: هي صحائف الأعمال فمن آخذ كتابه بيمينه، ومن آخذ كتابه بشماله، قاله الفراء.

الرابع: التوراة قاله ابن بحر.

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: الصحيفة المبسوطة وهي التي تخرج للناس أعمالهم، وكل صحيفة فهي رق لرقة حواشيها، قال المتلمس(٣٨١):

فكأنما هي من تقادم عهدها رق أتيح كتابها مسطور

الثاني: هو ورق مكتوب، قاله أبو عبيدة.

الثالث: هو ما بين المشرق والمغرب، قاله ابن عباس.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: ما روى قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال(٣٨٢): قال رسول الله ﷺ: «أُتِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَرُفِعَ لَنَا ٱلْبَيْتُ المَعْمُورُ، فَإِذَا هُوَ حِيالُ الكَعْبَةِ، لَوْ خَرَّ خَرَّ عَلَيهَا، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَومٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنهُ لَمْ يَعُودُوا إِلَيهِ» قاله علي وابن عباس.

---

(٣٨١) فتح القدير (٥/ ٩٤).

(٣٨٢) رواه البخاري (٦/ ٢١٩) ومسلم (١/ ١٥٠) والطبري (٢٧/ ١٦) وهو حديث طويل جداً والقول الأول هو الراجح لدلالة الحديث عليه.

الثاني: ما قاله السدي: أن البيت المعمور، هو بيت فوق ست سموات، ودون السابعة، يدعى الضراح، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس لا يرجعون إليه أبداً، وهو بحذاء البيت العتيق.

الثالث: ما قاله الربيع بن أنس، أن البيت المعموركان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم، حتى إذا كان زمان نوح أمرهم أن يحجوا، فأبوا عليه وعصوه، فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا، فيعمره، فبوأ الله لإبراهيم الكعبة البيت الحرام حيث كان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية.

الرابع: ما قاله الحسن أن البيت المعمور هو البيت الحرام.

وفي ﴿ٱلْمَعْمُورِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه معمور بالقصد إليه.

الثاني: بالمقام عليه، قال الشاعر:

عمر البيت عامر إذ أتته جآذر
من ظباء روائح وظباء تباكر

وتأول سهل أنه القلب، عمارته إخلاصه، وهو بعيد.

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه السماء، قاله علي.

الثاني: أنه العرش، قاله الربيع.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه جهنم، رواه صفوان بن يعلى (٣٨٣) عن النبي ﷺ.

الثاني: هو بحر تحت العرش، رواه أبو صالح عن علي رضي الله عنه.

الثالث: (٣٨٤) هو بحر الأرض، وهو الظاهر.

---

(٣٨٣) هذا الحديث مرسل فإن صفوان هو بن يعلى ابن أمية وهو تابعي مشهور، وأما أبوه فهو صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ ووقع في صحيح البخاري ما يقتضي أن لصفوان صحبة ولكن قال الحافظ في الإصابة هو وهم (٣/ ٤٧١).

(٣٨٤) وهو قول الجمهور وأما القول الثاني فلم يصح.

وفي قوله: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾ سبعة تأويلات:

أحدها: المحبوس، قاله ابن عباس والسدي.

الثاني: أنه المرسل، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: الموقد ناراً، قاله مجاهد.

الرابع: أنه الممتلىء، قاله قتادة.

الخامس: أنه المختلط، قاله ابن بحر.

السادس: أنه الذي قد ذهب ماؤه ويبس، رواه ابن أبي وحشية عن سعيد بن جبير.

السابع: هو الذي لا يشرب من مائه ولا يسقى به زرع، قاله العلاء بن زيد.

هذا آخر القسم، وجوابه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لوَاقِعٌ﴾ روى الكلبي: أن جبير بن مطعم(*) قدم المدينة ليفدي حريفاً له يقال له مالك أسر يوم بدر، فوجد رسول الله ﷺ في صلاة [المغرب] يقرأ ﴿وَ ٱلطُّورِ﴾ فجلس مستمعاً، حتى بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ فأسلم جبير خوفاً من العذاب، وجعل يقول: ما كنت أظن أن أقوم من مقامي، حتى يقع بي العذاب.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْراً﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: معناه تدور دوراً، قاله مجاهد، قال طرفة بن العبد(٣٨٥):

صهابية العثنون موجدة القرا بعيدة وخد الرجل موارة اليد.

الثاني: تموج موجاً، قاله الضحاك.

الثالث: تشقق السماء، قاله ابن عباس لقوله تعالى ﴿فَإِذَا بُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً﴾ الآية.

الرابع: تجري السماء جرياً، ومنه قول جرير(٣٨٦):

وما زالت القتلى تمور دماؤها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

الخامس: تتكفأ بأهلها، قاله أبو عبيدة وأنشد بيت الأعشى(٣٨٧):

(*) وفي البخاري (١/ ٣٠٤) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور.

(٣٨٥) شرح المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري ص ١٦٦ والبيت من معلقة طرفة بن العبد.

(٣٨٦) فتح القدير (٥/ ٩٥).

(٣٨٧) ديوانه: ٥٥ مجاز القرآن (٢/ ٢٣١) الطبري (٢٧/ ٢٠) اللسان مور، مختار الشعر الجاهلي (٢/ ٩٧).

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مور السحابة لا ريث ولا عجل

السادس: تنقلب انقلاباً.

السابع: أن السماء هاهنا الفلك، وموره اضطراب نظمه واختلاف سيره، قاله ابن بحر.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يدفعون دفعاً عنيفاً ومنه قول الراجز:

يدعه بصفحتي حيزومه ... دع الوصي جانبي يتيمه

قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وابن زيد.

الثاني: يزعجون إزعاجاً، قاله قتادة.

ويحتمل ثالثاً: أن يدعهم زبانيتها بالدعاء عليهم.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

﴿فَاكِهِينَ بِمَآ ءاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: معجبين، قاله ابن عباس.

الثاني: ناعمين، قاله قتادة.

الثالث: فرحين، قاله السدي.

الرابع: المتقابلين بالحديث الذي يسر ويؤنس، مأخوذ من الفكاهة، قاله ابن بحر.

الخامس: ذوي فاكهة كما قيل: لابن وتامر، أي ذو لبن وتمر، قاله عبيدة، ومعنى ذلك، أنهم ذوو بساتين فيها فواكه.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ والسرر الوسائد، وفي المصفوفة ثلاثة أوجه:

أحدها: المصفوفة بين العرش، قاله عكرمة.

وزاد المسير (٨/ ٤٧) وقد تقدم هذا الحديث ولكن رواه المؤلف مشي السحابة بدلاً من مور السحابة.

الثاني: هي الموصولة بالذهب.

الثالث: أنها الموصولة بعضها إلى بعض حتى تصير صفاً، قاله ابن بحر.

﴿وزوّجناهم بحورٍ عينٍ﴾ والعين الواسعة الأعين في صفائها، وهو جمع عيناء، ومنه قول الشاعر[٣٨٨]:

فحُور قد لهون وهن عين نواعم في المروط وفي الرياط

وفي تسميتهن حوراً وجهان:

أحدهما: لأنه يحار فيهن الطرف، قاله مجاهد.

الثاني: لبياضهن، قاله الضحاك، ومنه قيل للخبز حوار لبياضه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَآمَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الله يدخل الذرية بإيمان الآباء الجنة، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الله تعالى يعطي الذرية مثل أجور الآباء من غير أن ينقص الآباء من أجورهم شيئاً، قاله إبراهيم.

الثالث: أنهم البالغون عملوا بطاعة الله مع آبائهم فألحقهم الله بآبائهم، قاله قتادة.

الرابع: أنه لما أدرك أبناؤهم الأعمال التي عملوها تبعوهم عليها فصاروا مثلهم فيها، قاله ابن زيد.

---

(٣٨٨) هو المتنخل الهذلي والبيت في ديوان الهذليين (٢/ ١٩) الإنصاف لابن الأنباري (٣٨٠) وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ١١٨).

﴿وَمَآ أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما نقصناهم، قاله ابن عباس، قال رؤبة[٣٨٩]:

ولـيـلة ذات سـرى سـريـت ولـم يـلتـنـي عـن سـراهـا لـيـت

أي لم ينقصني، ومعنى الكلام: ولم ينقص الآباء بما أعطينا الأبناء.

الثاني: معناه وما ظلمناهم، قاله ابن جبير، قال الحطيئة[٣٩٠]:

أبـلغ سـراة بـنـي سـعـد مـغـلغـلة جـهـد الـرسـالـة لا ألتاً ولا كـذبـاً

أي لا ظلماً، ولا كذباً. ومعنى الكلام: لم نظلم الآباء بما أعطينا الأبناء، وإنما فعل تعالى ذلك بالأبناء كرمة للآباء.

﴿كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مؤاخذة كما تؤخذ الحقوق من الرهون.

الثاني: أنه يحبس، ومنه الرهن لاحتباسه بالحق قال الشاعر:

ومـا كنت أخشى أن يكـون رهيـنـة لأحـمـر قبـطي مـن القـوم مـعـتـق

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً﴾ أي، يتعاطون ويتساقون بأن يناول بعضهم بعضاً، وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة. والكأس إناء مملوء من شراب وغيره فهو كأس، فإذا فرغ لم يسم كأساً، وشاهد التنازع والكأس في اللغة قول الأخطل[٣٩١]:

وشـارب مـربـح بـالكـأس نـادمني لا بـالـحـضـور ولا فـيـهـا بـسـوار

نـازعتـه طيب الـراح السمـول وقـد صـاح الدجـاج وحانت وقعـه السـاري

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: لا باطل في الخمر ولا مأثم، قاله ابن عباس وقتادة، وإنما ذلك في الدنيا من الشيطان.

الثاني: لا كذب فيها ولا خلف، قاله الضحاك.

الثالث: لا يتسابون عليها ولا يؤثم بعضهم بعضاً، قاله مجاهد.

---

(٣٨٩) ديوان رؤبة: اللسان ليت وفيه ليلة ذات ندى.

(٣٩٠) الطبري (٢٧/ ٢٧) وفيه ابلغ بني ثعل لمن مغلغلة.

(٣٩١) ديوانه: ١١٦ ومجاز القرآن (٢/ ٢٣٢) الطبري (٢٧/ ٢٨) روح المعاني (٢٧/ ٣٤).

الرابع: لا لغو في الجنة ولا كذب، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. واللغو هاهنا فحش الكلام كما قال ذو الرمة[٣٩٢]:

فلا الفحش فيه يرهبون ولا الخنا عليهم ولكن هيبة هي ما هيا
بمستحكم جزل المروءة مؤمن من القوم لا يهوى الكلام اللواغيا

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ ذكر ابن بحر فيه وجهين:

أحدهما: أن يكون الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم، فأقرَّ الله بهم أعينهم.

الثاني: أنهم من أخدمهم الله إياهم من أولاد غيرهم.

﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ أي مصون بالكن والغطاء، ومنه قول الشاعر:

قد كنت أعطيهم مالاً وأمنعهم عرضي، وودهم في الصدر مكنون

قال قتادة: بلغني أنه قيل يا رسول الله هذا الخدم مثل اللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم؟ قال: «والذي نفسي بيده لفضل ما بينهم، كفضل القمر ليلة البدر على النجوم».

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالجنة والنعيم.

الثاني: بالتوفيق والهداية.

﴿وَوَقَانَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه عذاب النار، قاله ابن زيد. وقال الأصم: السموم اسم من أسماء جهنم.

الثاني: أنه وهج جهنم، وهو معنى قول ابن جريج.

الثالث: لفح الشمس والحر، وقد يستعمل في لفح البرد، كما قال الراجز[٣٩٣]:

اليوم يوم بارد سمومه من جزع اليوم فلا نلومه

﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن البر الصادق، قاله ابن جريج.

الثاني: اللطيف، قاله ابن عباس.

---

(٣٩٢) ديوانه: ٦٥٥.

(٣٩٣) فتح القدير (٥/ ٩٩).

الثالث: أنه فاعل البر المعروف به، قاله ابن بحر.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ يعني بالقرآن.

﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ يعني برسالة ربك.

﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ تكذيباً لعتبة بن ربيعة حيث قال إنه ساحر، وتكذيباً لعقبة بن معيط، حيث قال: إنه مجنون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ قال قتادة: قال ناس من الكفار: تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان، وشاعر بني فلان، قال الضحاك: هؤلاء بنو عبد الدار، نسبوه إلى أنه شاعر.

وفي ﴿ريب المنون﴾ وجهان:

أحدهما: الموت، قاله ابن عباس.

الثاني: حوادث الدهر، قاله مجاهد. المنون: الدهر، قال أبو ذؤيب[٣٩٤]:

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ

(٣٩٤) فتح القدير (٥/ ٩٩) ديوانه (١/١) غريب القرآن (٤٢٥) المفضليات (٤٢١) ديوان الهذليين اللسان منن.

عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مفاتيح الرحمة.

الثاني: خزائن الرزق.

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: المسلطون، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: أنهم الأرباب، قاله الحسن وأبو عبيد.

الثالث: معناه: أم هم المتولون، وهذا قد روي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أنهم الحفظة، مأخوذ من تسطير الكتاب، الذي يحفظ ما كتب فيه فصار المسيطر هنا حافظاً ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، قاله ابن بحر.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن السلم المرتقى إلى السماء، ومنه قول ابن مقبل[٣٩٥]:

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولا ... يبنى له في السموات السلاليم

الثاني: أنه السبب الذي يتوصل به إلى عوالي الأشياء. قال الشاعر:

تجنيت لي ذنباً وما إن جنيته ... لتتخذي عذراً إلى الهجر سلما

وقوله ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يستمعون من السماء ما يقضيه الله على خلقه.

الثاني: يستمعون منها ما ينزل الله على رسله من وحيه.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فليأت صاحبهم بحجة ظاهرة تدل على صدقه.

الثاني: فليأت بقوة تتسلط على الأسماع وتدل على قدرته.

وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟

(٣٩٥) الطبري (٢٧/ ٣٤) اللسان أحجاء: سلم.

يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿وَإِن يَرَوا۟ كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني قطعاً من السماء، قاله قتادة.

الثاني: جانباً من السماء.

الثالث: عذاباً من السماء، قاله المفضل. وسمي كسفاً لتغطيته، والكسف: التغطية، ومنه أخذ كسوف الشمس والقمر.

﴿يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ في مركوم وجهان:

أحدهما: أنه الغليظ، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه الكثير المتراكب، قاله الضحاك. ومعنى الآية: أنهم لو رأو سقوط كسف من السماء عليهم عقاباً لهم لم يؤمنوا ولقالوا إنه سحاب مركوم بعضه على بعضه.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يوم يموتون، قاله قتادة.

الثاني: النفخة الأولى، حكاه ابن عيسى.

الثالث: يوم القيامة يغشى عليهم من هول ما يشاهدونه، ومنه قوله تعالى: **﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً﴾** أي مغشياً عليه.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَاباً دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: عذاب القبر، قاله علي.

الثاني: الجوع، قاله مجاهد.

الثالث: مصابهم في الدنيا، قاله الحسن.

وفي المراد بالذين ظلموا هاهنا قولان:

أحدهما: أنهم أهل الصغائر من المسلمين.

الثاني: أنهم مرتكبو الحدود منهم.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: لقضائه فيما حملك من رسالته.
الثاني: لبلائه فيما ابتلاك به من قومك.
﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: بعلمنا، قاله السدي.
الثاني: بمرأى منا[٣٩٦]، حكاه ابن عيسى.
الثالث: بحفظنا وحراستنا، ومنه قوله تعالى لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] بحفظي وحراستي، قاله الضحاك.
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه أربعة أقاويل:
أحدها: أن يسبح الله إذا قام من مجلسه، قاله أبو الأحوص، ليكون تكفيراً لما أجرى في يومه.
الثاني: حين تقوم من منامك، ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله، قاله حسان بن عطية.
الثالث: حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر، قاله زيد بن أسلم.
الرابع: أنه التسبيح في الصلاة، إذا قام إليها.
وفي هذا التسبيح قولان:
أحدهما: هو قول: سبحان ربي العظيم، في الركوع، وسبحان ربي الأعلى، في السجود.
الثاني: (*) التوجه في الصلاة بقوله: سبحانك اللهم وبحمدك [وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك]، قاله الضحاك.
﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:
أحدها: أنها صلاة الليل.
الثاني: التسبيح فيها.
الثالث: أنه التسبيح في صلاة وغير صلاة.

---

(٣٩٦) راجع التعليق على قوله تعالى ولتصنع على عيني في سورة طه.
(*) ما بين المربعين من تفسير القرطبي (١٧/ ٨٠) وقد نقل ذلك حرفياً عن الماوردي ونسبه اليه.

وأما ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها ركعتان قبل الفجر، رواه ابن عباس[٣٩٧] عن النبي ﷺ أنه قال: «رَكْعَتَانِ قَبْلَ ٱلْفَجْرِ، إِدْبَارُ النُّجومِ ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ المَغْرِبِ إِدْبَارُ السُّجُودِ».

الثاني: أنها ركعتا الفجر قبل الغداة.

الثالث: أنه التسبيح بعد الصلاة، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا صلاة بعد الفجر إلا ركعتي الفجر.

(٣٩٧) تقدم تخريج هذا الحديث في آخر سورة ق فراجعه.



مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية، وهي ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَآئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: نجوم القرآن إذا نزلت لأنه كان ينزل نجوماً، قاله مجاهد.

الثاني :أنها الثريا(٣٩٨)، رواه ابن أبي نجيح، لأنهم كانوا يخافون الأمراض عند طلوعها.

الثالث: أنها الزهرة، قاله السدي، لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها.

الرابع: أنها جماعة النجوم، قاله الحسن، وليس بممتنع أن يعبر عنها بلفظ الواحد كما قال عمر بن أبي ربيعة(٣٩٩):

أحسن النجم في السماء الثريا ... والثريا في الأرض زين النساء

الخامس: أنها النجوم المنقضة، وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد ﷺ

(٣٩٨) اختاره ابن جرير (٢٧/ ٤١) وحكاه ابن كثير (٤/ ٢٤٦) عن سفيان الثوري.

(٣٩٩) فتح القدير (٥/ ١٠٤).

رسولاً، كثر انقضاض الكواكب قبل مولده، فذعر[٤٠٠] أكثر العرب منها، وفزعوا إلى كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث، فسألوه عنها، فقال انظروا البروج الاثني عشر، فإن انقض منها شيء، فهو ذهاب الدنيا، وإن لم ينقض منها شيء، فسيحدث في الدنيا أمر عظيم، فاستشعروا ذلك، فلما بعث رسول الله ﷺ، كان هو الأمر العظيم الذي استشعروه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أي ذلك النجم الذي هوى، هو لهذه النبوة التي حدثت.

وفي قوله تعالى ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ ستة أقاويل:

أحدها : النجوم إذا رقي إليها الشياطين، قاله الضحاك.

الثاني : إذا سقط.

الثالث : إذا غاب.

الرابع : إذا ارتفع.

الخامس: إذا نزل.

السادس: إذا جرى، ومهواها جريها، لأنها لا تفتر في جريها في طلوعها وغروبها، وهذا قول أكثر المفسرين.

وهذا قسم، وعلى القول الخامس في انقضاض النجوم خبر.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ يعني: محمداً ﷺ، وفيه وجهان:

أحدهما: ما ضل عن قصد الحق ولا غوى في اتباع الباطل.

الثاني : ما ضل بارتكاب الضلال، وما غوى بأن خاب سعيه، وألفى الخيبة كما قال الشاعر[٤٠١]:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

أي: من خاب في طلبه لامه الناس، وهذا جواب القسم على قول الأكثرين، قال مقاتل: وهي أول سورة أعلنها رسول الله بمكة.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ فيه وجهان:

---

(٤٠٠) وهذه الحوادث التي حدثت قبل بعث رسول الله ﷺ يسميها العلماء إرهاصات النبوة أي مقدمات للنبوة راجع بعضها في دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي والخصائص الكبرى للسيوطي.

(٤٠١) هو المرقش الأصغر واسمه ربيعة بن سفيان والبيت في فتح القدير (٥/ ١٠٥).

أحدهما: وما ينطق عن هواه، وهو ينطق عن أمر الله، قاله قتادة.

الثاني: ما ينطق بالهوى والشهوة، إن هو إلا وحي يوحى بأمر ونهي من الله تعالى له.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي يوحيه الله إلى جبريل ويوحيه جبريل إليه.

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ يعني: جبريل في قول الجميع.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: ذو منظر حسن، قاله ابن عباس.

الثاني: ذو غناء، قاله الحسن.

الثالث: ذو قوة، قاله مجاهد وقتادة، ومن قول خفاف بن ندبة:

إني امرؤ ذو مرة فاستبقني ... فيما ينوب من الخطوب صليب

الرابع: ذو صحة في الجسم وسلامة من الآفات، ومن قول امرىء القيس[٤٠٢]:

كنت فيهم أبداً ذا حيلة ... محكم المرة مأمون العقد

الخامس: ذو عقل، قاله ابن الأنباري، قال الشاعر[٤٠٣]:

قد كنت عند لقاكم ذا مرة ... عندي لكل مخاصم ميزانه

وفي قوله ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ خمسة أوجه:

---

(٤٠٢) ديوانه: ١٢٩ ورواية الديوان في شطر البيت الأول ولبيب أيدٌ ذو حيلة.

(٤٠٣) فتح القدير (٥/ ١٠٥) وقد اختار الشوكاني تفسير المرة بهذا وقال لأن القدرة والشدة قد أفادها قوله شديد القوى.

أحدها: فاستوى جبريل في مكانه، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: قام جبريل على صورته التي خلق عليها لأنه كان يظهر له قبل ذلك في صورة لا رجل. حكى ابن مسعود[٤٠٤] أن النبي ﷺ لم ير جبريل على صورته إلا مرتين: أما واحدة، فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق. وأما الثانية، فإنه كان معه حين صعد، وذلك قوله ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

الثالث: فاستوى القرآن في صدره، وفيه على هذا وجهان:

أحدهما: فاعتدل في قوته.

الثاني: في رسالته.

الرابع: يعني: فارتفع، وفيه على هذا وجهان:

أحدهما: أنه جبريل ارتفع إلى مكانه.

الثاني: أنه النبي ﷺ، ارتفع بالمعراج.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه جبريل حين رأى النبي ﷺ بالأفق الأعلى، قاله السدي.

الثاني: أنه النبي ﷺ رأى جبريل بالأفق الأعلى، قاله عكرمة. وفي الأفق الأعلى ثلاثة أقاويل:

أحدها: هو مطلع الشمس، قاله مجاهد.

الثاني: هو الأفق الذي يأتي منه النهار، قاله قتادة، يعني طلوع الفجر.

الثالث: هو أفق السماء وهو جانب من جوانبها، قاله ابن زيد، ومنه قول الشاعر[٤٠٥]:

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه جبريل[٤٠٦]، قاله قتادة.

---

(٤٠٤) رواه ابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٤/٢٤٧) والطبراني في الكبير رقم (١٠٥٤٧) وأحمد (١/ ٤٠٧) وأبي الشيخ في العظمة (٢/ ٧٩١).

(٤٠٥) هو الفرزدق والبيت في اللسان أفق.

(٤٠٦) وهو قول الجمهور ورجح غير واحد منهم الطبري (٢٧/ ٤٤) والشوكاني (٥/ ١٠٩) وابن كثير (٢/ ٢٤٨).

الثاني: أنه الرب[٤٠٧]، قاله ابن عباس.

وقوله ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعلق فيما بين والسفل لأنه رآه منتصباً مرتفعاً ثم رآه متدلياً، قاله ابن بحر.

الثاني: معناه قرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي تقربوها إليهم، وقال الشاعر:

أتيتك لا أدلي بقربى قريبة ... إليك ولكني بجودك واثق

وقيل فيه تقديم وتأخير، وتقديره: ثم تدلى فدنا، قاله ابن الأنباري.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: قيد قوسين، قاله قتادة والحسن.

الثاني: أنه بحيث الوتر من القوس، قاله مجاهد.

الثالث: من مقبضها إلى طرفها، قاله عبد الحارث.

الرابع: قدر ذراعين، قاله السدي، فيكون القاب عبارة عن القدر، والقوس عبارة عن الذراع.

ثم اختلفوا في المعنى بهذا الداني على ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه جبريل من ربه، قاله مجاهد وهو قول ابن عباس.

الثاني: أنه محمد ﷺ من ربه، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه جبريل من[٤٠٨] محمد ﷺ.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ﴾ في عبده الموحى إليه قولان:

أحدهما: أنه جبريل عليه السلام أوحى إليه ما يوحي إلى رسوله ﷺ، قالته عائشة، والحسن، وقتادة.

الثاني: أنه محمد ﷺ أوحي إليه على لسان جبريل، قاله ابن عباس والسدي.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ في الفؤاد قولان:

---

(٤٠٧) واستدل لهذا القول بما رواه البخاري أيضاً (١٣/ ٣٩٩) من حديث أبي هريرة وهو حديث معروف بحديث شريك ورواه مسلم (١/ ٢٤٨) بعضه راجع شرح مسلم (٢/ ٢١٠) وفتح الباري (١٣/ ٤٠٢/ ٤٠٥).

(٤٠٨) وهو الراجح كما سبق في التعليق السابق.

أحدهما: أنه أراد صاحب الفؤاد فعبر عنه بالفؤاد لأنه قطب الجسد وقوام الحياة.

الثاني: أنه أراد نفس الفؤاد لأنه محل الاعتقاد وفيه قولان:

أحدهما: معناه ما أوهمه فؤاده ما هو بخلافه كتوهم السراب ماء، فيصير فؤاده بتوهم المحال كالكاذب له، وهو تأويل من قرأ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ بالتخفيف.

الثاني: معناه ما أنكر قلبه ما رأته عينه، وهو تأويل من قرأ ﴿كَذَّبَ﴾ (٤٠٩) بالتشديد.

وفي الذي رأى خمسة أقاويل:

أحدها: رأى ربه بعينه (٤١٠)، قاله ابن عباس.

الثاني: في المنام (٤١١)، قاله السدي.

الثالث: أنه بقلبه روى محمد بن كعب (٤١٢) قال: قلنا يا رسول الله [هل رأيت ربك]؟ قال: «رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ»، ثم قرأ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾.

الرابع: أنه رأى جلاله، قاله الحسن، وروى أبو العالية (٤١٣) قال: سئل رسول الله ﷺ قال: «رَأَيتُ نَهْرَاً وَرَأَيتُ وَرَاءَ النَّهْرِ حِجَاباً و رَأَيتُ وَرَاءَ الحِجَابِ نُوراً لَمْ أَرَ غَيرَ ذَلِكَ».

الخامس: أنه رأى جبريل على صورته مرتين، (٤١٤)، قاله ابن مسعود.

﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أفتجادلونه على ما يرى، قاله إبراهيم.

الثاني: أفتجادلونه على ما يرى، وهو مأثور.

---

(٤٠٩) وهي قراءة عاصم وأبي جعفر وهشام عن ابن عامر وزاد المسير (٨/ ٦٨) الحجة في القراءات ص ٦٨٥.

(٤١٠) قول ابن عباس رواه الطبري (٢٧/ ٤٨) ولابن عباس قول آخر وهو الأصح أنه رآه بفؤاده مرتين قال ابن كثير (٤/ ٢٤٩/ ٢٥٠) وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة أن رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم.

(٤١١) لعله يقصد حديث اختصام الملأ الأعلى فإنه تقدم في سرد تخريجه.

(٤١٢) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (٢٧/ ٤٧٢٤٦) وفي سنده موسى بن عبيدة.

(٤١٣) رواه ابن أبي حاتم ونقله ابن كثير (٤/ ٢٥) وقال غريب جداً قلت وهو مرسل أيضاً وزاد السيوطي في الدر (٦٤٨/٧) نسبته لابن المنذر.

(٤١٤) وهذا القول ذهب إليه أكثر العلم المحققين.

الثالث: أفتشككونه على ما يرى[٤١٥]، قاله مقاتل.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني أنه رأى ما رآه ثانية بعد أُولى، قال كعب: إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى عليهما السلام، فرآه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ روي فيها خبران:

أحدهما: ما روى طلحة بن مصرف عن مرة عن ابن مسعود[٤١٦] قال: لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، وإليها ينتهي ما يعرج من الأرواح فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها الخبر.

الثاني: ما رواه معمر عن قتادة عن أنس أن النبي[٤١٧] ﷺ قال: «**رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ ٱلْمُنتَهَىٰ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ثَمَرُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجْرٍ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيلَةِ، يَخْرُجُ مِن سَاقِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، قُلْتُ: يَاجِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ البَاطِنَانِ فَفِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا النَّهْرَانِ الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ**».

وفي سبب تسميتها سدرة المنتهىٰ خمسة أوجه:

أحدها: لأنه ينتهي علم الأنبياء إليها، ويعزب علمهم عما وراءها، قاله ابن عباس.

الثاني: لأن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها، قاله الضحاك.

الثالث: لانتهاء الملائكة والنبيين إليها ووقوفهم عندها، قاله كعب.

الرابع: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة رسول الله ﷺ ومنهاجه، قاله الربيع بن أنس.

---

(٤١٥) وهذا الاختلاف في التفسير راجع لاختلاف في القراءات في ذلك راجع الحجة في القراءات ص ٦٨٥ وزاد المسير (٨/ ٦٨).

(٤١٦) رواه مسلم (١٧٣ الإيمان) والترمذي (٣٢٧٦) وابن جرير (٢٧/ ٥٢) وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٩) نسبته وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل ولفظ المؤلف هنا فيه اختلاف يسير عن الألفاظ التي ورد فيها الحديث في المصادر المشار إليها.

(٤١٧) جزء من حديث الإسراء الطويل رواه البخاري (٧/ ١٦٤) ومسلم (١/ ١٥٠) يراجع تخريجه بتوسع في جامع الأصول (٦/ ٢١٧) (١/ ٢٩٦).

الخامس: لأنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها، قاله ابن مسعود.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ فيه قولان:

أحدهما: جنة المبيت والإقامة، قاله علي، وأبو هريرة.

الثاني: أنها منزل الشهداء، قاله ابن عباس، وهي عن يمين العرش وفي ذكر جنة المأوىٰ وجهان على ما قدمناه في سدرة المنتهىٰ:

أحدهما: أن المقصود بذكرها تعريف موضعها بأنه عند سدرة المنتهىٰ، قاله الجمهور (٤١٨).

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الذي يغشاها فراش من ذهب، قاله ابن مسعود ورواه مرفوعاً. (٤١٩).

الثاني: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه نور رب العزة، قاله الضحاك.

فإن قيل لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ قيل: لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكية، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونية، فظلها بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النية لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ في زيغ البصر ثلاثة أوجه؛

أحدها: انحرافه.

الثاني: ذهابه، قاله ابن عباس.

الثالث: نقصانه، قاله ابن بحر.

وفي طغيانه ثلاثة أوجه:

أحدها: ارتفاعه عن الحق.

الثاني: تجاوزه للحق، قاله ابن عباس.

---

(٤١٨) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني.

(٤١٩) تقدم تخريجه وهذا القول هو أرجح الأقوال.

الثالث: زيادته، ويكون معنى الكلام أنه رأى ذلك على حقه وصدقه من غير نقصان عجز عن إدراكه، ولا زيادة توهمها في تخيله، قاله ابن بحر.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما غشي السدرة من فراش الذهب، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه قد رأى جبريل وقد سد الأفق بأجنحته، قاله ابن مسعود أيضاً.

الثالث: ما رآه حين نامت عيناه ونظر بفؤاده، قاله الضحاك.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

﴿أَفَرَءيْتُم اللاَّت وَٱلْعُزَّىٰ﴾ أما اللات فقد كان الأعمش[٤٢٠] يشددها، وسائر القراء على تخفيفها، فمن خففها فلهم فيها قولان:

أحدهما: أنه كان صنماً بالطائف زعموا أن صاحبه كان يلت عليه السويق لأصحابه، قاله السدي.

الثاني: أنه صخرة يلت عليها السويق بين مكة والطائف، قاله عكرمة.

وأما من شددها فلهم فيها قولان:

أحدهما: أنه كان رجلاً يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن معبوده، ثم مات فقلبوه على قبره، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: أنه كان رجلاً يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق بالطائف قاله

---

(٤٢٠)وهي قراءة ابن عباس وأبي رزين ومجاهد والسلمي والضحاك وابن يعمر وابن السميقع وورش عن يعقوب زاد المسير (٨/٧٢).

السدي، وقيل إنه عامر بن ظرب العدواني ثم اتخذوا قبره وثناً معبوداً، قال الشاعر[٤٢١]:

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف ينصركم من ليس ينتصر.

وأما ﴿ٱلْعُزَّىٰ﴾ ففيه قولان:

أحدهما: أنه صنم كانوا يعبدونه، قاله الجمهور.

الثاني: أنها شجرة كان يعلق عليها ألوان العهن تعبدها سليم، وغطفان، وجشم، قاله مقاتل: وهي سمرة، قال الكلبي: هي التي بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حتى قطعها، وقال أبو صالح: بل كانت نخلة يعلق عليها الستور والعهن.

وقيل في اللات والعزى قول ثالث: أنهما كانا بيتين يعبدهما المشركون في الجاهلية، فاللات بيت كان بنخلة يعبده كفار قريش، والعزى بيت كان بالطائف يعبده أهل مكة والطائف.

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه كان صنماً بقديد بين مكة والمدينة، قاله أبو صالح.

الثاني: أنه بيت كان بالمسلك يعبده بنو كعب.

الثالث: أنها أصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها.

الرابع: أنه وثن كانوا يريقون عنده الدماء يتقربون بذلك إليه، وبذلك سميت منى لكثرة ما يراق بها من الدماء.

وإنما قال: مناة الثالثة الأخرى، لأنها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى، وروى سعيد بن جبير وأبو العالية الرياحي أنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ الآية. ألقىٰ الشيطان على لسانه[٤٢٢] تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهم ترتجىٰ، وفي رواية أبي العالية: وشفاعتهم ترتضى ومثلهم لا ينسىٰ، ففرح المشركون وقالوا: قد ذكر آلهتنا، فنزل جبريل فقال: أعرض

---

(٤٢١) هو شداد بن عارض الجشمي قال ذلك في أبيات حين هدمت اللات وحرقت البيت في فتح القدير (٥/ ١٠٥).

(٤٢٢) وهذا القصة تعرف بقصة الغرانيق وقد تقدم الكلام على تخريجها في سورة الحج فراجعه.

عليّ ما جئتك به فعرض عليه، فقال: لم آتك أنا بهذا وهذا من الشيطان، فأنزل الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُوْلٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾.

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ ٱلأُنْثَىٰ﴾ حيث جعلوا الملائكة بنات الله.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: قسمة عوجاء، قاله مجاهد.

الثاني: قسمة جائرة، قاله قتادة.

الثالث: قسمة منقوصة، قاله سفيان وأكثر أهل اللغة، قال الشاعر[٤٢٣]:

فــإن تــنــأى عنا ننتـقصــك وإن تـقم فـقسـمــك مـضئـوز وأنـفــك راغـم

ومعنى مضئوز أي منقوص.

الرابع: قسمة مخالفة، قاله ابن زيد.

﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من البنين أن يكونوا له دون البنات.

الثاني: من النبوة أن تكون فيه دون غيره.

﴿فَلِلَّهِ ٱلأَخِرَةُ وَالأُولَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أنه أقدر من خلقه، فلو جاز أن يكون له ولد ـ كما نسبه إليه المشركون حين جعلوا له البنات دون البنين وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ـ لكان بالبنين أحق منهم.

الثاني: أنه لا يعطي النبوة من تمناها، وإنما يعطيها من اختاره لها لأنه مالك السموات والأرض.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ

---

(٤٢٣) اللسان ضأز لفتح القدير (٥/ ١٠٦) روح المعاني (٢٧/ ٥٧) الطبري (٢٧/ ٦٠).

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ أما كبائر الإثم ففيها خمسة أقاويل؛

أحدها: أنه الشرك بالله، حكاه الطبري.

الثاني: أنه ما زجر عنه بالحد، حكاه بعض الفقهاء.

الثالث: ما لا يكفر إلا بالتوبة، حكاه ابن عيسى.

الرابع: ما حكاه شرحبيل عن ابن مسعود قال[٤٢٤]: سئل رسول الله ﷺ عن الكبائر فقال: **«أن تدعو لله نداً وهو خلقك وأن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك وأن تزاني حليلة جارك»**.

الخامس: ما روى سعيد بن جبير أن رجلاً سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي؟ قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار، فكأنه يذكر أن كبائر الإثم ما لم يستغفر منه.

وأما الفواحش ففيها قولان:

أحدهما: أنها جميع المعاصي.

الثاني: أنها الزنى.

وأما اللمم المستثنى ففيه ثمانية أقاويل:

أحدها: إلا اللمم الذي ألموا به في الجاهلية من الإثم والفواحش فإنه معفو عنه في الإسلام، قاله ابن زيد بن ثابت.

الثاني: هو أن يلم بها ويفعلها ثم يتوب منها، قاله الحسن ومجاهد.

---

(٤٢٤) رواه البخاري (٨/ ١٢٤) ومسلم (٨٦ الإيمان) والترمذي (٣١٨١/ ٣١٨٢) والنسائي (٧/ ٨٩، ٩٠) وابو داود (٢٣١٠).

الثالث: هو أن يعزم على المواقعة ثم يرجع عنها مقلعاً وقد روى عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس أن[٤٢٥] النبي ﷺ قال:

إنْ تَغْفِرِ ٱللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّاً وأي عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

الرابع: أن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة، قاله ابن مسعود، روى طاووس عن ابن عباس قال: ما رأيت أشبه باللمم من قول أبي هريرة عن[٤٢٦] النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ عَلَى كلِّ نَفْسٍ خَطَّهَا مِن الزِّنَىٰ أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَى ٱلْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَى اللِّسَانِ المَنطِقُ وَهِيَ النَّفْسُ تُمَنِّي وَتَشْتَهِى، وَٱلْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُه**».

الخامس: أن اللمم الصغائر من الذنوب.

السادس: أن اللمم ما لم يجب عليه حد في الدنيا ولم يستحق عليه في الآخرة عذاب، قاله ابن عباس، وقتادة.

السابع: أن اللمم النظرة الأولى فإن عاد فليس بلمم، قاله بعض التابعين، فجعله ما لم يتكرر من الذنوب، واستشهد بقول الشاعر:

وما يستوي من لا يرى غير لمة ومن هو ناو غيرها لا يريمها

والثامن: أن اللمم النكاح، وهذا قول أبي هريرة.

وذكر مقاتل بن سليمان أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى[٤٢٧] نبهان التمار كان له حانوت يبيع فيه تمراً، فجاءته امرأة تشتري منه تمراً، فقال لها: إن بداخل الدكان ما هو خير من هذا، فلما دخلت راودها عن نفسها، فأبت وانصرفت، فندم نبهان وأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع، فقال: «**لَعَلَّ زَوْجَهَا غَازٍ**» فنزلت هذه الآية.

﴿**وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ**﴾ يعني أنشأ آدم.

﴿**وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾ قال مكحول: في بطون أمهاتنا فسقط منا من

---

(٤٢٥) رواه ابن جرير (٢٧/ ٩٦) والترمذي (٣٢٨٤) وصححه وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٥) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وبيت الشعر ورد في شعر أمية بن ابي الصلت كما في اللسان «لمم».

(٤٢٦) رواه البخاري (١١/ ٢٢) ومسلم (٤/ ٢٠٤٦) وابن جرير (٢٧/ ٩٩).

(٤٢٧) وقد روى ابو داود (٤٤٦٨) نحوه دون سبب النزول من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

سقط، وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شباباً فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخاً لا أبالك فما بعد هذا تنتظر؟.

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني لا تمادحوا، قاله ابن شوذب.

الثاني: لا تعملوا بالمعاصي وتقولوا نعمل بالطاعة، قاله ابن جريج.

الثالث: إذا عملت خيراً فلا تقل عملت كذا وكذا.

ويحتمل رابعاً: لا تبادلوا قبحكم حسناً ومنكركم معروفاً.

ويحتمل خامساً: لا تراؤوا بعملكم المخلوقين لتكونوا عندهم أزكياء.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ قال الحسن: قد علم الله كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة وإلى ما هي صائرة.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي، قاله السدي.

الثاني: أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، قاله مجاهد، كان يأتي النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه يسمع ما يقولان ثم يتولى عنهما.

الثالث: أنه النضر بن الحارث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حين ارتد عن دينه وضمن له أن يتحمل مأثم رجوعه، قاله الضحاك.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه أعطى قليلاً من نفسه بالاستمتاع ثم أكدى بالانقطاع، قاله مجاهد.

الثاني: أطاع قليلاً ثم عصى، قاله ابن عباس.

الثالث: أعطى قليلاً من ماله ثم منع، قاله الضحاك.

الرابع: أعطى بلسانه وأكدى بقلبه، قاله مقاتل.

وفي ﴿أَكْدَىٰ﴾ وجهان:

أحدهما: قطع، قاله الأخفش.

الثاني: منع، قاله قطرب.

﴿أَعِندَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه أعلم الغيب فرأى أن ما سمعه باطل.

الثاني: أنزل عليه القرآن فرأى ما صنعه حقاً، قاله الكلبي.

ويحتمل ثالثاً: أعلم أن لا بعث، فهو يرى أن لا جزاء.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: وفّى عمل كل يوم بأربع ركعات في أول النهار، رواه الهيثم عن أبي أمامة(٤٢٨) عن رسول الله ﷺ.

الثاني: أن يقول كلما أصبح وأمسى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِيْنَ تُمْسُونَ وَحِيْنَ تُصْبِحُونَ﴾ الآية. رواه سهل بن معاذ عن أنس عن أبيه عن النبي ﷺ(٤٢٩).

الثالث: وفيما أمر به من طاعة ربه، قاله ابن عباس.

الخامس: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾لأنه كان بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة ابنه وأبيه فأول من خالفهم إبراهيم، قاله الهذيل.

السادس: أنه ما أُمر بأمر إلا أداه ولا نذر إلا وفاه، وهذا معنى قول الحسن.

السابع: وفّىٰ ما امتحن به من ذبح ابنه وإلقائه في النار وتكذيبه.

---

(٤٢٨) رواه ابن جرير (٢٧/ ٧٣) وزاد السيوطي في الدر(٧/ ٦٦٠)نسبته لعبيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه والشيرزاي في الألقاب والديلمي وقال السيوطي بسند ضعيف قلت لأن في سنده جعفر بن الزبير وهو ضعيف به أعله ابن كثير (٤/ ٢٥٨) وساقه من رواية ابن أبي حاتم.

(٤٢٩) رواه أحمد (٣/ ٢٣٩) وابن جرير (٢٧/٧٣) وفي سنده زبان بن قائد وهو ضعيف وزاد السيوطي في الدر (٥/ ١٤٥) نسبته لابن المنذر وابن ابن حاتم وابن السني في عمل اليوم والليلة والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدعوات.

(*) لاحظ أنه لم يذكر القول الرابع.

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إلى إعادتكم لربكم بعد موتكم يكون منتهاكم(*).

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قضى أسباب الضحك والبكاء.

الثاني: أنه أراد بالضحك السرور، وبالبكاء الحزن.

والثالث: أنى خلق قوتي الضحك والبكاء، فإن الله ميز الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، فليس في سائر الحيوان ما يضحك ويبكي غير الإنسان، وقيل إن القرد وحده يضحك ولا يبكي، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك.

ويحتمل وجهاً رابعاً: أن يريد بالضحك والبكاء النعم والنقم.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: قضى أسباب الموت والحياة.

الثاني: خلق الموت والحياة كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ﴾ قاله ابن بحر.

الثالث: أن يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب.

الرابع: أمات بالمعصية وأحيا بالطاعة.

الخامس: أمات الآباء وأحيا الأبناء.

ويحتمل سادساً: أن يريد به أنام وأيقظ.

(*) لاحظ انه لم يذكر الوجه الثاني.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ وجهان:

أحدهما: إذا تخلق وتقدر، قاله الأخفش.

الثاني: إذا نزلت في الرحم، قاله الكلبي.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: أغنى بالكفاية وأقنى بالزيادة، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: أغنى بالمعيشة وأقنى بالمال، قاله الضحاك.

الثالث: أغنى بالمال وأقنى بأن جعل لهم قنية، وهي أصول الأموال، قاله أبو صالح.

الرابع: أغنى بأن مَوّل وأقنى بأن حرم، قاله مجاهد.

الخامس: أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه، قاله سليمان التيمي.

السادس: أغنى من شاء وأفقر من شاء، قاله ابن زيد.

السابع: أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا، قاله سفيان.

الثامن: أغنى عن أن يخدم وأقنى أن يستخدم، وهذا معنى قول السدي.

ويحتمل تاسعاً: أغنى بما كسبه [الإنسان] في الحياة وأقنى بما خلفه بعد الوفاة مأخوذ من اقتناء المال وهو استبقاؤه.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ والشعرى نجم يضيء وراء الجوزاء، قال مجاهد: تسمى هوزم الجوزاء، ويقال إنه الوقاد، وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان رباً لغيره لأن العرب كانت تعبده فأعلموا أن الشعرى مربوب وليس برب.

واختلف فيمن كان يعبده فقال السدي: كانت تعبده حمير وخزاعة وقال غيره: أول من عبده أبوكبشة، وقد كان من لا يعبدها من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر:

مضى أيلول وارتفع الحرور وأخبت نارها الشعرى العبور

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أن عاد الأولى عاد بن إرم، وهم الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية، وعاداً الآخرة قوم هود.

الثاني: أن عاداً الأولى قوم هود والآخرة قوم كانوا بحضرموت، قاله قتادة.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ والمؤتفكة المنقلبة بالخسف، قاله محمد بن كعب: هي مدائن قوم لوط وهي خمسة: صبغة وصغيرة وعمرة ودوماً وسدوم و هي العظمى، فبعث الله عليهم جبريل فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى أن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها بالحجارة كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ﴾ قال قتادة: كانوا أربعة آلاف ألف.

﴿أَهْوَىٰ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن جبريل أهوى بها حين احتملها حتى جعل عاليها سافلها.

الثاني: أنهم أكثر ارتكاباً للهوى حتى حل بهم ما حل من البلاء.

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ يعني المؤتفكة، وفيما غشاها قولان:

أحدهما: جبريل حين قلبها.

الثاني: الحجارة حتى أهلكها.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ وهذا خطاب للمكذب أي فبأي نعم ربك تشك فيما أولاك وفيما كفاك.

وفي قوله: ﴿فَغَشَّاهَا﴾ وجهان:

أحدهما: ألقاها.

الثاني: غطاها.

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن محمداً نذير الحق أنذر به الأنبياء قبله، قاله ابن جريج.

الثاني: أن القرآن نذير بما أنذرت به الكتب الأولى، قاله قتادة.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن هلاك من تقدم ذكره من الأمم الأولى نذير لكم.

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ أي اقتربت الساعة ودنت القيامة، وسماها آزفة لقرب قيامها عنده.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي من يكشف ضررها.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من القرآن في نزوله من عند الله.

الثاني: من البعث والجزاء وهو محتمل.

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: تضحكون استهزاء ولا تبكون انزجاراً.

الثاني: تفرحون ولا تحزنون، وهو محتمل.

﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: شامخون كما يخطر البعير شامخاً، قاله ابن عباس.

الثاني: غافلون، قاله قتادة.

الثالث: معرضون، قاله مجاهد.

الرابع: مستكبرون، قاله السدي.

الخامس: لاهون لاعبون، قاله عكرمة.

السادس: هو الغناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا، وهي لغة حمير، قاله أبو عبيدة.

السابع: أن يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين قاله علي رضي الله عنه.

الثامن: واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام، قاله الحسن،وفيه ما روي[٤٣٠] عن النبي ﷺ أنه خرج والناس ينتظرونه قياماً فقال: ما لي أراكم سامدين.

التاسع؛ خامدون قاله المبرد، قال الشاعر[٤٣١]:

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدار سمدن له سموداً

﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه سجود تلاوة القرآن، قال ابن مسعود، وفيه دليل على أن في المفصل سجوداً.

الثاني: أنه سجود الفرض في الصلاة.

---

(٤٣٠) وهذا الفعل ورد موقوفاً على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رواه الطبري (٢٧/ ٩٢) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٧/ ٦٦٧) لعبد الرزاق وعبد بن حميد أما المرفوع فلم أعثر على تخريجه والله أعلم.

(٤٣١) هو عبد الله بن الزبير الأسدي والبيت في فتح القدير (٥/ ١١٨) وعيون الأخبار (٢/ ٦٧٦) وذيل الامالي لأبي علي القاري (ص ١٥١).



مكية في قول الجمهور، وقال مقاتل إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ إلى قوله؛ ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾

قوله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي دنت وقربت، قال الشاعر:

قد اقتربت لو كان في قرب دارها جداء ولكن قد تضر وتنفع

والمراد بالساعة القيامة، وفي تسميتها بالساعة وجهان:

أحدهما: لسرعة الأمر فيها.

الثاني: لمجيئها في ساعة من يومها.

وروى طارق بن شهاب عن ابن مسعود(٤٣٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «ٱقْتَرَبَتِ

(٤٣٢) رواه الحاكم (٤/ ٣٢٤) والدولابي في الكنى (١/ ١٥٥) والطبراني في المعجم الكبير (٩٧٨٧) وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٤٢) (٨/ ٣١٥) والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٤٩) وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي وقد وهم في تعقبه كما نبه على ذلك الألباني وقد أقر الحاكم على تصحيحه في السلسلة الصحيحة رقم ١٥١٠.

السَّاعَةُ وَلاَ يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلاَّ حِرْصاً وَلاَ تَزْدَادُ مِنْهُمْ إِلاَّ بُعْداً».

﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه وضح الأمر وظهر والعرب تضرب مثلاً فيما وضح أمره، قال الشاعر(٤٣٣):

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر ... وشدت لطيات مطايا وأرحل

والثاني: أن انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما يسمى الصبح فلقاً لانفلاق الظلمة عنه، وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه، كما قال النابغة الجعدي(٤٣٤):

فلما أدبروا ولهم دوي ... دعانا عند شق الصبح داعي

الثالث: أنه انشقاق القمر على حقيقة انشقاقه.

وفيه على هذا التأويل قولان:

أحدهما: أنه ينشق بعد مجيء الساعة وهي النفخة الثانية، قاله الحسن، قال: لأنه لو انشق ما بقي أحد إلا رأه لأنها آية والناس في الآيات سواء.

الثاني: وهو قول الجمهور وظاهر التنزيل أن القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ بعد أن سأله عمه حمزة بن عبد المطلب حين أسلم غضباً لسب أبي جهل لرسول الله، أن يريه آية يزداد بها يقيناً في إيمانه، وروىٰ مجاهد عن أبي معمر عن أبي مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة، شقة على أبي قبيس، وشقة على السويدا فقالوا: سحر القمر، فنزلت **﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَ ٱنشَقَ ٱلْقَمَرُ﴾**(٤٣٥).

﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ﴾ فيه وجهان:

---

(٤٣٣) هو الشنفرى واسمه ثابت بين أوس الأزدي لقب بالشنفرى لعظم شفته وكان أحد المشهورين بالعدو وهذان البيتان مطلع من قصيدته اللامية وتعرف بلامية العرب.

(٤٣٤) روح المعاني (٢٧/ ٧٧).

(٤٣٥) رواه البخاري (٦/ ٤٦٤) ومسلم (٢٨٠٠) والترمذي (٣٢٨١) وفي الباب عن أنس وحذيفة وابن عمر وابن عباس وجبير بن مطعم راجع الدر المنثور (٧/ ٦٧٠ـ ٦٧٢) وجامع الأصول (١١/ ٣٩٦).

أحدهما: أنه أراد أي آية روأها أعرضوا عنها ولم يعتبروا بها، وكذلك ذكرها بلفظ التنكير دون التعريف، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه عنى بالآية انشقاق القمر حين رأوه.

﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن معنى مستمر ذاهب، قاله أنس وأبو عبيدة.

الثاني: شديد، مأخوذ من إمرار الحبل، وهو شدة فتله، قاله الأخفش والفراء.

الثالث: أنه يشبه بعضه بعضاً.

الرابع: أن المستمر الدائم، قال امرؤ القيس[٤٣٦]:

ألا إنما الدنيا ليال وأعصر   وليس على شيء قويم بمستمر

أي بدائم.

الخامس: أي قد استمر من الأرض إلى السماء، قاله مجاهد.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يوم القيامة.

الثاني: كل أمر مستقر في أن الخير لأهل الخير، والشر لأهل الشر، قاله قتادة

الثالث: أن كل أمر مستقر حقه من باطله.

الرابع: أن لكل شيء غاية ونهاية في وقوعه وحلوله، قاله السدي.

ويحتمل خامساً: أن يريد به دوام ثواب المؤمن وعقاب الكافر.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنْبَآءِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أحاديث الأمم الخالية، قاله الضحاك.

الثاني: القرآن.

﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي مانع من المعاصي.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أنه النهي.

الثاني: أنه الوعيد.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ قاله السدي: هي الرسالة والكتاب

---

(٤٣٦) ديوانه: ١٠٩ وفيه ألا إنما الدهر ليال وأعصر...، فتح القدير (٥/ ١٢٠).

ويحتمل أن يكون الوعد والوعيد.

ويحتمل قوله: ﴿بَالِغَةٌ﴾ وجهين:

أحدهما: بالغة في زجركم.

الثاني: بالغة من الله إليكم، فيكون على الوجه الأول من المُبَالَغَةِ، وعلى الوجه الثاني من الإبْلاَغ.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي فما يمنعهم التحذير من التكذيب.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه: مسرعين، قاله أبو عبيدة، ومنه قول الشاعر[٤٣٧]:

بدجلة دارهم ولقد أراهم   بدجلة مهطعين إلى السماع

الثاني: معناه: مقبلين، قاله الضحاك.

الثالث: عامدين، قاله قتادة.

الرابع: ناظرين، قاله ابن عباس.

الخامس: فاتحين آذانهم إلى الصوت، قاله عكرمة.

السادس: قابضين ما بين أعينهم، قاله تميم.

﴿يَقُولُ ٱلْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يعني يوم القيامة، لما ينالهم فيه من الشدة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ

(٤٣٧) فتح القدير (٥/ ١٢٢).

عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ ٱلسَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المنهمر الكثير، قاله السدي، قال الشاعر[٤٣٨]:

أعيني جودا بالدموع الهوامر على خير باد من معد وحاضر

الثاني: أنه المنصب المتدفق، قاله المبرد، ومنه قول امرىء القيس[٤٣٩]:

راح تمريه الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

وفي فتح أبواب السماء قولان:

أحدهما: أنه فتح رتاجها(*) وسعة مسالكها.

الثاني: أنها المجرة وهي شرج السماء ومنها فتحت بماء منهمر، قاله علي.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فالتقى ماء السماء وماء الأرض على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر، حكاه، ابن قتيبة.

الثاني: قدر بمعنى قضي عليهم، قاله قتادة، وقدر لهم إذا كفروا أن يغرقوا.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ أي السفينة، وفي الدسر أربعة أقاويل:

أحدها: المعاريض التي يشد بها عرض السفينة، قاله مجاهد.

الثاني: أنها المسامير دسرت بها السفينة، أي شدت، قاله ابن جبير وابن زيد.

الثالث: صدر السفينة الذي يضرب الموج، قاله عكرمة، لأنها تدسر الماء بصدرها، أي تدفعه.

الرابع: أنها طرفاها وأصلها، قاله الضحاك.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بمرأى منا.

---

(٤٣٨) روح المعاني (٢٧/ ٨١) وفيه أعيناي جودا. . ، فتح القدير (٥/ ١٢٢).

(٤٣٩) ديوان: ١٤٥ ولكن فيه.

ساعة ثم انتحاها وابل ساقط الأكناف واه منهمر

راح تمر به الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

وفتح القدير (٥/ ١٢٢) والطبري (٢٧/ ٩٤) مختار الشعر الجاهلي هل (١١٠ ـ ١١١).

(*) الرتاج هو الباب.

الثاني: بأمرنا، قاله الضحاك.

الثالث: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين[٤٤٠] بحفظها.

الرابع: بأعين الماء التي أتبعناها في قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُوناً﴾ ، وقيل: إنها تجري بين ماء الأرض والسماء، وقد كان غطاها عن أمر الله سبحانه.

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لكفرهم بالله، قاله مجاهد، وابن زيد.

والثاني: جزاء لتكذيبهم، قاله السدي.

الثالث: مكافأة لنوح حين كفره قومه أن حمل ذات ألواح ودسر.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَآ ءَايَةً﴾ فيها وجهان:

أحدهما: الغرق.

الثاني: السفينة روى سعيد عن قتادة أن الله أبقاها بباقردي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة.

وفي قوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني فهل من متذكر، قاله ابن زيد.

الثاني: فهل من طالب خير فيعان عليه، قاله قتادة.

الثالث: فهل من مزدجر عن معاصي الله، قاله محمد بن كعب.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه سهلنا تلاوته على إهل كل لسان، وهذا أحد معجزاته، لأن الأعجمي قد يقرأه ويتلوه كالعربي.

الثاني: سهلنا علم ما فيه واستنباط معانيه، قاله مقاتل.

الثالث: هونا حفظه فأيسر كتاب يحفظ هو كتاب الله، قاله الفراء.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾

---

(٤٤٠) مذهب السلف الصالح التفويض والتسليم مع التنزيه.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (٢٢)

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: باردة، قاله قتادة، والضحاك.

الثاني: شديدة الهبوب، قاله ابن زيد.

الثالث: التي يسمع لهبوبها كالصوت، ومنه قول الشاعر(٤٤١):

... ... باز يصرصر فوق المرقب العالي

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يوم عذاب وهلاك.

الثاني: لأنه كان يوم الأربعاء.

الثالث: لأنه كان يوماً بارداً، قال الشنفرى(٤٤٢):

وليلة نحس يصطلي القوس ربها وأقطعه اللاتي بها ينبل

يعني أنه لشدة بردها يصطلي بقوسه وسهامه التي يدفع بها عن نفسه.

وفي ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ وجهان:

أحدهما: الذاهب.

الثاني: الدائم.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢)﴾

(٤٤١) من قصيدة لامية له وقد شرحها غير واحد من العلماء وتقدم الكلام عليه.

(٤٤٢) فتح القدير (٥/ ١٢٦).

﴿إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن السعر الجنون، قاله ابن كامل.

الثاني: العناء، قاله قتادة.

الثالث: الافتراق، قاله السدي.

الرابع: التيه، قاله الضحاك.

الخامس: أنه جمع سعر وهو وقود النار، قاله ابن بحر وابن عيسى.

وعلى هذا التأويل في قولهم ذلك وجهان:

أحدهما: أنهم قالوه لعظم ما نالهم أن يتبعوا رجلاً واحداً منهم، كما يقول الرجل إذا ناله خطب عظيم: أنا في النار.

الثاني: أنهم لما أوعدوا على تكذيبه ومخالفته بالنار ردوا مثل ما قيل لهم إنّا لو اتبعنا رجلاً مثلنا واحداً كنا إذاً في النار.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الأشر هو العظيم الكذب، قاله السدي.

الثاني: أنهَ البطر، ومنه قول الشاعر:

أشرتم بلبس الخز لما لبستم ... ومن قبل لا تدرون من فتح القرى

الثالث: أنه المتعدي إلى منزلة لا يستحقها.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَ ٱصْطَبِرْ﴾ أما الاصطبار فهو الافتعال من الصبر وأصل الطاء تاء أبدلت بطاء ليكون اللفظ أسهل مخرجاً ويعذب مسمعاً.

وروى أبو الزبير عن جابر[٤٤٣]قال: لما نزلنا الحجر فغزا رسول الله ﷺ تبوك، قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْأَلُوا عَن هَذِهِ الآياتِ [هؤلاء] قَوْمُ صَالِحٍ سَأَلُوا نَبِيَّهُم أَن يَبْعَثَ اللَّهُ لَهُم آيَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ لَهُم نَاقَةً فَكَانَتْ تَرِدُ مِن ذَلْكِ الفَجِّ فَتَشْرَبُ مَاءَهُم يَوْمَ وُرُودِهَا وَيَحْلِبُونَ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْهَا يَوْمَ غِبِّهَا وَيَصْدِرُونَ عَن ذَلِكَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُم﴾**». الآية.

---

(٤٤٣) رواه الإمام احمد (٣/ ٢٩٦) وصححه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١١) وقال لم يخرجوه ا هـ ويعد قول هذا إلى الحافظ الهمام يبين أن قول محقق المطبوعة رواه البخاري ومسلم يدل على خطو واسع.

وفيه وجهان:

أحدهما: أن الناقة تحضر الماء يوم ورودها، وتغيب عنهم يوم ورودهم، قاله مقاتل.

الثاني: أن ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون، ويحضرون اللبن يوم وردها فيحلبون.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أحمر إرم وشقيها، قاله قتادة، وقد ذكره زهير في شعره فقال:(٤٤٤).

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

الثاني: أنه قدار بن سالف، قاله محمد بن إسحاق، وقد ذكره الأفوه(٤٤٥) في شعره:

أو بعده كقدار حين تابعه على الغواية أقوام فقد بادوا

﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه بطش بيده، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه تناولها وأخذها، ومنه قول حسان بن ثابت(٤٤٦):

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

﴿فَعَقَرَ﴾ قال محمد بن إسحاق: كَمَنَ لها قدار في أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاءة واحدة تحدر سقبها(*) [من بطنها وانطلق سقبها] حتى أتى صخرة في رأس الجبل فرغا ثم لاذ بها، فأتاهم صالح، فلما رأى الناقة قد عقروها بكى ثم قال: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله.

قال ابن عباس: وكان الذي عقرها رجل أحمر أزرق أشقر أكشف أقفى.

﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: يعني العظام المحترقة، قاله ابن عباس.

---

(٤٤٤) بيت من معلقته المشهورة انظر المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري ص.

(٤٤٥) هو صلاءة بن عمرو الأودي له ترجمة في الأغاني (١١/ ٤٣٢٤١).

(٤٤٦) ديوانه: ١٨٥.

(*) سقبها: أي أحشائها.

الثاني: أنه التراب الذي يتناثر من الحائط وتصيبه الريح، فيحتظر مستديراً، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أنها الحظار البالية من الخشب إذا صار هشيماً، ومنه قول الشاعر(٤٤٧):

أثرت عجاجة كدخان نار تشب بغرقد بال هشيم

قاله الضحاك.

الرابع: أنه حشيش قد حظرته الغنم فأكلته، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً

الخامس: أن الهشيم اليابس من الشجر الذي فيه شوك والمحتظر الذي تحظر به العرب حول ماشيتها من السباع، قاله ابن زيد. وقال الشاعر(٤٤٨):

ترى جيف المطي بجانبيه كأن عظامها خشب الهشيم

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤٠)﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن الحاصب الحجارة التي رموا بها من السماء، والحصباء هي الحصى وصغار الأحجار.

الثاني: أن الحاصب الرمي بالأحجار وغيرها، ولذلك تقول العرب لما تسفيه الريح حاصباً، قال الفرزدق (٤٤٩):

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

الثالث: أن الحاصب السحاب الذي حصبهم.

(٤٤٧) فتح القدير (٥/ ١٢٧).

(٤٤٨) فتح القدير (٥/ ١٢٧).

(٤٤٩) روح المعاني (٢٧/ ٩٠) فتح القدير (٥/ ١٢٧).

الرابع: أن الحاصب الملائكة الذين حصبوهم.

الخامس: أن الحاصب الريح التي حملت عليهم الحصباء.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يعني ولده ومن آمن به.

﴿نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ والسحر هو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر، وهو في كلام العرب اختلاط سواد آخر الليل ببياض أول النهار لأن هذا الوقت يكون مخاييل الليل ومخاييل النهار.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ يعني ضيف لوط وهم الملائكة الذين نزلوا عليه في صورة الرجال، وكانوا على أحسن صورهم، فراودوا لوطاً عليهم طلباً للفاحشة.

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ والطمس محو الأثر ومنه طمس الكتاب إذا محي، وفي طمس أعينهم وجهان:

أحدهما: أنهم اختفوا عن أبصارهم حتى لم يروهم، مع بقاء أعينهم، قاله الضحاك.

الثاني: أعينهم طمست حتى ذهبت أبصارهم وعموا فلم يروهم، قاله الحسن، وقتادة.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه وعيد بالعذاب الأدنى، قاله الضحاك.

الثاني: أنه تقريع بما نالهم من عذاب العمى(*) الحال، وهو معنى قول الحسن، وقتادة.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

(*) يعني الذي أصابهم وقتها.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ﴾ يعني أكفاركم خير من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم.

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ يعني في الكتب السالفة براءة من الله تعالى أنكم ليس تهلكون كما أهلكوا، ومنه قول الشاعر:

وتـرى منهـا رسـوماً قـد عـفـت مثـل خط الـلام في وحي الـزبـر

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ يعني بالعدد والعدة، وقد كان من هلك قبلهم أكثر عدداً وأقوى يـداً ، ويحتمل انتصارهم وجهين:

أحدهما: [لأنفسهم بالظهور](*).

الثاني: لآلهتهم بالعبادة.

فرد الله عليهم فقال: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ يعني كفار قريش وذلـك يوم بدر، وهذه معجزة أوعدهم الله بها فحققها، وفي ذلك يقول حسان:

ولقـد وليتم الـدبــر لنـا حين سال الموت من رأس الجبل

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ يعني القيامة.

﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن موقف الساعة أدهى وأمر من موقف الدنيا في الحرب التي تولون فيها الدبر.

الثاني: أن عذاب الساعة أدهى وأمر من عذاب السيف في الدنيا.

وفي قوله ﴿أَدْهَىٰ﴾ وجهان:

أحدهما: أخبث.

الثاني: أعظم.

﴿وَأَمَرُّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه أشد لأن المرارة أشد الطعوم.

الثاني: معناه أنفذ، مأخوذ من نفوذ المرارة فيما خالطته.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ

(*) زيادة في القرطبي

سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ روى إسماعيل بن(٤٥٠) زياد عن محمد بن عباد عن أبي هريرة أن مشركي قريش أتوا النبي ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت(٤٥١).

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على قدر ما أردنا من غير زيادة ولا نقصان، قاله ابن بحر.

الثاني: بحكم سابق وقضاء محتوم، ومنه قول الراجز:

وقدر المقدر الأقدارا.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ يعني أن ما أردناه من شيء أمرنا به مرة واحدة ولم نحتج فيه إلى ثانية، فيكون ذلك الشيء مع أمرنا به كلمح البصر في سرعته من غير إبطاء ولا تأخير.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المستطر المكتوب، قاله الحسن وعكرمة وابن زيد، لأنه مسطور.

الثاني: أنه المحفوظ، قاله قتادة.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن النهر أنهار الماء، والخمر، والعسل، واللبن، قاله ابن جريج.

الثاني: أن النهر الضياء والنور، ومنه النهار، قاله محمد بن إسحاق، ومنه قول الراجز:

لولا الثريدان هلكنا بالضمر ثريد ليل وثريد بالنهر

الثالث: أنه سعة العيش وكثرة النعيم، ومنه اسم نهر الماء، قاله قطرب.

---

(٤٥٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب زياد بن إسماعيل والتصويب من الطبري (٢٧/ ١١٠) وغيره.

(٤٥١) رواه ابن جرير (٢٧/ ١١٠) وابن ماجه (٨٣) وأحمد (٢/ ٤٤٤، ٤٧٦) والترمذي (٣٢٩٠). ومسلم نحو (٤/ ٢٠٤٦) وزاد السيوطي في الدر (٢٧/ ٦٨٢) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه...

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِند مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مقعد حق لا لغو فيه ولا تأثيم.

الثاني: مقعد صدق لله وعد أولياءه به، والمليك والملك واحد، وهو الله كما قال ابن الزبعري[٤٥٢]:

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت إذا أنا بوا

ويحتمل ثالثاً: أن المليك مستحق الملك، والملك القائم بالملك والمقتدر بمعنى القادر.

ويحتمل وصف نفسه بالاقتدار هاهنا وجهين.

أحدهما: لتعظيم شأن من عنده من المتقين لأنهم عند المقتدر أعظم قدراً، وأعلى مجزاً.

الثاني: ليعلموا أنه قادر على حفظ ما أنعم به عليهم ودوامه لهم، والله أعلم.

(٤٥٢) تقدم تخريج هذا البيت.



مكية كلها في قول الحسن، وعكرمة، وجابر، وقال ابن عباس: إلا آية، وهي قوله تعالى: ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ الآية.

وقال ابن مسعود، ومقاتل: هي مدنية[٤٥٣] كلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه اسم ممنوع لا يستطيع الناس أن ينتحلوه، قاله الحسن، وقطرب.

---

(٤٥٣) ورجح القرطبي (١٧/ ١٥٠) كونها مكية واستدل بما ورد وعن ابن مسعود أنه أول من جهر بها في مكة.

الثاني: أنه فاتحة ثلاث سور إذا جمعن كن اسماً من أسماء الله تعالى: ﴿الٓر﴾ و ﴿حمٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ فيكون مجموع هذه ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ ، قاله سعيد بن جبير، وابن عباس.

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علمه النبي ﷺ حتى أداه إلى جميع الناس.

الثاني: سهل تعلمه على جميع الناس.

﴿خَلَقَ ٱلإِنسَانَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني آدم، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنه أراد جميع الناس وإن كان بلفظ واحد، وهو قول الأكثرين.

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ لأنه بالبيان فُضِّل على جميع الحيوان، وفيه ستة تأويلات:

أحدها: أن البيان الحلال والحرام، قاله قتادة.

الثاني: الخير الشر، قاله الضحاك، والربيع بن أنس.

الثالث: المنطق والكلام، قاله الحسن.

الرابع: الخط، وهو مأثور.

الخامس: الهداية، قاله ابن جريج.

السادس: العقل لأن بيان اللسان مترجم عنه.

ويحتمل سابعاً: أن يكون البيان ما اشتمل على أمرين: إبانة ما في نفسه ومعرفة ما بين له.

وقول ثامن لبعض أصحاب الخواطر: خلق الإنسان جاهلاً به، فعلمه السبيل إليه.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يعني بحساب، قاله ابن عباس، والحسبان مصدر الحساب، وقيل: جمعه.

الثاني: معنى الحسبان هذه آجالها، فإذا انقضى الأجل كانت القيامة، قاله السدي.

الثالث: أنه يقدر بهما الزمان لامتياز النهار بالشمس والليل بالقمر

ولو استمر أحدهما فكان الزمان ليلاً كله أو نهاراً كله لما عرف قدر الزمان، قاله ابن زيد.

الرابع: يدوران، وقيل إنهما يدوران في مثل قطب الرحى، قاله مجاهد.

الخامس: معناه يجريان بقدر.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ في النجم قولان:

أحدهما: نجم السماء، وهو موحد والمراد به جميع النجوم، قاله مجاهد.

الثاني: أن النجم النبات الذي قد نجم في الأرض وانبسط فيها، ليس له ساق، والشجر ما كان على ساق، قاله ابن عباس.

وفي سجودهما خمسة أقاويل:

أحدها: هو سجود ظلهما، قاله الضحاك.

الثاني: هو ما فيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود والخضوع، قاله ابن بحر.

الثالث: أن سجودهما دوران الظل معهما، كما قال تعالى: ﴿يتفيأ ظلاله﴾ ، قاله الزجاج.

الرابع: أن سجود النجم أفوله، وسجود الشجر إمكان الإجتناء لثمارها.

الخامس: أن سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت ثم يميلان معها إذا انكسر الفيء، قاله الفراء.

﴿وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ يعني على الأرض.

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الميزان ذو اللسان ليتناصف به الناس في الحقوق، قاله الضحاك.

الثاني: أن الميزان الحكم.

الثالث: قاله قتادة، ومجاهد، والسدي: أنه العدل[٤٥٤]، ومنه قول حسان[٤٥٥]:

ويثرب تعلم أنا بها ... إذا التبس الأمر ميزانها

---

(٤٥٤) واختاره الطبري (٢٧/ ١١٨) وابن كثير (٥/ ٢٧٠) والألوسي (٢٧/ ١٠١) وفتح القدير للشوكاني (٥/ ١٣٢).

(٤٥٥) ديوان: ٢٥٤.

﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ﴾ وفي الميزان ما ذكرناه من الأقاويل:

أحدها: أنه العدل وطغيانه الجور، قاله مجاهد.

الثاني: أنه ميزان الأشياء الموزونات وطغيانه البخس، قاله مقاتل، وقال ابن عباس: يا معشر الموالي وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم: المكيال والميزان.

الثالث: أنه الحكم، وطغيانه التحريف.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل، قال مجاهد: القسط: العدل.

﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي لا تنقصوه بالبخس قيل: إنه المقدار: فالجور إن قيل: إنه العدل، والتحريف إن قيل :الحكم.

وفيه وجه رابع: أنه ميزان حسناتكم يوم القيامة.

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي بسطها ووطأها للأنام ليستقروا عليها ويقتاتوا منها.

وفي الأنام ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الناس، قاله ابن عباس، وفيه قول بعض الشعراء في رسول الله ﷺ:

مبارك الوجه يستسقى الغمام به ... ما في الأنام له عدل ولا خطر

الثاني: أن الأنام الإنس والجن، قاله الحسن.

الثالث: أن الأنام جميع الخلق من كل ذي روح، قاله مجاهد، وقتادة والسدي، سمي بذلك لأنه ينام، قال الشاعر:

جاد الإله أبا الوليد ورهطه ... رب الأنام وخصه بسلام

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن ذات الأكمام النخل، وأكمامها ليفها الذي في أعناقها، قاله الحسن.

الثاني: أنه رقبة النخل التي تكمم فيه طلعاً، ومنه قول الشاعر[٤٥٦]:

وذات أثارة أكلت عليها ... نباتاً في أكمتة قفار

الثالث: أنه الطلع المكمم الذي هو كمام الثمرة، قاله ابن زيد.

---

(٤٥٦) هو الراعي النميري واسمه عبيد بن حصين بن معاوية أبو جندل.

الرابع: أن معنى ذات الأكمام أي ذوات فضول على كل شيء، قاله ابن عباس.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ أما الحب فهو كل حب خرج من أكمامها كالبر والشعير.

وأما العصف ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الريح، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الزرع إذا اصفر ويبس.

الثالث: أنه حب المأكول منه، قاله الضحاك، كما قال تعالى: ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾.

وأما الريحان ففيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه الرزق، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، والسدي، والعرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله أي رزقه، ويقال سبحانك وريحانك أي رزقك، وقال النمر بن تولب[٤٥٧]:

سلام الإله وريحانه ... ورحمته وسماء درر

قاله الضحاك، ورخيته هي لغة حِمْيَر.

الثاني: أن الريحان الزرع الأخضر الذي لم يسنبل، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه الريحان الذي يشم، قاله الحسن، والضحاك، وابن زيد.

الرابع: أن العصف الورق الذي لا يؤكل والريحان هو الحب المأكول، قاله الكلبي.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في الآلاء قولان:

أحدهما: أنها النعم، وتقديره فبأي نعم ربكما تكذبان، قاله ابن عباس، ومنه قول طرفة:

كامل يجمع الآلاء الفتى ... بيديه سيد السادات خصم

الثاني: أنها القدرة، وتقدير الكلام فبأي قدرة ربكما تكذبان، قاله ابن زيد، والكلبي.

---

(٤٥٧) غريب القرآن (٤٣٧) والطبري (٢٧/ ١٢٣) والقرطبي (١٧/ ١٥٧) اللسان روح، زاد المسير (٨/ ١٠٨) فتح القدير (٥/ ١٣٣).

وفي قوله ربكما إشارة إلى الثقلين الإنس والجن في قول الجميع.

وقد روى محمد بن المنكدر عن جابر قال: [٤٥٨]قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: «**مِا لِي أَرَاكُم سُكُوتاً؟! الجِنُّ أَحْسَنُ مِنكُم رَداً، كُنتُ كُلَّمَا قَرأْتُ عَلَيهِم الآية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَالُوا: وَلَا بِشَيءٍ مِن نِّعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ ٱلْحَمْدُ**».

وتكرارها[٤٥٩] في هذه السورة لتقرير النعم التي عددها، فقررهم عند كل نعمة منها، كما تقول للرجل أما أحسنت إليك حين وهبت إليك مالاً؟ أما أحسنت إليك حين بنيت لك داراً، ومنه قول مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً[٤٦٠]:

على أن ليس عدلاً من كليب   إذا ما ضيم جيران المجير

على أن ليس عدلاً من كليب   إذا خرجت مخبأة الخدور

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

---

(٤٥٨) رواه الترمذي (٢/ ١٦١) والحاكم (٢/ ٤٧٣) وصححه ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكى الإمام عن أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد. قلت فرواية الوليد عن زهير تعد على هذا ضعيفة لأنها على قول الإمام أحمد لأن الوليد شامي، ولهذا قال الحافظ في التهذيب (٣/ ٣٤٩) ما روى عن أهل الشام فإنه مناكير وما روى عن أهل البصرة فإنه صحيح. قلت على هذا ففي تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي له نظر لما سبق بيانه وقد زاد السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٠) نسبة الحديث لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤٥٩) أي تكرار قوله تعالى ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

(٤٦٠) روح المعاني (٢٧/ ٩٧).

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه الطين المختلط برمل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الطين الرطب الذي إذا عصرته بيدك خرج الماء من بين أصابعك، وهذا مروي عن عكرمة.

الثالث: أنه الطين اليابس الذي تسمع له صلصلة، قاله قتادة.

الرابع: أنه الطين الأجوف الذي إذا ضرب بشيء صلّ[٤٦١] وسُمِع له صوت.

الخامس: أنه الطين المنتن، قاله الضحاك، مأخوذ من قولهم صلَّ اللحم إذا أنتن.

والمخلوق من صلصال كالفخار هو آدم عليه السلام.

قال عبدالله بن سلام: خلق الله آدم من تراب من طين لازب، فتركه كذلك أربعين سنة، ثم صلصله كالفخار أربعين سنة، ثم صوره فتركه جسداً لا روح فيه أربعين سنة، فذلك مائة وعشرون سنة. كل ذلك والملائكة تقول سبحان الذي خلقك، لأمر ما خلقك.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه لهب النار، قاله ابن عباس.

الثاني: خلط النار، قاله أبو عبيدة.

الثالث: أنه [اللهب] الأخضر والأصفر [والأحمر] الذي يعلو النار إذا أوقدت ويكون بينها وبين الدخان، قاله مجاهد.

الرابع: أنها النار المرسلة التي لا تمتنع، قاله المبرد.

الخامس: أنها النار المضطربة التي تذهب وتجيء، وسمي مارجاً لاضطرابه وسرعة حركته.

وفي الجان المخلوق من مارج من نار قولان:

---

(٤٦١) فائدة قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله في زاد السير (٨/ ١١٠) فإن قيل قد أخبر الله تعالى عن خلق آدم عليه السلام بألفاظ مختلفة فتارة يقول خلقه من تراب وتارة صلصال وتارة من طين لازب وتارة كالفخار وتارة من حمأ مسنون فالجواب ان الأصل التراب فجعل طيناً ثم صار كالحمأ المسنون ثم صار صلصالاً كالفخار هذه إخباراً عن حالات أصله.

أحدهما: أنه أبو الجن[٤٦٢]، قاله أبو فروة يعقوب عن مجاهد.

الثاني: أنه إبليس، وهو قول مأثور.

وفي النار التي خلق من مارجها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من النار الظاهرة بين الخلق، قاله الأكثرون.

الثاني: من نار تكون بين الجبال من دون السماء وهي كالكلة الرقيقة[*]. قاله الكلبي.

الثالث: من نار دون الحجاب ومنها هذه الصواعق وترى خلق السماء منها، قاله الفراء.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن المشرقين مشرق الشمس في الشتاء والصيف، والمغربين مغرب الشمس في الشتاء والصيف، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المشرقين مشرق الشمس والقمر، والمغربين مغربهما.

الثالث: أن المشرقين الفجر والشمس، والمغربين الشمس والغسق وأغمض[٤٦٣] سهل بن عبدالله بقول رابع: أن المشرقين مشرق القلب واللسان، والمغربين مغرب القلب واللسان.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أما البحران ففيهما خمسة أوجه:

أحدها: أنه بحر السماء[٤٦٤] وبحر الأرض، قاله ابن عباس.

الثاني: بحر فارس والروم، قاله الحسن، وقتادة.

الثالث: أنه البحر المالح والأنهار العذبة، قاله ابن جريج.

---

(٤٦٢) تقدم الكلام على هذا في سورة الحجر والكهف فراجعه.

(*) هي: الستر الرقيقة أشبه الناموسية كما يقال لها راجع لسان العرب.

(٤٦٣) أي أنه أتى بغامض من المعاني وحقاً إن هذا التفسير لغريب جداً جداً وهو تفسير أجنبي عن منهج المفسرين فهو أشبه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية.

(٤٦٤) ورجحه الطبري (٢٧/ ١٢٨) وأيده بسياق الآية وهاك عبارته وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى به بحر السماء وبحر الأرض وذلك أن الله قال يخرج منها اللؤلؤ والمرجان واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عبر قطر السماء فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء م. هـ.

الرابع: أنه بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما.

الخامس: أنه بحر اللؤلؤ وبحر المرجان.

وأما ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تفريق البحرين، قاله ابن صخر.

الثاني: إسالة البحرين، قاله ابن عباس.

الثالث: استواء البحرين، قاله مجاهد.

وأصل المرج: الإهمال كما تمرج الدابة في المرج.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ في البرزخ الذي بينهما أربعة أقاويل:

أحدها: أنه حاجز، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه عرض الأرض، قاله مجاهد.

الثالث: أنه ما بين السماء والأرض، قاله عطية، والضحاك.

الرابع: أنه الجزيرة التي نحن عليها وهي جزيرة العرب، قاله الحسن، وقتادة.

وفي قوله: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يختلطان لا يسيل العذب على المالح ولا المالح على العذب، قاله الضحاك.

الثاني: لا يبغي أحدهما على صاحبه فيغلبه، قاله مجاهد، وقتادة.

الثالث: لا يبغيان أن يلتقيا، قاله ابن زيد، وتقدير الكلام: مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان أن يلتقيا.

وقال سهل: البحران[٤٦٥] طريق الخير وطريق الشر، والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ و في المرجان أربعة أقاويل:

أحدها: عظام اللؤلؤ وكباره، وقاله علي وابن عباس، ومنه قول الأعشى[٤٦٦]:

من كل مرجانة في البحر أخرجها ... تيارها ووقاها طينة الصدف

---

(٤٦٥) وهذا التفسير كتفسيره السابق، لقوله ﴿مرج البحرين﴾ فكن على حذر».

(٤٦٦) ديوان: ١١٤ والبيت فيه.

من كل مرجانة في البحر أخرجها ... غواصها ووقاها طينها الصدف

الثاني: أنه صغار اللؤلؤ، قاله الضحاك وأبو رزين.

الثالث: أنه الخرز الأحمر كالقضبان، قاله ابن مسعود.

الرابع: أنه الجوهر المختلط، مأخوذ من مرجت الشيء إذا خلطته وفي قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ وجهان:

أحدهما: أن المراد أحدهما وإن عطف بالكلام عليهما.

الثاني: أنه خارج منهما على قول ابن عباس أنهما بحر السماء وبحر الأرض، لأن ماء السماء إذا وقع على صدف البحر انعقد لؤلؤاً، فصار خارجاً منهما.

وفيه وجه ثالث: أن العذب والمالح قد يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للمالح فنسب إليهما كما نسب الولد إلى الذكر والأنثى وإن ولدته الأنثى، ولذلك قيل إنه لا يخرج اللؤلؤ إلا من موضع يلتقي فيه العذب والمالح.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ﴾ أما الجواري فهي السفن واحدتها جارية سميت بذلك لأنها تجري في الماء بإذن الله تعالى، والجارية هي المرأة الشابة أيضاً سميت بذلك لأنه يجري فيها ماء الشباب.

وأما المنشآت ففيها خمسة أوجه:

أحدها: أنها المخلوقات، قاله قتادة مأخوذ من الإنشاء.

الثاني: أنها المحملات، قاله مجاهد.

الثالث: أنها المرسلات، ذكره ابن كامل.

الرابع: المجريات، قاله الأخفش.

الخامس: أنها ما رفع قلعه منها وهي الشرع فهي منشأة، وما لم يرفع ليست بمنشأة، قاله الكلبي.

وقرأ حمزة ﴿ٱلْمُنشِـَٔاتُ﴾[٤٦٧] بكسر الشين، وفي معناه على هذه القراءة وجهان:

أحدهما: البادئات، قاله ابن إسحاق والجارود بن أبي سبرة.

الثاني: أنها يكثر نشأً بجريها وسيرها في البحر كالأعلام، قاله ابن بحر.

وفي قوله: ﴿كَٱلْأَعْلَامِ﴾ وجهان:

(٤٦٧) الحجة في القراءات ص ٦٩١.

أحدهما: يعني الجبال سميت بذلك لارتفاعها كارتفاع الأعلام، قاله السدي، قالت الخنساء[٤٦٨]:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

الثاني: أن الأعلام القصور، قاله الضحاك.

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يسألونه الرزق لأهل الأرض فكانت المسألتان جميعاً من أهل السماء وأهل الأرض، لأهل الأرض، قاله ابن جريج[٤٦٩] وروته عائشة مرفوعاً.

الثاني: أنهم يسألونه القوة على العبادة، قاله ابن عطاء، وقيل إنهم يسألونه لأنفسهم الرحمة، قاله أبو صالح.

قال قتادة: لا استغنى عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، قال الكلبي: وأهل السماء يسألونه المغفرة خاصة لأنفسهم ولا يسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونه المغفرة والرزق.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أراد شأنه في يومي الدنيا والآخرة. قال ابن بحر: الدهر كله يومان: أحدهما مدة أيام الدنيا، والآخر يوم القيامة، فشأنه سبحانه في أيام الدنيا الابتلاء والاختبار بالأمر، والنهي، والإحياء، والإماتة، والإعطاء، والمنع، وشأنه يوم القيامة الجزاء، والحساب، والثواب، والعقاب.

والقول الثاني: أن المراد بذلك الإخبار عن شأنه في كل يوم من أيام الدنيا.

---

(٤٦٨) تقدم تخريج هذا البيت.

(٤٦٩) اما أثر ابن جريج فقد رواه ابن المنذر كما في الدر (٧/ ٦٩٩) وأما حديث عائشة المرفوع فلم اهتد إلى تخريجه.

وفي هذا الشأن الذي أراده في أيام الدنيا قولان:

أحدهما: من بعث من الأنبياء في كل زمان بما شرعه لأمته من شرائع الدين وكان الشأن في هذا الموضع هو الشريعة التي شرعها كل نبي في زمانه ويكون اليوم عبارة عن المدة.

القول الثاني: ما يحدثه الله في خلقه من تبدل الأحوال وإختلاف الأمور، ويكون اليوم عبارة عن الوقت.

روى مجاهد عن عبيد بن عمير قال: كل يوم هو في شأن، يجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويفك عانياً، ويتوب على قوم، ويغفر لقوم.

وقال سويد بن غفلة: كل يوم هو في شأن، هو يعتق رقاباً، ويعطي رغاباً، ويحرم عقاباً.

وقد روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال(٤٧٠): «﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ مِن شَأْنِهِ أَن يَغْفِرَ ذَنباً، وَيُفرِجَ كَرْباً، وَيَرْفَعَ قَوماً، وَيَضَعَ آخَرِينَ».

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

---

(٤٧٠) وهذا الحديث اختلف فيه أهل العلم فرجح البخاري وقفه حيث ذكره في صحيحه معلقاً (٨/ ٤٩٠) موقوفاً قال الحافظ ابن حجر (٨/ ٤٩٠) وصله المصنف في التاريخ وابن حبان في الصحيح وابن ماجه وابن ابي عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفاً وللمرفوع شاهد عن عبدالله بن عمرو أخرجه البزار وآخر عن عبدالله بن منيب أخرجه الحسن بن سفيان والبزار وابن جرير (٢٧/ ١٣٥) والطبراني ا هـ.

قلت أما حديث ابن عمر ففي سنده ابن البيلمان وأبوه وهما ضعيفان وإن كان الأب أحسن حالاً من الابن.

وأما حديث ابن منيب فقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيهم من لم أعرفهم ا هـ.

قلت وقد زاد نسبة المرفوع للحسن بن سفيان وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٩).

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلثَّقَلَانِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي لنقومن عليكم على[٤٧١] وجه التهديد.

الثاني: سنقصد إلى حسابكم ومجازاتكم على أعمالكم وهذا وعيد لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، وقال جرير[٤٧٢]:

الآن وقد فرغت إلى نمير فهذا حين كنت لها عذاباً

أي قصدت لهم، والثقلان الإنس والجن سموا بذلك لأنهم ثقل على الأرض.

﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَوٰاتِ وٱلأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا، لن تعلموه إلا بسلطان، قاله عطية العوفي.

الثاني: إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هرباً من الموت فانفذوا، قاله الضحاك.

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني إلا بحجة، قاله مجاهد، قاله ابن بحر: والحجة الإيمان.

الثاني: لا تنفذون إلا بمُلْك وليس لكم مُلْك، قاله قتادة.

الثالث: معناه لا تنفذون إلا في سلطانه وملكه، لأنه مالك السموات والأرض وما بينهما، قاله ابن عباس.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الشواظ لهب النار، قاله ابن عباس، ومنه قول أمية[٤٧٣] بن أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت.

يمانياً يظل يشد كيراً وينفخ دائباً لهب الشواظ

---

(٤٧١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٤٩٠): قال ابن عباس هو وعيد من الله لعباده وليس بالله شغل وهو معروف في كلام العرب يقال لأتفرغن لك وما به شغل كأنه يقول لآخذنك على غرة.

(٤٧٢) روح المعاني (٢٧/ ١١١) فتح القدير (٥/ ١٣٦).

(٤٧٣) قال محقق المطبوعة تعليقاً هكذا جاء في الأصول وفي تفسير الثعلبي وفي الصحاح وكتاب الوقف والإبتداء لابن الأنباري أنه أمية بن خلف.

[فأجابه حسان فقال][٤٧٤].

همزتك فاختضعت بذل نفسٍ   بقافية تأجج كالشواظ

الثاني: أنه قطعة من النار فيها خضرة، قاله مجاهد.

الثالث: أنه الدخان، رواه سعيد بن جبير، قال رؤبة بن العجاج[٤٧٥]:

إن لهم من وقعنا أقياظا   ونار حرب تسعر الشواظا

الرابع: أنها طائفة من العذاب، قاله الحسن.

وأما النحاس ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الصفر المذاب على رؤوسهم، قاله مجاهد، وقتادة.

الثاني: أنه دخان النار، قاله ابن عباس، قال النابغة الجعدي[٤٧٦]:

كضوء سراج السليـ   ـط لم يجعل الله فيه نحاساً.

الثالث: أنه القتل، قاله عبدالله بن أبي بكرة.

الرابع: أنه نحس لأعمالهم، قاله الحسن.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وردة البستان، وهي حمراء، وقد تختلف ألوانها لكن الأغلب من

(٤٧٤) ابن هشام (١/ ٣٨٢) وروح المعاني (٢٦/ ١١٢) وفيه هجوتك فاختصصت لنا بذل.

(٤٧٥) ديوانه: ٨١، اللسان «شوظ» الطبري (٢٧/ ١٣٩).

(٤٧٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٥) الطبري (٢٧/ ١٤١) اللسان «نحس» غريب القرآن (٤٣٨) زاد المسير (٨/ ١١٧) روح المعاني (٢٧/ ١١٣).

ألوانها الحمرة، وبها يضرب المثل في لون الحمرة، قال عبد بني الحسحاس:

فلو كنت ورداً لونه لعشقتني ... ولكن ربي شانني بسواديا

كذلك تصير السماء يوم القيامة حمراء كالورد، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه أراد بالوردة الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي الشتاء أغبر، فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بالفرس الورد، لاختلاف ألوانه، قاله الكلبي والفراء.

وفي قوله: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ خمسة أوجه:

أحدها: يعني خالصة، قاله الضحاك.

الثاني: صافية، قاله الأخفش.

الثالث: ذات ألوان، قاله الحسن.

الرابع: صفراء كلون الدهن، وهذا قول عطاء الخراساني، وأبي الجوزاء.

الخامس: الدهان أديم الأرض الأحمر، قاله ابن عباس، قال الأعشى[٤٧٧]:

وأجرد من فحول الخيل طرف ... كأن على شواكله دهانا

وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق، وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمراء كحمرة الدم وترى بالحائل زرقاء، فإن كان هذا صحيحاً فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لأنه أصل لونها.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: كانت المسألة قبل، ثم ختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، قاله قتادة.

الثاني: أنه لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا، قاله ابن عباس.

الثالث: لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم قد رفعوا أعمالهم في الدنيا، قاله مجاهد.

الرابع: أنه لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لشغل كل واحد منهم بنفسه، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

---

(٤٧٧) ديوانه ١٩٧، روح المعاني (٢٧/ ١١٤).

الخامس: أنهم في يوم تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه فهم معروفون بألوانهم فلم يسأل عنهم، قاله الفراء.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ قال قتادة: يطوفون مرة بين الحميم، ومرة بين الجحيم، والجحيم النار، والحميم الشراب.

وفي قوله تعالى: ﴿ءَانٍ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الذي انتهى حره وحميمه، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي، ومنه قول النابغة الذبياني(٤٧٨):

وتخضب لحية غدرت وخانت ... بأحمر من نجيع الجوف آن

أي حار.

الثاني: أنه الحاضر، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه الذي قد آن شربه وبلغ غايته، قاله مجاهد.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وفي الخائف مقام ربه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه يهم بذنب فيذكر مقام ربه فيدعه، قاله مجاهد.

الثالث: أن ذلك نزل في أبي بكر رضي الله عنه خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلفت، والنار حين برزت، قاله عطاء وابن شوذب.

قال الضحاك: بل شرب ذات يوم لبناً على ظمأ فأعجبه، فسأل عنه فأُخْبِر أنه من غير حل، فاستقاءه ورسول الله ﷺ ينظر إليه، فقال: «رَحِمَكَ ٱللَّهُ لَقَدْ أُنزِلَتْ فِيكَ آيَةٌ» وتلا عليه هذه الآية.

وفي مقام ربه قولان:

أحدهما: هو مقام بين يدي العرض والحساب.

---

(٤٧٨) ديوانه: ١١٣ فتح القدير (٥/ ١٣٨) الطبري (٢٧/ ١٤٤) خزانة الأدب (١/ ٢٠٤).

الثاني: هو قيام الله تعالى بإحصاء ما اكتسب من خير وشر.

وفي هاتين الجنتين أربعة أوجه:

أحدها: جنة الإنس وجنة الجان، قاله مجاهد.

الثاني: جنة عدن، وجنة النعيم، قاله مقاتل.

الثالث: أنهما بستانان من بساتين الجنة، وروي [٤٧٩] ذلك مرفوعاً لأن البستان يسمى جنة.

الرابع: أن إحدى الجنتين منزله، والأخرى منزل أزواجه وخدامه كما يفعله رؤساء الدنيا.

ويحتمل خامساً: أن إحدى الجنتين مسكنه، والأخرى بستانه.

ويحتمل سادساً: أن إحدى الجنتين أسافل القصور، والأخرى أعاليها[٤٨٠].

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ذواتا ألوان، قاله ابن عباس.

الثاني: ذواتا أنواع من الفاكهة، قاله الضحاك.

الثالث: ذواتاأتا [٤٨١] وسَعَةٍ، قاله الربيع بن أنس.

الرابع: ذواتا أغصان، قاله الأخفش وابن بحر.

والأفنان جمع واحده فنن كما قال الشاعر[٤٨٢]:

ما هاج سوقك من هديل حمامة ... تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادف ضارياً ... ذا مخلبين من الصقور قطاما

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٍۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٥٦ فَبِأَيِّ

(٤٧٩) أخرجه ابن مردويه عن عياض بن تميم مرفوعاً راجع الدر المنثور (٧/ ٧٠٨).

(٤٨٠) وأولى ما تفسر به الجنتين ما رواه البخاري (٨/ ٤٩١) ومسلم (٢٩٦) من حديث عبدالله بن قيس مرفوعاً «جنتان من فضة آنيتها وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتها وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

(٤٨١) هكذا وقعت بالأصل ولم يعرف معناها والله أعلم.

(٤٨٢) اللسان «هدر» الطبري (٢٧/ ١٤٧) فتح القدير (٥/ ١٤٠).

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن بطائنها يريد به ظواهرها، قاله قتادة.

والعرب تجعل البطن ظهراً فيقولون هذا بطن السماء وظهر السماء.

الثاني: أنه أراد البطانة دون الظهارة، لأن البطانة إذا كانت من إستبرق وهي أدون من الظهارة دل على أن الظهارة فوق الإستبرق، قاله الكلبي.

وسئل ابن عباس فما الظواهر؟ قال: إنما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ فأما الجنا فهو الثمر، ومنه قول الشاعر(٤٨٣):

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

وفي قوله: ﴿دَانٍ﴾ وجهان:

أحدهما: داني لا يبعد على قائم ولا على قاعد، قاله مجاهد.

الثاني: أنه لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك، قاله قتادة.

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قال قتادة: قصر طرفهن على أزواجهن، لا يسددن النظر إلى غيرهم، ولا يبغين بهم بدلاً.

﴿لَمْ يَطْمَثْهنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لم يمسسهن، قال أبو عمرو: الطمث المس، وذلك في كل شيء يمس.

الثاني: لم يذللهن إنس قبلهم ولا جان، والطمث: التذليل، قاله المبرد.

الثالث: لم يُدْمِهُنَّ يعني إنس ولا جان، وذلك قيل للحيض طمث، قال الفرزدق(٤٨٤):

---

(٤٨٣) هو عمرو بن عدي اللخمي والبيت في فتح القدير (٥/ ١٤١).

(٤٨٤) اللسان (طمث) فتح القدير (٥/ ١٤٩) واستدل بالآية على أن الجن يدخلون الجنة ويجامعون فيها =

دفعن إليَّ لم يطمثن قبلي ... وهن أصح من بيض النعام

وفي الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلإِحْسَانِ إِلَّا ٱلإِحْسَانُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: هل جزاء الطاعة إلا الثواب.

الثاني: هل جزاء الإحسان في الدنيا إلا الإحسان في الآخرة، قاله ابن زيد.

الثالث: هل جزاء من شهد أن لا إله إلا الله إلا الجنة، قاله ابن عباس.

الرابع: هل جزاء التوبة إلا المغفرة، قاله جعفر بن محمد الصادق.

ويحتمل خامساً: هل جزاء إحسان الله عليكم إلا طاعتكم له.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي أقرب منهما جنتان.

الثاني: أي دون صفتهما جنتان.

وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه، قال ابن عباس: فيكون في الأوليين النخل والشجر، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط.

= كالإنس منهم فهم باقون فيها منعمين كبقاء المعذبين منهم في النار روح المعاني (٢٧/ ١١٩).

الثاني: أن الأولبين من ذهب للمقربين، والأخريين من وَرِقٍ لأصحاب اليمين، قاله ابن زيد.

الثالث: أن الأولبين للسابقين، والأخريين للتابعين، قاله الحسن.

قال مقاتل: الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى، وفي الجنات الأربع جنان كثيرة.

ويحتمل رابعاً: أن يكون من دونهما جنتان لأتباعه، لقصور منزلتهم عن منزلته، إحداهما للحور العين، والأخرى للولدان المخلدين، لتميز بهما الذكور عن الإناث.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أي خضراوان، قاله ابن عباس.

الثاني: مسودتان[٤٨٥]، قاله مجاهد، مأخوذ من الدهمة وهي السواد، ومنه سمي سود الخيل دهماً.

الثالث: [خضروان من الرّي][*] ناعمتان، قاله قتادة.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ممتلئتان لا تنقطعان، قاله الضحاك.

الثاني: جاريتان، قاله الفراء.

الثالث: فوّارتان، وذكر في الجنتين الأولبين عينين تجريان، وذكر في الأخريين عينين نضاختين، والجري أكثر من النضخ.

وبماذا هما نضاختان؟ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بالماء، قاله ابن عباس.

الثاني: بالمسك والعنبر، قاله أنس.

الثالث: بالخير والبركة، قاله الحسن، والكلبي.

الرابع: بأنواع الفاكهة، قاله سعيد بن جبير.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ يعني الجنات الأربع، وفي الخيرات قراءتان، إحداهما بالتخفيف، وفي المراد بها قولان:

---

(٤٨٥) يعني كأنهما من شدة اخضرار أوراق أشجارهما ضاربتان للسواد راجع زاد المسير (٨/ ١٢٤).

(*) زيادة من ابن كثير كما نقله عن قتادة.

أحدهما: الخير والنعم المستحسنة.

الثاني: خيرات الفواكه والثمار، وحسان في المناظر والألوان.

والقراءة الثانية بالتشديد[٤٨٦]، وفي المراد بها قولان:

أحدهما: مختارات.

الثاني: ذوات الخير وفيهن قولان:

أحدهما: أنهن الحور المنشآت في الآخرة

الثاني: أنهن النساء المؤمنات الفاضلات من أهل الدنيا.

وفي تسميتهن خيرات أربعة أوجه:

أحدها: لأنهن خيرات الأخلاق حسان الوجوه، قاله قتادة وروته أم سلمة مرفوعاً[٤٨٧].

الثاني: لأنهن عذارى أبكاراً، قاله أبو صالح.

الثالث: لأنهن مختارات.

الرابع: لأنهن خيرات صالحات، قاله أبو عبيدة.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: مقصورات الطرف على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً، ولا يرفعن طرفاً إلى غيرهم من الرجال، قاله مجاهد.

الثاني: المحبوسات في الحجال لَسْنَ بالطوافات في الطرق، قاله ابن عباس.

الثالث: المخدرات المصونات، ولا متعطلات ولا متشوِّفات، قاله زيد بن الحارث، وأبو عبيدة.

الرابع: أنهن المسكنات في القصور، قاله الحسن.

ويحتمل خامساً: أن يريد بالمقصورات البيض، مأخوذ من قصارة الثوب الأبيض، لأن وقوع الفرق بين المقصورات والقاصرات يقتضي وقوع الفرق بينهما في التأويل.

---

(٤٨٦) وهي قراءة معاذ القارىءوعاصم الجحدري وابن نهيك.

(٤٨٧) رواه الطبري (٢٧/ ١٥٨) وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٧٢٠) نسبته للطبراني وابن مردويه وقد ساقه الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٩) من رواية الطبراني وقال فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

وفي الخيام ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الخيام هي البيوت، قاله ابن بحر.

الثاني: أنها خيام تضرب لأهل الجنة خارج الجنة كهيئة البداوة، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أنها خيام في الجنة تضاف إلى القصور.

روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قال:(٤٨٨) **«الخِيَامُ الدُّرُّ المُجَوَّفُ»**.

قال الكلبي: وهن محبوسات لأزواجهن في الخيام من الدر المجوف.

روي عن أسماء بنت يزيد الأشهلية أنها أتت(٤٨٩) النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إننا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحوامل أولادكم، فهل نشارككم في الأجر؟ فقال عليه السلام: **«نَعَم إِذَا أَحْسَنْتُنَّ تَبَعُّلَ أَزْوَاجِكُنَّ وَطَلَبْتُنَّ مَرْضَاتُهُم»**.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أن الرفرف المحبس المطيف ببسطه، قاله ابن كامل.

الثاني: فضول الفرش والبسط، قاله ابن عباس.

الثالث: أنها الوسائد، قاله الحسن وعاصم الجحدري.

الرابع: أنها الفرش المرتفعة، مأخوذ من الرف.

الخامس: أنها المجالس يتكئون على فضولها.

السادس: رياض الجنة، قاله ابن جبير.

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الطنافس المخملية، قاله الحسن.

الثاني: الديباج، قاله مجاهد.

---

(٤٨٨) رواه ابن جرير (٢٧/ ١٦٢) وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٧١٩) نسبته لابن أبي حاتم.

(٤٨٩) ورد نحوه من حديث ابن عباس قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن أصيبوا أجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك قال فقال رسول الله ﷺ أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك وقليل منكن من يفعله رواه البزار قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٥) رشدين بن كريب وهو ضعيف ا هـ. وأما حديث أسماء فلم أظفر به والله أعلم.

الثالث: أنها ثياب في الجنة لا يعرفها أحد، قاله مجاهد [أيضاً].

الرابع: أنها ثياب الدنيا تنسب إلى عبقر.

وفي عبقري قولان:

أحدهما: أنه سيد القوم، ومنه قول النبي ﷺ في عمر[٤٩٠] رضي الله عنه: «فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِياً مِنَ النَّاسِ يَفْري فَرِيَّهُ» فنسبه إلى أرفع الثياب لاختصاصه.

الثاني: أرض عبقر[٤٩١].

وفي تسميتها بذلك قولان.

أحدهما: لكثرة الجن فيها.

الثاني: لكثرة رملها ويكون المراد بذلك أنها تكون مثل العبقري لأن ما ينسج بعبقر لا يكون في الجنة إذا قيل إن عبقر اسم أرض.

﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ثبت اسم ربك ودام.

الثاني: أن ذكر اسمه يمن وبركة، ترغيباً في مداومة ذكره.

﴿ذِي ٱلْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ في ﴿ذِي ٱلْجَلَالِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه الجليل.

الثاني: أنه المستحق للإجلال والإعظام.

وفي ﴿ٱلإِكْرَامِ﴾ وجهان:

أحدهما: الكريم.

الثاني: ذو الإكرام لمن يطيعه.

---

(٤٩٠) جزء من حديث في مناقب عمر رواه البخاري (١١/ ٣٦٥) ومسلم (٢٣٩٢).

(٤٩١) وهي قرية ينسب إليها صنع البُسُط المنقوشة.



مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

قوله تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: الصيحة، قاله الضحاك.

الثاني: الساعة وقعت بحق فلم تكذب، قاله السدي.

الثالث: أنها القيامة، قاله ابن عباس، والحسن.

وسميت الواقعة لكثرة ما يقع فيها من الشدائد.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: ليس لها مردود، قاله ابن عباس.

الثاني: لا رجعة فيها ولا مشورة، قاله قتادة.

الثالث: ليس لها مكذب من مؤمن ولا من كافر، قاله ابن كامل.

الرابع: ليس الخبر عن وقوعها كذباً.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين، قاله محمد بن كعب.

الثاني: خفضت أعداء الله في النار، ورفعت أولياء الله في الجنة، قاله عمر بن الخطاب.

الثالث: خفضت الصوت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى، قاله عكرمة.

ويحتمل رابعاً: أنها خفضت بالنفخة الأولى من أماتت، ورفعت بالنفخة الثانية من أحيت.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجّاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: رجفت وزلزلت، قاله ابن عباس، قال رؤبة بن العجاج[٤٩٢]:

أليس يوم سمي الخروجا أعظم يوم رجه رجوجاً
يوماً يرى مرضعة خلوجاً

الثاني: أنها ترج بما فيها كما يرج الغربال بما فيه، قاله الربيع بن أنس فيكون تأويلها على القول الأول أنها ترج بإماتة ما على ظهرها من الأحياء، وتأويلها على القول الثاني أنها ترج لإخراج من في بطنها من الموتى.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: سالت سيلاً، قاله مجاهد.

الثاني: هدت هداً، قاله عكرمة،

الثالث: سيرت سيراً، قاله محمد بن كعب، ومنه قول الأغلب العجلي[٤٩٣]:

نحن بسسنا بأثر أطاراً أضاء خمساً ثمت سارا

---

(٤٩٢) ديوان العجاج: ٩.

(٤٩٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٨) الطبري (٢٧/ ١٦٧) القرطبي (١٧/ ١٩٦) اللسان «بسس».

الرابع: قطعت قطعاً، قاله الحسن..

الخامس: إنها بست كما يبس السويق أي بلت، والبسيسة هي الدقيق يلت ويتخذ زاداً، قال لص من غطفان:

لا تخبزا خبزاً وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ حبسا

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنبَثًّا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه رهج الغبار يسطع ثم يذهب، فجعل الله أعمالهم كذلك، قاله علي.

الثاني: أنها شعاع الشمس الذي من الكوة، قاله مجاهد.

الثالث: أنه الهباء الذي يطير من النار إذا اضطربت، فإذا وقع لم يكن شيئاً، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه ما يبس من ورق الشجر تذروه الريح، قاله قتادة.

وفي المنبث ثلاثة أوجه:

أحدها: المتفرق، قاله السدي.

الثاني: المنتشر.

الثالث: المنثور.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً﴾ يعني أصنافاً ثلاثة، قال عمر بن الخطاب: اثنان في الجنة وواحد في النار.

وفيهما وجهان:

أحدهما: ما قاله ابن عباس أنها التي في سورة الملائكة[٤٩٤]: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

الثاني: ما رواه النعمان بن بشير[٤٩٥] أن النبي ﷺ قال: «وكنتم أزوجاً ثلاثة» الآية.

---

(٤٩٤) سورة فاطر.

(٤٩٥) ونص الحديث عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ «وإذا النفوس زوجت» قال الضرباء كل رجل مع قوم كانوا يعملون بعمله وذلك بأن الله تعالى يقول ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ فأصحاب الميمنة مع أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة مع أصحاب المشئمة والسابقون السابقون قال هم الضرباء» رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٧/٨).

ويحتمل جعلهم أزواجاً وجهين:

أحدهما: أن ذلك الصنف منهم مستكثر ومقصر، فصار زوجاً.

الثاني: أن في كل صنف منهم رجالاً ونساء، فكان زوجاً.

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ فيهم خمسة تأويلات:

أحدها: أن أصحاب الميمنة الذين أخذوا من شق آدم الأيمن، وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: أن أصحاب الميمنة من أوتي كتابه بيمينه، وأصحاب المشأمة من أوتي كتابه بيساره، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أن أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات، وأصحاب المشأمة هم أهل السيئات، قاله ابن جريج.

الرابع: أن أصحاب الميمنة الميامين على أنفسهم، وأصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم، قاله الحسن.

الخامس: أن أصحاب الميمنة أهل الجنة، وأصحاب المشأمة أهل النار، قاله السدي.

وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ لتكثير ما لهم من العقاب.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فيهم خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم الأنبياء، قاله محمد بن كعب.

الثاني: أنهم السابقون إلى الإيمان[٤٩٦] من كل أمة، قاله الحسن، وقتادة.

الثالث: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين، قاله ابن سيرين.

الرابع: هم أول الناس رواحاً إلى المساجد وأسرعهم خفوفاً في سبيل الله، قاله عثمان بن أبي سوادة.

الخامس: أنهم أربعة: منهم سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية، وسابقان من أمة محمد ﷺ وهما: أبو بكر وعمر، قاله ابن عباس.

ويحتمل سادساً: أنهم الذين أسلموا بمكة قبل هجرة النبي ﷺ وبالمدينة قبل

(٤٩٦) وهذا القول أرجح الأقوال لأنه يعم وفي مقدمة السابقين من ذكر والله أعلم.

هجرته إليهم لأنهم سبقوا بالإسلام قبل زمان الرغبة والرهبة.

وفي تكرار قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قولان:

أحدهما: السابقون في الدنيا إلى الإيمان، السابقون في الآخرة إلى الجنة هم المقربون، قاله الكلبي.

الثاني: يحتمل أنهم المؤمنون بالأنبياء في زمانهم، وسابقوهم بالايمان هم المقربون المقدمون منهم.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الجماعة، ومنه قول الشاعر:

ولست ذليلاً في العشيرة كلها ... تحاول منها ثلة لا يسودها

الثاني: الشطر وهو النصف، قاله الضحاك.

الثالث: أنها الفئة، قاله أبو عبيدة، ومنه قول دريد بن الصمة:

ذريني أسير في البلاد لعلني ... ألاقي لبشر ثلة من محارب.

وفي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم أصحاب محمد ﷺ، قاله أبو بكرة.

الثاني: أنهم قوم نوح، قاله الحسن.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم أصحاب محمد ﷺ، قاله الحسن.

الثاني: أنهم الذين تقدم إسلامهم قبل أن يتكاملوا، روى أبو هريرة[٤٩٧] أنه لما

(٤٩٧) رواه أحمد (٣/ ٣٣) (٤/ ٤٣٢) وزاد السيوطي نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه الدر المنثور (٨/ ٧).

نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال عليه السلام: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بَلْ ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ بَلْ أَنْتُم نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَتُقَاسِمُونَهُم فِي النِّصْفِ الثَّانِي».

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ يعني الأسرة، واحدها سرير، سميت بذلك لأنها مجلس السرور.

وفي الموضونة أربعة أوجه:

أحدها: أنها الموصولة بالذهب(٤٩٨)، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها المشبكة النسج، قاله الضحاك، ومنه قول لبيد:

إن يفزعوا فسرا مع موضونة والبيض تبرق كالكواكب لامها

الثالث: أنها المضفورة، قاله أبو حرزة يعقوب بن مجاهد، ومنه وضين الناقة وهو البطان العريض المضفور من السيور.

الرابع: أنها المسندة بعضها إلى بعض.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الولدان: جمع وليد وهم الوصفاء.

وفي قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ قولان:

أحدهما: [مسورون] بالأسورة، [مقرطون] بالأقراط، قاله الفراء، قال الشاعر(٤٩٩):

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أقاوز الكثبان

الثاني: أنهم الباقون على صغرهم لا يموتون ولا يتغيرون، قاله الحسن، ومنه قول إمرىء القيس(٥٠٠):

وهل ينعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال

---

(٤٩٨) والذي في الطبري (٢٧/ ١٧٢) عن ابن عباس أنها المرمولة له بالذهب أي المنسوجة وهكذا نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٥) ولابن عباس قول آخر في الطبري (٢٧/ ١٧٣) أنها المصفوفة وكذا هو في زاد المسير ايضاً (٨/ ١٣٥).

(٤٩٩) فتح القدير (٥/ ١٤٩) غريب القرآن (٤٧٧) القرطبي (١٧/ ٢٢) اللسان «خلد» زادالمسير (٨/ ١٣٦).

(٥٠٠) فتح القدير (٥/ ١٤٩) ديوانه: ٢٧ وفيه وهل يعمن إلا سعيد مخلد وقوله يعمن يقال وعم يعم في معنى نعم ينعم.

ويحتمل ثالثاً: أنهم الباقون معهم لا يصبرون عليهم ولا ينصرفون عنهم بخلافهم في الدنيا.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ فيهما قولان:

أحدهما: أن الأكواب: التي ليس لها عُرى، قاله الضحاك.

الثاني: أن الأكواب: مدورة الأفواه، والأباريق: التي يغترف بها، قاله قتادة، قال الشاعر:

فعدوا عليّ بقرقف ينصب من أكوابها

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ والكأس اسم للإناء إذا كان فيه شراب، والمعين الجاري من ماء أو خمر، غير أن المراد به في هذا الموضوع الخمر، وصف الخمر بأنه الجاري من عينه بغير عصر كالماء المعين.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه لا يمنعون منها، قاله أبو حرزة يعقوب بن مجاهد.

الثاني: لا يفرّقون عنها، حكاه ابن قتيبة، واستشهد عليه بقول الراجز:

صد عنه فانصدع.

الثالث: لا ينالهم من شربها وجع الرأس وهو الصداع، قاله ابن جبير، وقتادة، ومجاهد، والسدي.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: لا تنزف عقولهم فيسكرون، قاله ابن زيد، وقتادة.

الثاني: لا يملون، قاله عكرمة.

الثالث: لا يتقيئون، قاله يحيى بن وثاب.

الرابع: وهو تأويل من قرأ بكسر[٥٠١] الزاي لا يفنى خمرهم، ومنه قول الأبيرد[٥٠٢]:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى أنتم آل أبجرا

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السكر،

---

(٥٠١) وهي قراءة عاصم راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد.

(٥٠٢) فتح القدير (٥/١٥٠) المحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٨) القرطبي (١٢/ ٧٩).

والصداع، والقيء، والبول، وقد ذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال.

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ والحور البيض سمين لبياضهن، وفي العين وجهان:

أحدهما: أنهن كبار الأعين، كما قال الشاعر:

إذا كبرت عيون من النساء ومن غير النساء فهن عين

الثاني: أنهن اللاتي سواد أعينهن حالك، وبياض أعينهن نقي، كما قال الشاعر:

إذا ما العين كان بها احورار علامتها البياض على السواد

﴿كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في نضارتها وصفاء ألوانها.

الثاني: أنهن كأمثال اللؤلؤ في تشاكل أجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن، كما قال الشاعر(٥٠٣):

كأنما خلقت في قشر لؤلؤة فكل أكنافها وجه لمرصاد

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا يسمعون في الجنة باطلاً ولا كذباً، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يسمعون فيها خُلفاً، أي لا يتخالفون عليها كما يتخالفون في الدنيا، ولا يأثمون بشربها، كما يأثمون في الدنيا، قاله الضحاك.

الثالث: لا يسمعون فيها شتماً ولا مأثماً، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: لا يسمعون مانعاً لهم منها، ولا مشنعاً لهم على شربها.

﴿إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لكن يسمعون قولاً ساراً وكلاماً حسناً.

الثاني: لكن يتداعون بالسلام على حسن الأدب وكريم الأخلاق.

الثالث: يعني قولاً يؤدي إلى السلامة.

ويحتمل رابعاً: أن يقال لهم هنيئاً.

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ

(٥٠٣) هو بشار بن برد.

﴿مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنهم أصحاب الحق، قاله السدي.

الثاني: أنهم دون منزلة المقربين، قاله ميمون بن مهران.

الثالث: أنهم من أعطي كتابه بيمينه، قاله يعقوب بن مجاهد.

الرابع: أنهم التابعون بإحسان ممن لم يدرك الأنبياء من الأمم، قاله الحسن.

الخامس: ما رواه أسباط عن السدي: أن الله تعالى مسح ظهر آدم فمسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء فقال لهم ادخلوا الجنة ولا أبالي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج ذرية كهيئة الذر سوداء، فقال لهم ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك هو قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ﴾، وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ﴾.

السادس: ما رواه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ[٥٠٤]: أصحاب اليمين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ثم تابوا بعد ذلك وأصلحوا.

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ والسدر النبق، وفي المنضود ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه اللين الذي لا شوك فيه، قاله عكرمة، وقال غيره لا عجم لنبقه، يقال خضدت الشجرة إذا حذفت شوكها.

الثاني: أنه الموقر حملاً، قاله مجاهد.

الثالث: المدلاة الأغصان، وخص السدر بالذكر لأن ثمره أشهى الثمر إلى النفوس طمعاً وألذه ريحاً.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

---

(٥٠٤) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

أحدها: أن الطلح الموز، قاله ابن عباس، وابو سعيد الخدري، وأبو هريرة، والحسن، وعكرمة.

الثاني: أنها شجرة تكون باليمن وبالحجاز كثيراً تسمى طلحة، قاله عبدالله بن حميد، وقيل إنها من أحسن الشجر منظراً، ليكون بعض شجرهم مأكولاً وبعضه منظوراً، قال الحادي[٥٠٥]:

بشرها دليلها وقالا غداً ترين الطلح والأحبالا

الثالث: أنه الطلع، قاله علي، وحكى أنه كان يقرأ: ﴿وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ﴾، وفي المنضود قولان:

أحدهما: المصفوف، قاله السدي.

الثاني: المتراكم، قاله مجاهد.

﴿وَظِلٍ مَّمْدُودٍ﴾ أي دائم.

ويحتمل ثانياً: أنه التام.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي منصب في غير أخدود.

ويحتمل آخر: أنه الذي ينسكب عليهم من الصعود والهبوط بخلاف الدنيا، قال الضحاك: من جنة عدن إلى أهل الخيام.

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا مقطوعة بالفناء ولا ممنوعة بالفساد.

الثاني: لا مقطوعة اللذة بالملل ولا ممنوعة من اليد بشوك أو بعد.

وفيه وجه ثالث: لا مقطوعة بالزمان ولا ممنوعة بالأشجار.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم، مرفوعة بكثرة حشوها زيادة في الاستمتاع بها.

الثاني: أنهم الزوجات لأن الزوجة تسمى فراشاً، ومنه قول النبي ﷺ[٥٠٦]:

---

(٥٠٥) هو النابغة الجعدي والبيت في الطبري (٢٧/ ١٨١) والقرطبي (١٧/ ٢٠٨) ومجاز القرآن (٢/ ٢٥٠) وزاد المسير (٨/ ١٤٠).

(٥٠٦) رواه البخاري (٥/ ٢٧٨) ومسلم (١٤٥٧) وأبو داود (٢٢٧٣) ومالك في الموطأ (٢/ ٧٣٩) والنسائي (٦/ ١٨٠ و١٨١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

«الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ» قاله ابن بحر. فعلى هذا يحتمل وجهين:

أحدهما: مرفوعات في القلوب لشدة الميل إليهن.

الثاني: مرفوعات عن الفواحش والأدناس.

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ يعني نساء أهل الدنيا، وفي إنشائهن في الجنة قولان:

أحدهما: يعني إنشاءهن في القبور، قاله ابن عباس.

الثاني: إعادتهن بعد الشمط والكبر صغاراً أبكاراً، قاله الضحاك، وروته أم سلمة مرفوعاً(٥٠٧).

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: عذارى بعد أن كن غير عذارى، قاله يعقوب بن مجاهد.

الثاني: لا يأتيها إلا وجدها بكراً، قاله ابن عباس.

ويحتمل ثالثاً: أبكاراً من الزوجات، وهن الأوائل لأنهن في النفوس أحلى والميل إليهن أقوى، كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

قوله تعالى ﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: أن العرب المنحبسات على أزواجهن المتحببات إليهم، قاله سعيد بن جبير، والكلبي.

الثاني: أنهن المتحببات من الضرائر ليقفن على طاعته ويتساعدن على إشاعته(*)، قاله عكرمة.

الثالث: الشكلة(*) بلغة أهل مكة، والغنجة بلغة أهل المدينة، قاله ابن زيد، ومنه قول لبيد(٥٠٨):

وفي الخباء عروب غير فاحشة ... ريا الروادف يعشى دونها البصر

الرابع: هن الحسنات الكلام، قاله ابن زيد. [أيضاً].

---

(٥٠٧) تقديم تخريجه في سورة الرحمن في تعليق رقم ٣٦.

(*) يعني مشايعته.

(*) هي المرأة ذات الدلال.

(٥٠٨) فتح القدير (٥/ ١٥٣) الطبري (٢٧/ ١٨٦) وروح المعاني (٢٧/ ١٤٢) والقرطبي (١٧/ ٢١١) ديوانه: ورواية الديوان: وفي الحروج والحروج هو الهودج.

الخامس: أنها العاشقة لزوجها لأن عشقها له يزيده ميلاً إليها وشغفاً بها.

السادس: أنها الحسنة التبعُّل، لتكون ألذ استمتاعاً.

السابع: ما رواه جعفر بن محمد[٥٠٩] عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرُباً كَلامُهنَّ عَرَبِيّ».

﴿أَتْرَاباً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني أقران، قاله عطية.

وقال الكلبي: على سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة، يقال في النساء أتراب، وفي الرجال أقران، وأمثال، وأشكال، قاله مجاهد.

الثالث: أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد، قاله السدي.

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: الدخان، قاله أبو مالك.

الثاني: أنها نار سوداء، قاله ابن عباس.

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا بارد المدخل، ولا كريم المخرج، قاله ابن جريج.

الثاني: لا كرامة فيه لأهله.

---

(٥٠٩) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر (١٨/٨).

ويحتمل ثالثاً: أن يريد لا طيب ولا نافع.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: منعمين، قاله ابن عباس.

الثاني: مشركين، قاله السدي.

ويحتمل وصفهم بالترف وجهين:

أحدهما: التهاؤهم عن الإعتبار وشغلهم عن الإزدجار.

الثاني: لأن عذاب المترف أشد ألماً.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الشرك بالله، قاله الحسن، والضحاك، وابن زيد.

الثاني: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه، قاله قتادة، ومجاهد.

الثالث: هو اليمين الغموس، قاله الشعبي.

ويحتمل رابعاً: أن يكون الحنث العظيم نقض العهد المحصن بالكفر.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الأرض الرملة التي لا تروى بالماء، وهي هيام الأرض، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها الإبل التي يواصلها الهيام وهو داء يحدث عطشاً فلا تزال الإبل تشرب الماء حتى تموت، قاله عكرمة، والسدي، ومنه قول قيس بن الملوح(٥١٠):

يقال به داء الهيام أصابه ... وقد علمت نفسي مكان شفائيا

الثالث: أن الهيم الإبل الضوال لأنها تهيم في الأرض لا تجد ماءً فإذا وجدته فلا شيء أعظم منها شرباً.

الرابع: أن شرب الهيم هو أن تمد الشرب مرة واحدة إلى أن تتنفس ثلاث مرات، قاله خالد بن معدان، فوصف شربهم الحميم بأنه كشرب الهيم لأنه أكثر شرباً فكان أزيد عذاباً.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي طعامهم وشرابهم يوم الجزاء، يعني في جهنم.

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ

(٥١٠) فتح القدير (٥/ ١٥٤).

ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: نحن خلقنا رزقكم أفلا تصدقون أن هذا طعامكم.

الثاني: نحن خلقناكم فلو لا تصدقون أننا بالجزاء: بالثواب والعقاب أردناكم.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ يعني نطفة المني، قال الفراء: يقال أمنى يمني ومنى يمني بمعنى واحد.

ويحتمل عندي أن يختلف معناهما فيكون أمنى إذا أنزل عن جماع، ومني إذا عن احتلام.

وفي تسمية المني منياً وجهان:

أحدهما: لإمنائه وهو إراقته.

الثاني: لتقديره ومنه المناء الذي يوزن به فإنه مقدار لذلك فكذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلقة.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أي نحن خلقنا من المني المهين بشراً سوياً، فيكون ذلك خارجاً مخرج الإمتنان.

الثاني: أننا خلقنا مما شاهدتموه من المني بشراً فنحن على خلق ما غاب من إعادتكم أقدر، فيكون ذلك خارجاً مخرج البرهان، لأنهم على الوجه الأول معترفون، وعلى الوجه الثاني منكرون.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قضينا عليكم بالموت.

الثاني: كتبنا عليكم الموت.

الثالث: سوينا بينكم الموت.

فإذا قيل بالوجه الأول بمعنى قضى ففيه وجهان:

أحدهما: قضى بالفناء ثم الجزاء.

الثاني: ليخلف الأبناء الآباء.

وإذا قيل بالوجه الثاني أنه بمعنى كتبنا ففيه وجهان:

أحدهما: كتبنا مقداره فلا يزيد ولا ينقص، قاله ابن عيسى.

الثاني: كتبنا وقته فلا يتقدم عليه ولا يتأخر، قاله مجاهد.

وإذا قيل بالوجه الثالث أنه بمعنى سوينا ففيه وجهان:

أحدهما: سوينا بين المطيع والعاصي.

الثاني: سوينا بين أهل السماء وأهل الأرض، قاله الضحاك.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه تمام ما قبله من قوله: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾، فعلى هذا في تأويله وجهان:

أحدهما: وما نحن بمسبوقين على ما قدرنا بينكم الموت حتى لا تموتوا.

الثاني: وما نحن بمسبوقين على أن تزيدوا في مقداره وتؤخروه عن وقته.

والوجه الثاني: أنه ابتداء كلام يتصل به ما بعده من قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُم فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعلى هذا في تأويله وجهان:

أحدهما: لما لم نسبق إلى خلق غيركم كذلك لا نعجز عن تغيير أحوالكم بعد موتكم.

الثاني: كما لم نعجز عن خلق غيركم كذلك لا نعجز عن تغيير أحوالكم بعد موتكم كما لم نعجز عن تغييرها في حياتكم.

فعلى هذا التأويل يكون في الكلام مضمر محذوف، وعلى التأويل الأول يكون جميعه مظهراً.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ

شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ الآية. فأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله وينبت على إختياره لا على إختيارهم، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ[٥١١]: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم زَرَعْتُ وَلَكِن لِيَقُلْ حَرَثْتُ**».

وتتضمن هذه الآية أمرين:

أحدهما: الإمتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم.

الثاني: البرهان الموجب للإعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذوره وإنتقاله إلى إستواء حاله، [من العفن إلى الترتيب][*] حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً مشتداً أضعاف ما كان عليه، فهو بإعادة من مات أحق وعليه أقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة.

ثم قول تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً﴾ يعني الزرع، والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به، فنبه بذلك على أمرين:

أحدهما: ما أولاهم من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكروه.

الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع حطاماً إذا شاء كذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ بعد مصير الزرع حطاماً، وفيه أربعة أوجه:

أحدها: تندمون، وهو قول الحسن وقتادة، ويقال إنها لغة عكل وتميم.

الثاني: تحزنون، قاله ابن كيسان.

الثالث: تلاومون، قاله عكرمة.

---

(٥١١) رواه الطبري (٢٧/ ١٩٨) وزاد في الدر (٨/ ٢٣) نسبته لابن مردويه والبزار وأبي نعيم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه.

(*) هذه الفقرة من القرطبي وقد نقلها عن المصنف.

الرابع: تعجبون، قاله ابن عباس. وإذا نالكم هذا في هلاك زرعكم كان ما ينالكم في هلاك أنفسكم أعظم.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لمعذبون، قاله قتادة، ومنه قول ابن المحلم[٥١٢]:

وثقت بأن الحفظ مني سجية وأن فؤادي مبتلى بك مغرم

الثاني: مولع بنا، قاله عكرمة، ومنه قول النمر بن تولب[٥١٣]:

سلا عن تذكره تكتما وكان رهيناً بها مغرماً

أي مولع.

الثالث: محرومون من الحظ، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر[٥١٤]:

يوم النسار ويوم الجفا ر كانا عذاباً وكانا غراماً

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ أي تستخرجون بزنادكم من شجر أو حديد أو حجر، ومنه قول الشاعر:

فإن النار بالزندين تورى وإن الشر يقدمه الكلام

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ أي أخذتم أصلها.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ﴾ يعني المحدثون.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تذكرة لنار [الآخرة] الكبرى، قاله قتادة.

الثاني: تبصرة للناس من الظلام، قاله مجاهد.

﴿وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: منفعة للمسافرين قاله الضحاك، قال الفراء: إنما يقال للمسافرين إذا نزلوا القِيّ وهي الأرض القفر التي لا شيء فيها.

الثاني: المستمتعين من حاضر ومسافر، قاله مجاهد.

الثالث: للجائعين في إصلاح طعامهم، قاله ابن زيد.

---

(٥١٢) القرطبي (١٧/٢١٩).

(٥١٣) فتح القدير (٥/١٥٨) والقرطبي (١٧/ ٢١٩).

(٥١٤) اللسان «غرم» ونسبه للطرماح، فتح القدير (٥/ ١٥٨) القرطبي (١٧/ ٢١٩).

الرابع: الضعفاء والمساكين، مأخوذ من قولهم قد أقوت الدار إذا خلت من أهلها، حكاه ابن عيسى.

والعرب تقول قد أقوى الرجل إذا ذهب ماله، قال النابغة:

يقوى بها الركب حتى ما يكون لهم إلا الزناد وقدح القوم مقتبس

الخامس: أن المقوي الكثير المال، مأخوذ من القوة فيستمتع بها الغني والفقير.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه إنكار أن يقسم الله بشيء من[٥١٥] مخلوقاته، قال الضحاك: إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يفتتح به كلامه.

الثاني: أنه يجوز أن يقسم الخالق بالمخلوقات تعظيماً من الخالق لما أقسم به من مخلوقاته.

فعلى هذا في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ وجهان:

أحدهما: أن «لا» صلة زائدة، ومعناه أقسم.

الثاني: أن قوله: ﴿فَلَا﴾ راجع إلى ما تقدم ذكره، ومعناه فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من نعمة وأظهرته من حجة، ثم استأنف كلامه فقال: ﴿أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾.

وفيها ستة أقاويل:

أحدها: أنها مطالعها ومساقطها، قاله مجاهد.

---

(٥١٥) وعقب الحافظ ابن كثير على هذا القول (٤/ ٢٩٧) بقوله: وهذا القول ضعيف والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته م. هـ.

الثاني : إنتشارها يوم القيامة وإنكدارها ، قاله الحسن .

الثالث: أن مواقع النجوم السماء، قاله ابن جريج .

الرابع : أن مواقع النجوم الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا، قاله الضحاك، ويكون قوله : ﴿فلا أقسم﴾ مستعملاً على حقيقته في نفي القسم بها .

الخامس : أنها نجوم القرآن أنزلها الله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين[٥١٦] سنة ، فهو ينزله على الأحداث في أمته ، قاله ابن عباس والسدي .

السادس: أن مواقع النجوم هو محكم القرآن، حكاه الفراء عن ابن مسعود .

﴿وَإِنَّهُ قَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن القرآن قسم عظيم ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن الشرك بآياته جرم عظيم ، قاله ابن عباس ، والضحاك .

ويحتمل ثالثاً : أن ما أقسم الله به عظيم .

﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ﴾ يعني أن هذا القرآن كريم، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : كريم عند الله .

الثاني : عظيم النفع للناس .

الثالث: كريم بما فيه من كرائم الأخلاق ومعالي الأمور .

ويحتمل أيضاً رابعاً : لأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه .

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه كتاب في السماء وهو اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس، وجابر بن زيد .

الثاني : التوراة والإنجيل فيهما ذكر القرآن وذكر من ينزل عليه ، قاله عكرمة .

الثالث: أنه الزبور .

الرابع : أنه المصحف الذي في أيدينا ، قاله مجاهد ، وقتادة .

---

(٥١٦) والمعلوم أنه نزل في ثلاثة وعشرين سنة مدة دعوة رسول الله ﷺ .

وفي ﴿مَّكْنُونٍ﴾ وجهان:

أحدهما: مصون، وهو معنى قول مجاهد.

الثاني: محفوظ عن الباطل، قاله يعقوب بن مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أن معانيه مكنونة فيه.

﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ تأويله يختلف بإختلاف الكتاب، فإن قيل: إنه كتاب في السماء ففي تأويله قولان:

أحدهما: لا يمسه في السماء إلا الملائكة المطهرون، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

الثاني: لا ينزله إلا الرسل من الملائكة إلى الرسل من الأنبياء، قاله زيد بن أسلم.

وإن قيل إنه المصحف الذي في أيدينا ففي تأويله ستة أقاويل:

أحدها: لا يمسه بيده إلا المطهرون من الشرك، قاله الكلبي.

الثاني: إلا المطهرون من الذنوب والخطايا قاله الربيع بن أنس.

الثالث: إلا المطهرون من الأحداث والأنجاس[٥١٧]، قاله قتادة.

الرابع: لا يجد طعم نفعه إلا المطهرون أي المؤمنون بالقرآن، حكاه الفراء.

الخامس: لا يمس ثوابه إلا المؤمنون، رواه معاذ[٥١٨] عن النبي ﷺ.

السادس: لا يلتمسه إلا المؤمنون، قاله ابن بحر.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ يعني بهذا الحديث القرآن الذي لا يمسه إلا المطهرون.

وفي قوله مدهنون أربعه تأويلات:

أحدها: مكذبون، قاله ابن عباس.

الثاني: معرضون، قاله الضحاك.

---

(٥١٧) ويشهد لهذا القول قوله ﷺ «لا يمس القرآن إلا طاهر» صححه غير واحد من العلماء وله طرق راجعها في الدر (٨/٢٨).

(٥١٨) لم أقف على الحديث بهذا اللفظ ولكن وجدته عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال إن النبي ﷺ لما بعثه الى اليمن كتب له في عهده أن أن لا يمس القرآن إلا طاهر، وقد رواه ابن مردويه كما في الدر (٨/ ٢٨).

الثالث: ممالئون الكفار على الكفر به، قاله مجاهد.

الرابع: منافقون في التصديق به حكاه ابن عيسى، ومنه قول الشاعر(*):

لبعض الغشم أبلغ في أمور تنوبك من مداهنة العدو

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُم إِنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الإستسقاء بالأنواء وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا، قاله ابن عباس(٥٢٠) ورواه علي بن أبي طالب عن(٥١٩) النبي ﷺ.

الثاني: الاكتساب بالسحر، قاله عكرمة.

الثالث: هو أن يجعلوا شكر الله على ما رزقهم تكذيب رسله والكفر به، فيكون الرزق الشكر، وقد روي عن علي أن(٥٢١) النبي ﷺ قرأ: ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُم أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾.

ويحتمل رابعاً: أنه ما يأخذه الأتباع من الرؤساء على تكذيب النبي ﷺ والصد عنه.

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

﴿فَلَوْلَا إِن كُنْتُم غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: غير محاسبين، قاله ابن عباس.

الثاني: غير مبعوثين، قاله الحسن.

الثالث: غير مصدقين، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: غير مقهورين، قاله ميمون بن مهران.

(*) القرطبي (١٨/ ٢٣١).

(٥١٩) رواه مسلم (١/ ٨٣، ٨٤) وزاد نسبته في الدر (٨/ ٢٨) لابن المنذر وابن مردويه.

(٥٢٠) رواه الطبري (٢٧/ ٢٠٨) وأحمد (٢/ ٧٧) والترمذي (٣٢٩٥) وحسنه وفي سنده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وهو ضعيف وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٢٩) نسبته لعبد بن حميد وابن منيع وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوىء الأخلاق وابن مردويه والضياء في المختارة.

(٥٢١) تقدم تخريجه وقد أخرجه موقوفاً ابن مردويه عن عليّ كما في الدر (٨/ ٣٠).

الخامس: غير موقنين، قاله مجاهد.

السادس: غير مجزيين بأعمالكم، حكاه الطبري[٥٢٢].

السابع: غير مملوكين، قاله الفراء.

﴿ تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي ترجع النفس بعد الموت إلى الجسد إن كنتم صادقين أنكم غير مذنبين.

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ فيهم وجهان:

أحدهما: أنهم أهل الجنة، قاله يعقوب بن مجاهد.

الثاني: أنهم السابقون، قاله أبو العالية.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ في الرَّوْح ثمانية تأويلات:

أحدها: الراحة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الفرح، قاله ابن جبير.

الثالث: أنه الرحمة، قاله قتادة.

الرابع: أنه الرخاء، قاله مجاهد.

الخامس: أنه الرَوح من الغم والراحة من العمل، لأنه ليس في الجنة غم ولا عمل، قاله محمد بن كعب.

السادس: أنه المغفرة، قاله الضحاك.

السابع: التسليم، حكاه ابن كامل.

الثامن: ما روى عبدالله بن شقيق عن عائشة أن[٥٢٣] النبي ﷺ كان يقرأ ﴿فَرُوحٌ﴾ بضم الراء، وفي تأويله وجهان:

---

(٥٢٢) جامع البيان (٢٧/ ٢١٠).

(٥٢٣) رواه الترمذي (٢٩٣٨) وأبو داود (٣٩٩١) والحاكم (٢/٢٣٦) وصححه وأحمد (٦/٦٤) وقال =

أحدهما: بقاء روحه بعد موت جسده.

الثاني: ما قاله الفراء أن تأويله حياة لا موت بعدها في الجنة.

وأما الريحان ففيه ستة تأويلات:

أحدها: أنه الإستراحة عند الموت، قاله ابن عباس.

الثاني: الرحمة، قاله الضحاك.

الثالث: أنه الرزق، قاله ابن جبير.

الرابع: أنه الخير، قاله قتادة.

الخامس: أنه الريحان المشموم يُتَلَقّى به العبد عند الموت، رواه عبد الوهاب.

السادس: هو أن تخرج روحه ريحانة، قاله الحسن.

واختلف في محل الرَّوْح على خمسة أقوال.

أحدها: عند الموت.

الثاني: قبره ما بين موته وبعثه.

الثالث: الجنة[٥٢٤] زيادة على الثواب والجزاء، لأنه قرنه بذكر الجنة فاقتضى أن يكون فيها.

الرابع: أن الروح في القبر، والريحان في الجنة.

الخامس: أن الروح لقلوبهم، والريحان لنفوسهم، والجنة لأبدانهم.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه سلامته من الخوف وتبشيره بالسلامة.

الثاني: أنه يحيا بالسلام إكراماً، فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت، قاله الضحاك.

الثاني: عند مساءلته في القبر، يسلم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها.

= الترمذي لا نعرفه إلا من حديث هارون الأعور وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٣٦) نسبته لأبي عبيد في فضائله والنسائي وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبي نعيم وابن مردويه.

(٥٢٤) وهو الصواب أنظر المطولات في ذلك كالروح لابن القيم.



مدنية في قول الجمهور، قال الكلبي هي مكية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في هذا التسبيح ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أن خلق ما في السموات والأرض يوجب تنزيهه عن الأمثال والأشباه.

الثاني: تنزيه الله قولاً مما أضاف إليه الملحدون، وهو قول الجمهور.

الثالث: أنه الصلاة، سميت تسبيحاً لما تتضمنه من التسبيح، قاله سفيان، والضحاك.

فقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني الملائكة وما فيهن من غيرهم وما في الأرض يعني من الحيوان والجماد، وقد ذكرنا في تسبيح الجماد وسجوده ما أغنى عن الإعادة.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتصاره، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

﴿هُوَ الأَوَّلُ وِالأَخِرُ﴾ يريد بالأول أنه قبل كل شيء لقدمه، وبالآخر لأنه بعد كل شيء لبقائه.

﴿وَالظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: الظاهر فوق كل شيء لعلوه، والباطن إحاطته بكل شيء لقربه، قاله ابن حيان[٥٢٥].

الثاني: أنه القاهر لما ظهر وبطن كما قال تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِم فَأَصْبَحُواْ ظَاهِرِينَ﴾.

الثالث: العالم بما ظهر وما بطن.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾ يعني بالأول والآخر والظاهر والباطن.

ولأصحاب الخواطر في ذلك ثلاثة أوجه.

أحدها: الأول في ابتدائه بالنعم، والآخر في ختامه بالإحسان، والظاهر في إظهار حججه للعقول، والباطن في علمه ببواطن الامور.

الثاني: الأول بكشف أحوال الآخرة حين ترغبون فيها، والآخر بكشف أحوال الدنيا حين تزهدون فيها، والظاهر على قلوب أوليائه حين يعرفونه، والباطن على قلوب أعدائه حين ينكرونه.

الثالث: الأول قبل كل معلوم، والآخر بعد كل مختوم، والظاهر فوق كل مرسوم، والباطن محيط بكل مكتوم.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

---

(٥٢٥) وخير من فسر هذه الأسماء هو رسول الله ﷺ كما رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٤) في الحديث اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء.. الحديث.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ قال مقاتل: من مطر، وقال غيره: من مطر وغير مطر.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ قال مقاتل: من نبات وغير نبات.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ قال مقاتل: من الملائكة، وقال غيره: من ملائكة وغير ملائكة.

ويحتمل وجهاً آخر: ما يلج في الأرض من بذر، وما يخرج منها من زرع، وما ينزل من السماء من قضاء، وما يعرج فيها من عمل، ليعلموا إحاطة علمه بهم فيما أظهروه أو ستروه، ونفوذ قضائه فيهم بما أرادوه أو كرهوه.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علمه معكم(٥٢٦) أينما كنتم حيث لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، قاله مقاتل.

والثاني: قدرته معكم أينما كنتم حيث لا يعجزه شيء من أموركم.

ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ

---

(٥٢٦) وهو الصواب وعليه الجمهور وهي المعية الشاملة العامة وهو سبحانه يحيط بخلقه علماً وقدرته وتحيط بهم لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سبحانه جل شأنه.

أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ تحتمل هذه النفقة وجهين:

أحدهما: أن تكون الزكاة المفروضة.

والثاني: أن يكون غيرها من وجوه الطاعات.

وفي ﴿ما جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ قولان:

أحدهما: يعني مما جعلكم معمرين فيه بالرزق، قاله مجاهد.

الثاني: مما جعلكم مستخلفين فيه بوراثتكم له عمن قبلكم، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً: مما جعلكم مستخلفين على القيام بأداء حقوقه.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: معناه ولله ملك السموات والأرض.

الثاني: أنهما راجعان إليه بانقباض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يستوي من أسلم من قبل فتح مكة وقاتل ومن أسلم بعد فتحها وقاتل، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: يعني من أنفق ماله في الجهاد وقاتل، قاله قتادة.

وفي هذا الفتح قولان:

أحدهما: فتح مكة، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: فتح الحديبية، قاله الشعبي، قال قتادة: كان قتالان أحدهما أفضل من الأخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك.

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحسنى الحسنة، قاله مقاتل.

الثاني: الجنة، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أن الحسنى القبول والجزاء.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن القرض الحسن هو أن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله والله أكبر، رواه سفيان عن ابن حيان.

الثاني: أنه النفقة على الأهل، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: أنه التطوع بالعبادات، قاله الحسن.

الرابع: أنه عمل الخير، والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق أو قرض سوء، إذا فعل به خيراً أو شراً، ومنه قول الشاعر:

وتجزي سلاماً من مقدم قرضها بما قدمت أيديهم وأزلت

الخامس: أنه النفقة في سبيل الله، قاله مقاتل بن حيان.

وفي قوله: ﴿حَسَناً﴾ وجهان:

أحدهما: طيبة بها نفسه، قاله مقاتل.

الثاني: محتسباً لها عند الله، قاله الكلبي، وسمي قرضاً لاستحقاق ثوابه، قاله لبيد:

وإذا جوزيت قرضاً فاجزه إنما يجزى الفتى ليس الجمل

وفي تسميته ﴿حَسَناً﴾ وجهان:

أحدهما: لصرفه في وجوه حسنة.

الثاني: لأنه لا مَنَّ فيه ولا أذى.

﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فيضاعف القرض لأن جزاء الحسنة عشر أمثالها.

الثاني: فيضاعف الثواب تفضلاً بما لا نهايه له.

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لم يتذلل في طلبه.

الثاني: لأنه كريم الخطر.

الثالث: أن صاحبه كريم.

فلما سمعها أبو الدحداح تصدق(٥٢٧) بحديقة فكان أول من تصدق بعد هذه الآية.

---

(٥٢٧) قال الحافظ في الإصابة (٧/ ١١٩) وروى أحمد والبغوي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن

وروى سعيد بن جبير أن اليهود أتت النبي ﷺ عند نزول هذه الآية، فقالوا يا محمد، أفقير ربك يسأل عباده القرض؟، فأنزل الله ﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـانِهِم﴾ وفي نورهم ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ضياء يعطيهم الله إياه ثواباً وتكرمة، وهذا معنى قول قتادة.

الثاني: أنه هداهم الذي قضاه لهم، قاله الضحاك.

الثالث: أنه نور أعمالهم وطاعتهم.

قال ابن مسعود[٥٢٨]: ونورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم مَن نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً مَن نوره على إبهام رجله يوقد تارة ويطفأ أخرىٰ.

وقال الضحاك: ليس أحد يعطى يوم القيامة نوراً، فإذا انتهوا إلى الصراط أطفىء نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن ينطفىء نورهم كما طفىء نور المنافقين، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

وفي قوله: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وجهان:

أحدهما: ليستضيئوا به على الصراط، قاله الحسن.

والثاني: ليكون لهم دليلاً إلى الجنة، قاله مقاتل.

وفي قوله: ﴿بِأَيْمَانِهِم﴾[٥٢٩] في الصدقات والزكوات وسبل الخير.

الرابع: بإيمانهم في الدنيا وتصديقهم بالجزاء، قاله مقاتل.

قوله تعالى ﴿بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ فيه وجهان:

ثابت عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله ﷺ إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها فقال النبي ﷺ أعطه إياها بنخلة في الجنة فأبى، قال فأتاه أبو الدحداح فقال له: بعني نخلتك بحائطي قال أفعل فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له فقد أعطيتكها فقال كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة. . . الحديث.

(٥٢٨) رواه ابن جرير (٢٢٣/٢٧) والحاكم (٥٩٠/٤) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله. . ما أنكره حديثاً على جودة إسناده وأبو خالد شيعي منحرف وزاد السيوطي في الدر (٥٢/٨) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي هاشم وابن مردويه.

(٥٢٩) وهي قراءة سهل بن سعد وأبي حيوة.

أحدهما: أن نورهم هو بشراهم بالجنات.

الثاني: هي بشرى من الملائكة يتلقونهم بها في القيامة، قاله الضحاك.

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ﴾ الآية. قال ابن عباس وأبو أمامة: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة أظنها بعد فصل القضاء، ثم يعطون نوراً يمشون فيه.

وفي النور قولان:

أحدهما: يعطاه المؤمن بعد إيمانه دون الكافر.

الثاني: يعطاه المؤمن والمنافق، ثم يسلب نور المنافق لنفاقه، قاله ابن عباس.

فيقول المنافقون والمنافقات حين غشيتهم الظلمة.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ حين أعطوا النور الذي يمشون فيه:

﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي انتظروا، ومنه قول عمرو بن(٥٣٠) كلثوم:

أبا هند فلا تعجل علينا ... وأنظرنا نخبرك اليقينا

﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُوراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: ارجعوا إلى الموضع الذي أخذنا منه النور فالتمسوا منه نوراً.

الثاني: ارجعوا فاعملوا عملاً يجعل الله بين أيديكم نوراً.

ويحتمل في قائل هذا القول وجهان:

---

(٥٣٠) بيت من معلقة عمرو أنظر شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري واللسان نظر والطبري (٢٧/ ٢٢٤) وفتح القدير (٥/ ١٧٠) والقرطبي (١٧/ ٢٤٥).

أحدهما: أن يقوله المؤمنون لهم.

الثاني: أن تقوله الملائكة لهم.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه حائط بين الجنة والنار، قاله قتادة.

الثاني: أنه حجاب في الأعراف، قاله مجاهد.

الثالث: أنه سور المسجد الشرقي، [بيت المقدس] قاله عبدالله بن عمرو بن العاص.

﴿بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الرحمة التي في باطنه الجنة، والعذاب الذي في ظاهره جهنم، قاله الحسن.

الثاني: أن الرحمة التي في باطنه: المسجد وما يليه، والعذاب الذي في ظاهره: وادي جهنم يعني بيت المقدس(٥٣١)، قاله عبدالله بن عمرو بن العاص.

ويحتمل ثالثاً: أن الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين، والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين.

وفيمن ضرب بينهم وبينه بهذا السور قولان:

أحدهما: أنه ضرب بينهم وبين المؤمنين الذي التمسوا منهم نوراً، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: أنه ضرب بينهم وبين النور بهذا السور حتى لا يقدروا على التماس النور.

---

(٥٣١) وقد تعب الشوكاني في فتح القدير (٥/١٧١) هذا القول بقوله «ولا يخفاك أن تفسير السورة المذكورة في القرآن في هذه الآية بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيه من الأشكال لا يدفعه مقال ولا سيما بعد زيادة قوله باطنه فيه الرحمة المسجد فإن هذا غير ما سيقت له الآية وغيرما دلت عليه وأين يقع بيت المقدس أو سوره بالنسبة إلى السور الحاجز بين فريقي المؤمنين والمنافقين، وأي معنى لذكر بيت المقدس ها هنا، فإن كان المراد أن الله سبحانه ينزع بيت المقدس ويجعله في الدار الآخرة سوراً مضروباً بين المؤمنين والمنافقين، فما معنى تفسير باطن السور وما فيه من الرحمة بالمسجد، وإن كان المراد أن الله يسوق فريق المؤمنين والمنافقين إلى خارجه، فهم إذ ذاك على الصراط وفي طريق الجنة وليسوا ببيت المقدس، فإن كان مثل هذا التفسير ثابت عن رسول الله ﷺ، قبلناه وآمنا به وإلا فلا كرامة ولا قبول.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يعني نصلي مثلما تصلون، ونغزو مثلما تغزون، ونفعل مثلما تفعلون.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَكِنَكُم فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالنفاق، قاله مجاهد.

الثاني: بالمعاصي، قاله أبو سنان.

الثالث: بالشهوات، رواه أبو نمير الهمداني.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: بالحق وأهله، قاله قتادة.

الثاني: وتربصتم بالتوبة، قاله أبو سنان.

﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ يعني شككتم في أمر الله.

﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: خدع الشيطان، قاله قتادة.

الثاني: الدنيا، قاله ابن عباس.

الثالث: سيغفر لنا، قاله أبو سنان.

الرابع: قولهم اليوم وغداً.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: الموت، قاله أبو سنان.

الثاني: إلقاؤهم في النار، قاله قتادة.

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ الْغَرُوْرُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الشيطان، قاله عكرمة.

الثاني: الدنيا، قاله الضحاك.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (١٦) ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها نزلت في قوم موسى عليه السلام قبل أن يبعث النبي ﷺ، قاله ابن حيان.

الثاني: في المنافقين آمنوا بألسنتهم(٥٣٢) وكفروا بقلوبهم، قاله الكلبي.

الثالث: أنها في المؤمنين من أمتنا، قاله ابن عباس وابن مسعود، والقاسم بن محمد.

ثم اختلف فيها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما رواه أبو حازم عن عون بن عبدالله عن(٥٣٣) ابن مسعود قال: ما كان بين أن أسلمنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، فجعل ينظر بعضنا إلى بعض ويقول ما أحدثنا. قال الحسن: يستبطئهم وهم أحب خلقه إليه.

الثاني: ما رواه قتادة عن ابن عباس أن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاثة عشرة سنة، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية.

الثالث: ما رواه المسعودي عن القاسم قال: مل أصحاب رسول الله ﷺ مرة فقالوا يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله تعالى: ﴿نحنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ ثم ملوا مرة فقالوا:

حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

قال شداد بن أوس: كان يروى لنا(١٦١) عن النبي ﷺ أنه قال: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الخُشُوعُ».

---

(٥٣٢) وهذا القول غير صحيح لأن الآية صريحة في الذين آمنوا.

(١٦٠) رواه مسلم (٤/ ٢٣١٩) والحاكم (٢/ ٤٧٩) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٥٨) نسبته لابن المنذر و ابن ماجه وابن مردويه، والنسائي.

(٥٣٣) اختلف في هذا الحديث فقد رواه الطبراني مرفوعاً من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه وكذلك

ومعنى قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ ألم يحن، قال الشاعر[٥٣٤]:

ألم يأن لي يا قلب أن اترك الجهلا وأن يحدث الشيب المبين لنا عقلا

وفي ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن تلين قلوبهم لذكر الله.

الثاني: أن تذل قلوبهم من خشية الله.

الثالث: أن تجزع قلوبهم من خوف الله.

وفي ذكر الله هاهنا وجهان:

أحدهما: أنه القرآن، قاله مقاتل.

الثاني: أنه حقوق الله، وهو محتمل.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: القرآن، قاله مقاتل.

الثاني: الحلال والحرام، قاله الكلبي.

الثالث: يحتمل أن يكون ما أنزل من البينات والهدى.

﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يلين القلوب بعد قسوتها، قاله صالح المري.

الثاني: يحتمل أنه يصلح الفساد.

الثالث: أنه مثل ضربه لإحياء الموتى. روى وكيع عن أبي[٥٣٥] رزين قال: قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الأرض بعد موتها؟ فقال: «**يَا أَبَا رُزَينَ أَمَامَرَرْتَ بِوَادٍ مُمْحَلٍ ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خُضْرَةً**؟ قال: بلى، **قَالَ كَذَلِكَ يُحْيي ٱللَّهُ المَوتَىٰ**».

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ

رواه ابن حبان موقوفاً على شداد بن أوس ورجح المنذري وقفه وزاد الألباني نسبة المرفوع لابن عدي وأبي نعيم في الحلية وللحديث شاهد من حديث أبي الدرداء مرفوعاً رواه الطبراني.

(٥٣٤) هو كثير عزة والبيت في فتح القدير (٥/ ١٧٢) والقرطبي (١٧/ ٢٤٨) والكتاب لسيبويه (١/ ٣٨).

(٥٣٥) رواه أحمد (٤/ ١١) واحمد (٤/ ١١ ـ ١٢) وابن ابي عاصم (١/ ٢٠٠) وابو داود (٤٧٣١) وفي سنده وكيع بن عداس وهو مجهول الحال.

أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المصدقين لله ورسوله.

الثاني: المتصدقين بأموالهم في طاعة الله.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ أي المؤمنون بتصديق الله ورسله

﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون وهم الشهداء عند ربهم، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: أن قوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ كلام تام.

وقوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ كلام مبتدأ وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم الرسل يشهدون على أممهم بالتصديق والتكذيب، قاله الكلبي.

الثاني: أنهم أمم الرسل يشهدون يوم القيامة.

وفيما يشهدون به قولان:

أحدهما: يشهدون على أنفسهم بما عملوا من طاعة ومعصية، وهذا معنى قول مجاهد.

الثاني: يشهدون لأنبيائهم بتبليغ الرسالة إلى أممهم، قاله الكلبي.

وقال مقاتل قولاً ثالثاً: أنهم القتلى في سبيل الله لهم أجرهم عند ربهم يعني ثواب أعمالهم.

﴿وَنُورُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نورهم على الصراط.

الثاني: إيمانهم في الدنيا، حكاه الكلبي.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ الدُّنْيـا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أكل وشرب، قاله قتادة.

الثاني: أنه على المعهود من اسمه، قال مجاهد: كل لعب لهو.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن اللعب ما رغَّب في الدنيا، واللهو ما ألهى عن الآخرة.

ويحتمل رابعاً: أن اللعب الاقتناء، واللهو النساء.

﴿وَزِينَةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الدنيا زينة فانية.

الثاني: أنه كل ما بوشر فيها لغير طاعة.

﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالخلقة والقوة.

الثاني: بالأنساب على عادة العرب في التنافس بالآباء.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ﴾ لأن عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأموال والأولاد، وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعات.

ثم ضرب لهم مثلاً بالزرع ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ بعد خضرة.

﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾ بالرياح الحطمة، فيذهب بعد حسنه، كذلك دنيا الكافر.

﴿سَابِقُوا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: النبي ﷺ، قاله أبو سعيد.

الثاني: الصف الأول، قاله رباح بن عبيد.

الثالث: إلى التكبيرة الأولى مع الإمام، قاله مكحول.

الرابع: إلى التوبة، قاله الكلبي.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ ترغيباً في سعتها، واقتصر على ذكر العرض دون الطول لما في العرض من الدلالة على الطول، ولأن من عادة العرب أن تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله، قال الشاعر[٥٣٦]:

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب حلقة خاتم.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الجنة، قاله الضحاك.

الثاني: الدين، قاله ابن عباس.

وفي ﴿مَن يَشَآءُ﴾ قولان:

أحدهما: من المؤمنين، إن قيل إن الفضل الجنة.

الثاني: من جميع الخلق، إن قيل إنه الدين.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الجوائح في الزرع والثمار.

الثاني: القحط والغلاء.

﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: في الدين، قاله ابن عباس.

---

(٥٣٦) فتح القدير (٥/ ١٧٥) والقرطبي (١٧/ ٢٥٦) (٤/ ٢٠٥) وفيها «كفه حابل» بدلاً من حلقه خاتم.

الثاني: الأمراض والأوصاب، قاله قتادة.

الثالث: إقامة الحدود، قاله ابن حبان.

الرابع: ضيق المعاش، وهذا معنى رواية ابن جريج.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ[٥٣٧].

﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ قال سعيد بن جبير: من قبل أن نخلق المصائب ونقضيها.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الرزق الذي لم يقدر لكم، قاله ابن عباس، والضحاك.

الثاني: من العافية والخصب الذي لم يقض لكم، قاله ابن جبير.

﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الدنيا، قاله ابن عباس.

الثاني: من العافية والخصب، وهذا مقتضى قول ابن جبير.

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ قال: ليس أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبراً، والخير شكراً.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: الذين يبخلون يعني بالعلم، ويأمرون الناس بالبخل بألا يعلموا الناس شيئاً، قاله ابن جبير.

الثاني: أنهم اليهود بخلوا بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ، قاله الكلبي، والسدي.

الثالث: أنه البخل بأداء حق الله من أموالهم، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: أنه البخل بالصدقة والحقوق، قاله عامر بن عبدالله الأشعري.

الخامس: أنه البخل بما في يديه، قال طاووس.

وفرق أصحاب الخواطر بين البخيل والسخي بفرقين:

أحدهما: أن البخيل الذي يلتذ بالإمساك، والسخي الذي يلتذ بالعطاء.

---

(٥٣٧) وفي الآية الدليل القاطع على أن القدر كتب في الأزل وفي الآية أيضاً رد على القدرية نفاة القدر.

الثاني: أن البخيل الذي يعطي عند السؤال، والسخي الذي يعطي بغير سؤال.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾

﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الله أنزله مع آدم. روى عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاث أشياء نزلت مع آدم: الحجر الأسود، كان أشد بياضاً من الثلج، وعصا موسى وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع مثل طول موسى، والحديد، أنزل معه ثلاثة أشياء: السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة.

الثاني: أنه من الأرض غير منزل من السماء، فيكون معنى قوله:

﴿وَأَنزَلْنَا﴾ محمولاً على أحد وجهين:

أحدهما: أي أظهرناه.

الثاني: لأن أصله من الماء المنزل من السماء فينعقد في الأرض جوهره حتى يصير بالسبك حديداً.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لأن بسلاحه وآلته تكون الحرب التي هي بأس شديد.

الثاني: لأن فيه من خشية القتل خوفاً شديداً.

﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما تدفعه عنهم دروع الحديد من الأذى وتوصلهم إلى الحرب والنصر.

الثاني: ما يكف عنهم من المكروه بالخوف منه.

وقال قطرب: البأس السلاح، والمنفعة الآلة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿. . وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الرأفة اللين، والرحمة الشفقة.

الثاني: أن الرأفة تخفيف الكل، والرحمة تحمل الثقل.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ فيه قراءتان:

إحداهما: بفتح الراء وهي الخوف من الرهب.

الثانية: بضم الراء وهي منسوبة إلى الرهبان ومعناه أنهم ابتدعوا رهبانية ابتدؤوها.

وسبب ذلك ما حكاه الضحاك: [أنهم] بعد عيسى ارتكبوا المحارم ثلاثمائة سنة فأنكرها عليهم من كان على منهاج عيسى فقتلوهم، فقال قوم بقوا بعدهم: نحن إذا نهيناهم قتلونا، فليس يسعنا المقام بينهم، فاعتزلوا النساء واتخذوا الصوامع، فكان هذا ما ابتدعوه من الرهبانية التي لم يفعلها من تقدمهم وإن كانوا فيها محسنين.

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي لم تكتب عليهم وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها رفض النساء واتخاذ الصوامع، قاله قتادة.

الثاني: أنها لحوقهم بالجبال ولزومهم البراري، وروي فيه خبر مرفوع(٥٣٨).

الثالث: أنها الانقطاع عن الناس والانفراد بالعبادة.

---

(٥٣٨) وهو خبر طويل انظره في الطبري (٢٧/ ٢٣٩) من حديث ابن مسعود وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٦٤) نسبته لعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم (٢/ ٤٨٠) وصححه وابن مردويه والطبراني والبيهقي في الشعب وابن عساكر من طرق عنه قلت وفي سند ابن جرير داود بن المحبر وقد ضعفه غير واحد وهو صاحب كتاب العقل الذي وضع فيه أحاديث في فضائل العقل ولكنه لم ينفرد بل تابعه شيبان بن فروخ عن أبي يعلى فقوي الحديث من هذا الوجه كما أفاده ابن كثير (٤/ ٣١٦).

وفي الرأفة والرحمة التي جعلها في قلوبهم وجهان:

[الأول]: أنه جعلها في قلوبهم بالأمر بها والترغيب فيها.

الثاني: جعلها بأن خلقها فيهم وقد مدحوا بالتعريض بها.

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ﴾ أي لم تكتب عليهم قبل ابتداعها ولا كتبت بعد ذلك عليهم.

الثاني: أنهم تطوعوا بها بابتداعها، ثم كتبت بعد ذلك عليهم، قاله الحسن.

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم ما رعوها(٥٣٩) لتكذيبهم بمحمد.

الثاني: بتبديل دينهم وتغييرهم فيه قبل مبعث الرسول ﷺ، قاله عطية العوفي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد.

﴿يُؤْتِكُم كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن أحد الأجرين لإيمانهم بمن تقدم من الأنبياء، والآخر لإيمانهم بمحمد ﷺ، قاله ابن عباس.

الثاني: أن أحدهما أجر الدنيا، والآخر أجر الآخرة، قاله ابن زيد.

ويحتمل ثالثاً: أن أحدهما أجر اجتناب المعاصي، والثاني أجر فعل الطاعات.

(٥٣٩) قال الامام القاسمي في محاسن التأويل (١٦/ ٥٦٩٨) قوله «فما رعوها حق رعايتها» أي ما قاموا بما التزموه منها حق القيام من التزهد والتخلي للعبادة وعلم الكتاب بل اتخذوها آلة للترؤس والسؤدد وأخضاع الشعب للأهواء».

ويحتمل رابعاً: أن أحدهما أجر القيام بحقوق الله والثاني أجر القيام بحقوق العباد.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الهدى، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أنه الدين المتبوع في مصالح الدنيا وثواب الآخرة. وقد روى أبو بريدة بن أبي موسى الأشعري[٥٤٠] عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «**ثَلاَثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَينِ: رَجُلٌ آمَنَ بِالكِتَابِ الأَوَّلِ وَالْكِتَابِ الآخِرِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَه أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا وَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ**».

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ قال الأخفش: معناه ليعلم أهل الكتاب وأن «لا» صلة زائدة وقال الفراء: لأنْ لا يعلم أهل الكتاب و«لا» صلة زائدة في كلام دخل عليه جحد.

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من دين الله وهو الإسلام قاله مقاتل.

الثاني: من رزق الله، قاله الكلبي.

وفيه ثالث: أن الفضل نعم الله التي لا تحصى.

---

(٥٤٠) رواه البخاري (١/ ١٧٠، ١٧١) ومسلم الإيمان (١٥٤) وأحمد (٤/ ٣٩٥، ٤١٤) وابن جرير (٢٧/ ٢٤٣) من حديث أبي موسى الأشعري.



مدنية في قول الجميع إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي. وقال الكلبي: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ نزلت بمكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**﴾ وهي خولة بنت ثعلبة، وقيل بنت خويلد، وليس هذا بمختلف لأن أحدهما أبوها والآخر جدها، فنسبت إلى كل واحد منهما. وزوجها أوس بن الصامت. قال عروة(٥٤١): وكان امرأً به لمم فأصابه بعض لممه فظاهر من امرأته، فأتت رسول الله ﷺ تستفتيه في ذلك.

﴿**وتشتكي إلى الله**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تستغيث بالله.

والثاني: تسترحم الله.

وروى الحسن أنها قالت: يا رسول الله قد نسخ الله سنن الجاهلية وإن زوجي

(٥٤١) رواه ابن جرير (٢٨/ ٥) ورواه أبو داود (٢٢١٩) وقول هشام مثله واللمم هنا هو شدة الإلمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان إليهن.

ظاهر مني، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أوحي إليّ في هذا شيء**»، فقالت: يا رسول الله أوحي إليك في كل شيء وطوي عنك هذا؟ فقال: «**هو ما قلت لك**» فقالت: إلى الله أشكو لا إلى رسوله، فأنزل الله تعالى: ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك**﴾ الآية. وقرأ ابن مسعود: ﴿**قَد سَّمِعَ**﴾.

قالت عائشة (٥٤٢): تبارك الله الذي أوعى سمعه كل شيء، سمع كلام خولة بنت ثعلبة وأنا في ناحية البيت ما أسمع بعض ما تقول، وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي وانقطع ولدي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية.

﴿**والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير**﴾ والمحاورة مراجعة الكلام، قال عنترة(٥٤٣):

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي.

﴿**الذين يظاهرون منكم من نسائهم**﴾ الظهار قول الرجل لامرأته:

أنت عليّ كظهر أمي، سمي ظهاراً لأنه قصد تحريم ظهرها عليه، وقيل: لأنه قد جعلها عليه كظهر أمه، وقد كان في الجاهلية طلاقاً ثلاثاً لا رجعة فيه ولا إباحة بعده فنسخه الله إلى ما استقر عليه الشرع من وجوب الكفارة فيه بالعود.

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ

(٥٤٢) رواه البخاري (٣١٦/١٣) والنسائي (١٦٨/٨) وأحمد (٤٦/٦) وابن ماجه [٢٠٦٣] والحاكم (٤٨١/٢) وصححه ووافقه الذهبي. والطبري (٢٨/ ٥،٦) والبيهقي (٣٨٢/٧).

(٥٤٣) شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري ومختار الشعر الجاهلي (٣٧٩/١) زاد المسير (١٨٢/٨).

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾

ثم قال: ﴿.. ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم﴾ تكذيباً من الله تعالى لقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾ يعني بمنكر القول الظاهر، وبالزور كذبهم في جعل الزوجات أمهات.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾

﴿إن الذين يحادُّون الله ورسوله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعادون الله ورسوله، قاله مجاهد.

الثاني: يخالفون الله ورسوله، قاله الكلبي.

وفي أصل المحادة وجهان:

أحدهما: أن تكون في حد يخالف حد صاحبك، قاله الزجاج.

الثاني: أنه مأخوذ من الحديد المعد للمحادة.

﴿كبتوا كما كبت الذين من قبلهم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: [أخزوا] كما أخزي الذين من قبلهم، قاله قتادة.

الثاني: معناه أهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم، قاله الأخفش وأبو عبيدة.

الثالث: لعنوا كما لعن الذين من قبلهم، قاله السدي، وقيل هي بلغة مذحج (*)

(*) هو أبو قبيلة تسكن اليمن.

الرابع: ردوا مقهورين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٠)﴾

﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾ النجوى السرار، ومن ذلك قول جرير:

من النفر البيض الذين إذا انتجوا ... أقرت بنجواهم لؤي بن غالب

والنجوى مأخوذة من النجوة وهي ما له ارتفاع وبعد، لبعد الحاضرين عنه، وفيها وجهان:

أحدهما: أن كل سرار نجوى، قاله ابن عيسى.

الثاني: أن السرار ما كان بين اثنين، والنجوى ما كان بين ثلاثة، حكاه سراقة.

وفي المنهي عنه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود، كانوا يتناجون بما بين المسلمين، فنهوا عن ذلك، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم المنافقون، قاله الكلبي.

الثالث: أنهم المسلمون.

روى أبو سعيد الخدري(٥٤٤) قال: كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله

---

(٥٤٤) رواه أحمد (٢/١) وابن مردويه وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٣٤٣/٤) وقال هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء.

ﷺ فقال: « **ما هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى** ».

فقلنا تبنا إلى الله يا رسول الله إنا كنا في ذكر المسيح يعني الدَّجال فرَقاً منه، فقال: « **ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان الرجل** ».

﴿**وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله**﴾ كانت اليهود إذا دخلت على رسول الله ﷺ قالوا: السام عليك، وكان النبي ﷺ يردعليهم فيقول: ﴿**وعليكم**﴾ ويروى أن عائشة[٥٤٥] حين سمعت ذلك منهم قالت: وعليكم السام والذام، فقال عليه السلام: « **إن الله لا يحب الفحش والتفحش** ».

وفي السام الذي أرادوه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الموت، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه السيف.

الثالث: أنهم أرادوا بذلك أنكم ستسأمون دينكم، قاله الحسن، وكذا من قال هو الموت لأنه يسأم الحياة.

وحكى الكلبي أن اليهود كانوا إذا رد النبيﷺ جواب سلامهم قالوا: لو كان هذا نبياً لاستجيب له فينا قوله وعليكم، يعني السام وهو الموت وليس بنا سامة وليس في أجسادنا فترة، فنزلت[٥٤٦] فيهم ﴿**ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾ الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿**إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين ءامنوا**﴾ وجهان:

أحدهما: ما كان يتناجى به اليهود والمنافقون من الأراجيف بالمسلمين.

الثاني: أنها الأحلام التي يراها الإنسان في منامه فتحزنه.

---

(٥٤٥) رواه البخاري ١٠/٤٤٩ نحوه ومسلم (٤/١٧٠٧) وابن جرير (٢٨/١٤) وابن ابي حاتم وابن مردويه وسعيد بن منصور وعبد الرزاق والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد.

(٥٤٦) رواه أحمد (٦٥٨٩) وزاد السيوطي في الدر (٨/٨٠)نسبته لسعيد بن حميد والبزار وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب بسند جيد عن ابن عمرو رضي الله عنه قال إن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ سام عليك يريدون بذاك شتمه ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فنزلت هذه الآية ﴿**وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله**﴾ قال الحافظ ابن كثير (٤/) إسناد حسن وقال الهيثمي (٧/١٢١) رواه أحمد والبزار والطبراني وإسناده جيد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس. .﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: مجلس النبي ﷺ خاصة إذا جلس فيه قوم تشاحوا بأمكنتهم على من يدخل عليهم أن يؤثروه بها أو يفسحوا له فيها، فأمروا بذلك قاله مجاهد:

الثاني: أنه في مجالس صلاة الجمعة، قاله مقاتل.

الثالث: أنها في مجالس الذكر كلها، قاله قتادة.

الرابع: أن ذلك في الحرب والقتال، قاله الحسن.

﴿. . . وإذا قيل انشزوا فانشزوا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه وإذا قيل لكم انهضوا إلى القتال فانهضوا، قاله الحسن.

الثاني: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا، قاله قتادة.

الثالث: إذا نودي للصلاة فاسعوا إليها، قاله مقاتل بن حيان.

الرابع: أنهم كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله ﷺ أطالوا ليكون كل واحد منهم هو الآخر عهداً به، فأمرهم الله أن ينشزوا إذا قيل لهم انشزوا، قاله ابن زيد.

ومعنى **﴿تفسحوا﴾** توسعوا. وفي **﴿انشزوا﴾** وجهان:

أحدهما: معناه قوموا، قاله ابن قتيبة.

الثاني: ارتفعوا، مأخوذ من نشز الأرض وهو ارتفاعها.

وفيما أمروا أن ينشزوا إليه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلى الصلاة، قاله الضحاك.

الثاني: إلى الغزو، قاله مجاهد.

الثالث: إلى كل خير، قاله قتادة.

﴿يرفع الله الذين ءامنوا منكم﴾ يعني بإيمانه على من ليس بمنزلته في الإيمان.

﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ على من ليس بعالم.

ويحتمل هذا وجهين:

أحدهما: أن يكون إخباراً عن حالهم عند الله في الآخرة.

الثاني: أن يكون أمراً يرفعهم في المجالس التي تقدم ذكرها لترتيب الناس فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ اختلف في سببها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن المنافقين كانوا يناجون النبي ﷺ بما لا حاجة لهم به، فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن النجوى، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه كان قوم من المسلمين يستخلون النبي ﷺ ويناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى، فشق عليهم ذلك، فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه، قاله الحسن.

الثالث: قاله ابن عباس وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما قال ذلك كف كثير من الناس عن المسألة.

وقال مجاهد: لم يناجه إلا عليٌّ قدّم ديناراً فتصدق به، فسأله عن عشر خصال، ثم نزلت الرخصة.

﴿ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ قال علي: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت، وأحسبه[قال] وما كانت إلا ساعة، وقال ابن حبان: كان ذلك ليالي عشراً.

وقال ابن سليمان: ناجاه عليّ بدينار باعه بعشرة دراهم في عشر كلمات كل

كلمة بدرهم. وناجاه آخر من الأنصار بآصع وكلمه كلمات، ثم نسخت بما بعدها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)﴾

﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ يعني المنافقين تولوا قوماً غضب الله عليهم هم اليهود.

﴿ما هم منكم﴾ لأجل نفاقهم.

﴿ولا منهم﴾ لخروجهم بيهوديتهم.

﴿ويحلفون على الكذب﴾ أنهم لم ينافقوا.

﴿وهم يعلمون﴾ أنهم منافقون.

﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين﴾ فيه قولان:

أحدهما: قاله السدي.

الثاني: عن سبيل الله في قتلهم بالكفر لما أظهروه من النفاق.

ويحتمل ثالثاً: صدوا عن الجهاد ممايلة لليهود.

﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ فيه قولان:

أحدهما: قوي عليهم.

الثاني: أحاط بهم، قاله المفضل.

وفيه ثالث: أنه غلب واستولى عليهم في الدنيا.

(*) جمع صاع وهو مكيال يزيد بالمصري ٤٠ و٢ جرام تقريباً.

﴿فأنساهم ذكر الله﴾ يحتمل ذكر الله ها هنا وجهين:

أحدهما: أوامره في العمل بطاعته.

الثاني: زواجره في النهي عن معصيته.

ويحتمل ما أنساهم من ذكره وجهين:

أحدهما: بالغفلة عنها.

الثاني: بالشرك بها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من حارب الله ورسوله، قاله قتادة والفراء.

الثاني: من خالف الله ورسوله، قاله الكلبي.

الثالث: من عادى الله ورسوله، قاله مقاتل.

﴿ولو كانوا اباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ اختلف فيمن نزلت هذه الآية فيه على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما قاله ابن شوذب: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة [٥٤٧] بن الجراح قتل أباه الجراح يوم بدر، جعل يتصدى له، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله.

---

(٥٤٧) رواه ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وابن عساكر كما في الدر (٨٦/٨).

وروى سعيد بن عبد العزيز عن عمر بن الخطاب أنه قال: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخاره، قال سعيد: وفيه نزلت هذه الآية.

وفيه وجهان:

أحدهما: أنه خارج مخرج النهي للذين آمنوا أن يوادوا من حادّ الله ورسوله.

الثاني: أنه خارج مخرج الصفة لهم والمدح بأنهم لا يوادون من حادّ الله ورسوله، وكان هذا مدحاً.

﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه جعل في قلوبهم الإيمان وأثبته، قال السدي، فصار كالمكتوب.

الثاني: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان.

الثالث: حكم لقلوبهم بالإيمان.

الرابع: أنه جعل في قلوبهم سمة (٥٤٨) للإيمان على أنهم من أهل الإيمان، حكاه ابن عيسى.

﴿وأيدهم بروح منه﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أعانهم برحمته، قاله السدي.

الثاني: أيدهم بنصره حتى ظفروا.

الثالث: رغبهم في القرآن حتى ءامنوا.

الرابع: قواهم بنور الهدى حتى صبروا.

الخامس: قواهم بجبريل يوم بدر.

﴿رضي الله عنهم﴾ يعني في الدنيا بطاعتهم.

﴿ورضوا عنه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رضوا عنه في الآخرة بالثواب.

الثاني: رضوا عنه في الدنيا بما قضاه عليهم فلم يكرهوه.

﴿أولئك حزب الله﴾ فيهم وجهان:

---

(٥٤٨) وهذا القول من أقوال المعتزلة وقد رد عليه العلماء في أكثر من مكان وكان من الواجب التنبيه على هذا والصواب القول الأول وعليه أكثر العلماء.

أحدهما: أنهم من عصبة الله فلا تأخذهم لومة لائم.

الثاني: أنهم أنصار حقه ورعاة خلقه وهو محتمل.

القول الثاني: ما روى ابن جريج [٥٤٩] أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وقد سمع أباه أبا قحافة يسب النبي ﷺ فصكه أبو بكر صكة فسقط على وجهه، فقال ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**أو فعلته؟! لا تعد إليه يا أبا بكر**».

فقال والله لو كان السيف قريباً مني لضربته به، فنزلت هذه الآية.

القول الثالث: ما حكى الكلبي ومقاتل أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وقد كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم عام الفتح.

---

(٥٤٩) رواه ابن المنذر كما في الدر (٨٦/٨) وقال الحافظ في تخريج الكشاف ١٦٦ نقله الثعلبي عن ابن جريج قال حدثت أن أبا قحافة ا هـ.
قلت فعلى هذا يكون الحديث منقطعاً.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: **﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب﴾** يعني يهود بني النضير.

﴿من ديارهم﴾ يعني من منازلهم.

﴿لأول الحشر﴾ أجلاهم[٥٥٠] رسول الله ﷺ بعد رجوعه من أُحد إلى أذرعات

(٥٥٠) وقد أورد ابن حجر قصة جلائهم في الفتح (٧/٥٥) من رواية ابن مردويه وصححها ابن معمر عن =

الشام، وأعطى كل ثلاثة بعيراً يحملون عليه ما استقل إلا السلاح، وكان النبي ﷺ قد عاهدهم حين هاجر إلى المدينة أن لا يقاتلوا معه ولا عليه، فكفوا يوم بدر لظهور المسلمين، وأعانوا المشركين يوم أحد حين رأوا ظهورهم على المسلمين، فقتل رئيسهم كعب بن الأشراف، قتله محمد بن مسلمة غيلة. ثم سار إليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم ثلاثاً وعشرين ليلة محارباً حتى أجلاهم عن المدينة.

في قوله: ﴿لأول الحشر﴾ ثلاث أوجه:

أحدها: لأنهم أول من أجلاه النبي ﷺ من اليهود، قاله ابن حبان.

الثاني: لأنه أول حشرهم، لأنهم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر في القيامة، قاله الحسن. وروي عن النبي ﷺ أنه لما أجلى بني النضير قال لهم امضوا فهذا أول الحشر وأنا على الأثر(٥٥١).

الثالث: أنه أول حشرهم لما ذكره قتادة أنه يأتي عليهم بعد ذلك من مشرق الشمس نار تحشرهم إلى مغربها تبيت معهم إذا باتوا[وتقيل معهم حيث قالوا] وتأكل منهم من تخلف.

﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ يعني من ديارهم لقوتهم وامتناعهم.

﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أي من أمر الله.

﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يحتسبوا بأمر الله.

الثاني: قاله ابن جبير والسدي: من حيث لم يحتسبوا بقتل ابن الأشرف.

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لخوفهم من رسول الله.

الثاني: بقتل كعب بن الأشرف.

﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: بأيديهم بنقض الموادعة، وأيدي المؤمنين بالمقاتلة، قاله الزهري.

= الزهري أخبرني عبدالله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من اصحاب النبي ﷺ..... الحديث راجع أيضاً المواهب اللدينية للزرفاني (٢/ ٩٥ ـ ٩٦) والبداية والنهاية (٤/ ٧٥).

(٥٥١) رواه ابن جرير (٢٨/ ٢٩) من مرسل الحسن وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٨٩) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم.

الثاني: بأيديهم في تركها، وأيدي المؤمنين في إجلائهم عنها، قاله أبو عمرو ابن العلاء.

الثالث: بأيديهم في إخراب دواخلها وما فيها لئلا يأخذها المسلمون، وبأيدي المؤمنين في إخراب ظواهرها ليصلوا بذلك إليهم.

قال عكرمة: كانت منازلهم مزخرفة فحسدوا المسلمين أن يسكنوها فخربوها من داخل، وخربها المسلمون من خارج.

الرابع: معناه: أنهم كانوا كلما هدم المسلمون عليهم من حصونهم شيئاً نقضوا من بيوتهم ما يبنون به ما خرب من حصونهم، قاله الضحاك.

الخامس: أن تخريبهم بيوتهم أنهم لما صولحوا على حمل ما أقلته إبلهم جعلوا ينقضون ما أعجبهم من بيوتهم حتى الأوتار ليحملوها على إبلهم، قاله عروة بن الزبير، وابن زيد.

وفي قوله: ﴿**يخربون**﴾ قراءتان: بالتخفيف، وبالتشديد[٥٥٢]، وفيهما وجهان:

أحدهما: أن معناهما واحد وليس بينهما فرق.

الثاني: أن معناهما مختلف.

وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: أن من قرأ بالتشديد أراد إخرابها بأفعالهم، ومن قرأ بالتخفيف أراد إخرابها بفعل غيرهم قاله أبو عمرو.

الثاني: أن من قرأ بالتشديد أراد إخرابها بهدمهم لها. وبالتخفيف أراد فراغها بخروجهم عنها، قاله الفراء.

ولمن تعمق بغوامض المعاني في تأويل ذلك وجهان:

أحدهما: يخربون بيوتهم أي يبطلون أعمالهم بأيديهم، يعني باتباع البدع، وأيدي المؤمنين في مخالفتهم.[*]

﴿**ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بالجلاء الفناء ﴿**لعذبهم في الدنيا**﴾ بالسبي.

---

(٥٥٢) وهي قراءة أبي عمرو وحده السبعة لابن مجاهد ص ٦٣٢ وزاد المسير (٨/٢٠٥).

(*) هكذا في الأصل ويبدو أن الوجهين أدمجا معاً.

والثاني: يعني بالجلاء الإخراج عن منازلهم ﴿**لعذبهم في الدنيا**﴾ يعني بالقتل، قاله عروة.

والفرق بين الجلاء والإخراج ـ وإن كان معناهما في الإبعاد واحد ـ من وجهين:

أحدهما: أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد.

الثاني: أن الجلاء لا يكون إلا لجماعة، والإخراج يكون لجماعة ولواحد.

﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله**﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما نزل على حصون بني النضير وهي البويرة حين نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم أحد قطع المسلمون من نخلهم وأحرقوا ست نخلات،(٥٥٣)، وحكى محمد بن إسحاق أنهم قطعوا نخلة وأحرقوا نخلة، وكان ذلك عن إقرار رسول الله ﷺ أو بأمره، إما لإضعافهم بها أو لسعة المكان بقطعها، فشق ذلك عليهم فقالوا وهم يهود أهل كتاب: يا محمد ألست تزعم أنك نبي تريد الإصلاح؟ أفمن الصلاح حرق الشجر وقطع النخل؟ وقال شاعرهم سماك اليهودي:

ألسنا ورثنا كتاب الحكيم ... على عهد موسى ولم نصدف

وأنتم رعاء لشاء عجاف ... بسهل تهامة والأخيف

ترون الرعاية مجداً لكم ... لدى كل دهر لكم مجحف

فيا أيها الشاهدون انتهوا ... عن الظلم والمنطق المؤنف

لعل الليالي وصرف الدهور ... يدلن عن العادل المنصف

بقتل النضير وإجلائها ... وعقر النخيل ولم تقطف

فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

هم أوتوا الكتاب فضيعوه ... وهم عمي عن التوراة بور

كفرتم بالقرآن وقد أتيتم ... بتصديق الذي قال النذير

وهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير(٥٥٤)

---

(٥٥٣) رواه ابن جرير (٢٨/ ٣٤) عن مجاهد.

(٥٥٤) راجع القرطبي (١٨/ ٧) والطبري (٢٨/ ٣٤) واقتصر على البيت الأخير من شعر حسان. والشعر في معجم ما استعجم للبكري ٢٨٥.

ثم إن المسلمين جل في صدورهم ما فعلوه، فقال بعضهم: هذا فساد، وقال آخرون منهم عمر بن الخطاب: هذا مما يجزي الله به أعداءه وينصر أولياءه فقالوا يا رسول الله هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فشق ذلك على النبي ﷺ حتى أنزل الله تعالى: ﴿**وما قطعتم من لينة**﴾ الآية. وفيه دليل على أن كل مجتهد مصيب.

وفي اللينة خمسة أقاويل:

أحدها: النخلة من أي الأصناف كانت، قاله ابن حبان.

الثاني: أنها كرام النخل، قاله سفيان.

الثالث: أنها العجوة خاصة، قاله جعفر بن محمد وذكر أن العتيق والعجوة كانا مع نوح في السفينة، والعتيق الفحل، وكانت العجوة أصل الإناث كلها ولذلك شق على اليهود قطعها.

الرابع: أن اللينة الفسيلة لأنها ألين من النخلة، ومنه قول الشاعر(٥٥٥):

غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالآجام

الخامس: أن اللينة جميع الأشجار للينها بالحياة، ومنه قول ذي الرمة(٥٥٦):

طراق الخوافي واقع فوق لينة ندى ليلة في ريشه يترقرق

قال الأخفش: سميت لينة اشتقاقاً من اللون لا من اللين.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

(٥٥٥) القرطبي (١٨/ ٩).

(٥٥٦) القرطبي (١٨/ ٩).

﴿وما أفاء الله على رسـوله منهم﴾ يعني ما رده اللّه على رسوله من أموال بني النضير.

﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ والإيجاف الإيضاع في السير وهو الإسراع، والركاب: الإبل،وفيهما يقول نصيب[٥٥٧] :

ألارب ركب قد قطعت وجيفهم إليك ولولا أنت لم توجف الركب

﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ ذلك أن مال الفيء هو المأخوذ من المشركين بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، فجعل الله لرسوله أن يضعه حيث يشاء لأنه واصل بتسليط الرسول عليهم لا بمحاربتهم وقهرهم. فجعل الله ذلك طعمة لرسوله خالصاً دون الناس، فقسمه في المهاجرين إلا سهل بن حنيف وأبا دجانـة فإنهما ذكرا فقراً فأعطاهما.

﴿كيلا يكون دولـة بين الأغنياء منكم﴾ يقال دولة بالضم وبالفتح [٥٥٨] وقرىء بهما، وفيهما قولان:

أحدهما: أنهما واحد، قاله يونس، والأصمعي.

والثاني: أن بينهما فرقاً، وفيه أربعة أوجه:

أحدهـا: أنه بالفتح الظفر في الحرب، وبالضم الغنى عن فقر، قاله أبو عمرو ابن العلاء.

الثاني: أنه بالفتح في الأيام، وبالضم في الأموال، قاله عبيدة.

الثالث: أنه بالفتح ما كان كالمستقر، وبالضم ما كان كالمستعار، حكاه ابن كامل.

الرابع: أنه بالفتح الطعن في الحرب، وبالضم أيام الملك وأيام السنين التي تتغير، قاله الفراء، قال حسان[٥٥٩] :

ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحياناً دول

﴿وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾فيه أربعة أوجه·

---

(٥٥٧) روح المعاني (٢٨/ ٤٥).

(٥٥٨) وهي قراءة أبي جعفر راجع الطبري (٢٨/ ٣٩).

(٥٥٩) ديوانه: ١٨١ وفيه كذاك الحرب.

أحدهـا: يعني ما أعطاكم من مال الفيء فاقبلوه، وما منعكم منه فلا تطلبوه، قاله السدي.

الثاني: ما آتاكم الله من مال الغنيمة فخذوه، ومـا نهاكم عنـه من الغلو فلا تفعلوه، قاله الحسن.

الثالث: وما آتاكم من طاعتي فافعلوه، وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه، قاله ابن جريج.

الرابع: أنه محمول على العموم (٥٦٠) في جميع أوامره ونواهيه لأنه لا يأمر إلا بصلاح ولا ينهى إلا عن فساد.

وحكى الكلبي أنها نزلت في رؤساء المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول اللّه ﷺ من أموال المشركين، يا رسول اللّه صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وأنشدوه (٥٦١).

لك المرباع منها والصفايا　　وحكمك والنشيطة والفضول.

فأنزل الله هذه الآية.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

(*) وفي نسخة للمخطوطة فلا تبطلوه وهو تحريف والصواب ما هنا.

(٥٦٠) وهو الصواب لأن العبرة بالعموم.

(٥٦١) هو عبدالله بن عثمة الضبي.

﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ يعني بالمهاجرين من هاجر عن وطنه من المسلمين إلى رسول الله ﷺ في دار هجرته وهي المدينة خوفاً من أذى قومه ورغبة في نصرة نبيّه فهم المقدمون في الإسلام على جميع أهله.

﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ يعني فضلاً من عطاء الله في الدنيا، ورضواناً من ثوابه في الآخرة.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن الفضل الكفاية، والرضوان القناعة.

وروى علي بن رباح اللخمي أن عمر بن الخطاب خطب بالجابية فقال:

من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقة فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله تعالى جعلني خازناً وقاسماً، إني بادىء بأزواج النبي ﷺ فمعطيهن، ثم بالمهاجرين الأولين أنا وأصحابي أخرجنا من مكة من ديارنا وأموالنا.

قال قتادة: لأنهم اختاروا الله ورسوله ﷺ على ما كانت من شدة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب على بطنه الحجر ليقيم صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة(*) في الشتاء ما له دثار غيرها.

﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ ويكون على التقديم والتأخير ومعناه تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان.

الثاني: أن الكلام على ظاهره ومعناهأنهم تبوءوا الدار والإيمان قبل الهجرة إليهم يعني بقبولهم ومواساتهم بأموالهم ومساكنهم.

﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غيرة وحسداً على ما قدموا به من تفضيل وتقريب، وهو محتمل.

الثاني: يعني حسداً على ما خصوا به من مال الفيء وغيره فلا يحسدونهم عليه، قاله الحسن.

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ يعني يفضلونهم ويقدمونهم

(*) الحفيرة هي والأثر أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٠).

على أنفسهم ولو كان بهم فاقة وحاجة، ومنه قول الشاعر[٥٦٢] :

أما الربيع إذا تكون خصاصة عاش السقيم به وأثرى المقتر

وفي إيثارهم وجهان :

أحدهما : أنهم آثروا على أنفسهم بما حصل من فيء وغنيمة حتى قسمت في المهاجرين دونهم، قاله مجاهد، وابن حيان.

روي أن النبي ﷺ قسم على المهاجرين ما أفاء الله من النضير ونفل من قريظة على أن يرد المهاجرون على الأنصار ما كانوا أعطوهم من أموالهم فقالت الأنصار بل نقيم لهم من أموالنا ونؤثرهم بالفيء، فأنزل الله هذه الآية.

الثاني : أنهم آثروا المهاجرين بأموالهم وواسوهم بها.

روى ابن زيد أن النبي ﷺ قال لهم : «**إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم**» فقالوا : أموالنا بينهم قطائع، فقال : «**أو غير ذلك؟**» فقالوا : وما ذاك يا رسول الله؟ فقال : «**هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم التمر**» يعني مما صار إليهم من نخيل بني النضير، قالوا نعم يا رسول الله

﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ فيه ثمانية أقاويل :

أحدها : أن هذا الشح هو أن يشح بما في أيدي الناس يحب أن يكون له ولا يقنع، قاله ابن جريج وطاووس.

الثاني : أنه منع الزكاة، قاله ابن جبير.

الثالث : يعني هوى نفسه، قاله ابن عباس.

الرابع : أنه اكتساب الحرام [٥٦٣]، روى الأسود عن ابن مسعود أن رجلاً أتاه فقال : إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال وما ذاك؟ قال سمعت الله عز وجل يقول :

﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أخرج من يدي شيئاً فقال ابن مسعود : ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن،

---

(٥٦٢) فتح القدير (٥/ ٢٠١) القرطبي (١٨/ ٢٩).

(٥٦٣) رواه ابن جرير (٢٨/ ٤٣) وزاد السيوطي في الدر (٨/ ١٠٧) لابن أبي حاتم والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان. وسنده صحيح إلا أن الطريق فيه المسعودي أحد رواته فإنه كان قد اختلط قبل موته.

إنما الشح الذي ذكره الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل، وبئس الشيء البخل.

الخامس: أنه الإمساك عن النفقة، قاله عطاء.

السادس: أنه الظلم، قاله ابن عيينة.

السابع: أنه أراد العمل بمعاصي الله، قاله الحسن.

الثامن: أنه أراد ترك الفرائض وانتهاك المحارم، قاله الليث.

وفي الشح والبخل قولان:

أحدهما: أن معناهما واحد.

الثاني: أنهما يفترقان وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: أن الشح أخذ المال بغير حق، والبخل أن يمنع من المال المستحق، قاله ابن مسعود.

الثاني: أن الشح بما في يدي غيره، والبخل بما في يديه، قاله طاووس[٥٦٤].

﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الذين هاجروا بعد ذلك، قاله السدي والكلبي.

الثاني: أنهم التابعون الذين جاءوا بعد الصحابة ثم من بعدهم إلى قيام الدنيا هم الذين جاءوا من بعدهم، قاله مقاتل.

وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت الثالثة، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت.

وفي قولهم: **﴿اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾** وجهان:

أحدهما: أنهم أمروا أن يستغفروا لمن سبق من هذه الأمة ومن مؤمني أهل الكتاب. قالت عائشة: فأمروا أن يستغفروا لهم فسبّوهم.

الثاني: أنهم أمروا أن يستغفروا للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين ءامنوا﴾ الآية. في الغل وجهان:

أحدهما: الغش، قاله مقاتل.

الثاني: العداوة، قاله الأعمش.

---

(٥٦٤) راجع زاد المسير (٨/٢١٥، ٢١٦) والقرطبي (٨/٢٩، ٣٠)

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

﴿بأسهم بينهم شديد﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد، قاله السدي.

الثاني: أنه وعيدهم للمسلمين لنفعلن كذا وكذا، قاله مجاهد.

﴿تحسبهم جميعاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم اليهود.

الثاني: أنهم المنافقون واليهود، قاله مجاهد.

﴿وقلوبهم شتى﴾ يعني مختلفة متفرقة، قال الشاعر(٥٦٥):

إلى الله أشكو نية شقت العصا هي اليوم شتى وهي بالأمس جمع.

وفي قراءة ابن مسعود «وَقُلُوبُهُمْ أَشَتُّ» بمعنى أشد تشتيتاً، أي أشد اختلافاً.

وفي اختلاف قلوبهم وجهان:

---

(٥٦٥) القرطبي (١٨/٣٦).

أحدهما: لأنهم على باطل، والباطل مختلف، والحق متفق.

الثاني: أنهم على نفاق، والنفاق اختلاف.

قوله تعالى: ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾ الآية. فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم كفار قريش يوم بدر، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم قتلى بدر، قاله السدي، ومقاتل.

الثالث: أنهم بنو النضير الذين أجلوا من الحجاز إلى الشام، قاله قتادة.

الرابع: أنهم بنو قريظة، كان قبلهم إجلاء بني النضير.

﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ بأن نزلوا على حكم سعد[بن معاذ] فحكم فيهم بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم، قاله الضحاك. وفيه وجهان:

أحدهما: في تجارتهم.

الثاني: في نزول العذاب بهم.

﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه مثل ضربه الله للكافر في طاعته للشيطان، وهو عام في الناس كلهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنها خاصة في سبب خاص صار به المثل عاماً، وذلك ما رواه عطية العوفي عن ابن عباس أن راهباً كان[٥٦٦] في بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته، وكان يؤتى من كل أرض يسأل عن الفقه وكان عالماً، وأن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت من أحسن النساء مريضة، وأنهم أرادوا سفراً فكبر عليهم أن يذروها ضائعة، فجعلوا يأتمرون فيما يفعلون، فقال أحدهم: ألا أدلكم على من تتركونها عنده؟ فقال له من؟ فقال: راهب بني إسرائيل، إن ماتت قام عليها، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه، فعمدوا إليه وقالوا: إنا نريد السفر وإنا لا نجد أحداً أوثق في أنفسنا منك ولا آمن علينا

---

(٥٦٦) وهذه القصة تعرف بقصة برصيصاً العابد وروى الخبر بطوله ابن جرير (٢٨/٥٠) موقوفاً على ابن عباس وسنده ضعيف مسلسل بالضعفاء وبنحوه رواه الطبري (٢٨/٥٠) موقوفاً على طاووس ورواه الحاكم (٢/٤٨٤) من قول علي وصححه ووافقه الذهبي. وزاد السيوطي في الدر (٨/١١٦) نسبته لعبد الرزاق وابن راهويه وأحمد في الزهد والبخاري في تاريخه وابن المنذر وابن مردويه. والبيهقي في الشعب ورفع القصة لا يصح كما قال غير واحد من العلماء فالصواب أنها موقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس ومقاتل وطاووس.

غيرك، فاجعل أختنا عندك فإنها ضائعة مريضة، فإن ماتت فقم عليها، وإن عاشت فاحفظها حتى نرجع، فقال: أكفيكم إن شاء الله، وإنهم انطلقوا، فقام عليها وداواها حتى برئت فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها وحبلت، ثم تقدم منه الشيطان فزين له قتلها وقال: إن لم تفعل افتضحت، فقتلها.

فلما عاد إخوتها سألوه عنها فقال: ماتت فدفنتها، قالوا أحسنت، فجعلوا يرون في المنام أن الراهب قتلها وأنها تحت شجرة كذا، فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها قد قتلت، فأخذوه، فقال له الشيطان: أنا الذي زينت لك قتلها بعد الزنى فهل لك أن أنجيك وتطيعني؟ قال: نعم، قال فاسجد لي سجدة واحدة، فسجد ثم قتل، فذلك قوله تعالى: ﴿**كمثل الشيطان**﴾ فكذا المنافقون وبنو النضير مصيرهم إلى النار.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

﴿**يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله**﴾ روى معن أو عون عن ابن مسعود أن رجلاً أتاه فقال: اعهد لي، فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿**يأيها الذين ءامنوا**﴾ فأرعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه.

وفي هذه التقوى وجهان:

أحدهما: اجتناب المنافقين.

الثاني: هو اتقاء الشبهات.

﴿**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ قال ابن زيد: ما قدمت من خير أو شر.

﴿**لغد**﴾ يعني يوم القيامة والأمس: الدنيا. قال قتادة: إن ربكم قدم الساعة حتى جعلها لغد.

﴿**واتقوا الله**﴾ في هذه التقوى وجهان:

أحدهما: أنها تأكيد للأولى.

والثاني : أن المقصود بها مختلف وفيه وجهان :

أحدهما : أن الأولى التوبة مما مضى من الذنوب ، والثانية اتقاء المعاصي في المستقبل .

الثاني : أن الأولى فيما تقدم لغد ، والثانية فيما يكون منكم .

﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الله خبير بعملكم .

الثاني : خبير بكم عليم بما يكون منكم ، وهو معنى قول سعيد بن جبير .

﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : نسوا الله أي تركوا أمر الله ، فأنساهم أنفسهم أن يعملوا لها خيراً ، قاله ابن حبان .

الثاني : نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم ، قاله سفيان .

الثالث : نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فأنساهم أنفسهم بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضاً ، حكاه ابن عيسى .

الرابع : نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة ، قاله سهل .

ويحتمل خامساً : نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد .

﴿أولئك هم الفاسقون﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : العاصون ، قاله ابن جبير .

الثاني : الكاذبون ، قاله ابن زيد .

﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يستوون في أحوالهم ، لأن أهل الجنة في نعيم ، وأهل النار في عذاب .

الثاني : لا يستوون عند الله ، لأن أهل الجنة من أوليائه ، وأهل النار من أعدائه .

﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : المقربون المكرمون .

الثاني : الناجون من النار ، قاله ابن حبان .

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ

وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

﴿لو أنزلنا هذا القرءآن على جبل﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون خطاباً لرسول الله ﷺ إننا لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لما ثبت له بل انصدع من نزوله عليه، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له، فيكون ذلك امتناناً عليه أن ثبته لما لا تثبت له الجبال.

الثاني: أنه خطاب للأمة، وأن الله لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله، والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتاً، فهو يقوم بحقه إن أطاع، ويقدر على رده إن عصى، لأنه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب.

وفيه قول ثالث: إن الله تعالى ضربه مثلاً للكفار أنه إذا نزل هذا القرآن على جبل خشع لوعده وتصدع لوعيده، وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده.

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ كان جابر بن زيد يرى أن اسم الله الأعظم هو الله، لمكان هذه الآية.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: عالم السر والعلانية، قاله ابن عباس.

الثاني: عالم ما كان وما يكون.

الثالث: عالم ما يدرك وما لا يدرك من الحياة والموت والأجل والرزق.

الرابع: عالم بالآخرة والدنيا، قاله سهل.

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس﴾ في **﴿القدوس﴾** أربعة أوجه:

أحدها: أنه المبارك، قاله قتادة، ومنه قول رؤبة:

دعوت رب العزة القدوسا ... دعاء من لا يقرع الناقوسا

الثاني: أنه الطاهر، قاله وهب، ومنه قول الراجز(٥٦٧):

قد علم القدوس مولى القدوس.

الثالث: أنه اسم مشتق من تقديس الملائكة، قاله ابن جريج، وقد روي أن من تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

الرابع: معناه المنزه عن القبائح لاشتقاقه من تقديس الملائكة بالتسبيح فصار معناهما واحد.

وأما ﴿السلام﴾ فهو من أسمائه تعالى كالقدوس، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مأخوذ من سلامته وبقائه، فإذا وصف المخلوق بمثله قيل سالم وهو في صفة الله سلام، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

سلامك ربنا في كل فجر ... بريئاً ما تعنتك الذموم

الثاني: أنه مأخوذ من سلامة عباده من ظلمه، قاله ابن عباس.

[وفي ﴿المؤمن﴾ ثلاثة أوجه: أحدها: الذي يؤمن أولياءه من عذابه](*).

الثاني: أنه مصدق خلقه في وعده، وهو معنى قول ابن زيد.

الثالث: أنه الداعي إلى الإيمان، قاله ابن بحر.

وأما ﴿المهيمن﴾ فهو من أسمائه أيضاً، وفيه خمسة أوجه:

أحدها: معناه الشاهد على خلقه بأعمالهم، وعلى نفسه بثوابهم، قاله قتادة، والمفضل، وأنشد قول الشاعر:

شهيد عليَّ الله أني أحبها ... كفى شاهداً رب العباد المهيمن

والثاني: معناه الأمين، قاله الضحاك.

الثالث: المصدق، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه الحافظ، حكاه ابن كامل. وروي أن عمر بن الخطاب قال: إني داع فهيمنوا، أي قولوا آمين حفظنا الدعاء، لما يرجى من الإجابة.

---

(٥٦٧) هو رؤبة بن العجاج والبيت في اللسان قدس.

(*) هذه العبارة كلها نقلناها من القرطبي والسياق يقتضيها.

الخامس: الرحيم، حكاه ابن تغلب واستشهد بقول أمية بن أبي الصلت:

مليك على عرش السمآء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

﴿العزيز﴾ هو القاهر، وفيه وجهان:

أحدهما: العزيز في امتناعه.

الثاني: في انتقامه.

﴿الجبار﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه العالي العظيم الشأن في القدرة والسلطان.

الثاني: الذي جبر خلقه على ما شاء، قاله أبو هريرة، والحسن، وقتادة.

الثالث: أنه الذي يجبر فاقة عباده، قاله واصل بن عطاء.

الرابع: أنه الذي يذل له من دونه.

﴿المتكبر﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: المتكبر عن السيئات، قاله قتادة.

الثاني: المستحق لصفات الكبر، والتعظيم، والتكبر في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم.

الثالث: المتكبر عن ظلم عباده.

﴿هو الله الخالق﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه المحدِث للأشياء على إرادته.

الثاني: أنه المقدر لها بحكمته.

﴿الْبَارِىءُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المميز للخلق، ومنه قولهم: برئت منه، إذا تميزت منه.

الثاني: المنشىء للخلق، ومنه قول الشاعر:

براك الله حين براه غيثاً ويجري منك أنهاراً عذاباً

﴿المصور﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لتصوير الخلق على مشيئته.

الثاني: لتصوير كل جنس على صورته. فيكون على الوجه الأول محمولاً على ابتداء الخلق بتصوير كل خلق على ما شاء من الصور. وعلى الوجه الثاني يكون

محمولاً على ما استقر من صور الخلق، فيحدث خلق كل جنس على صورته وفيه على كلا الوجهين دليل على قدرته.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون لنقله خلق الإنسان وكل حيوان من صورة إلى صورة، فيكون نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يصير شيخاً هرماً، كما قال النابغة[٥٦٨]:

الخالق البارىء المصور في الـ أرحام ماء حتى يصير دماً

﴿له الأسماء الحسنى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن جميع أسمائه حسنى لاشتقاقه من صفاته الحسنى.

الثاني: أن له الأمثال العليا، قاله الكلبي.

---

(٥٦٨) فتح القدير (٥/٢٠٨).



مدنية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾

سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أراد التوجه إلى مكة أظهر أنه يريد خيبر، وكتب حاطب بن أبي بلتعة(٥٦٩) إلى أهل مكة أن النبي ﷺ خارج إليهم وأرسل مع امرأة ذكر

(٥٦٩) رواه البخاري (٧/٤٠٠) (٨/٤٨٦) ومسلم (٤/١٩٤١) والترمذي (٣٣٠٥) وأبو داود (٢٦٥٠) وابن جرير (٢٨/٥٨) وزاد السيوطي في الدر (٨/١٢٥) نسبته لعبد بن حميد والحميدي وأبي عوانة والبيهقي وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه. وابن المنذر وابن أبي حاتم وأحمد والنسائي وابن حبان.

أنها سارة مولاة لبني عبد المطلب، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فأنفذ علياً وأبا مرثد، وقيل عمر بن الخطاب، وقيل الزبير رضي الله عنهم، وقال لهما: اذهبا إلى روضة خاخ(*) فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب فخذاه وعودا، فأتيا الموضع فوجداها والكتاب معها، فأخذاه وعادا، فإذا هو كتاب حاطب فقال عمر: ائذن لي يا رسول الله أضرب عنقه فقد خان الله ورسوله فقال ﷺ قد شهد بدراً، فقالوا: بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك، فقال رسول الله ﷺ فلعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم إني بما تعملون خبير. ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم [ثم قال رسول الله ﷺ لحاطب] ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله كنت امرأ ملصقاً من قريش وكان لي بها مال فكتبت إليهم بذلك، والله يا رسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ صدق حاطب فلا تقولوا له إلا خيراً. فنزلت هذه الآية والتي بعدها.

وفي قوله تعالى: ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ وجهان:

أحدهما: تعلمونهم سراً أن بينكم وبينهم مودة.

الثاني: تعلمونهم سراً بأحوال النبي ﷺ بمودة بينكم وبينهم.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ ذكر الكلبي والفراء أنه أراد حاطب بن أبي بلتعة، وفيها وجهان:

(*) هي مكان بين مكة والمدينة وأقرب إلى المدينة على اثني عشر ميلاً منها.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

أحدهما: سنة حسنة، قاله الكلبي.

الثاني: عبرة حسنة، قاله ابن قتيبة.

﴿في إبراهيم والذين معه﴾ من المؤمنين.

﴿إذ قالوا لقومهم﴾ يعني من الكفار.

﴿إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله﴾ فتبرؤوا[٥٧٠] منهم فهلا تبرأت أنت يا حاطب من كفار أهل مكة ولم تفعل ما فعلته من مكاتبتهم وإعلامهم.

ثم قال: **﴿كفرنا بكم﴾** يحتمل وجهين:

أحدهما: كفرنا بما آمنتم به من الأوثان.

الثاني: بأفعالكم وكذبنا بها.

﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك...﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تأسوا بإبراهيم في فعله واقتدوا به إلا في الاستغفار لأبيه فلا تقتدوا به فيه، قاله قتادة.

الثاني: معناه إلا إبراهيم فإنه استثنى أباه من قومه في الاستغفار له، حكاه الكلبي.

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: معناه لاتسلطهم علينا فيفتنونا، قاله ابن عباس.

الثاني: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فنصير فتنة لهم فيقولوا لوكانوا على حق ما عذبوا، قاله مجاهد، وهذا من دعاء إبراهيم عليه السلام.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ

(٥٧٠) هذا يدل على أن التوحيد لا يتأتى إلا بالتبرؤ من الشرك وأهله فشهادة أن لا إله إلا الله نفي وإثبات فمن لم يأت بإعلان البراءة لم يحصل له التوحيد ولهذا جعل الله إبراهيم والذين آمنوا معه أسوة لنا في إعلان تلك البراءة.

قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أهل مكة حين أسلموا عام الفتح فكانت هي المودة التي صارت بينهم وبين المسلمين، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه إسلام أبي سفيان.

وفي مودته التي صارت منه قولان:

أحدهما: تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان فكانت هذه مودة بينه وبين أبي سفيان، قاله مقاتل.

الثاني: أن النبي ﷺ استعمل أبا سفيان على بعض اليمن فلما قبض رسول الله أقبل فلقي ذا الخمار مرتداً، فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين، فكانت هذه المودة، قاله الزهري.

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ الآية. فيهم أربعة أوجه:

أحدها: أن هذا في أول الأمر عند موادعة المشركين، ثم نسخ بالقتال، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف كان لهم عهد فأمر الله أن يبروهم بالوفاء به، قاله مقاتل.

الثالث: أنهم النساء والصبيان لأنهم ممن لم يقاتل، فأذن الله تعالى ببرهم، حكاه بعض المفسرين.

الرابع: ما رواه عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه(٥٧١) أن أبا بكر رضي الله عنه طلق امرأته قتيلة في الجاهلية وهي أم أسماء بنت أبي بكر، فقدمت عليهم في

---

(٥٧١) وأحمد (٤/٤) وابن جرير (٢٨/٦٦) والحاكم (٢/٤٨٥) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٨/١٣٠) نسبته للبزار وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في تاريخه والطبراني وابن مردويه والطيالسي وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٢٣) رواه أحمد والبزار وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ.

قلت: ومصعب لين الحديث كما في التقريب.

المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر قرطاً وأشياء، فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فأنزل الله هذه الآية.

﴿وتقسطوا إليهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني وتعدلوا فيهم، قاله ابن حبان فلا تغلوا في مقاربتهم ولا تسرفوا في مباعدتهم.

الثاني: معناه أن تعطوهم قسطاً من أموالكم، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: أنه الإنفاق على[٥٧٢] من وجبت نفقته منهم، ولا يكون اختلاف الدين مانعاً من استحقاقها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن﴾ لأنه يعلم بالامتحان ظاهر إيمانهن والله يعلم باطن إيمانهن، ليكون الحكم عليهن معتبراً بالظاهر وإن كان معتبراً بالظاهر والباطن.

والسبب في نزول هذه الآية[٥٧٣] أن النبي ﷺ هادن قريشاً عام الحديبية فقالت قريش على أن ترد علينا من جاءك منا، ونرد عليك من جاءنا منك، فقال على أن أرد عليكم من جاءنا منكم ولا تردوا علينا من جاءكم منا ممن اختار الكفر على الإيمان،

---

(٥٧٢) وإليه ذهب كثير من العلماء. راجع كلام ابن القيّم في زاد المعاد.

(٥٧٣) وهذا في حديث الحديبية الطويل وقد تقدم تخريجه في سورة الفتح.

فعقد الهدنة بينه وبينهم على هذا إلى أن جاءت منهم امرأة مسلمة وجاؤوا في طلبها.

واختلف فيها على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها أميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة، ففرت منه وهو يومئذ كافر، فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله، قاله يزيد بن أبي حبيب.

الثاني: أنها سعيدة زوج صيفي بن الراهب مشرك من أهل مكة، قاله مقاتل.

الثالث: أنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهذا قول كثير من أهل العلم.

الرابع: أنها سبيعة بنت الحارث الأسلمية جاءت مسلمة بعد فراغ النبي ﷺ من كتاب الهدنة في الحديبية، فجاء زوجها واسمه مسافر وهو من قومها في طلبها، فقال يا محمد شرطت لنا رد النساء، وطين الكتاب لم يجف، وهذه امرأتي فارددها عليّ، حكاه الكلبي.

فلما طلب المشركون رد من أسلم من النساء منع الله من ردهن بعد امتحان إيمانهن بقوله تعالى: ﴿**فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**﴾ واختلف أهل العلم هل دخل النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عموماً:

فقالت طائفة منهم قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظاً صريحاً، فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه، وأبقاه في الرجال على ما كان، وهذا يدل على أن للنبي ﷺ أن يجتهد برأيه في الأحكام ولكن لا يقره الله تعالى على خطأ.

وقالت طائفة من أهل العلم: لم يشترط ردهن في العقد لفظاً وإنما أطلق العقد في رد من أسلم، فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال، فبين الله خروجهن عن العموم، وفرق بينهن وبين الرجال لأمرين:

أحدهما: أنهن ذوات فروج يحرمن عليهم.

الثاني: أنهن أرأف قلوباً وأسرع تقلباً منهم.

فأما المقيمة على شركها فمردودة عليهم، وقد كان من أرادت منهن إضرار زوجها قالت سأهاجر إلى محمد فلذلك أمر رسول الله ﷺ بامتحانهن.

واختلف فيما كان يمتحنهن به على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما رواه ابن عباس أنه[٥٧٤] كان يمتحنها بأن تحلف بالله أنها ما خرجت

(٥٧٤) رواه الطبري (٢٨/ ٦٧) وفي سنده قيس بن الربيع قال الحافظ صدوق تغير لما كبر أدخل عليه ابنه ما

من بغض زوجها ولا رغبة من أرض إلى أرض ولا التماس دنيا ولا عشقاً لرجل منا، وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله.

والثاني: بأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قاله عطية العوفي(٥٧٥).

الثالث: بما بينه الله في السورة من قوله تعالى: ﴿يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات﴾ فهذا معنى قوله: ﴿فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن﴾ يعني بما في قلوبهن بعد امتحانهن.

﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هنّ حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ يعني أن المؤمنات محرمات على المشركين من عبدة الأوثان، والمرتدات محرمات على المسلمين.

ثم قال تعالى: **﴿وءاتوهم ما أنفقوا﴾** يعني بما أنفقوا مهور من أسلم منهن إذا سأل ذلك أزواجهن، وفي دفع ذلك إلى أهلهن من غير أزواجهن قولان(٥٧٦):

ثم قال تعالى: **﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾** يعني المؤمنات اللاتي أسلمن غير أزواج مشركين، أباح الله نكاحهن للمسلمين إذا انقضت عدتهن أو كن غير مدخول بهن.

﴿إذا ءاتيتموهن أجورهن﴾ يعني مهورهن.

﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن العصمة الجمال قاله ابن قتيبة.

الثاني: العقد، قاله الكلبي.

فإذا أسلم الكافر عن وثنية لم يمسك بعصمتها ولم يقم نكاحها رغبة فيها أو في قومها، فإن الله قد حرم نكاحها عليه والمقام عليها ما لم تسلم في عدتها.

فروى موسى بن طلحة بن عبيد الله(٥٧٧) عن أبيه أنه قال: لما نزلت هذه الآية

ليس من حديثه فحدث به وفي الحديث علة أخرى وهي الانقطاع بين أبي نصر الأسدي وابن عباس فإن البخاري قال لم يعرف سماعه من ابن عباس.

(٥٧٥) وهو قول ثان عن ابن عباس وقد رواه الطبري (٢٨/٦٨) وإسناده مسلسل بالضعفاء.

(٥٧٦) أي قول بالدفع وآخر بعدم الدفع.

(٥٧٧) رواه الطبري (٢٨/٧٢) عن الزهري.

طلقت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وطلق عمر بن الخطاب قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان في الشرك، وطلق أم كلثوم بنت أبي جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص في الإسلام.

﴿واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا﴾ يعني أن للمسلم إذا ارتدت زوجته إلى المشركين من ذوي العهد المذكور أن يرجع عليه بمهر زوجته كما ذكرنا وأن للمشرك أن يرجع بمهر زوجته إذا أسلمت فإن لم يكن بينناوبينهم عهد شرط فيه الرد فلا يرجع. ولا يجوز لمن بعد رسول الله ﷺ من الأئمة أن يشرط في عقد الهدنة رد من أسلم لأن الرسول كان على وعد من الله بفتح بلادهم ودخولهم في الإسلام طوعاً وكرهاً فجاز له ما لم يجز لغيره.

﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار﴾ الآية. والمعنى أن من فاتته زوجته بارتدادها إلى أهل العهد المذكور ولم يصل إلى مهرها منهم ثم غنمهم المسلمون ردوا عليه مهرها.

وفي المال الذي يرد منه هذا المهر ثلاثة أقاويل:

أحدها: من أموال غنائمهم لاستحقاقها عليهم، قاله ابن عباس.

الثاني: من مال الفيء، قاله الزهري.

الثالث: من صداق من أسلمن منهن عن زوج كافر، وهو مروي عن الزهري أيضاً.

وفي قوله تعالى: ﴿فعاقبتم﴾ ثلاثة تأويلات.

أحدها: معناه غنمتم لأخذه من معاقبة الغزو، قاله مجاهد والضحاك.

الثاني: معناه فأصبتم من عاقبة من قتل أوسبي، قاله سفيان.

الثالث: عاقبتم المرتدة بالقتل فلزوجها مهرها من غنائم المسلمين، قاله ابن بحر.

وهذا منسوخ لنسخ الشرط الذي شرطه رسول الله ﷺ لهم بالحديبية، وقال عطاء بل حكمها ثابت.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ

﴿وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما دخل مكة عام الفتح وبايعه الرجال جاءت النساء بعدهم للبيعة فبايعهن.

واختلف في بيعته لهن على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه جلس على الصفا[ومعه عمر أسفل منه] فأمره أن يبايع النساء، قاله مقاتل.

الثاني: أنه أمر أميمة أخت خديجة خالة فاطمة بنت رسول الله بعد أن بايعته، أن تبايع النساء عنه، قاله محمد بن المنكدر عن أميمة.

الثالث: أنه بايعهن بنفسه وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه، قاله عامر الشعبي.

وقيل بل وضع قعباً(٥٧٨) فيه ماء وغمس فيه يده وأمرهن فغمسن أيديهن، فكانت هذه بيعة النساء.

فإن قيل: فما معنى بيعتهن ولسن من أهل الجهاد فتؤخذ عليهن البيعة كالرجال؟

قيل: كانت بيعته لهن تعريفاً لهن بما عليهن من حقوق الله تعالى وحقوق أزواجهن لأنهن دخلن في الشرع ولم يعرفن حكمه فبينه لهن، وكان أول ما أخذه عليهن أن لا يشركن بالله شيئاً توحيداً له ومنعاً لعبادة غيره.

﴿ولا يسرقن﴾ فروى أن هند بنت عتبة(٥٧٩) كانت متنكرة عند أخذ البيعة على

---

(٥٧٨) ومن المعلوم أن البيعة كانت بالكلام دون المصافحة باليد كما روى البخاري (٨/٤٤٩) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية يقول الله تعالى يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك... إلى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ قد بايعتك كلاماً والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما بايعهن إلا بقوله قد بايعتك على ذلك.

(٥٧٩) رواه ابن جرير (٢٨/٨٧) من حديث ابن عباس وسنده ضعيف وقال الحافظ ابن كثير (٤/٣٥٤) بعد سياقه هذا أثر غريب وفي بعضه نكارة، والله أعلم ا هـ.

النساء خيفة من رسول الله ﷺ لما صنعته بحمزة وأكلها كبده، فقالت حين سمعته في أخذ البيعة عليهن يقول: ﴿لا يسرقن﴾ والله إني لا أصيب من أبي سفيان إلا قوتنا ما أدري أيحل لي أم لا، فقال أبو سفيان: ما أصبت مما مضى أو قد بقي فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال: «أنت هند؟» فقالت عفا اللّه عما سلف.

ثم قال: ﴿ولا يزنين﴾ فقالت هند يا رسول الله أو تزني الحرة؟

ثم قال: ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ لأن العرب كانت تئد البنات، فقالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر، وأنت وهم أبصر.

وروى مقاتل أنها قالت: ربيناهم صغاراً وقتلتوهم[٥٨٠] كباراً فأنتم وهم أعلم، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى.

﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه السحر، قاله ابن بحر.

الثاني: المشي بالنميمة والسعي في الفساد.

والثالث: وهو قول الجمهور ألا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن لأن الزوجة كانت تلتقط ولداً وتلحقه بزوجها ولداً، ومعنى ﴿يفترينه بين أيديهن﴾ ما أخذته لقيطاً، ﴿وأرجلهن﴾ ما ولدته من زنى، وروي أن هنداً لما سمعت ذلك قالت: والله إن البهتان لأمر قبيح، وما تأمر إلا بالأرشد ومكارم الأخلاق.

ثم قال: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن المعروف ها هنا الطاعة لله ولرسوله، قاله ميمون بن مهران.

الثاني: ما رواه شهر بن حوشب عن أم سلمة عن[٥٨١] النبي ﷺ ولا يعصينك في معروف قال: هو النوح.

الثالث: أن من المعروف ألا تخمش وجهها ولا تنشر شعرها ولا تشق جيباً ولا تدعو ويلاً، قاله أسيد بن أبي أسيد.

---

(٥٨٠) أخرجه أبي حاتم كما قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٦٩.

(٥٨١) والترمذي (٣٣٠٧) وابن ماجة (١٥٧٩) وفي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف ووثقه بعضهم وقال البوصيري في الزوائد في إسناده. يزيد بن عبدالله وهو مختلف فيه قلت ويغني عن هذا ما رواه مسلم (٢/٦٤٦) من حديث أم عطية قالت نزلت هذه الآية يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يعصينك في معروف قالت كان منه النياحة... الحديث.

الرابع: أنه عام في كل معروف أمر الله ورسوله به، قاله الكلبي.

فروي أن هنداً قالت عند ذلك: ما جلسنا في مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعطيك من شيء. وهذا دليل على أن طاعة الولاة إنما تلزم في المعروف المباح دون المنكر المحظور.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود، قاله مقاتل.

الثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن مسعود.

الثالث: جميع الكفار، قاله مجاهد.

﴿قد يئسوا من الأخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار مِنْ بعث مَنْ في القبور، قاله ابن عباس.

الثاني: قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس أصحاب القبور بعد المعاينة من ثواب الآخرة لأنهم تيقنوا العذاب، قاله مجاهد.

الثالث: قد يئسوا من البعث والرجعة كما يئس منها من مات منهم وقبر.

الرابع: يئسوا أن يكون لهم في الآخرة خير كما يئسوا أن ينالهم من أصحاب القبور خير.



مدنية في قول الجميع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في قوم قالوا: لو عملنا أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليه، فلما نزل فرض الجهاد تثاقلوا عنه، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنها نزلت في قوم كان يقول الرجل منهم: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وضربت، ولم يضرب، وصبرت، ولم يصبر، وهذا مروي عن عكرمة.

الثالث: أنها نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي ﷺ ولأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا.

وهذه الآية وإن كان ظاهرها الإنكار لمن قال ما لا يفعل فالمراد بها الإنكار لمن لم يفعل ما قال، لأن المقصود بها القيام بحقوق الالتيام[٥٨٢] دون إسقاطه.

(٥٨٢) لعل معناها الالتزام.

قال الإمام القرطبي (١٨/ ٧٨) وهذه الآية توجب على كل من ألزم نفسه عملاً فيه طاعة أن يفي بها.

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ مصطفين صفوفاً كالصلاة، لأنهم إذا اصطفوا مثلاً صفين كان أثبت لهم وأمنع من عدوهم. قال سعيد بن جبير: هذا تعليم من الله للمؤمنين.

﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المرصوص الملتصق بعضه إلى بعض لا ترى فيه كوة ولا ثقباً لأن ذلك أحكم في البناء من تفرقه وكذلك الصفوف، قاله ابن جبير، قال الشاعر:

وأشجر مرصوص بطين وجندل ... له شرفات فوقهن نصائب

والثاني: أن المرصوص المبني بالرصاص، قاله الفراء، ومنه قول الراجز[٥٨٣].

ما لقي البيض من الحرقوص ... يفتح باب المغلق المرصوص

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وفي الزيغ وجهان:

أحدهما: أنه العدول، قاله السدي.

الثاني: أنه الميل، إلا أنه لا يستعمل إلا في الزيغ عن الحق دون الباطل.

ويحتمل تأويله وجهين:

أحدهما: فلما زاغوا عن الطاعة أزاغ الله قلوبهم عن الهداية.

الثاني: فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ قلوبهم عن الكلام[٥٨٤].

---

(٥٨٣) اللسان حرقص وفيه:

ما لقي البيض من الحرقوص ... من مارد لص من اللصوص

يدخل تحت الفلق المرصوص ... بمهر لا غال ولا رخيص

(٥٨٤) لعله يقصد النطق بالإيمان. والله أعلم.

وفي المعنِيّ بهذا الكلام ثلاثة أقاويل:

أحدها: المنافقون.

الثاني: الخوارج، قاله مصعب بن سعيد عن أبيه.

الثالث: أنه عام.

﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾وهذه البشرى من عيسى تتضمن أمرين:

أحدهما: تبليغ ذلك إلى قومه ليؤمنوا به عند مجيئه، وذلك لا يكون منه بعد إعلام الله له بذلك إلا عن أمره بتبليغ ذلك إلى أمته.

الثاني: ليكون ذلك من معجزات عيسى عند ظهور محمد ﷺ، وهذا يجوز أن يقتصر عيسى فيه على إعلام الله له بذلك دون أمره بالبلاغ.

وفي تسمية الله له بأحمد وجهان:

أحدهما: لأنه من أسمائه فكان يسمي أحمد ومحمداً قال حسان(٥٨٥):

صلى الإله ومن يحف بعرشه   والطيبون على المبارك أحمد

الثاني: أنه مشتق من اسمه محمود، فصار الاشتقاق اسماً، كما قال حسان(٥٨٦):

وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

وروي عن النبي ﷺ أنه قال(٥٨٧): **﴿اسمي في التوراة أحيد لأني أحيد أمتي عن النار، واسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبادة الأصنام، واسمي في الإنجيل أحمد، واسمي في القرآن محمد لأني محمود في أهل السماء والأرض﴾**.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ

---

(٥٨٥) ديوانه: ٦٦ روح المعاني (٢٨/٨٦).

(٥٨٦) ديوانه: ٥٤.

(٥٨٧) لم أعثر على هذا الأثر وقد ثبت في صحيح البخاري (٨/٦٤١) ومسلم (٤/١٨٢٨) والترمذي (٢٨٤٠) من حديث جبير بن مطعم قال قال رسول الله ﷺ «إن لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا الماحي الذي يمحو الله بِي الكفر وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي.

أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الكفار والمنافقون، قاله ابن جريج.

الثاني: أنه النضر وهو من بني عبد الدار قال إذا كان يوم القيامة شفعت لي العزى واللات، فأنزل الله هذه الآية، قاله عكرمة.

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ الآية. والإطفاء هو الإخماد، ويستعملان في النار، ويستعاران فيما يجري مجراها من الضياء والنور.

والفرق بين الإطفاء والإخماد من وجه وهو أن الإطفاء يستعمل في القليل والكثير، والإخماد يستعمل في الكثير دون القليل، فيقال أطفأت السراج ولا يقال أخمدت السراج.

وفي **﴿نور الله﴾** ها هنا خمسة أقاويل:

أحدها: القرآن، يريدون إبطاله بالقول، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه الإسلام، يريدون دفعه بالكلام، قاله السدي.

الثالث: أنه محمد ﷺ يريدون هلاكه بالأراجيف، قاله الضحاك.

الرابع: أنه حجج الله ودلائله، يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم، قاله ابن بحر.

الخامس: أنه مثل مضروب، أي من أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلاً ممتنعاً فكذلك من أراد إبطال الحق، حكاه ابن عيسى.

وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب بن الأشرف:

يامعشر اليهود ابشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان الله ليتم أمره، فحزن رسول الله ﷺ لذلك، فأنزل الله هذه الآية، ثم اتصل الوحي بعدها.

﴿ليظهره على الدين كله﴾ الآية. وفي الإظهار ثلاثة أقاويل:

أحدها: الغلبة على أهل الأديان.

الثاني: العلو على الأديان.

الثالث: العلم بالأديان من قولهم قد ظهرت على سره أي علمت به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾

﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾ وهذا من الله لزيادة الترغيب، لأنه لما وعدهم بالجنة على طاعته وطاعة رسوله علم أن منهم من يريد عاجل النصر لقاء رغبة في الدنيا ولقاء تأييد الدين فوعدهم بما يقوي به الرغبة فقال: **﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾** يعني فتح البلاد عليه وعليهم، وقد أنجز الله وعده في كلا الأمرين من النصر والفتح.

وفي قوله: **﴿قريب﴾** وجهان:

أحدهما: أنه راجع إلى ما يحبونه أنه نصر من الله وفتح قريب.

الثاني: أنه إخبار من الله بأن ما يحبونه من ذلك سيكون قريباً، فكان كما أخبر لأنه عجل لهم الفتح والنصر.